

كنوز رياض الصالحين

رئيس الفريق العلمي

أ. د. حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار

رعاية ودعم

صاحب السمو الملكي

الأمير بندر بن عبد العزيز آل سعود

أجزل الله مثوبته

المجلد السادس عشر



دار كنوز إشبيليا

للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

كنوز رياض الصالحين

١٦

 دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العمار، حمد ناصر

كنوز رياض الصالحين/ حمد ناصر العمار - الرياض ١٤٣٠هـ، ٢٢ مج.

٦١٢ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٢-٩٤-١١-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٦-١٠-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج١٦)

١- الحديث - جوامع الفنون ٢- الحديث - شرح أ- العنوان

ديوي ٢٣٧،٣ ١٤٣٠/٤٢٨٨

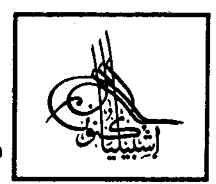
رقم الإيداع: ١٤٣٠/٤٢٨٨

ردمك: ٢-٩٤-١١-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٦-١٠-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج١٦)

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م



دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧

هاتف: ٤٧٤٢٤٥٨ - ٤٧٧٣٩٥٩ - ٤٧٩٤٣٥٤ فاكس: ٤٧٨٧١٤٠

E-mail: eshbelia@hotmail.com

الحديث رقم (١٣١٣)

١٣١٣-وعن أنس رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((مَا أحَدٌ يَدْخُلُ الجَنَّةَ يُحِبُّ أنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا وَلَهُ مَا عَلَى الأرْضِ مِنْ شَيْءٍ إلاَّ الشَّهِيدُ، يَتَمَنَّى أنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ؛ لِمَا يَرَى مِنَ الكَرَامَةِ)) [1].

وفي رواية[2]: ((لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ)) متفقٌ عَلَيْهِ.

ترجمة الراوي:

انس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الكرامة: الكَرَمُ والجود[3].

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الذي ينوه بفضل الشهيد ويقدم نموذجاً فريداً لكل متشوق للجهاد راغب في الدفاع عن عقيدته وأمته نجد الراوي يبدأ رواية الحديث بالتأكيد فيقول " عن أنس رضي الله عنه أن النبي قال) والتأكيد هنا للتنبيه على عظمة هذا السلوك الذي يقوم به الشهيد رغبة في تشويق الناس إلى أن يحذو حذوه في الشهادة والتعبير بقول " ما أحد " للاستقصاء والعموم ليشمل كل إنسان أنعم الله عليه بدخول الجنة وجمله " يدخل الجنة صفة لهذا الذي أنعم الله علية لتحديد نوع النعمة ولبيان قيمتها ودخول الجنة أقصى ما يرجوه المسلم ويرغب فيه والتعبير بالمضارع في قوله "يدخل الجنة" يفيد تجدد هذه الحالة بتجدد الزمان والمكان والمقابلة بين قوله "يدخل الجنة، ويرجع إلى الدنيا... لإظهار الفرق الشاسع بين نعيم الجنة وضآلة قيمة الدنيا ومع ذلك يحب الشهيد أن يرجع لا حباً في الدنيا ولكن لشوقه إلى الجهاد في سبيل الله وأسلوب القصر هنا عن طريق النفي والاستثناء يفيد الحصر وقصر هذا السلوك البطولي على الشهيد وتأخير لفظ: الشهيد ليس لعدم أهميته ولكن للتشويق. .

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨١٧) واللفظ له، ومسلم (١٨٧٧/١٠٩). أورده المنذري في ترغيبه (٢٠٢٣).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٧٧/١٠٨).

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ك ر م).

والرغبة في معرفة صاحب هذه الأمنية التي يعجز عنها الكثيرون والتعبير بقوله " يتمنى " يفيد استحالة وقوع ذلك لأن التمني هو تمنى الأمر البعيد الحصول وقال العلماء وعبر عنه بالتمني لأنه محال لتعلق القدرة الإلهية بعدم وجوده، والتعبير بقوله " فيقتل عشر مرات " لإظهار شوق الشهيد إلى الاستزادة من سبب الفضل والكرامة بنيل الشهادة دفاعاً عن الإسلام والمسلمين وصوناً للحرمات والأعراض.ويقول الشاعر في تحية الشهيد:

نلت الشهادة فاهنأ أيها البطل بمثل عزمك تبنى مجدها الدول

أمامك الجنة الخضراء تفتحها لك السيوف التي حطمت والأسل

وليس أشرف من موت حظيت به والنصر دان إلى عينيك مقتبل

فقه الحديث

تشير الأحاديث إلى عدة أحكام منها:

١ - بيان فضل الشهادة والجهاد، وأنه ليس في أعمال البر ما تبذل فيه النفس غير الجهاد فلذلك عظم فيه الثواب[1].

٢ - أن الجهاد والشهادة وغيرهما من أعمال البر لا يكفر حقوق الآدميين وإنما يكفر حقوق الله تعالى[2].

٣ - حكم جهاد من عليه دَيْن بغير إذن غريمه: اتفق الفقهاء على من تعين عليه الجهاد جاز له الخروج سواء أذن له صاحب الدين أم لم يأذن لأن تعلق الجهاد بعينه مقدم على تعلق الدَيْن بذمته[3].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤١/٦.

(٢) حاشية رد المحتار ١٢١/٤، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٩/١٣، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٢٢٢/٧.

(٣) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٢٤٢/٣، حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، علي بن أحمد العدوي ١٧/٢، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٠/٦، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٧١/٩-١٧٢، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٥١٢/٢.
قال ابن قدامة: ولكن يستحب له أن لا يتعرض لمظان القتل من المبارزة والوقوف في أول المقاتلة، لأن فيه تغريرًا بتفويت الحق. راجع المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٧/٩، ١٨.

اتفق الفقهاء على أن من عليه دين حال وكان موسرًا لا يجوز له الخروج إلى الجهاد إلا إذا أذن له الدائن أو ترك وفاءً أو أقام كفيلاً فحينئذ يجوز له الاشتراك في الغزو(١).

أما إذا كان الدين مؤجلاً فقد اختلف الفقهاء في ذلك. فذهب المالكية والشافعية(٢) إلى جواز خروج المدين إلى الجهاد بغير إذن غريمه لأن الدين لم يحل بعد فلم تجب المطالبة به(٣).

وذهب الحنفية والحنابلة(٤) إلى عدم جواز ذلك، لأنه يعرض نفسه للقتل طلبًا للشهادة، وإذا قتل فقد فات الحق على صاحبه(٥). وهذا هو الراجح.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الشهادة في سبيل الله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ عن بعض الأمور الغيبية.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل الشهادة في سبيل الله:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (ما أحد يدخل الجنة يُحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات؛ لما يرى من الكرامة)، وفي رواية: (لما يرى من فضل الشهادة).

---

(١) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٢٤٢/٣، حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، علي بن أحمد العدوي ١٧/٢، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٠/٦، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٧١/٩-١٧٢، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٥١٢/٢.

(٢) القوانين الفقهية ١٥٠/١، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٠/٦.

(٣) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٠/٦.

(٤) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٢٤٢/٣، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٧١/٩-١٧٢، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٥١٢/٢.

(٥) المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٧٢/٩.

قال النووي: "هذا من صريح الأدلة في عظيم فضل الشهادة"[١].

وقال ابن بطال: "هذا الحديث أجل ما جاء في فضل الشهادة، قال: وليس في أعمال البر ما تبذل فيه النفس غير الجهاد فلذلك عظم فيه الثواب"[٢].

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٣].

قال السعدي: "هذه الآيات الكريمات فيها فضل الشهداء، وكرامتهم وما منّ الله عليهم به من فضله وإحسانه، وفي ضمنها تسلية الأحياء عن قتلاهم، وتعزيتهم وتنشيطهم للقتال في سبيل الله، والتعرض للشهادة. فقال: (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا)، أي: لا يخطر ببالك وحسبانك، أنهم ماتوا وفقدوا لذة الحياة الدنيا، والتمتع بزهرتها، الذي يحذر من فواته، من جبن عن القتال وزهد في الشهادة، (بل) قد حصل لهم أعظم مما يتنافس فيه المتنافسون. فهم (أحياء عند ربهم)، في دار كرامته.

ولفظ (عند ربهم)، يقتضي علو درجتهم، وقربهم من ربهم، (ويرزقون)، من أنوع النعيم الذي لا يعلم وصفه إلا من أنعم به عليهم، ومع هذا صاروا (فرحين بما آتاهم الله من فضله)، أي مغتبطون بذلك، وقرت به عيونهم، وفرحت به نفوسهم وذلك لحسنه وكثرته، وعظمته، وكمال اللذة في الوصول إليه وعدم المنغص"[٤].

عن مسروق قال: سألنا عبدالله عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٠٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٦/٤٠.

(٣) سورة آل عمران، الآيتان ١٦٩ - ١٧٠.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١٢٤.

اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[١] قَالَ: (أَمَا إِنَّا سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: أَرْوَاحُهُمْ في جوف طير خضر لَهَا قَنَادِيلَ مُعَلَّقَةٍ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَىٰ تِلْكَ الْقَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلَاعَةً. فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي؟ وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا. فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا، قَالُوا: يَا رَبِّ نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّىٰ نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ. فَلَمَّا رَأَىٰ أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا)[٢].

قال القرطبي: "قول مسروق: سألنا عبدالله عن هذه الآية، هو عبدالله بن مسعود، وهكذا في رواية أبي بحر: سألنا عبدالله بن مسعود. ومن قال فيه: عبدالله بن عمرو فقد أخطأ.

وقول عبدالله: أما إنا سألنا عن ذلك فقال: كذا صحت الرواية، ولم يذكر فيها (رسول الله ﷺ) وهو المراد منها قطعًا. ألا ترى قوله: فقال؟ وأسند الفعل إلى ضميره، وإنما سكت عنه للعلم به، فهو مرفوع، وليس هذا المعنى الذي في هذا الحديث مما يتوصل إليه بعقل ولا قياس، وإنما يتوصل إليه بالوحي، فلا يُقال: هو موقوف على عبدالله بن مسعود.

وقد تضمن هذا الحديث تفسير قوله تعالى: ﴿أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[٣]، وأن معنى حياة الشهداء: أن لأرواحهم من خصوص الكرامة ما ليس لغيرهم، بأن جعلت في جوف طير، كما في الحديث، أو في حواصل طير خضر، كما في الحديث الآخر، صيانة لتلك الأرواح، ومبالغة في إكرامها، لإطلاعها على ما في الجنة من المحاسن والنعم كما يطلع الراكب المظلل عليه بالهودج الشفاف؛ الذي لا يحجب عما وراءه، ثم يدركون في تلك الحال التي يسرحون فيها من روائح الجنة وطيبها، ونعيمها، وسرورها ما يليق بالأرواح مما ترتزق وتنتعش به، وأما اللذات الجسمانية فإذا أعيدت تلك الأرواح

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٦٩.

(٢) أخرجه مسلم ١٨٨٧.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٦٩.

إلى أجسادها استوفت من النعيم جميع ما أعد الله تعالى لها، ثم إن أرواحهم بعد سرحها في الجنة ترجع تلك الطير بهم إلى مواضع مكرمة، مشرفة، منورة عبر عنها بالقناديل لكثرة أنوارها وشدتها. والله تعالى أعلم. وهذه الكرامات كلُّها مخصوصة بالشهداء كما دلّت عليه الآية وهذا الحديث.

و(قولهم) نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا، دليل على أن مجرد الأرواح هي المتكلمة... وأنها أجواف، ليست أجسادًا لها، وإنما هي مودعة فيها على سبيل الحفظ والصيانة والإكرام، وهذا كله يدل على أن لمنزلة الشهادة من خصوص الإكرام ما ليس لغيرها من أعمال البر، كما قال في الحديث الآخر: (ليس لأحد له عند الله خير يتمنى أن يرجع إلى الدنيا إلا الشهيد، لما يرى من فضل الشهادة... الحديث)"[1].

وقال القاضي عياض: "وأما قوله لهم: (هل تشتهون شيئًا) فمبالغة في الإكرام والنعيم؛ إذ قد أعطاهم ما لا يخطر على قلب بشر ثم رغبهم في سؤال الزيادة، فلم يجد وراء ما أعطاهم من مزيد، لكن تلقوا ذلك بالشكر بأن سألوه بأن يرد أرواحهم إلى أجسادهم حتى يجاهدوا فيه، ويبذلوا أنفسهم، ويقتلوا في شكر إحسانه، ويستلذوا ألم القتل والموت لمكافأة بره، ويجودوا بذواتهم له، إذ لم يقدروا على غاية فوق ذلك والجود بالنفس أقصى غاية الجود"[2].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ عن بعض الأمور الغيبية:

يظهر ذلك في إخباره ﷺ عن الشهيد ودخوله الجنة حيث قال: (ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد يتمنى أن يرجع...)، فهذا من إخباره ﷺ بحال الشهيد وإكرام الله له وهذه المنازل التي اختصه الله بها وقد ورد عنه كثير من الأحاديث التي تخبر عن حال الشهداء عند الله.

فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: لَقِيَنِي رَسُولُ الله فَقَالَ لِي: ((يَا جَابِرُ مَالِي أَرَاكَ

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٧١٥/٣، ٧١٦، ٧١٩.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣٠٩/٦.

مُنْكَسِرًا؟)) قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّه اسْتُشْهِدَ أَبِي قتل يوم أحد وَتَرَكَ عِيَالاً وَدَيْنًا، قَالَ: قال: ((أَفَلاَ أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللَّه بِهِ أَبَاكَ؟)) قلت: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّه، قَالَ: ((مَا كَلَّمَ اللَّه أَحَدًا قَطُّ إِلاَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ وَأَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا، فَقَالَ: تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِيكَ، قَالَ: يَا رَبِّ تُحْيِينِي فَأُقْتَلُ فِيكَ ثَانِيَةً، قَالَ الرَّبُّ عز وجل إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي ﴿أَنَّهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾ قَالَ: وَأُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّه أَمْوَاتًا﴾[(١)]))[(٢)].

ومنها قوله ﷺ: ((لِلشَّهِيدِ عندَ الله سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دُفْعَةٍ ويرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ على رأْسِهِ تَاجُ الوَقَارِ، اليَاقُوتَةُ منها خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وما فيها، ويُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وسبعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ))[(٣)].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب

يظهر ذلك من عموم الحديث حيث رغب رسول الله ﷺ في الشهادة في سبيل الله، وبيّن أنها من أفضل الأعمال، ومن عظم فضلها يتمنى الشهيد الخروج من الجنة، التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، لعظم الشهادة وعظم ما يراه من إكرام من المولى عز وجل له. وأسلوب الترغيب من الأساليب التي يقصد كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه[(٤)].

(١) سورة آل عمران، آية: ١٦٩.

(٢) أخرجه الترمذي ٣٠١٠، وحسنه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٤٠٨).

(٣) أخرجه الترمذي ١٦٦٣، وابن ماجة ٢٧٩٩، وصححه الألباني، (صحيح سنن ابن ماجة ٢٢٥٧).

(٤) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

الحديث رقم (١٣١٤)

١٣١٤-وعن عبدِ الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أنَّ رسولَ الله ﷺ، قَالَ: ((**يَغْفِرُ اللهُ لِلْشَّهِيدِ كُلَّ شَيْءٍ إلاَّ الدَّيْنَ**)). رواه مسلم[1].

وفي روايةٍ له[2]: ((**القَتْلُ في سبيلِ اللهِ يُكَفِّرُ كُلَّ شيءٍ إلاَّ الدَّيْن**)).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

غريب الألفاظ:

يكفِّر: يستر ويمحو[3].

الشرح الأدبي

إن الإيجاز في الحديث الشريف منبع بلاغته ومصدر حكمته وسر تأثيره وقوته وهذا الحديث نموذج للإيجاز البليغ الدالّ فهو يتكون من جمله واحدة. . يسبقها التأكيد الذي يدل على أهمية المعنى المراد وقوة الدلالة المنبثقة من الحديث الشريف، وصيغة " المبنى للمجهول " في قوله – يغفر للشهيد كل ذنب – توحي بأن المغفرة تساق للشهيد من حيث لا يحتسب ولأن الشهيد مقابل ربه. . فإنه يوقن أنه لا يغفر الذنوب إلا الله فهو غافر الذنب، قابل التوب وذاكرة الشهيد تنفى أي احتمال غير ذلك وإدراكه يأبى أن يفكر في غير خالقه وبارئة ومصورة ولذلك لم يحدد الفاعل في الفعل لأن مصدر الغفران معلوم. . وهو الرزاق ذو القوة المتين غافر الذنب وقابل التوب " والتعبير بقوله: كل ذنب " يفيد العموم " وغفران جميع الذنوب أيا كان نوعها ولذلك تؤيد الرواية الأخرى هذه الدلالة الترغيبية حيث يقول: يكفر كل شيء إلا الدين والاستثناء

---

(١) برقم (١١٩/١٨٨٦) بنحوه ولفظه: (يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين). أورده المنذري في ترغيبه (٢٠٢٦) بلفظ مسلم.

(٢) برقم (١٢٠/١٨٨٦).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ك ف ر).

بإلا يفيد تنبيه المسلم إلى أهمية قضاء الديون وإرجاع الحقوق لأصحابها وفى الحديث بلاغة الحذف في ختامه، والتقدير. . إلا الدين فلن يغفر للشهيد عدم أدائه، وذلك لمزيد من الترغيب في إرجاع الحقوق إلى ذويها حتى تظل الروابط بين المسلمين متماسكة، وتظل الأخوة الإيمانية راسخة بين طوائف الأمة وأفرادها، والله أعلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: التحذير من عدم أداء الدَيْن.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً - من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (يغفر الله للشهيد كل شيء إلا الدَيْن)، حيث بيّن ﷺ أن الدين من الأشياء التي لا يغفرها الله للشهيد رغم منزلته وفضله عند الله.

فعلى الداعية أن يلتزم ببيان الحقائق للمدعوين وقد أمر الله رسوله ﷺ ببيان الحق فقال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1]، "أي: فتفصل لهم ما أجمل، وتبين ما أشكل (ولعلهم يتفكرون)، أي: ينظرون لأنفسهم فيهتدون، فيفوزون بالنجاة في الدارين"[2].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾[3].

قال السعدي: "الميثاق هو العهد الثقيل المؤكد، وهذا الميثاق أخذه الله تعالى، على كل من أعطاه الله الكتب، وعلمه العلم، أن يبين للناس ما يحتاجون إليه مما علمه الله، ولا يكتمهم ذلك ويبخل عليهم به، خصوصًا إذا سألوه، أو وقع ما يوجب ذلك،

---

(١) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤/٥٧٤.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

فإن كل من عنده علم يجب عليه في تلك الحال أن يبينه، ويوضح الحق من الباطل. فأما الموفقون، فقاموا بهذا أتم القيام، وعلموا الناس مما علمهم الله ابتغاء مرضاة ربهم، وشفقة على الخلق وخوفًا من إثم الكتمان"[1]. فيجب على الداعية بيان الحقائق للمدعوين.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: التحذير من عدم أداء الدين:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (يغفر الله للشهيد كل شيء إلا الدين)، ويؤيد ذلك ما ورد عن قتادة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ: أَنَّهُ قَامَ فِيهِمْ فَذَكَرَ لَهُمْ: ((أَنَّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالإِيمَانَ بِاللّهِ أَفْضَلُ الأَعْمَالِ)) فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللّهِ تُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ: ((نَعَمْ. إِنْ قُتِلْتَ فِي سَبِيلِ اللّهِ. وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ)) ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللّهِ: ((كَيْفَ قُلْتَ؟)) قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَتُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ: ((نَعَمْ. وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ. إِلاَّ الدَّيْنَ. فَإِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، قَالَ لِي ذَلِكَ))[2].

قال القرطبي: "و(قول السائل: أرأيت إن قتلت في سبيل الله؛ أتكفر عني خطاياي؟) هذا بحكم عمومه يشمل جميع الخطايا، ما كان من حقوق الله تعالى، وما كان من حقوق الآدميين. فجوابه بـ (نعم) مطلقًا يقتضي تكفير جميع ذلك، لكن الاستثناء الوارد بعد هذا يبين أن هذا الخبر ليس على عمومه، وإنما يتناول حقوق الله تعالى خاصة لقوله ﷺ: ((إلا الدَّيْن)) وذكره الدَّيْن تنبيه على ما في معناه من تعلق حقوق الغير بالذمم، كالغصب، وأخذ المال بالباطل، وقتل العمد، وجراحه، وغير ذلك من التبعات، فإن كل هذا أولى بأن لا يغفر بالجهاد من الدَّيْن، لكن هذا كله إذا امتنع عن أداء الحقوق مع تمكنه منه، وأما إذا لم يجد للخروج من ذلك سبيلاً، فالمرجو من كرم الله تعالى إذا صدق في قصده، وصحت توبته أن يُرضيَ الله تعالى خصومه عنه،

---

(١) تيسر الكريم الرحمن ص ١٢٧.

(٢) أخرجه مسلم ١٨٨٥.

كما قد جاء نصًا في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه المشهور في هذا، وقد دلّ على صحة ما ذكرناه قوله صلى الله عليه وسلم: ((لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ...))[1] الحديث. ولا يلتفت إلى قول من قال: إن هذا الذي ذكره من الدين إنما كان قبل قوله صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضَيَاعًا فعلي...))[2] الحديث. يشير بذلك إلى أن ذلك المعنى منسوخ. فإنه قول باطل مفسوخ، فإن المقصود من هذا الحديث بيان أحكام الديون في الدنيا، وذلك: أنه كان من أحكامها دوام المطالبة وإن كان الإعسار. وقال بعض الرواة: إن الحر كان يباع في الدَيْن. وامتنع النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة على من مات وعليه دينار ولم يجد وفاء له. فهذه الأحكام وأشباهها هي التي يمكن أن تنسخ، والحديث الأول لم يتعرض لهذه الأحكام. وإنما تعرض لمغفرة الذنوب فقط. هذا إذا قلنا: إن هذا ناسخ، فأما إذا حققنا النظر فيه فلا يكون ناسخًا، وإنما غايته: أن تحمل النبي صلى الله عليه وسلم على مقتضى كرم خُلقه عن المعسر دينه، وسد ضيعة الضائع. وقد دلّ على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث بعينه: ((أنا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ، وَأَنَا أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ))[3]، فعلى هذا يكون هذا التحمل خصوصًا به، أو من جملة تبرعاته لما وسع الله عليه، وعلى المسلمين. وقد قيل في معنى هذا الحديث: إن معنى ذلك: أن النبي صلى الله عليه وسلم قام بذلك من مال الخمس والفيء ليبين أن للغارمين ولأهل الحاجة حقًا في بيت مال المسلمين، وإن الناظر لهم يجب عليه القيام بذلك لهم، والله تعالى أعلم"[4].

قال النووي: "ففيه تنبيه على جميع حقوق الآدميين وأن الجهاد والشهادة وغيرها من أعمال البر لا يكفر حقوق الآدميين، وفيه هذه الفضيلة العظيمة للمجاهد وهي تكفير خطاياه كلها إلا حقوق الآدميين"[5].

---

(١) أخرجه مسلم ٢٥٨٢.

(٢) أخرجه البخاري ٥٣٧١، ومسلم ١٦١٩.

(٣) هو الحديث السابق.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣/٧١٣-٧١٤.

(٥) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢١١.

وقال ابن عثيمين: "أن الشهادة تكفر كل شيء من الأعمال إلا الدَيْن، يعني: إلا دَيْن الآدمي، فإن الشهادة لا تكفره، وذلك لأن الآدمي لا بد من إيفائه إما في الدنيا، وإما في الآخرة، وفي الحديث التحذير من التساهل في الدَيْن وأنه لا ينبغي للإنسان أن يتساهل في الدَيْن ولا يستدين إلا عند الضرورة القصوى، وذلك لأن الدَيْن لا تكفره حتى الشهادة في سبيل الله"[1].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترهيب:

يظهر هذا من عموم الحديث حيث رهّب رسولُ الله ﷺ من عدم سداد الدين وذلك بقوله: (يغفر الله للشهيد كل شيء إلا الدين)، فالشهادة وما لها من فضل ومكانة عند الله لا تكفر الدين وفي ذلك ترهيب منه ومن التساهل فيه، (وأسلوب الترهيب من أساليب الدعوة التي يقصد به كل ما يخيف المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله)[2].

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين ١٤٤٦/٢ - ١٤٤٧.

(٢) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

الحديث رقم (١٣١٥)

١٣١٥- وعن أبي قتادة ﷺ: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَامَ فِيهِم فَذَكَرَ[١]: ((**أنَّ الجِهَادَ في سَبيلِ اللهِ، وَالإيمَانَ بِاللهِ، افْضَلُ الأعْمَالِ**))، فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رسولَ اللهِ، أرأيْتَ إنْ قُتِلْتُ في سَبيلِ اللهِ، أتُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ لَهُ رسول الله ﷺ: ((**نَعَمْ، إنْ قُتِلْتَ في سَبيلِ الله وَانْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ**))، ثُمَّ قَالَ رسول الله ﷺ: ((**كيْفَ قُلْتَ؟**)) قَالَ: أرَأيْتَ إنْ قُتِلْتُ في سَبيلِ اللهِ، أتُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ رسول الله ﷺ: ((**نَعَمْ، وَانْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيرُ مُدْبِرٍ، إلاَّ الدَّيْنَ فَإنَّ جِبْرِيلَ ﷺ قَالَ لِي ذَلِكَ**)) رواه مسلم[٢].

ترجمة الراوي:

ابو قتادة الأنصاريّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١٧).

غريب الألفاظ:

تُكفَّر: تُستَر وتُمحى[٣].

محتسب: مبادر إلى تحصيل الثواب بالتسليم والصبر[٤].

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث قبس من خطابة النبي ﷺ، وإشعاع من بلاغة النبوة في الحوار والإقناع والهدى والإرشاد وتتسم خطابة المصطفى ﷺ بالدقة والوضوح وعدم المبالغة فالخطبة النبوية نسيج متلائم من الفكر التشريعي الواضح في ضوء التعاليم القرآنية ويأتي التأكيد في بداية الحديث ليبين أفضلية الجهاد والإيمان بالله وصيغة التفضيل في قوله " أفضل الأعمال " للإخبار عن الجهاد والإيمان " أي مجموعها، وتقدم: الجهاد. .

---

(١) عند مسلم زيادة: (لهم)، وهي لا توجد عند المنذري، فتبعه عليها المؤلف..

(٢) برقم (١١٧/١٨٨٥)، وتقدم برقم (٢١٧). أورده المنذري في ترغيبه (٢٠٢٧).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (م ح و).

(٤) المرجع السابق في (ح س ب).

على الأيمان ليس لأفضليته المطلقة ولكن للاهتمام به والحض عليه في بدء الدعوة الإسلامية وفى كل عصر تتعرض فيه الأمة للأخطار من أعدائها، والمتربصين بها فالجهاد لا يقبل ولا تكون له عزة إلا في ظل الإيمان الذي تتسع دائرته لتشمل الصالح من كل الأعمال والحوار في الحديث الشريف بين رسول الله وهذا السائل يعد خير وسيلة للإقناع ولتوصيل المعرفة والترغيب في الجهاد ولبيان أهمية الدين، وتكرار الاستفهام في سؤال السائل: أرأيت إن قتلت " أتكفر عن خطاياي؟ يرشد إلى لهفة السائل لمعرفة الحقيقة ولرغبته في المغفرة ورغبته كذلك في الجهاد، وإجابة رسول الله تتضمن نوعين من البلاغة الأسلوبية: أسلوب الشرط وبلاغة الحذف فالشرط يفيد أن الجزاء من جنس العمل فالأمر ليس إهلاكاً للنفس، ولكن لا بد أن يكون القتل في سبيل الله وفيه صبر واحتساب، وأن يموت الشهيد مقبلاً غير مدبر والموقع اللغوي للجملة التي تتضمن هذه الصفات تصور حال حركة الشهيد ساعة القتال فهي جمله حالية وأنت صابر تحتسب مقبل غير مدير وصيغة اسم الفاعل في هذه الخصال الأربع تعلن عن صدق النية وقوة العزيمة لدى الشهيد وكأنة هو الذي يصنع الصبر والثبات والاحتساب بمضاء عزيمته وصدق نيته وهو يواجه الأعداء وينأى عن الفرار والتولي يوم الزحف ومراجعة رسول الله لهذا السائل وتكرار السؤال لتوضيح أهمية الدين والترغيب في أدائه على خير وجه – وقال صاحب دليل الفالحين نقلاً عن العاقولي " استعاد منه سؤاله لبعيد جوابه مقيداً بما يأتي مبالغة في عظم أمر الدين لأنه لما علم بأجر الشهيد مجرداً عن الدين إطمأنت نفسه وانشرح صدره وفرح بذلك غاية الفرح فلما أورد عليه حكم الدين وأنه مستثنى كان كالانباه بعد الرقدة والإزعاج بعد الغفلة وهو أبلغ من الإعلام أولاً. والله اعلم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم ٢١٧.

الحديث رقم (١٣١٦)

١٣١٦ - وعن جابر رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ[1] : أَيْنَ أَنَا يَا رسول الله إنْ قُتِلْتُ؟ قَالَ: ((فِي الجَنَّةِ)) فَألْقَى تَمَرَاتٍ كُنَّ فِي يَدِهِ، ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ. رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

إن هذا المشهد الحواري بين رسول الله ﷺ وأحد الصحابة لم يتحدد زمانه ولم يتحدد مكانه واسم الرجل لم يهتم به الراوي الأعلى. لأن الغاية هنا ليست حكاية أو قصة لها أحداثها ووقائعها ولكن الغاية من هذا الحديث التنويه بفضل الاستشهاد وبيان حرص الصحابة على القتال في سبيل الله والظفر بإحدى الحسنيين: إما النصر وإما الشهادة، ولذلك نرى الاستفهام الحقيقي في بداية الحديث. يعلن عن صدق السائل في شوقه للجهاد والاستشهاد في سبيل الله وتخصيص السائل بضمير الرفع المنفصل " أنا " يؤكد صدق هذا السائل فهو لا يسأل للمعرفة فقط ولكن للإقدام والتنفيذ وقد استجاب ونفذ شوقاً للجنة، وبلاغة الإيجاز في هذا الحديث تتجلى في حذف جواب الشرط في قوله: " إن قتلت " والتقدير فأين أنا ؟ وهذا الحذف في حكم المذكور لأنه جواب الشرط وقد حذف لدلاله ما قبلة عليه وكأنه كرر السؤال مرتين إحداهما بالإظهار. والأخرى بالإضمار وإجابة رسول الله ﷺ وسلم تتضمن إيجازاً حيث اقتصر على قوله: في الجنة — والتقدير: أنت إن قتلت — تدخل الجنة ولأن السائل مشتاق إلى معرفة مصيره ومشوق للجهاد فقد بشرة رسول الله بما يدفعه إلى الإقدام والإسراع

---

(١) هو: عُمير بن الحُمام الأنصاري. تنبيه المعلم (٧٨٧).

(٢) برقم (١٨٩٩/١٤٣)، وتقدم برقم (٨٩). أورده المنذري في ترغيبه (٢٠٥٨) من رواية أنس بنحوه أخرجها الحاكم (٢/٩٣).

إلى القتال فقال "في الجنة"، والعطف بالفاء في قوله "فألقى: يجعل من الفعل مصور الحركة الرجل وسر استجابته لهذه البشرى والعطف بثم في قوله: ثم قاتل يرشد إلى كثرة القتال... واتساع المساحة الزمنية لذلك والتعبير، بـ"حتى" وهى للغاية ينبيء عن ذلك ويفيد بأن الرجل استمر يقاتل حتى نال شرف الشهادة وقتل في سبيل الله وهذا أعظم ما يناله المسلم من تكريم وثواب مضاعف فالشهداء أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله وكرمه وعفوه وهو أرحم الراحمين

فقه الحديث

يشير الحديثان إلى عدة أحكام منها:

١ - ثبوت الجنة للشهيد[1].

٢ - المبادرة بالخير، وأنه لا يشتغل عنه بحظوظ النفوس[2].

٣ - جواز الانغمار في الكفار والتعرض للشهادة، وهو جائز بلا كراهة عند جماهير العلماء[3].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على السؤال عما يشغلهم في أمر الجهاد في سبيل الله.

ثانيًا: من واجبات المدعو: المسارعة وعدم التردد في اغتنام الفرص.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٤٤/١٣.

(٢) المرجع السابق ٤٤/١٣.

(٣) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن عرفة الدسوقي ١٨٣/٢، المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ٢١٤/٣، حاشية الصاوي على الشرح الصغير ٢٨٣/٢، أحكام القرآن، الجصاص ٣٦٠/١، أحكام القرآن، ابن العربي ١٦٦/١، أحكام القرآن للقرطبي ٨٤٦/١-٨٤٩، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني ٩١/٤، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٢١٢/٧.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على السؤال عما يشغلهم في أمر الجهاد في سبيل الله:

يظهر ذلك في قول جابر رضي الله عنه: قال رجل: (أين أنا يا رسول الله إن قتلت؟ قال: في الجنة)، فقد كان الصحابة رضي الله عنهم حريصين على سؤال النبي صلى الله عليه وسلم عن كل ما يشغلهم في أمر الجهاد في سبيل الله، فهذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه عندما أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه إمارة الجيش في فتح خيبر يصرخ ويقول: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَى مَاذَا أُقَاتِلُ النَّاسَ؟ قَالَ صلى الله عليه وسلم: ((قَاتِلْهُمْ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ. فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَقَدْ مَنَعُوا مِنْكَ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ. إِلاَّ بِحَقِّهَا. وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ))[١]، وهذا صحابي آخر عندما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إِنَّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالإِيمَانَ بِاللَّهِ أَفْضَلُ الأَعْمَالِ))، قَامَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟[٢]، وكان الصحابة رضي الله عنهم يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل ما يعن لهم في شؤون الدين، بل في الكثير من شؤون الدنيا، حتى أن بعضهم كان يسأل عن الشر مخافة أن يقع فيه[٣].

فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: ((كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنِ الْخَيْرِ. وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ. مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي))[٤].

فعلى المدعو أن يسأل عما يشغله من أمور دينه.

ثانيًا - من واجبات المدعو: المسارعة وعدم التردد في اغتنام الفرص:

إن الفرص ثمينة، وإن فواتها لا يعوض، وإن انتهازها لدليل الحزم، وعنوان العقل والجد. "ومهما حفظ الإنسان من الحكم، وكانت رغباته صالحة، فلن تتحسن أخلاقه وتقوى إلا إذا انتهز كل فرصة تسنح له"[٥]، قال البارودي:

---

(١) أخرجه مسلم ٢٤٠٥.

(٢) أخرجه مسلم ١٨٨٥.

(٣) من أصناف المدعوين، د. حمود بن أحمد الرحيلي ص ١٨.

(٤) أخرجه البخاري ٧٠٨٤، ومسلم ١٨٤٧.

(٥) الأخلاق والسير، لابن حزم ص ٣٨.

بـــادر الفرصـــة واحـــذر فوتهـــا فبلـــوغ العـــز في نيـــل الفـــرص

فابتـــدر مـــسعاك واعلـــم أن مـــن بـــادر الـصيد مـــع الفجـــر قـــنص [1][2]

فينبغـي علـى المسلم أن يبـادر إلى اغتنـام الفـرص، يظهـر ذلـك في قـول عمـير بـن الحمام رضي الله عنه: (فألقى تمرات كن في يده، ثم قاتل حتى قتل).

قال النووي: "وفيه المبادرة بالخير وأنه لا يشتغل عنه بحظوظ النفوس"[3].

إن المنهج الإسلامي يوجه الإنسان الوجهة الصحيحة السليمة، وذلك بحثه على فعل الخير والمسابقة إليه باستمرار دون أن يكون هناك تباطؤ أو كسل، نرى ذلك من خلال دعوة الله المتكررة إلى فعل الخير، والتي من خلالها يتبين لنا أهميتها بالنسبة للإنسان. من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[4].

وقد جعل الله المبادرة إلى فعل الخير أحد العناصر الرئيسة للفوز برضاه والفلاح في الدنيا والآخرة حيث يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[5].

وقد جعل الله لنا نماذج هم خير قدوة لنا في حياتنا نقتبس منهم، وهؤلاء هم أنبياؤه ورسله عليهم السلام، فقد أوحى الله إليهم فعل الخيرات فامتثلوا لذلك. قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾[6].

---

(١) ديوان البارودي قافية الصاد. البحر: رمل تام ص ٢٩٣.

(٢) الهمة العالية "معوقاتها ومقوماتها"، محمد بن إبراهيم الحمد ص ٢٤١.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢١٧.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٤٨.

(٥) سورة الحج، آية: ٧٧.

(٦) سورة الأنبياء، آية: ٧٣.

ومن طرق الإسلام في الحث على المبادرة لفعل الخير أنه أثنى على الذين سارعوا إلى فعل الخير وكانوا حريصين على القيام به، ليكون ذلك حافزًا قويًا لمن يأتي بعدهم فيقتدي بهم[١]. قال عز وجل: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[٢].

وغاية المنهج الإسلامي - مما سبق - هو: تكوين الإنسان المسلم الحق من خلال إيداع طبيعته الإنسانية كل ذخائر الإسلام الجليلة وبذور الخير، وذلك ليتسنى للإنسان قهر نوازع الشر دون أن يكون هناك كبت لغرائزه ونشاطه الجسمي. فالإسلام يصادم الشر لكي تتجه قوى الإنسان إلى الخير والبناء.

فالشخصية الإسلامية لتيقنها أن الدنيا دار سعي وعمل، ومدتها محدودة قليلة، والآخرة دار حساب وجزاء وهي حياة أبدية؛ فإنا نجدها تسارع في هذه الدنيا إلى كل عمل طيب سباقة إلى كل فعل خير، وما ذاك إلا ليكون لها زادًا تتزود به يوم القيامة وتحصل به على الثواب العظيم من الله عز وجل. قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٣].

ونجده سبحانه في آية أخرى يذكر سمات الشخصية الإسلامية التي منها المبادرة لفعل الخير وما تتميز به في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٥٧ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝٥٨ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝٥٩ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ۝٦٠ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾[٤].

وقد ثبت في الإسلام أصل طلب المسارعة إلى الخيرات والمسابقة إليها[٥]، فالله

(١) إسلامنا، الشيخ السيد سابق ص ١٣١ - ١٣٢.

(٢) سورة الأنبياء آية: ٩٠.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٣٣.

(٤) سورة المؤمنون، الآيات: ٥٧ - ٦١.

(٥) انظر: الموافقات، للشاطبي ١٥٣/١.

سبحانه وتعالى ندب الإنسان إلى المسارعة في فعل الخيرات والمبادرة إليها حيث قال: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[١]. وهي: طاعة الله واتباع شرعه الذي جعله ناسخًا لما قبله والتصديق بكتابه القرآن، الذي هو آخر كتاب أنزله[٢].

وقد نبه الرسول ﷺ على أنه يحصل في هذه الدنيا فتن شاغلة وكثيرة، فيجب على المسلم العاقل الحازم ذي الهمة العالية أن يبادر إلى الأعمال الصالحة النافعة التي أمر بها الدين الإسلامي، من عبادة لله عز وجل وجهاد في سبيله، أي أنه يلتزم المنهج الإسلامي بكامله قبل حصول الفتن وكثرة المشاغل التي تصرفه عن الالتزام بهذا المنهج، وفي ذلك يقول المصطفى ﷺ: ((بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ. يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا. أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا. يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا))[٣].

فقد كان الرسول ﷺ حريصًا على تأصيل هذه الخصلة في نفوس المسلمين وجعلها سمة يتسابقون إلى التحلي بها والتنافس فيها.

والشخصية الإسلامية في مبادرتها لفعل الخير وتنافسها فيه؛ لا بد أن تلتزم بشرط ضروري يتعلق بقبول العمل عند الله سبحانه وتعالى وذلك بأن تكون عند مبادرتها لفعل الخير نظرها متجه إلى الله وحده لا إلى الناس؛ لأن من لم تكن هذه نيته يكون قد دخل في باب الرياء وهو كما سمي الشرك الخفي، فالشخصية الإسلامية عندما تبادر إلى فعل خير فإن نهاية قصدها هو نيل القرب من خالقها والوصول إلى أعظم الدرجات عنده[٤].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ لمن سأله: أين أنا يا رسول الله إن قتلت؟

---

(١) سورة المائدة، آية: ٤٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣/١٣٠.

(٣) أخرجه مسلم ١١٨.

(٤) الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د. ناصر بن عبدالله التركي ص ٣٦١ - ٣٦٤.

فقال: (في الجنة).

حيث رغّبه في الشهادة في سبيل الله وبيّن له أن جزاء ذلك الجنة، وقد كان من هديه ﷺ أن يرغب الصحابة رضي الله عنهم في الشهادة، ومن ذلك ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنْ أَغْزُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أَغْزُوَ فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أَغْزُوَ فَأُقْتَلَ))[1].

وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي يشوق بها المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق، ونيل رضاء الله في الآخرة والفوز فيها بالجنة.

---

(١) أخرجه البخاري ٣٦، ٣١٢٢، ومسلم ١٨٧٦.

الحديث رقم (١٣١٧)

١٣١٧- وعن أنس رضي الله عنه، قَالَ: انْطَلَقَ رسولُ الله ﷺ وأصْحَابُهُ حَتَّى سَبَقُوا المُشْرِكِينَ إلَى بَدْرٍ، وَجَاءَ المُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **((لاَ يَقْدمَنَّ أحَدٌ مِنْكُمْ إلَى شَيْءٍ حَتَّى أكُونَ أنَا دُونَهُ))**. فَدَنَا المُشْرِكُونَ، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: **((قُومُوا إلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّماوَاتُ وَالأرْضُ))** قَالَ: يَقُولُ عُمَيْرُ بن الحُمَامِ الأنْصَارِيُّ رضي الله عنه: يَا رسولَ اللهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّماوَاتُ وَالأرْضُ؟ قَالَ: **((نَعَمْ))** قَالَ: بَخٍ بَخٍ؟ فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: **((مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَولِكَ بَخٍ بَخٍ؟))** قَالَ: لاَ وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ إلاَّ رَجَاءَ أنْ أكُونَ مِنْ أهْلِهَا، قَالَ: **((فَإنَّكَ مِنْ أهْلِهَا))** فَأخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ، فَجَعَلَ يَأكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هذِهِ إنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ. رواه مسلم(١).

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

بدر: غزوة بدر هي الغزوة التي كانت بين المسلمين وقريش في رمضان ٢هـ(٢).

لا يقدمن أحد منكم إلى شيء: أي قدامه متقدمًا في ذلك الشيء لئلا يفوت شيء من المصالح التي لا تعلمونها(٣).

دونه: أقرب منه إليه(٤).

بخ بخ: كلمة تطلق لتفخيم الأمر وتعظيمه في الخير(٥).

---

(١) برقم (١٩٠١/١٤٥). أورده المنذري في ترغيبه (١٩٧٣).

(٢) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٦٥.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢١٨.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٤١٣.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢١٨.

قرنه: القَرَن: جعبة من جلد تُشقُّ ويُجعل فيها النبل[1].

الشرح الأدبي

ما أجل الوقائع الماجدة التي تحفل بها السيرة النبوية العطرة وهذا الحديث من المشاهد المضيئة بأشعة البطولة وتوهجات الصدق والفداء في معركة بدر الكبرى وكل مسلم في هذه المعركة كان قلبه ينبض بالكلمات التي أطلقها رسول الله ﷺ وهو يبشر أصحابه بالجنة والنصر حيث قال: والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة "وحين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف نجدها تموج بالظواهر الفنية والأسلوبية الآتية: الحوار بين رسول الله ﷺ وأصحابه يرسي قاعدة المشورة في الإسلام حتى في اللحظات الحرجة الخطرة ومنها التحفز والاستعداد للقتال ومواجهه الأعداء، ثم الجملة الخبرية في بداية الحديث وما بعدها: تفيد الإخبار بوقائع حقيقية ولها أثرها في إرساء قواعد الدعوة ومشروعية القتال والترغيب في الاستشهاد دفاعاً عن الإسلام، ثم التأكيد في قول رسول الله صلى الله علية وسلم: " لا يقدمن أحد منكم إلي شيء. .. الخ " يوضح موقف رسول الله وثباته في إقدامه وشجاعته والمراد. . النهى عن الاستبداد في شيء من ذلك دون أمره وإشارته، كما أن التعبير بقوله: انطلق رسول الله، وقوله: حتى سبقوا. . يجسد حركة المسلمين وقوتهم في التوجه إلى ميدان المعركة ولم يقل ذهب ولم يقل وصلوا لأن المراد رصد ما عليه المسلمون من قوة الإرادة وصدق العزيمة فجاءت الألفاظ مصورة لإيقاع الحركة المادية والمعنوية، والعطف بالفاء في قوله: فدنا المشركون، فقال رسول الله: قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض – يوحى بسرعة التحركات بين الجانبين – المسلمين والمشركين – طمعاً في الفوز والغلبة، وفي قوله: فقوموا إلى جنه. . يفيد المسارعة ووصف الجنة بالعرض من باب المبالغة والترغيب وليدل على أن الطول أعظم وأعظم، وتكرار – جنه عرضها السماوات والأرض على لسان –

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ق ر ن).

عمير بن الحمام الأنصارى – يفيد التلذذ بذكر هذا النعيم والتثبت من ذلك والحرص على الفوز بالجنة بعد الشهادة، وقوله " بخ بخ " تعبير صوتى عن المراد وهذا مما تمتاز به اللغة العربية فهي كما قال ابن جني – أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم " وكلمة: بخ " تطلق لتفخيم الأمر وتعظيمه في الخير، ولنتأمل السر الذي يكمن في سؤال رسول الله حين قال لعمير: ما يحملك على بخ بخ ؟ إنه يريد أن يظهر مراد عمير للناس وهو أن يكون من أهل الجنة وبشره قائلاً إنك من أهلها واستشهد عمير وفاز بالجنة وهذا كما يقول العلماء من جملة معجزاته صلى الله علية وسلم: لأنه أخبر عن أمر مغيب قبل كونه بأنه يكون فكان كما أخبر ونعم المسلمون جميعاً بالنصر في غزوة بدر الكبرى بعون الله ومشيئته قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾ [الحج آية ٣٨].

فقه الحديث

قال النووي: (قوله "لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل" فيه جواز الانغمار في الكفار والتعرض للشهادة، وهو جائز بلا كراهة عند جماهير العلماء)(١).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على مرافقة النبي صلى الله عليه وسلم في الجهاد.

ثانيًا: من تاريخ الدعوة: غزوة بدر.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الأمر والترغيب والتفخيم.

رابعًا: من آداب الداعية: الاستفسار عن كلام المدعو وتبشيره بالخير.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: فضل الإخلاص في العمل.

أولاً – من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على مرافقة النبي صلى الله عليه وسلم في الجهاد:

يظهر ذلك من قول أنس رضي الله عنه: انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى سبقوا

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، ٧/١٣/٤١ .

المشركين إلى بدر، وجاء المشركون فقال رسول الله ﷺ: (لا يُقدمن أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه ... إلخ).

وهذا يدل على حرص صحابة رسول الله ﷺ على مرافقته في الجهاد وهذا من كل الصحابة رضي الله عنهم الكبير والصغير، فهذا ابن عمر رضي الله عنهما يقول: ((أن رسولَ الله ﷺ عَرضَهُ يومَ أُحُدٍ وهو ابنُ أربعَ عشرةَ سنةً فلم يُجزني، ثم عَرضني يومَ الخَندَقِ وأنا ابنُ خمسَ عشرةَ فأجازني))[١].

قال ابن الجوزي في ترجمة سعد بن خيثمة: "يكنى أبا عبدالله، أحد نقباء الأنصار الاثنى عشر، شهد العقبة الأخيرة مع السبعين، ولما ندب رسول الله ﷺ الناس إلى غزوة بدر قال له أبوه خيثمة: إنه لا بد لأحدنا أن يقيم، فآثرني بالخروج وأقم مع نسائك. فأبى سعد وقال: لو كان غير الجنة آثرتك به، إني لأرجو الشهادة في وجهي هذا. فاستهما فخرج سهم سعد فخرج فقتل ببدر"[٢].

وعن ثابت البناني، عن ابن أبي ليلى أن ابن أم مكتوم قال: (أَي ربِّ أنزل عذري. فأنزلت ﴿غَيْرُ أُولي الضَّرَرِ﴾[٣] فكان بعدُ يغزو ويقولُ: ادفعوا إِليَّ اللواءَ، فإني أعمى لا أستطيع أَن أَفِرَّ، وأَقيموني بين الصفين)[٤].

ومن ترجمة واثلة بن الأسقع رضي الله عنه: عن محمد بن سعد قال: أتى واثلة رسول الله ﷺ فصلى معه الصبح. وكان رسول الله ﷺ إذا صلى وانصرف تصفح أصحابه. فلما دنا من واثلة قال: من أنت؟ فأخبره فقال: ما جاء بك؟ قال: جئت أبايع. فقال رسول الله ﷺ: فيما أحببت وكرهت؟ قال: نعم. قال: فيما أطقت؟ قال: نعم. فأسلم وبايعه.

وكان رسول الله ﷺ يتجهز يومئذ إلى تبوك فخرج واثلة إلى أهله فلقي أباه

---

(١) أخرجه البخاري ٢٦٦٤، ومسلم ١٨٦٨.

(٢) صفة الصفوة ٢١١/١.

(٣) سورة النساء، آية: ٩٥.

(٤) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٣٦٤/١.

الأسقع فلما رأى حاله قال: لقد فعلتها؟ قال: نعم. قال أبوه: والله لا أكلمك أبدًا. فأتى عمه فسلم عليه فقال: قد فعلتها؟ قال: نعم. قال: فلامه أيسر من ملامة أبيه وقال: لم يكن ينبغي لك أن تسبقنا بأمر.

فسمعت أخت واثلة كلامه فخرجت إليه وسلمت عليه بتحية الإسلام. فقال واثلة: أنى لك هذا يا أخيَّة؟ قالت: سمعت كلامك وكلام عمك فأسلمت. فقال: جهزي أخاك جهاز غاز فإن رسول الله ﷺ على جناح سفر. فجهزته فلحق برسول الله ﷺ قد تحمل إلى تبوك وبقي غُبرات من الناس وهم على الشخوص فجعل ينادي بسوق بني قينقاع: من يحملني وله سهمي؟ قال: وكنت رجلاً لا رُحلة بي قال: فدعاني كعب بن عجرة فقال: أنا أحملك عقبة بالليل وعقبة بالنهار ويدك أسوة يدي وسهمك لي. قال واثلة: نعم. قال واثلة: جزاه الله خيرًا لقد كان يحملني ويزيدني وآكل معه ويرفع لي حتى إذا بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى أكيدر بن عبدالملك بدومة الجندل خرج كعب في جيش خالد وخرجت معه فأصبنا فيئًا كثيرًا فقسمه خالد بيننا فأصابني ست قلائص [1] فأقبلت أسوقها حتى جئت بها خيمة كعب بن عجرة فقلت: اخرج رحمك الله فانظر إلى قلائصك فاقبضها فخرج وهو يبتسم ويقول: بارك الله لك فيها ما حملتك وأنا أريد أن آخذ منك شيئًا"[2][3].

فهذه القصص وأمثالها تدل دلالة واضحة على أن الله اختار لنبيه ﷺ أفضل الخلق لصحبته وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: ((خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي. ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ))[4].

ثانيًا- من تاريخ الدعوة: غزوة بدر:

يظهر ذلك في قول أنس رضي الله عنه: انطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا

---

(١) القلوص: هي الإبل الفتية المجتمعة الخلق، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ق ل ص).

(٢) صفة الصفوة، ابن الجوزي ١/٢٩٩.

(٣) انظر: أين نحن من أخلاق السلف، عبدالعزيز بن ناصر الجليل، بهاء الدين بن فاتح عقيل، ط٩ دار طيبة للنشر والتوزيع: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص ٧٣ - ٧٩.

(٤) أخرجه الترمذي ٢٣٠٢، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ١٨٧٤)..

المشركين إلى بدر. وغزوة بدر كانت في صبيحة يوم الجمعة لسنتين خلتا من بدء الهجرة النبوية إلى المدينة[1].

وهذا التاريخ كان من أهم تواريخ الدعوة إلى الله، وحول هذه المعركة نزلت سورة الأنفال بيان إلهي عن هذه المعركة.

ولقد وجه الله تعالى أنظار المسلمين - أولاً - إلى التقصيرات والتقاريظ الأخلاقية التي كانت قد بقيت فيهم، وصدرت بعضًا منهم ليسعوا في تكميل نفوسهم وتزكيتها عن هذه التقاريظ.

وقد حملت هذه الغزوة الكثير من الدروس الدعوية التي يمكن الاستفادة منها، ومنها: الهدف النبيل الذي خاض النبي ﷺ من أجله هذه المعركة... وهو نصرة الحق ونشره والكفاح ضد الشرك وأهله.

ثم خطاب المشركين والمنافقين واليهود وأسارى المعركة ووعظهم، وتدعوهم إلى الاستسلام للحق والتقيد به.

ثم خطاب المسلمين حول الغنائم، وتقنين مبادئ وأسس هذه المسألة، ثم بيان ومشروعية قوانين الحرب والسلم للمسلمين ما كانت الحاجة تمس إليها بعد دخول الدعوة الإسلامية في هذه المرحلة، حتى تمتاز حروب المسلمين عن حروب أهل الجاهلية، ويقوم لهم التفوق الأخلاقي والقيم والمثل، ويتأكد للدنيا أن الإسلام يثقف أهله عمليًا على القيم والمبادئ التي يدعو إليها.

ثم إقرار بنود قوانين الدولة الإسلامية التي تُقَيِّم الفَرْق بين المسلمين الذين يسكنون داخل حدودها، والذين يسكنون خارجها"[2].

إن بدر من أهم الأحداث في تاريخ الدعوة وأهم المواقع التي أيد الله فيها المسلمين

---

(١) انظر: فقه السيرة النبوية، د. محمد سعيد رمضان البوطي ص ٢٣٥.

(٢) انظر: الرحيق المختوم، الشيخ صفي الرحمن المباركفوري ص ٢٣١.

ونصرهم وهم قلة، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(١).

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الأمر والترغيب والتفخيم:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض)، حيث استخدم أسلوب الأمر بقوله ﷺ (قوموا)، وأسلوب الأمر من أساليب الدعوة التي يحث بها الداعية المدعوين إلى امتثال دعوته لأنه يأمر بما أمر به دين الإسلام من حقائق، ويظهر الترغيب في قوله ﷺ: (جنة عرضها السماوات والأرض)، حيث رغّب في الشهادة بدخول جنة عرضها السماوات والأرض، وأسلوب الترغيب من الأساليب الدعوية التي يقصد بها تشويق المدعو إلى الاستجابة للدعوة وقبولها. والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضى الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة(٢).

ويظهر أسلوب التفخيم في قول عمير بن الحمام رضي الله عنه: (بَخٍ بَخٍ)، قال النووي: "كلمة تطلق لتفخيم الأمر وتعظيمه في الخير"(٣)، وذلك أنه ﷺ لما قال: (قوموا إلى جنة)، أي: سارعوا إليها وابذلوا مهجكم وأرواحكم في سبيل الله، ولا تقاعسوا عنها. عظم عمير ذلك وفخمه بقوله: (بخ بخ) فقال ﷺ: (ما حملك على هذا التعظيم؟ أخوفًا قلت هذا؟ فقال: لا، بل رجاء)، والفاء في قوله: (فإنك) جزاء شرط، أي: إذا كان الأمر على ما قلت؛ فإن الله تعالى يجيبك إلى ما تروحه وترجوه"(٤). وأسلوب التفخيم يقصد تعظيم الأمر والرغبة فيه.

رابعًا - من آداب الداعية: الاستفسار عن كلام المدعو وتبشيره بالخير:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (ما يحملك على قول: بخ بخ؟)، وقوله ﷺ: (فإنك من أهلها).

---

(١) سورة الأنفال آية: ٢٦.

(٢) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢١٨.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٧/ ٢٨٠.

واستفسار الداعية عن كلام المدعو حتى يعلم حقيق قوله وما يقصد به،وقد كان رسول الله ﷺ يسأل ويستفسر عن أفعال أصحابه وأقوالهم حتى يعلم حقيقتها ويوضح لهم الحقيقة، ويبشرهم بالخير، ومن ذلك ما ورد عن أبي قتادة عن رسول الله ﷺ أَنَّهُ قَامَ فِيهِمْ فَذَكَرَ لَهُمْ: ((أَنَّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالإِيمَانَ بِاللَّهِ أَفْضَلُ الأَعْمَالِ)) فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((نَعَمْ. إِنْ قُتِلْتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ)) ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((كَيْفَ قُلْتَ؟)) قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((نَعَمْ. وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ. إِلاَّ الدَّيْنَ. فَإِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، قَالَ لِي ذَلِكَ))[1].

من ذلك أيضًا ما ورد عن جابر رضي الله عنه قال: خَلَتِ الْبِقَاعُ حَوْلَ الْمَسْجِدِ. فَأَرَادَ بَنُو سَلِمَةَ أَنْ يَنْتَقِلُوا إِلَى قُرْبِ الْمَسْجِدِ. فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ . فَقَالَ لَهُمْ: ((إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَنْتَقِلُوا قُرْبَ الْمَسْجِدِ)) قَالُوا: نَعَمْ. يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ أَرَدْنَا ذَلِكَ. فَقَالَ: ((يَا بَنِي سَلِمَةَ دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ، دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ))، فَقَالُوا: مَا كَانَ يَسُرُّنَا أَنَّا كُنَّا تَحَوَّلْنَا[2].

ويظهر تبشيره ﷺ في قوله: (فإنك من أهلها)، فبشره بالجنة، وكان رسول الله ﷺ يبشر أصحابه بالجنة وكل خير ويأمر أصحابه أن يبشروا ولا ينفروا، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((يَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا، وبَشِّرُوا ولا تُنَفِّرُوا))[3].

خامسًا - من موضوعات الدعوة: فضل الإخلاص في العمل:

إن الجهاد في سبيل الله وثيق الصلة بالإيمان بالله تعالى، ولا بد أن ينقى من جميع الشوائب وأن يخلص من جميع العوائق وأن يتجرد فيه حظوظ النفوس والأهواء، وإلا

---

(١) أخرجه مسلم ١٨٨٥.

(٢) أخرجه مسلم ٦٦٥.

(٣) أخرجه البخاري ٦٩، ومسلم ١٧٣٤.

فهي الخسارة يوم الدين لكل من لم يخلص عبادته لله، قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ۝ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾[1]، وقد وردت الإشارة إلى فضل الإخلاص في العمل في هذا الحديث حيث إن رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم كانوا مخلصين في جهادهم، ويتجلى هذا الإخلاص في قصة عُمير بن الحمام رضي الله عنه ورجاءه أن يكون من أهل الجنة. وإلقاؤه ما معه من تمر وقتاله حتى قُتل، وكان وعده رسول الله ﷺ بأنه من أهل الجنة، وذلك بفضل الإخلاص، والإخلاص أمر في أعماق القلب، لا يطلع عليه أحد إلا الله تبارك وتعالى، والإخلاص من صفات المسلمين، قال رسول الله ﷺ: ((ثَلاَثٌ لاَ يُغَلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ: إِخْلاَصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَالنُّصْحُ لأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ))[2].

وقال ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَامِكُمْ وَلاَ إِلَى صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ))[3].

ولو تحقق الإخلاص في واقع المسلمين لما كان هذا الشتات وتلك الفرقة بين أبناء الإسلام[4].

---

(١) سورة الزمر، الآيتان: ١٤ - ١٥.

(٢) أخرجه ابن ماجة ٢٣٠ وصححه الألباني، (صحيح سنن ابن ماجة ١٨٧).

(٣) أخرجه مسلم ٢٥٦٤.

(٤) انظر: صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار ص ٣٦.

الحديث رقم (١٣١٨)

١٣١٨- وعن أنس ﷺ، قَالَ: جَاءَ نَاسٌ إِلَى النَّبيِّ ﷺ أن ابْعَثْ مَعَنَا رِجَالاً يُعَلِّمُونَا القُرآنَ وَالسُّنَّةَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ سَبْعِينَ رَجُلاً مِنَ الأنْصَارِ يُقَالُ لَهُمْ: القُرَّاءُ، فِيهِم خَالِي حَرَامٌ، يَقْرَؤُونَ القُرآنَ، وَيَتَدَارَسُونَ بِاللَّيْلِ يَتَعَلَّمُونَ، وَكَانُوا بِالنَّهَارِ يَجِيئُونَ بِالمَاءِ، فَيَضَعُونَهُ فِي المَسْجِدِ، وَيَحْتَطِبُونَ فَيَبِيعُونَهُ، وَيَشْتَرُونَ بِهِ الطَّعَامَ لأَهْلِ الصُّفَّةِ، وَلِلفُقَرَاءِ، فَبَعَثَهُمُ النَّبيُّ ﷺ[1]، فَعَرَضُوا لَهُمْ فَقَتَلُوهُمْ قَبْلَ أنْ يَبْلُغُوا المَكَانَ، فَقَالُوا: اللَّهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ وَرَضِيتَ عَنَّا، وَأَتَى رَجُلٌ حَرَامًا خَالَ أنَسٍ مِنْ خَلْفِهِ، فَطَعَنَهُ بِرُمْحٍ حَتَّى أنْفَذَه، فَقَالَ حَرَامٌ: فُزْتُ وَرَبِّ الكَعْبَةِ، فَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **((إنَّ إخْوَانَكُمْ قَدْ قُتِلُوا وَإنَّهُمْ قَالُوا: اللَّهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ وَرَضِيتَ عَنَّا))** متفقٌ عَلَيْهِ[2]، وهذا لفظ مسلم.

ترجمة الراوي:

انس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

أهل الصفة: الصفة مكان مظلل في مسجد رسول الله ﷺ في المدينة المنورة، إبَّان العصر النبوي بعد الهجرة يأوى إليه فقراء المهاجرين ينامون فيه[3].

فعرضوا لهم: اعترضوا طريقهم[4].

أنفذه: أخرجه من الجهة الأخرى[5].

الشرح الأدبي

إن الحديث كما يقول أبو البقاء: اسم من التحديث وهو – الإخبار – ثم سمي به

---

(١) عند مسلم زيادة: (إليهم).

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٩٠، ٤٠٩١)، ومسلم (٦٧٧/٢٩٧) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٢٠٦٣).

(٣) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٢٣٧، وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢١٨.

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٦٠٥.

(٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ن ف ذ).

قول أو فعل أو تقرير نسب إلى النبي ﷺ وكيفما نقلت مادة الحديث اللغوية نجد معنى الإخبار واضحاً فيها ويقول ابن حجر في شرح البخاري: المراد الحديث في عرف الشرع ما أضيف إلى النبي ﷺ وكأنة أريد به مقابله القرآن لأنه قديم.

وحين نتأمل هذا الحديث الشريف نجده يتألق ببعض مشاهد التاريخ الإسلامي ومشاهد السيرة النبوية وهذه المشاهد ممزوجة بالقدوة الحسنة التي تشع بها ملامح هذه الشخصيات التي يروى هذا الحديث ما حدث لهم من مكر الأعداء وتربصهم بهم وهم يقابلون ذلك بالرضا والدعاء ومن أسرار الجمال الأسلوبي في هذا الحديث ومن أسرار تراكيبه وبلاغته: النزعة القصصية التي ترغب السامع وتؤثر في المتلقي طلباً للهداية وتلمساً للقدوة الصالحة والأمر في أول الحديث – أن ابعث معنا رجالاً ويحمل معنى الرجاء وليس على حقيقته للتأدب مع رسول الله ﷺ، وحذفت نون الرفع من الفعل " يعلمونا " مراعاة للغة هذا الوفد فحذف النون في مثل هذه المواضع لغة معروفه عند العرب وليست قاعدة مضطردة وقوله: الأنصار " علم بالغلبة " على أولاد الأوس والخزرج – كما يقول صاحب دليل الفالحين وسموا بذلك لأنهم نصروا الإسلام، وتقدم ما يفيد الظرفية في قوله: فيهم خالي حرام " للاهتمام. . حيث يوضح " أنس " إن ابن ملحان بن خالد بن زيد بن حرام الأنصاري " خاله كان مع الوفد وليس منفصلاً عنهم، ولنتأمل سر التعبير بالمضارع في وصف هؤلاء القراء فهم " يقرءون القرآن ويتدارسونه بالليل – يتعلمون " وسر الجمال التعبيري هنا ينبع من دلاله تجدد هذا الحدث واستمراره: فهم رهبان الليل وفرسان النهار في العمل والسعي على الرزق والمقابلة بين عملهم بالليل وعملهم بالنهار توحي بأن المسلم لا ينقطع للعبادة ولا يركن إلى العزلة وإنما المسلم يقتدي بالسلف الصالح من هذه الأمة فهم بالنهار يجتلبون بالماء ويضعونه بالمسجد ويحتطبون ويبيعون ويشترون الطعام للفقراء وهذه الأعمال جاءت في صيغة المضارع للدلالة على استمراريتها وتجددها في كل يوم، وتتوالى مشاهد هذه القصة، والعطف بالفاء يصور سرعة الحركة، وسرعة توالى الأحداث حيث يقول فبعثهم النبي ﷺ فعرضوا لهم فقتلوهم. . فقالوا ،(اللَّهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا) وصيغة الدعاء الجمعي مع

التأكيد: في قولهم: اللهم بلغ نبينا.. الخ " توحي بأنهم حريصون على إبلاغ النبي ﷺ بحقيقة الموقف وأنهم فرحون مستبشرون بالشهادة في سبيل الله.

فقه الحديث

قال النووي: (١ - قوله "وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه في المسجد" معناه يضعونه في المسجد مسبلاً لمن أراد استعماله لطهارة أو شرب أو غيرهما، وفيه جواز وضعه في المسجد وقد كانوا يضعون أيضًا أعذاق التمر لمن أرادها في المسجد في زمن النبي ﷺ، ولا خلاف في جواز هذا وفضله.

٢ - قوله "يحتطبون فيبيعونه ويشترون به الطعام لأهل الصفة" أصحاب الصفة هم الفقراء والغرباء الذين كانوا يأوون إلى مسجد النبي ﷺ وكانت لهم في آخره صفة، وهو مكان منقطع من المسجد مظلل عليه يبيتون فيه ... وفيه جواز الصفة في المسجد وجواز المبيت فيه بلا كراهة وهو مذهبنا ومذهب الجمهور)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: التعليم.

ثانيًا: من مصادر الدعوة: القرآن الكريم والسنة النبوية.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل تعليم القرآن والسنة والسمع والطاعة لرسول الله ﷺ.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: تكريم الله تعالى للعلماء المخلصين الذين يقتلون في سبيله.

خامسًا: من واجبات الداعية: السعي في تعليم الناس والصبر على المتاعب والأذى في سبيل الدعوة إلى الله.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، ٤١/١٣/٧-٤٢، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٣٧/١-٦٣٨، شرح الحديثين ٤٤٠، ٤٤١، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٣٣٨.

أولاً - من وسائل الدعوة: التعليم:

يظهر ذلك في قول أنس رضي الله عنه: (جاء ناس إلى النبي ﷺ أن ابعث معنا رجالاً يعلمونا القرآن والسنة، فبعث إليهم سبعين رجلاً من الأنصار يقال لهم: القراء... الحديث).

"ولا شك أن الاهتداء إلى الحق نعمة جزيلة، وانشراح الصدر به خير غزير.

وأول ما يجب على أصحاب الحق - وقد عرفوه - أن يفتحوا عيون الآخرين على ضوئه، وأن يعرفوا الجاهلين به، وأن يجعلوه في الحياة واضحًا كشعاع الشمس، شائعًا كأمواج الهواء. ذاك ما يفرضه العلم على أصحابه، ألا يجعلوه عليهم حكر وألا يحرموا من نفعه أحدًا، وألا يدعوا نفسًا تعيش بعيدة عن هداه.

فإن فتك الجهل بالناس ذريع، وغلبة الأوهام على أفكارهم تذهب بهم بددًا في كل فج، وتخيل إليهم أنهم على صواب، والواقع أنهم موغلون في الضلال والسر هو الجهل.

والعالم بحاجة ملحة إلى أن ينشط أهل الإيمان الصحيح لشرح أصوله وإبداء صفحته، ودحض الشبه المثارة حوله، واستخراج الجهال من الكهوف المطروحين بها لتمتلئ صدورهم بأنفاس الحقيقة الرحبة"[1].

وقد قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ فِي الْبَحْرِ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ))[2]، إن هذا الظلام الحالك بالأمة، لن يزول إلا بتعليم الناس أمور دينهم، حتى يؤدوها على الوجه الذي يرضي الله تعالى، فترشيد الناس تجاه الطريق المستقيم، هو الحل الوحيد لإخراج المسلمين من هذا الليل الطويل، فمستنقع الجهل والخرافات قد ظهر ظله، وموجات الباطل والإلحاد بشتى دروبها بدأت تشتد إن لم تكن اشتدت والخلاص من هذا المعترك الرهيب، هو الأخذ بقلوب المسلمين وعقولهم وأفئدتهم وإرجاعهم إلى دينهم رجوعًا حميدًا يفك القيد، ويصيرهم من هذه التبعية الذليلة الحقيرة الذليلة، إلى سُلم الصدارة

---

(١) انظر: مع الله، الشيخ محمد الغزالي ص ٣٠٢.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٦٨٥، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٢٦١).

والريادة كما كانوا وطريقهم إلى ذلك هو العلم"(١).

فالتعليم من الوسائل الدعوية التي تحقق النفع والخير للعالم بأسره.

ثانيًا - من مصادر الدعوة: القرآن الكريم والسنة النبوية :

يظهر ذلك في قول الناس الذين جاءوا إلى النبي ﷺ: "أن ابعث معنا رجالاً يعلمونا القرآن والسنة"، والقرآن الكريم هو مصدر الشريعة الأول وهو كتاب الأمة الحي ورائدها الناصح، لأنه هو مدرستها التي تتلقى فيه دروس حياتها، وأن الله هو المربي، ولقد أراد الله سبحانه أن يكون هذا القرآن هو الرائد الحي الباقي بعد وفاة الرسول ﷺ لقيادة أجيال هذه الأمة وتربيتها وإعدادها لدور القيادة الراشدة الذي وعدها به كلما اهتدت بهديه، واستمسكت بعهدها معه، واستمدت منهج حياتها كله من هذا القرآن، واستعزت به، واستعلت على جميع المناهج الأرضية الجاهلية(٢).

فالقرآن هو كتاب الدعوة ودستورها ووسيلتها وضياؤها، الهادي إلى الحق، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾(٣).

والسنة النبوية مصدر من مصادر الدعوة تلي في ترتبها ومنزلتها كتاب الله عز وجل عند اجتماعهما، أما عند الانفراد فكل مصدر من المصادر التشريعية هو الأول في الرجوع إليه والمصدر الذي لا محيد عنه(٤).

وقد ثبت حجية السنة واعتبارها مصدرًا من مصادر التشريع بشكل قاطع، من ذلك ما جاء صريحًا من قرن طاعة الله بطاعة رسوله ﷺ واعتبار طاعة رسول الله من طاعة الله، قال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾(٥). وقوله تعالى: ﴿ مَّن

---

(١) التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد ص ٣٣٢..

(٢) انظر: طريق الدعوة في ظلال القرآن، أحمد فائز ١/١١٩.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٩.

(٤) انظر: المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد أبو الفتح البيانوني ص ١٣٧ - ١٣٨.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٣٢.

يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾[١].

ومع هذا القدر من الاهتمام نجد الأمر صريحًا بالأخذ بما جاء به والانتهاء عما نهى عنه في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾[٢].

وقال رسول الله ﷺ: ((مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ. وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ))[٣].

فالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة هما المصدران الأساسيان للدعوة الإسلامية يستقي منهما الداعية دعوته، ويهتدي بهما في كل عمل يأتيه.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل تعليم القرآن والسنة والسمع والطاعة لرسول الله ﷺ:

يظهر ذلك في قول أنس رضي الله عنه: فبعث إليهم سبعين رجلاً من الأنصار يقال لهم القراء، فيهم خالي حرام، يقرؤون القرآن، ويتدارسون بالليل يتعلمون.. إلخ الحديث.

وفضل تعليم القرآن والسنة عظيم وقد بيّن ذلك رسول الله ﷺ في كثير من أحاديثه منها:

قوله ﷺ: ((ما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله يتلون كتابَ الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلتْ عليهمُ السكينةُ، وغشيَتهُمُ الرحمةُ، وحفَّتهمُ الملائكةُ، وذكَرهم اللَّهُ فيمن عنده. ومَن بَطَّأ به عملُه لم يُسْرِعْ به نسبُه))[٤].

وقال ﷺ: ((إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ، عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ. وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ أَوْ بَيْتًا لابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ. يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ))[٥].

---

(١) سورة النساء، آية: ٨٠.

(٢) سورة الحشر، آية: ٧.

(٣) أخرجه البخاري ٢٩٥٧، ٧١٣٧، ومسلم ١٨٣٥.

(٤) أخرجه مسلم ٢٦٩٩.

(٥) أخرجه ابن ماجة ٢٤٢، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجة ١٩٨)..

وقال رسول الله ﷺ: ((خيرُكم من تعلم القرآن وعلمهُ))[1].

فالقرآن الكريم يحمل العلم الإلهي والحكمة الربانية والقدرة الأزلية المتصفة بالكمال والجلال والمنعوتة بالتوفيق والهداية والمنزهة عن كل قصور ونقص، وصدق الله: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[2].

إذا قال القرآن فقوله الصدق الذي لا برهان بعده، وإذا حكم فحكمه العدل الذي لا صواب غيره وصدق الله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[3].

وإذا قص فقصصه الحق الهادف والعبرة المؤثرة، والموعظة الحسنة، والمثل المعبر والتوجيه الحي، وصدق الله: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[4].

وإذا خاطب فخطابه ميسر وحديثه واضح ولفظه مضيء، ميسر على العقل وعلى البصيرة وعلى الفطرة وعلى العمل، فليس ضد الطبيعة، أو متنافرًا مع الفطرة، أو متعارضًا مع الحياة، بل إن كل هذه الملكات مشوقة إليه ومتعطشة وكل ما في الحياة متجاذب مع تعاليمه وأحكامه ومتناسق مع أوامره ونواهيه وصدق الله: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[5][6].

---

(١) أخرجه البخاري ٥٠٢٧.

(٢) سورة الفرقان، آية: ٦.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١١٥.

(٤) سورة يوسف، آية: ١١١.

(٥) سورة القمر، آية: ١٧.

(٦) الخطابة وإعداد الخطيب، د. توفيق الواعي، ص ١١٥ - ١١٦.

والسنة هي المصدر الثاني بعد القرآن الكريم وهي شارحة القرآن ومبينة له ومفصلة لما أجمل منه، كما أنها قصة كفاح وخلاصة تجارب لأعظم داعية وأكرم عقل في الوجود، كما أنها نفحات قدسية وتوجيهات ربانية وتجليات إلهية لفهم القرآن الكريم وتوجيهه في الحياة ليعمل عمله في آلاء الكون وسنن الاجتماع وعلل النفوس ومشكلات الحياة وضروب الإصلاح وسياسة الأمم ورسم الطريق المستقيم.

كما أنها ينبوع من ينابيع الخُلق والمثل ومكارم الأخلاق التي تتزود منها الإنسانية طول فترة بقائها على وجه هذه المعمورة وإلى يوم أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهي كذلك مواقف للبطولة والإقدام والشجاعة والتضحية والاحتساب في سبيل الله سبحانه ولأجل إعلاء كلمته وتبليغ رسالته.

وهي كذلك أساليب للتربية وخطوات للتوجيه وخطة لخلق الكفاءات وتنشئة الكوادر والرجال كما نرى هذا في ذلك الجيل الذي أخرجه وعلمه رسول الله ﷺ وأشاد به القرآن الكريم في غير موضع من ذلك قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾[1]، فتعليم القرآن والسنة فضلهما عظيم ونفعهما كبير لعامة المسلمين[2].

ويظهر السمع والطاعة لرسول الله ﷺ في ذهاب من بعثهم ﷺ لتعليم من طلبوا منه ذلك؛ وذلك لحرصهم على الاستجابة لأمره وطاعته ولأنهم مأمورون بذلك من الله، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾[3]. وطاعة الرسول ﷺ من طاعة الله سبحانه وتعالى.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: تكريم الله تعالى للعلماء المخلصين الذين يقتلون في سبيله:

يظهر ذلك في قول رسول ﷺ: (إن إخوانكم قد قتلوا وإنهم قالوا: اللهم بلغ عنا نبينا إنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا).

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢٣.

(٢) الخطابة وإعداد الخطيب، د. توفيق الواعي ص ١٢٧ - ١٢٨.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

قال النووي: "فيه فضيلة للشهداء وثبوت الرضا منهم ولهم وهو موافق لقوله تعالى: ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾[1]، قال العلماء: رضي الله عنهم بطاعتهم ورضوا عنه بما أكرمهم به وأعطاهم إياه من الخيرات والرضا من الله تعالى إفاضة الخير والإحسان والرحمة فيكون من صفات الأفعال وهو أيضًا بمعنى إرادته فيكون من صفات الذات"[2]، ومن إكرام القتلى من العلماء ما ورد عن رسول الله ﷺ أنه جمع بينَ الرجُلينِ من قَتلى أُحُدٍ في ثوبٍ واحدٍ ثم يقول: ((أَيُّهما أكثرُ أخذًا للقرآنِ؟ فإذا أُشيرَ لهُ إلى أحدِهما قَدَّمَهُ في اللّحد وقال: أنا شهيدٌ على هؤلاءِ يومَ القيامةِ))[3].

خامسًا - من واجبات الداعية: السعي في تعليم الناس والصبر على المتاعب والأذى في سبيل الدعوة إلى الله:

يظهر ذلك في قول أنس رضي الله عنه: يقرؤون القرآن ويتدارسون بالليل يتعلمون، وكانوا بالنهار يجيئون بالماء، فيضعونه في المسجد، ويحتطبون فيبيعونه ويشترون به الطعام لأهل الصُّفة، وللفقراء فبعثهم النبي ﷺ، فعرضوا لهم فقتلوهم قبل أن يبلغوا المكان.

إن المؤمن لا يعيش في هذه الحياة وحده، بل يشاركه فيها أفراد آخرون، ويجب على الداعية أن يحرص على هداية الناس، ودعوتهم للإيمان، ويعرف أنهم تتنازعهم الأهواء والشهوات، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾[4].

فعلى الداعية أن يستصحب في دعوته الصبر وأن يتحمل ما يناله من أذى وقت البلاغ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾[6].

---

(١) سورة المجادلة، آية: ٢٢..

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢١٨.

(٣) أخرجه البخاري ١٣٤٣، ١٣٤٧.

(٤) سورة يوسف، آية: ١٠٣.

(٥) سورة آل عمران، آية: ٢٠٠.

(٦) سورة يوسف، آية: ١٠٦.

وإزاء هذا الوضع المتردي تفرض تعاليم الإسلام على المنتمين إليها ضرورة القيام بواجب دعوة الآخرين إلى الله، لتخليصهم من ربقة الجهل والكفر، ونقلهم إلى نور العلم والإيمان، وفي هذا يقول عز من قائل: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(١)، وتتبوأ هذه الصفة في حياة الداعية المكانة السامقة باعتبارها رسالته التي من أجلها وُجد، وفي سبيلها يتحرك، ولولاها لم تكن دعوة ولا داعية(٢). فينبغي على الداعية أن يحرص على تعليم الناس وأن يصبر على أذاهم.

ولقد أوذي النبي الكريم ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم أشد الأذى في سبيل الدعوة إلى الله ونصرة دين الله، وامتحنوا بأبلغ المحن فثبتوا في وجه الفتن ثبوت الجبال الشم الرواسي بفضل الله عليهم ثم بقوة إيمانهم العميق وصدق عزيمتهم وثقتهم بالله القائل وقوله الحق، ووعده الصدق: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾(٣).

وتاريخ الدعوة المحمدية حافل بالدعاة الذين تحملوا الأذى وأنواع العذاب والألم في سبيل دعوتهم(٤).

ومن أروع الأمثلة على ذلك في حياة السلف حينما اشتد الوطيس يوم بدر قال رسول الله ﷺ: ((... قُومُوا إِلَىٰ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ)) قَالَ: يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللهِ جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: بَخٍ بَخٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ)) قَالَ: لاَ. وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ إلاَّ رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا. قَالَ: ((فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا)) فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ. فَجَعَلَ يَأْكُلُ

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

(٢) أخلاق الدعاة إلى الله تعالى، د. طلعت محمد عفيفي سالم ص ١٣١.

(٣) سورة غافر، آية: ٥١.

(٤) انظر: المنهج القويم في التأسي بالرسول الكريم ﷺ، زيد بن محمد هادي مدخلي ص ١٩ – ٢٠.

مِنْهُنَّ. ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّىٰ آكُلَ تَمَرَاتِي هَـٰذِهِ، إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ. قَالَ فَرَمَىٰ بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ. ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّىٰ قُتِلَ"[1].

فهذا شاهد في سيرة سلفنا الصالح رضوان الله عليهم لتزرع الهمة في نفس الداعية وتجعله يضحي بأغلى ما يملك، ولا يبخل على دعوته في سبيل تقديم خطوة نافعة في استصلاح الآخرين[2].

---

(١) أخرجه مسلم ١٩٠١.

(٢) انظر: صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار ص ٦٣ - ٦٤.

الحديث رقم (١٣١٩)

١٣١٩ -عن أنس ﵁، قَالَ: غَابَ عَمِّي أنسُ بنُ النَّضْرِ ﵁ عن قِتَالِ بَدْرٍ، فَقَالَ: يَا رسولَ اللهِ، غِبْتُ عَنْ أوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ المُشْرِكِينَ، لَئِنِ اللهُ أشْهَدَنِي قِتَالَ المُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللهُ مَا أصْنَعُ. فَلَمَّا كَانَ يَومُ أُحُدٍ انْكَشَفَ المُسْلِمُونَ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إنِّي اعْتَذِرُ إلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هؤُلاء - يعني: أصْحَابَهُ - وَأبْرَأُ إلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هؤُلاءِ - يَعنِي: المُشْرِكِينَ - ثُمَّ تَقَدَّمَ فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بنُ مُعَاذٍ فَقَالَ: يَا سَعَدَ بنَ مُعَاذٍ، الجَنَّةَ وَرَبِّ النَّضْرِ، إنِّي أجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ ! فَقَالَ سَعْدٌ: فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رسولَ اللهِ مَا صَنَعَ! قَالَ أنسٌ: فَوَجَدْنَا بِهِ بِضعًا[1] وَثَمَانِينَ: ضَربَةً بِالسَّيْفِ، أَوْ طَعْنَةً بِرُمحٍ أَوْ رَمْيَةً بِسَهْمٍ، وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَمَثَّلَ بِهِ المُشْرِكُونَ، فَمَا عَرَفَهُ أحَدٌ إلاَّ أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ.

قَالَ أنسٌ: كُنَّا نَرَى - أَوْ نَظُنُّ - أنَّ هذِهِ الآية نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أشْبَاهِهِ: ﴿مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ﴾[الأحزاب: ٢٣] إلَى آخرها. متفقٌ عَلَيْهِ[2]، وَقَدْ سبق في باب المجاهدة.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

مثّل به المشركون: شوَّهوا جُثته بعد قتله؛ بأن جدعوا أنفه أو أذنه أو مذاكيره أو شيئًا من أطرافه [3].

بنانُه: أطراف أصابعه، واحدها بنانة[4].

---

(١) بفتح الباء، وكسرها أفصحُ، وهو: ما بين الثلاث إلى التسع، وقيل: ما بين الواحد إلى أربعة، وقيل: من أربعة إلى تسعة، وقيل: هو سبعة. الترغيب (٢/٢٨٦).

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٠٥) واللفظ له، ومسلم (١٤٨/١٩٠٣)، وتقدم برقم (١٠٩). أورده المنذري في ترغيبه (٢٠٢٩).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (م ث ل).

(٤) المرجع السابق في (ب ن ن).

الشرح الأدبي

هذا هو الحديث الثالث الذي يروى: انس بن مالك " في باب فضل الجهاد " وهو حديث أشبة بالوثيقة والمذكرات لأنه يتحدث فيه عن عمه. . انس بن النضر ويحكى قصة اعتذاره عن عدم المشاركة في غزوة بدر الكبرى ولذلك يبدأ الحديث بالجملة الخبرية: غاب عمى أنس عن قتال بدر " بصيغة الغائب " ثم يغير الأسلوب فيأتي بصيغة المتكلم على لسان " أنس " حيث يقر بهذا الغياب ممتزجاً بالنداء الموحى بطلب العفو. . والمقرون بالعزم على المشاركة في أول لقاء ومواجهة مع المشركين وأسلوب الشرط يغلف هذا القرار وذلك الوعد بالالتزام بما قال، وأسلوب الشرط مصدر باللام المؤذنة بالقسم " لئن أشهدني الله فقال المشركين ليرين الله ما أصنع " وهذا القسم لتأكيد الفعل الذي عزم علية " أنس بن النضر " وما أسمى هذا الإحساس وما أجمل هذا التأدب في هذا المقام حيث قال مؤكداً في جواب القسم والشرط: ليرين الله ما أصنع، ولم يقل: لأرين الله ما أصنع " وإنما الله هو الذي يعلم، ويرى، وكأنه يشهد الله على صدق نيته ومضاء عزيمته وصيغة الدعاء التي قدمها في سياق إنفاذ وعده وتحقيق أمنيته تعلن عن صدقه وعن من مخالفة المسلمين " الرماة " لأوامر رسول الله وعن رفضه لما صنع المشركون من إيذاء المسلمين وساق هذا الموقف مصدراً بالتأكيد والدعاء (اللهم إنى) ولنتأمل دقة التعبير واختيار المادة اللغوية المناسبة للسياق والمشعة بالدلالة المتسقة مع الشعور والموقف حيث عبر بقوله " إني اعتذر " في مقام حديثة عن أصحاب رسول الله الذين خالفوا أوامره وتركوا مواقعهم وعبر بقوله " إني أبرأ إليك " في سياق حديثة عن صنع المشركين وعذرهم وإيذائهم لرسول الله ﷺ وأصحابه والنداء في قوله: يا سعد بن معاذ يوحى بخطورة الأمر وشدته ولم يقل سأقاتل ولكن قال وهو يتطلع للشهادة ويرغب في تحقيق ما وعد به رسول الله من قبل حيث قال: ليرين الله ما أصنع والآن حانت الفرصة ولذلك قال: (الجنة ورب النضر إني أجد ريحها) من دون أحد وصياغة الجملة تمثل البداية والنهاية: فالجنة: المبتدأ والخبر: إني أجد ريحها والتركيز في الخبر يرشد إلى يقين أنس من الشهادة وتثبته من ذلك وقوله ورب النصر قسم معترض بين

ركني الجملة ومجيئه في هذا السياق يؤكد صدق النية وقوة الإرادة، والعزم على الشهادة وتحقق له ما أراد ويروى ابن هشام في السيرة النبوية عن أنس بن مالك قال: لقد وجدنا يا أنس بن النضر يومئذ "أي يوم أحد" سبعين ضربة فما عرفه إلا أخته عرفته ببنانه والعطف بأو في قوله أو طعنه برمح أو رمية بسهم: ليس للاختيار أو لمطلق الجمع وإنما للتقسيم، والتنويع فهو تلقى صابراً محتسباً ضربات السيف وطعنات الرماح ورمى السهام وتحققت أمنية هذا الشهيد الفارس وحقاً كان صادقاً حينما قال " لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع " والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم ١٠٩.

الحديث رقم (١٣٢٠)

١٣٢٠- وعن سَمُرَة ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: **((رَأيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أتيَانِي، فَصَعِدَا بِي الشَّجرةَ فَأدْخَلاَنِي دَارًا هِيَ أحْسَنُ وَأفضَلُ، لَمْ أرَ قَطُّ أحْسَنَ مِنْهَا، قالا: أمَّا هذِهِ الدَّارُ فَدَارُ الشُّهَدَاءِ))**. رواه البخاريُّ[1]، وَهُوَ بعض من حديث طويل فِيهِ أنواع العلم سيأتي في باب تحريم الكذب[2] إنْ شاء الله تَعَالَى.

ترجمة الراوي:

سَمُرة بن جندب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٥٨).

غريب الألفاظ:

الشَّجرة: معراج الصعود[3].

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث جزء من حديث مطول " صيغ في قالب رمزي. . من خلال رؤيا رآها رسول الله ﷺ ورؤيا الأنبياء حق، والحديث يصاغ في جمل " خبرية " وتسيطر على الأفعال صيغة الماضي إيحاء بأن هذه الأخبار وقعت وهى صادقة لا مجال فيها للشك لأنها صادرة من الصادق الأمين محمد بن عبد الله رسول الله ﷺ. . والرجلان في هذا الحديث هما جبريل وميكائيل وجاءوا على صورتهما والحديث رقم (١٥٥٤) فيه تصريح بأسمائهم. . حيث قال في نهاية الحديث الذي يتفق مع الحديث الذي نحن بصداه وأما هذه الدار فدار الشهداء وأنا جبريل وهذا ميكائيل والشجرة رمز للنعيم الذي ينتظر الشهداء في الجنة وهى الدوحة التي وردت في الحديث المطول والدوحة في اللغة: الشجرة الكبيرة ولم يحدد نوع الشجرة ولا اسمها ولا ثمرها ليعطى لكل مسلم مساحة كبيرة من التصور والشوق لهذا النعيم المقيم الذي ينتظر الشهداء.

---

(١) برقم (٢٧٩١). وسيكرره المؤلف برقم (١٥٤٨) مطولًا. أورده المنذري في ترغيبه (٢٠٣٠).

(٢) برقم (١٥٤٨).

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان الهروي ٣٧٥/٨.

وقوله: فصعدا أي يرمز إلى علو المكانة ومضاعفة الثواب الذي يمنحه الله للشهداء في الجنة وبلاغة الحذف تتجلى في هذا الحديث حيث حذف المفضل علية بعد أفعل التفضيل في قوله أحسن وأفضل للإيحاء بتفخيم الدار وشرفها ولفضل نعيمها فهي أحسن من كل دار وأفضل من كل مكان ولذلك جاءت الجملة التالية مبنية وموضحة لهذا التميز في الحسن والفضل، حيث قال رسول الله ﷺ: لم أر قط أحسن منها وقوله " قط " يفيد تأكيد هذه الأفضلية المطلقة وأما للتفصيل وقد أتى بها للاهتمام بما بعدها واسم الإشارة (هذه) يدل على التعظيم والدار بدل أو عطف بيان وتخصيصها بدار الشهداء فيه بيان لفضل الشهيد والنعيم المقيم الذي ينتظره ولذلك أتى الإمام النووي بهذا الحديث في باب فضل الجهاد وقال وهو بعض من حديث مطول فيه أنواع من العلم، والله أعلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: رؤيا النبي ﷺ حق.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل ومنزلة الشهداء عند الله تعالى.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: رؤيا النبي ﷺ حق:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (رأيت الليلة رجلين أتياني فصعدا بي الشجرة فأدخلاني دارًا هي أحسن وأفضل، ثم لم أر قط أحسن منها... الحديث)، فقد رأى رسول الله ﷺ ذلك في المنام ورؤيا الأنبياء حق، ففي الحديث قال عمرو: ((سَمِعْتُ عُبَيْدَ بنَ عُمَيْرٍ يَقُولُ : رُؤْيَا الأَنْبِيَاء حق))[1]، وقال رسول الله ﷺ: ((رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ))[2].

قال النووي: " قال الخطابي: هذا الحديث توكيد لأمر الرؤيا وتحقيق منزلتها

---

(١) أخرجه البخاري ١٣٨، ٨٥٩.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٦٣.

وقال: وإنما كانت جزءًا من أجزاء النبوة في حق الأنبياء دون غيرهم، وكان الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم يوحى إليهم في منامهم كما يوحى إليهم في اليقظة. قال الخطابي: وقال بعض العلماء: معنى الحديث أن الرؤيا تأتي على موافقة النبوة لأنها جزء باق من النبوة"[١].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كان أوَّلُ ما بُدىء به رسولُ الله ﷺ الرؤيا الصَّادِقة في النوم، فكان لا يرَى رُؤْيا إلا جاءَت مثلَ فَلَقِ الصبْح))[٢].

قال ابن حجر: "أي في أول المبتدآت من إيجاد الوحي الرؤيا... وقوله: (من الوحي) يعني إليه وهو إخباره عما رآه من دلائل نبوته من غير أن يوحى بذلك إليه"[٣].

وقد رأى ﷺ في حياته كثيرًا من الرؤى المنامية التي جعلها الله حقًا، وتحققت كما رآها ﷺ منها: رؤيا الهجرة إلى المدينة المنورة، عن أبي موسى رضي الله عنه - أُراه - عن النبي ﷺ قال: ((رأيتُ في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخلٌ، فذهبَ وَهلي إلى أنها اليمامةُ أو هَجَرٌ، فإذا هيَ المدينةُ يَثرب))[٤].

كذلك رؤياه ﷺ فتح مكة، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[٥].

قال القرطبي: "قال قتادة: كان رسول الله ﷺ رأى في المنام أنه يدخل مكة على هذه الصفة؛ فلما صالح قريشًا بالحديبية ارتاب المنافقون، حتى قال رسول الله ﷺ إنه يدخل مكة، فأنزل الله تعالى: (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق)، فأعلمهم أنهم سيدخلون في غير ذلك العام، وأن رؤياه ﷺ حق، وقيل: إن أبا بكر هو الذي قال: إن

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤٠٧.

(٢) أخرجه البخاري ٤٩٥٣.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨/٥٨٧.

(٤) أخرجه البخاري ٧٠٣٥، ومسلم ٢٢٧٢.

(٥) سورة الفتح، آية: ٢٧.

المنام لم يكن مؤقتًا بوقت، وأنه سيدخل، وروي أن الرؤيا كانت بالحديبية ورؤيا الأنبياء حق، والرؤيا أحد وجوه الوحي إلى الأنبياء"[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل ومنزلة الشهداء عند الله تعالى:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (رأيت الليلة رجلين أتياني، فصعدا بي الشجرة فأدخلاني دارًا هي أحسن وأفضل لم أر قط أحسن منها، قالا: أما هذه الدار فدار الشهداء.

وهذا يدل على فضل ومنزلة الشهداء عند الله تعالى، وهي منزلة عظيمة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٢].

ومما يدل على منزلة وفضل الشهداء عند الله أنهم يريدون أن يرجعوا إلى الدنيا فيقتلوا لما رأوا منزلتهم عن الله وإكرامه لهم على شهادتهم في سبيله، قال رسول الله ﷺ: ((ما أحدٌ يَدخلُ الجنةَ، يُحبُّ أَن يَرجعَ إلى الدُّنيا، وله ما على الأرضِ مِن شيءٍ إلا الشهيدُ، يتمنّى أن يرجعَ إلى الدُّنيا فيُقتَلَ عشرَ مرات، لما يَرى من الكرامةِ))[٣].

والشهادة والجراح في سبيل الله لها فضل عظيم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((لا يُكلَمُ أحدٌ في سبيلِ الله -والله أعلمُ بمَن يُكلَمُ في سبيلهِ- إلا جاءَ يومَ القيامةَ واللَّونُ لَونُ الدَّمِ، والرِّيحُ رِيحُ المسْكِ))[٤].

فهذا شرف لأهل الشهادة ما بعده شرف، وليس أدل على ذلك من أنه - صاحب

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٨٨/١٦/٨.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ١٦٩ - ١٧٠.

(٣) أخرجه البخاري ٢٨١٧، ومسلم ١٨٧٧.

(٤) أخرجه البخاري ٥٥٣٣.

الجرح والشهيد "ريحه كريح المسك ولونه لون الزعفران"[١].

قال ابن القيم: (إن الشهادة عنده من أعلى مراتب أوليائه، والشهداء هم خواصه والمقربون من عباده، وليس بعد درجة الصدِّيقيَّة إلا الشهادة، وهو سبحانه يُحب أن يتخذ من عباده شهداء، تراق دماؤهم في محبته ومرضاته، ويؤثرون رضاه ومحابه على نفوسهم، ولا سبيل إلى نيل هذه الدرجة إلا بتقدير الأسباب المفضية إليها من تسليط العدو)[٢].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

يستنبط ذلك من عموم الحديث حيث رغّب في الشهادة في سبيل الله وبيّن أن الله أعدّ لهم دارًا أحسن ما يكون وهذا عند الله عز وجل.

وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي يقصد به تشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه[٣]، والحرص على طلبه ونوله.

وهذه صورة من كلام النبوة مما أخرجه البخاري ومسلم قال ﷺ: ((تَضَمَّنَ اللّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لاَ يُخْرِجُهُ إِلاَّ جِهَادٌ فِي سَبِيلِي، وَإِيمَانٌ بِي، وَتَصْدِيق بِرُسُلِي. فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ. أَوْ أَرْجِعَهُ إِلَىٰ مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ. نَائِلاً مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا مِنْ كَلْمٍ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللّهِ، إِلاَّ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كُلِمَ، لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ وَرِيحُهُ مِسْكٌ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلاَ أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، مَا قَعَدْتُ خِلاَفَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللّهِ أَبَدًا. وَلَـٰكِنْ لاَ أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلَهُمْ. وَلاَ يَجِدُونَ سَعَةً. وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْزُو فِي سَبِيلِ اللّهِ فَأُقْتَلُ. ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ. ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ))[٤].

هذه الكلمات المحمدية النبوية النورانية يجد فيها المسلم قوة هائلة تدفعه إلى أن

---

(١) مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق ص ٥٠٤.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٢٢١/٣، ٢٢٢.

(٣) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

(٤) أخرجه البخاري ٣٦، ٢٧٨٧، ٢٧٩٧، ٧٢٢٦، ومسلم ١٨٧٦.

يسرع لينال هذا الأجر العظيم الذي يرغب رسول الله ﷺ أن يقتل فيه مرات ومرات لما يعلمه مما أعده المولى جل وعلا للشهيد في سبيله من أجر عظيم ومقام كريم، إنها أعظم المرغبات وأقوى المشوقات بعد كلام المولى جل وعلا، الوارد في فضل الشهادة والشهداء ومنزلتهم عنده تعالى، لقد كان رسول الله ﷺ مرغبًا ولم يكن يومًا من الأيام منفرًا؛ لأنه بشير ونذير ﷺ يحب الترغيب ويؤكد عليه ويدعو أمته إليه ﷺ؛ لأنه رفق وخير وبركة[1].

---

(١) انظر: قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان راجح المهدي الهجاري ص ٥١٢.

الحديث رقم (١٣٢١)

١٣٢١- وعن أنس ﵁: أنَّ أمَّ الرُّبيعِ بنتَ البَراء وهي أُمُّ حَارِثة بن سُراقَةَ، أتَتِ النبي ﷺ، فقَالَتْ: يَا رسولَ اللهِ، ألاَ تُحَدِّثني عَنْ حَارِثَةَ - وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ[١] - فَإنْ كَانَ في الجنَّةِ صَبَرْتُ، وَإنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ في البُكَاءِ، فقَالَ: ((يَا أُمَّ حَارِثَةَ إنَّهَا جِنَانٌ في الجَنَّةِ، وَإنَّ ابْنَكِ أصابَ الفِرْدَوْسَ الأَعْلَى)) رواه البخاريُّ[٢].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

بدر: غزوة بدر هي الغزوة التي كانت بين المسلمين وقريش في رمضان ٢هـ[٣].

اجتهدت عليه في البكاء: من الاجتهاد وهو بذل الوُسع في طلب الأمر، وهو افتعال من الجهد: الطاقة[٤]، والمعنى أن تكثر البكاء عليه. وفي رواية عند البخاري ٦٤٦٧: "فإن كان في الجنة لم أبك عليه".

الفردوس: قال ﷺ: ((إذا سألتمُ اللهَ فاسألوهُ الفردَوسَ فإنهُ أوْسَطُ الجنة وأعلى الجنة، وفوقَهُ عرشُ الرحمنِ، ومنهُ تَفَجَّر أنهارُ الجنة))[٥].

الشرح الأدبي

ما أصدق هذه المحاورة بين رسول الله وأم حارثة هذه الأم الثكلى التي قتل ابنها يوم بدر وكان من أوائل الشهداء في هذه الغزوة وهذه المحاورة تتكون في مبناها اللغوي من سؤال وجواب والسؤال نابع من قلب أم حارثة حيث توجه للنبي ﷺ استفسارا في صيغة

---

(١) عند البخاري زيادة: (أصابه سهمٌ غربٌ)، ولم يوردها المنذري، فتبعه المؤلف عليها.

(٢) برقم (٢٨٠٩). أورده المنذري في ترغيبه (٢٠٦٠).

(٣) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٦٥.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ١٧٥.

(٥) أخرجه البخاري ٧٤٢٣.

النداء والاستعطاف (يا رسول الله ألا تحدثني عن حارثة)، والحديث هنا ليس إخباراً عنه وعن أحواله وإنما تريد أن تطمئن على فوزه بمرتبة الشهادة ودخوله الجنة ولم تقل أخبرني وقالت ألا تحدثني لكي يطمئن قلبها على ابنها الذي قتل يوم بدر وهو يشرب من الحوض حيث قتله أحد بنى عدى بن النجار كما يروى ابن هشام في السيرة النبوية، والحديث فيه أُنس واستبشار وسؤالها صيغ في قالب الشرط والجزاء " فإن كان في الجنة صبرت وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء " فجواب الشرط في الجملة الأولى هو الصبر والاحتساب والفرح والبشرى لأن هذا الجواب ثمرة جزاء لفعل الشرط وهو الفوز بالجنة والتعبير بقولها " كان " يوحى بأنها تقر بموته ولكنها تريد أن تطمئن عليه. أما الجملة التالية فهي شرطية أيضاً وفعل الشرط غير محدد حيث قالت وإن كان غير ذلك لأنها لم ترد أن تصرح بما يأباه قلبها وبما يتصادم مع رجائها وبما لا تحبه من مصير لابنها ولذلك لم تقل وإن كان في النار وجواب الشرط يعلن عن فزعها من هذا المصير الذي لا ترجوه لابنها والبكاء ليس على فراقه ولكن خوفا من المصير المظلم حيث النار وبئس القرار، وتأتى إجابة رسول الله مغلفة بالبشرى والاطمئنان وصيغة النداء تتصدر هذه البشارة ويناديها بالكنية المحببة إليها فيقول: يا أم حارثة وفى هذه الكنية تقدير لحارثة وتمهيد للبشرى وإعلان عن فوز حارثة بالجنة ويتكرر التأكيد مرتين في إجابة رسول الله. . لمزيد من الاطمئنان حيث قال: إنها جنان في الجنة ثم يؤكد مرة ثانية ويقول وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى، والتعبير بقوله: ابنك بدلاً من حارثة للإشعار بعاطفة الأمومة، وللإيحاء بأن هذا الابن مفخرة لأمه ويحق لها أن تزهو وتفاخر بابنها الشهيد الذي أصاب الفردوس الأعلى.

فقه الحديث

قال ابن حجر: (قوله: "اجتهدت عليه في البكاء، قال الخطابي: أقرّها النبي ﷺ على هذا فيؤخذ منه الجواز، قلت [القائل ابن حجر]: كان ذلك قبل تحريم النوح فلا دلالة فيه، فإن تحريمه كان عقب غزوة أحد. وهذه القصة كانت عقب غزوة بدر)[1].

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧/٦.

ولم يرد في النص الإعلام بالنواح بل بالبكاء وهو مأذون به شرعًا.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص أم حارثة بن سراقة رضي الله عنها على سؤال النبي ﷺ عن مصير ابنها حارثة رضي الله عنه الذي قتل في غزوة بدر.

ثانيًا: من صفات الداعية: التبشير والتلطف بمن أصيب بمصيبة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل حارثة بن سراقة رضي الله عنه.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ ببعض الأمور الغيبية.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص أم حارثة بن سراقة رضي الله عنها على سؤال النبي ﷺ عن مصير ابنها حارثة رضي الله عنه الذي قتل في غزوة بدر:

إن سؤال الأم عن ابنها جياش فياض بالمشاعر في أي حال فكيف إذا كان ابنها قتل برفقة ذلك المسؤول؟ ومع هذا كله كان خطاب أم الشهيد حارثة يفيض بالثبات والصبر والحلم والأناة، خطاب ليس فيه تبرم ولا جزع ولا هلع من هول المصيبة ومن جراء الواقعة المؤلمة الموجعة لقلبها، وليس فيه تكسر أو تملق أو تمدح أو مدخل للنفس والشيطان، والشاهد على ذلك: "فقالت: يا رسول الله ألا تحدثني عن حارثة - وكان قتل يوم بدر - فإن كان في الجنة صبرت..." وليس السؤال الذي وجهته سؤالاً عارضًا سطحيًا كلا بل إنه سؤال عميق معناه، بعيد مرماه إنه سؤال عن مصير هو عليها وعندها مجهول لكنه عند النبي ﷺ بمشيئة الله معلوم.

تسأل: هل ابنها في الجنة مع الشهداء فتصبر وتحتسب، ما دام قد نال المنى، وبلغ الذرى وحقق العلى، لأن الغبطة بالمكانة التي ينالها يفوق على المصيبة النازلة بها، وإن كان في غير الجنة اجتهدت عليه في البكاء لعل الله يرحم دموعها فيشفعها فيه.

إن كثيرًا من الأمهات بل ومن الآباء اليوم لا يستحضرون عند المصيبة جنة ولا نارًا فليكن لنا قدوة وأسوة بأم الشهيد أم حارثة رضي الله عنها.

يظهر ذلك من قول أنس رضي الله عنه: أن أم الربيع بنت البراء وهي أم حارثة بن سراقة أتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله ألا تحدثني عن حارثة؟ - وكان قتل يوم بدر - فإن

كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء.

فأم حارثة رضي الله عنها أم حزينة على فقد ابنها وتريد أن تطمئن على مصير ابنها فلذلك كانت حريصة على سؤال رسول الله ﷺ عن مصيره، حتى تعلم أهو في الجنة أم لا؟

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم حريصين على سؤال رسول الله ﷺ عن كل ما يشغلهم وذلك لعلمهم بأن ما يخبرهم به إنما هو حق ومن عند الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾[1]، قال ابن كثير: "ما يقول قولاً عن هوى وغرض (إن هو إلا وحي يوحى)، أي: إنما يقول ما أمر به، يبلغه إلى الناس كاملاً موفرًا من غير زيادة ولا نقصان"[2].

ثانيًا - من صفات الداعية: التبشير والتلطف بمن أصيب بمصيبة:

أي تواضع وأي مكانة وعز وشرف يداني ما أكرم الله به نبيه محمدًا ﷺ فمن شاء أن يسأله فليسأل أيًا كان السائل وأيًا كان السؤال وأيًا كان المكان في البيت أو المسجد أو الطريق. فهذه أم حارثة رضي الله عنها أتته وسألته عن مصير ابنها الذي قتل فيتلطف معها ويجيبها على سؤالها ببشرى تثلج صدرها وتطمئن نفسها وهي أن ابنها في الجنة بل إنه في الفردوس الأعلى.

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (يا أم حارثة إنها جنان في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى)، فرسول الله ﷺ يعلم مصيبتها في ابنها ومدى حزنها عليه فلذلك تلطف معها وبشرها بدخول ابنها جنة الفردوس الأعلى، ومن ذلك تبشير المسلمين بدخول قتلى أحد الجنة وتنعمهم فيها.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُم بِأُحُدٍ جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ فَلَمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَأْكَلِهِمْ وَمَشْرَبِهِمْ وَمَقِيلِهِمْ قَالُوا مَنْ

---

(١) سورة النجم، الآيتان: ٣ - ٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٧/٤٤٣.

يُبَلِّغُ إخْوَانَنَا عَنَّا أنَّا أحْيَاءٌ فِي الْجَنَّةِ نُرْزَقُ لِئَلاَّ يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ وَلاَ يَنْكُلُوا عِنْدَ الْحَرْبِ؟ فَقَالَ اللّه تَعَالى: أنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُم، قالَ: وَأنْزَلَ اللّه عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّه أمْوَاتًا﴾ إلى آخِرِ الآيَةِ))(1).

فعلى الداعية أن يحرص على مواساة المدعوين في مصابهم ويتلطف بهم، "وإن من المواساة مشاركة المسلم في مشاعره خاصة في أوقات حزنه، وعند تعرضه لما يُعكر صفوه، ولذا فإن إدخال السرور عليه وتطييب خاطره بالكلمة الطيبة أو المساعدة الممكنة بالمال أو الجاه أو المشاركة الوجدانية هو من أعظم المواساة وأجلّ أنواعها وقد كان ﷺ يواسي بالقليل والكثير، فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال وهو يخطب: ((إنَّا وَاللهِ، قَدْ صَحِبْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، فَكَانَ يَعُودُ مَرْضَانَا، وَيَتْبَعُ جَنَائِزَنَا، وَيَغْزُو مَعَنَا، وَيُوَاسِينَا بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ، وَإِنَّ نَاسًا يُعْلِمُونِي بِهِ، عَسَى أَلاَّ يَكُونَ أَحَدُهُمْ رَآهُ قَطُّ))(2)، وقد علمنا أن من أقال مسلمًا من عثرته أقال الله عثرته فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ أقَالَ مُسْلِمًا أقَالَ اللّه عَثْرَتَهُ))(3)، وأن الله عز وجل لا يزال في حاجة العبد ما دام العبد في حاجة أخيه.

"وإن حاجة المسلم تتنوع وتختلف من موقف إلى آخر، فهناك من تكون حاجته إلى المال، وهناك من تكون حاجته إلى عمل أو وظيفة، وهناك من تكون حاجته إلى كلمة طيبة، وهناك من تكون حاجته إلى دفع الظلم عنه، وهناك من تكون حاجته إلى مشاركة الناس له في أتراحه أو أفراحه، وهناك من تكون حاجته في وضع الدين عنه أو إرجائه، إلى غير ذلك من الحاجات وكل ذلك يدخل في إطار القاعدة العامة

---

(1) أخرجه أبو داود ٢٥٢٠، وحسنه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٢١٩٩)، والآية رقم ١٦٩ من سورة آل عمران.

(2) أخرجه أحمد في مسنده ١/٧٠ رقم ٥٠٤، وقال محققو المسند: إسناده حسن على شرط الشيخين ١/٥٣٢، وأحمد بمعناه برقم ٧٤٣١ وقال محققوه: صحيح على شرط الشيخين ونصه عند أحمد: "من أقال عثرة أقاله الله يوم القيامة".

(3) أخرجه أبو داود ٣٤٦٠، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٢٩٥٤).

للمواساة، وهي أن يكون المسلم في حاجة أخيه"(١).

فينبغي على الداعية أن يقتدي برسول الله ﷺ وأن يتلطف مع من أصابته مصيبة ويكون له مبشرًا بالثواب والأجر من الله حتى يرفع ما به من حزن ويدخل على نفسه الراحة والقبول بقضاء الله.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل حارثة بن سراقة رضي الله عنه:

يظهر ذلك في شهود حارثة رضي الله عنه عنه بدرًا واستشهاده فيها. وقول رسول الله ﷺ: (يا أم حارثة إنها جنان في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى).

قال ابن حجر: "وهي بشارة عظيمة لم تقع لغيرهم، أي: أهل بدر"(٢)، وقال رسول الله ﷺ في فضل من شهد بدر: ((لعلَّ اللَّهَ اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شِئتم فقد وَجَبَتْ لكُم الجنة))(٣).

وقال ﷺ: ((لَنْ يَدْخُلَ النَّارَ رَجُلٌ شَهِدَ بَدْرًا وَالحُدَيْبِيَّةَ))(٤). كل ذلك يدل على فضل حارثة بن سراقة رضي الله عنه وأنه من أهل الجنة، وكذلك فضل وثواب كل من حضر بدرًا من المسلمين.

رابعًا - من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ ببعض الأمور الغيبية:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (.. إنها جنان في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى)، وإخبار النبي ﷺ عن الجنة وأنها جنان من الأمور الغيبية التي أطلعه الله عليها وخصه بها.

وقد رأى النبي ﷺ الجنة، ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في قصة الإسراء، وفي آخره قال: ((ثُمَّ انْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى نَأْتِيَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى. فَغَشِيَهَا

---

(١) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٣٤٦٠/٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٥٦/٧.

(٣) أخرجه البخاري ٣٩٨٢.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ٣٩٦/٣، رقم ١٥٢٦٢، وقال محققو المسند: حديث صحيح، وهذا إسناد حسن ٤١٠/٢٣.

أَلْـوَانٌ لاَ أَدْرِي مَـا هِـيَ. قَـالَ: ثُـمَّ أُدْخِلْـتُ الْجَنَّـةَ فَـإِذَا فِيهَـا جَنَابِـذُ اللُّؤْلُـؤِ، وَإِذَا تُرَابُهَـا الْمِسْكُ))[1].

والحـديث يـدل علـى زيـارة الـنبي ﷺ الجنـة ورآهـا، ودخلـها، ووصـف جنابـذها وتربتها وقد بيّن الرسول ﷺ في موقف آخر أنه رأى كل شيء وعد الناس به في الدار الآخرة، ورأى قطفًا من الجنة، فقصرت يده عن تناوله، فدل على حقيقة وجود الجنـة[2]. وإطلاعه عليها، قال ﷺ: ((لَقَدْ رَأَيْتُ فِي مَقَامِي هـذَا كُلَّ شَـيْءٍ وُعِدْتُـهُ، حَتَّـى لَقَدْ رَأَيْتُ أُرِيدُ أَنْ آخُذَ قِطْفًا مِنَ الْجَنَّةِ، حِينَ رَأَيْتُمُونِي جَعَلْتُ أَتَقَدَّمُ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ جَهَنَّمَ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَـأَخَّرْتُ، وَرَأَيْـتُ فِيهَـا عَمْـرَو بْـنَ لُحَـيٍّ، وَهُـوَ الَّـذِي سَيَّبَ السَّوَائِبَ))[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٣٤٩، ومسلم ١٦٣.

(٢) بينات الرسول ﷺ ومعجزاته، الشيخ عبدالمجيد الزنداني ص ٢٣٨.

(٣) أخرجه البخاري ١٢١٢، ومسلم ٩٠١.

الحديث رقم (١٣٢٢)

١٣٢٢- وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قَالَ: جِيءَ بِأَبِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، قَدْ مُثِّلَ بِهِ، فَوُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ؛ فَذَهَبْتُ أَكْشِفُ عَنْ وَجْهِهِ فَنَهَانِي قَوْمِي[١]، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((مَا زَالَتِ المَلائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا)) متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

مُثِّل به: جدع أنفه أو أذنه أو مذاكيره، أو شيء من أجزائه[٣].

الشرح الأدبي

ما أروع هذا المشهد الحقيقي من مشاهد البطولة الإسلامية في غزوة أحد " وهذا المشهد يسرد تفاصيله ابن الشهيد. . عبد الله الأنصاري السلمي وهو الصحابي " جابر بن عبد الله " الراوي الأعلى لهذا الحديث، حيث يصور ما لحق بأبية من أذى المشركين الذين مثلوا به ولنتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف أنه يصاغ على لسان " المتكلم " وهو جابر بن عبد الله " لأنه يروى حدثاً شخصياً ولكنة يتجاوز هذه الخصوصية إلى دائرة العموم لأن الشهادة في سبيل الله غاية كل مسلم يدافع عن إسلامه وعقيدته ويبدأ الحديث بالفعل المبنى للمجهول "جيء بأبي" لأن معرفة الفاعل لا تضيف للحدث شيئاً. . فالمجيء قد تحقق، ورسول الله يكرم الشهيد ويضعه بين يديه، وصيغة المبنى للمجهول في قوله: قد مثل به " تفيد تحقير الفاعل. . وهم المشركون فهم

---

(١) عند مسلم زيادة: (فسمعتُ صوت صائحة، فقيل: ابنة عمرو، أو أخت عمرو، فقال: لمَ تبكي، أو: لا تبكي). أوردها المنذري، ولم يوردها المؤلف.

(٢) أخرجه البخاري (٢٨١٦) واللفظ له، ومسلم (٢٤٧١/١٢٩). أورده المنذري في ترغيبه (٢٠٣١).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (م ث ل).

لا يستحقون أن يكون لهم مكان حتى في البنيان اللغوي و(قد) تفيد التحقيق والتأكيد، والتضعيف في الفعل " مثل به " يدل على المبالغة وقد نهى رسول الله عن " المثلة " ويقال: مثلت بالحيوان أمثل مثلاً إذا قطعت أطرافة وشوهت به، ويقال مثلت بالقتيل إذا جدعت أنفه وأذنه أو مذاكيره أو شيئاً من أطرافة، والاسم " المثلة " فأما " مثل " بالتشديد " فهو المبالغة " كما ورد في لسان العرب في مادة مثل، فقوله: قد مثل به " يدل على قسوة المشركين ومبالغتهم في تشويه وجه هذا الشهيد وجسده، وقوله فوضعه بين يديه " فيه تكريم من رسول الله لذلك الشهيد وفيه عزاء لابنه وكل ذريته والعطف بالفاء في الأفعال المتتالية ينبئ عن سرعة أحداث هذا المشهد وعن السرعة في الإعداد لدفن هذا الشهيد: (فوضعه – فذهبت أكشف عن وجهه – فنهاني قوم) فقال النبي ﷺ، والتعبير بقوله ما زالت يفيد الاستمرار وفى ذلك غاية التكريم ومضاعفة الثواب وإعلان الحماية الإلهية. . حيث يقول المصطفى صلى الله علية وسلم: ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها، ويصور كعب بن مالك بلاء المسلمين وشجاعتهم في غزوة أحد ضد المشركين.

شددنا بحول الله والنصر شدة ... عليكم وأطراف الأسنة شرع
عمدنا إلى أهل اللواء ومن يطر ... بذكر اللواء فهو في الحمد أسرع
وفينا رسول الله نتبع أمره ... إذا قال فينا القول لا نتطلع

فقه الحديث

بوب البخاري على ثلاثة أحاديث منها حديث الباب، بوّب عليها: باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في أكفانه[1] وذلك في كتاب الجنائز. قال ابن حجر: "إذا أدرج في أكفانه" أي: لفّ فيها. قال ابن رشيد: موقع هذه الترجمة من الفقه أن الموت لما كان سبب تغيير محاسن الحي التي عهد عليها – ولذلك أمر بتغميضه وتغطيته – كان ذلك مظنة للمنع من كشفه حتى قال النخعي: ينبغي أن لا يطلع عليه إلا الغاسل له، ومن

(١) الأحاديث ١٢٤١-١٢٤٤.

يليه، فترجم البخاري على جواز ذلك، ثم أورد ثلاثة أحاديث[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل عبدالله والد جابر رضي الله عنهما.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل عبدالله والد جابر رضي الله عنهما:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها) قال القاضي: (يحتمل أن ذلك لتزاحمهم عليه لبشارته بفضل الله ورضاه عنه وما أعد له من الكرامة ازدحموا عليه إكرامًا له وفرحًا به وأظلوه من حر الشمس لئلا يتغير ريحه أو جسمه)[2].

وعبدالله بن عمرو بن حرام والد جابر بن عبدالله الصحابي المشهور معدود من أهل العقبة، وكان من النقباء واستشهد بأحد[3].

وعن جابر رضي الله عنه قال: ((لمّا حَضرَ أُحُدٌ دعاني أبي مِنَ الليلِ فقال: ما أُراني إلاّ مَقتولاً في أوَّلِ مَن يُقتل مِن أصحابِ النبيِّ ﷺ، وإني لا أتْرُكُ بَعدي أعَزَّ عليَّ مِنك، غيرَ نَفْسِ رسولِ اللّهِ ﷺ. وإنَّ عليَّ دَينًا، فاقضِ، واستوْصِ بأخَواتِكَ خَيرًا. فأصبَحْنا، فكان أوَّلَ قَتِيلٍ، ودُفِنَ مَعَهُ آخَرُ في قبرٍ، ثمَّ لم تَطِبْ نفسي أنْ أترُكَهُ معَ الآخَرِ فاستخرجتُه بعدَ ستةِ أشهر، فإذا هوَ كيوم وضَعْتُهُ هُنَيَّةً، غيرَ أُذُنِهِ))[4].

وعن جابر رضي الله عنه: ((لما خرج لدفن شهداء أحد قال زملوهم بجراحهم فإني أنا الشهيد عليهم)) وكفّن أبي في نمرة[5].

قال ابن سعد: (وكان عبد الله أوَلَ من قُتل يوم أحُد، وكان أَحمرَ أَصلع ليس

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١٤/٣.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٥٠٠/٧-٥٠١.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ص ٨١٢.

(٤) أخرجه البخاري ١٣٥١.

(٥) أخرجه ابن سعد ١٠٥/٢/٣، وقال محققو سير أعلام النبلاء: إسناده صحيح ٣٢٦/١.

بالطويل، وكان عمرو بن الجموح طويلاً، فدفنا معًا عند السيل، فحفر السيل عنهما، وعليهما نمرة، وقد أصابَ عبدَ الله جرحٌ في وجهه فيده على جرحه، فأُميطَتْ يدُه، فانبعث الدم، فرُدَّت، فسكن الدم.

قال جابر: فرأيت أَبي في حفرته، كأنه نائم، وما تغير من حاله شيء، وبين ذلك ست وأَربعون سنة، فحوِّلا إلى مكان آخر، وأُخْرِجُوا رِطابًا يَتَثَنَّون)[1].

أَبو الزبير: عن جابر قال: (صُرخ بنا إلى قتلانا، حين أَجرى معاوية العين، فأخرجناهم ليِّنةً أجسادُهم، تَتَثَنَّى أطرافُهم)[2].

وعن جابر قال: (دُفن رجلٌ مع أَبي، فلم تطب نفسي، حتى أَخرجتُه، ودفنتُه وحدَه)[3].

ومما يدل على فضله ما ورد عن ابنه جابر قال: لَقِيَنِي رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ لِي: ((يَا جَابِرُ مَالِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا؟)) قُلْتُ يَا رَسُولَ الله اسْتُشْهِدَ أَبِي، قتل يوم أحد وَتَرَكَ عِيَالاً وَدَيْنًا، قالَ: قال: ((أَفلاَ أَبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ الله بِهِ أَبَاكَ؟)) قالَ: بَلَى يَا رَسُولَ الله، قَالَ: ((مَا كَلَّمَ الله أَحَدًا قَطُّ إِلاَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ وَأَحْيَى أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا، فَقَالَ: تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِيكَ، قالَ: يَا رَبِّ تُحْيِينِي فَأُقْتَلُ فِيكَ ثَانِيَةً، قالَ الرَّبُّ عز وجل إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي ﴿أَنَّهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾ قالَ: وَأُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ الله أَمْوَاتًا﴾[4][5].

قال القرطبي: (وقد تضمَّن هذا الحديث فضيلةً عظيمة لعبد الله لم يُسمع بمثلها لغيره، وهي: أن الله تعالى كلَّمه مشافهة بغير حجاب حجبه به. ولا واسطة قبل يوم

---

(١) أخرجه ابن سعد ٣/٢/١٠٦ من طريق الوليد في مسلم، حدثني الأوزاعي عن الزهري، عن جابر فذكره بأطول مما هنا، وقال محققو سير أعلام النبلاء: وهذا إسناد صحيح كما قال الحافظ في الفتح ٣/١٧٣، (سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ١/٢٥٥).

(٢) أخرجه ابن سعد ٣/٢/١٠٦.

(٣) أخرجه البخاري ١٣٥٢.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٦٩.

(٥) أخرجه الترمذي ٣٠١٠، وحسنه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٤٠٨).

القيامة، ولم يفعل الله تعالى ذلك مع غيره في هذه الدار، كما قال تعالى: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾[1].

وكما قال رسول الله ﷺ في الحديث: "وما كلّم الله أحدًا قط إلا من وراء حجاب". في هذا الحديث: أن الله تعالى لم يفعل هذا في هذه الدار لحيٍّ ولا لميت، إلا لعبد الله هذا خاصَّةً، فيلزمُ على هذا العموم: أنه قد خصَّ من ذلك بما لم يخص به أحدٌ من الأنبياء. وهذا مشكلٌ بالمعلوم من ضرورة الشرع، ومن إجماع المسلمين على: أن درجة الأنبياء وفضيلتهم أعظمُ من درجة الشهداء والأولياء، فوجْهُ التوفيق أن قوله ﷺ: "وما كلم الله أحدًا إلا من وراء حجاب" إنما يعني به -والله أعلم-: أنه ما كلَّم أحدًا من الشهداء، وممن ليس بنبي بعد موته، وقيل: يوم القيامة، إلا عبدالله، ولم يرد به الأنبياء، ولا أراد بعد يوم القيامة، لما قد علم أيضًا من الكتاب والسنة، وإجماع أهل السنة من: أن المؤمنين يرون الله تعالى في الجنة، ويكلمهم بغير حجاب، ولا واسطة. وأما الآية: فإنما مقصودها حصر أنواع الوحي الواصل إلى الأنبياء من الله تعالى، فمنه: ما يقذفه الله تعالى في قلب النبي، وورعه، ومنه ما يُسمعه الله تعالى للنبي مع كون ذلك النبي محجوبًا عن رؤية الله تعالى، ومنه: ما يبلِّغه له الملك، وحاصلها: الإعلامُ بأن الله تعالى لم يره أحدٌ من البشر في هذه الدار؛ نبيًا كان أو غير نبي، ويشهد لهذا قولُه ﷺ في الصحيح: ((تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَمُوتَ))[2])[3].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ عن والد جابر بن عبدالله عندما قتل في غزوة

---

(١) سورة الشورى، آية: ٥١.

(٢) أخرجه مسلم ٢٩٣١.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦/٣٨٦-٣٨٧.

أحد: (ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها). حيث بين رسول الله ﷺ إكرام الله لوالد جابر وتظليل الملائكة له حينما قتل في غزوة أحد، وفي ذلك ترغيب في الشهادة في سبيل الله، والأصل في الترغيب: أن يكون في نيل رضا الله سبحانه وتعالى في الدنيا والآخرة وكسب ثوابه في الآخرة والفوز فيها[1].

فعلى الداعية أن يستخدم أسلوب الترغيب في دعوته، ومن أنفع وسائل الترغيب تنبيه الفرد والأمة إلى ماضي أسلافهم الصالحين الذين رفعوا منار العلم والدين. ونشروا لواء العدل والحرية وقهروا الظلم والبغي وأناروا العالمين وشرقوا وغربوا في أرجاء المعمورة فاتحين مكبرين، هادين وكانوا كما قال القائل:

كنا جبالاً كالجبال وربما ... سرنا على موج البحار بحارًا
بمعابد الإفرنج كان أذاننا ... قبل الكتائب يفتح الأمصارا
لم نخش طاغوتًا يحاربنا ... ولو نصب المنايا حولنا أسوارًا
ندعوا جهارًا لا إله سوى الذي ... خلق الوجود وقدر الأقدارا[2]

(١) الدعوة إلى الله، د. توفيق الواعي ص ٢٠٢.

(٢) المرجع السابق ص ٢٠٥.

الحديث رقم (١٣٢٣)

١٣٢٣ - وعن سهل بن حنيف ﷺ : أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: ((مَنْ سَأَلَ اللهَ تَعَالَى الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

سهل بن حُنيف: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥٧).

غريب الألفاظ:

بَلَّغه: أوصله وأدخله[٢].

الشرح الأدبي

إن الإيجاز هو منبع الجمال الأسلوبي في هذا الحديث الشريف فهو يتكون في بنائه اللغوي من جملتين شرطيتين ولكن هذا الإيجاز في المبنى يقابله اتساع في الدلالة وإعلان عن الأجر المضاعف الذي ينتظر كل من يتمنى الشهادة في سبيل الله ويسأل الله ذلك، والجملة الأولى تبدأ بأداة الشرط " من " وهى للعاقل وفى ذلك إشارة إلي إن كل من يتمنى الشهادة فهو صاحب عقل راجح يميز الطيب من الخبيث ويعرف قيمة الشهادة في سبيل الله عز وجل، وفعل الشرط (سأل الله تعالى الشهادة)، والسؤال فيه إخلاص. ورغبة حقيقية وقوله (بصدق) يؤكد ذلك: والباء للمصاحبة " فالصدق مصاحب، وممتزج بالسؤال وجواب الشرط: قوله (بلغة الله منازل الشهداء) والتعبير بقوله: بلغة الله يوحى بعلو مكانة هذه المنازل وبأن الوصول إليها يحتاج إلى المجاهدة، وإلى الاستعانة بالله عز وجل، ومجيء: منازل " في صيغة الجمع فيه تنبيه على كثرة منازل الشهداء وأعلاها " الفردوس الأعلى " والشهيد في الأصل " من قتل مجاهداً في سبيل الله ثم اتسع فيه فأطلق على من سماه النبي صلى الله علية وسلم من " المبطون،

---

(١) برقم (١٩٠٩/١٥٧). أورده المنذري في ترغيبه (١٩٢٧)، وقد تقدم برقم (٥٧).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ب ل غ).

والغرق، والحرق، وغيرهم، وسمي شهيداً لأن الملائكة شهود له بالجنة وقيل لأنه حي لم يمت كأنة شاهد أي حاضر وقيل لأن ملائكة الرحمة تشهد له، وقيل لقيامه بشهادة الحق في أمر الله حتى قتل، وقيل لأنه يشهد ما أعد الله له من الكرامة بالقتل، وقيل غير ذلك فهو فعيل بمعنى فاعل أو بمعنى مفعول: أى شاهد ومشهود على اختلاف التأويل كما أشار ابن منظور في لسان العرب في مادة شهد. ، والجملة الثانية: (وإن مات فراشة) تتضمن إيجازاً بالحذف. لأن الجواب محذوف وتقديره فهو شهيد وقد حذف للتشويق ولدلالة ما قيل عليه وفى الحديث استحباب طلب الشهادة واستحباب ما فيه الخير وأن صدق القلب سبب لبلوغ الأرب كما يقول صاحب دليل الفالحين، والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل إخلاص النية لله تعالى في طلب الشهادة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان فضل الله تعالى على عباده المؤمنين المخلصين.

ثالثًا: من مهام الداعية: حث المدعوين على الإخلاص في طلب الشهادة.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل إخلاص النية لله تعالى في طلب الشهادة:

يظهر ذلك من عموم الحديثين فقد قال ﷺ في الحديث الأول: (من سأل الله تعالى الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه).

وفي الحديث الثاني: (من طلب الشهادة صادقًا أعطيها ولو لم تصبه).

قال النووي: "ومعناهما جميعًا: أنه إذا سأل الشهادة بصدق أعطي من ثواب الشهداء، وإن كان على فراشه، وفيه استحباب سؤال الشهادة واستحباب نية الخير"[2].

وإخلاص النية له فضل عظيم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾[3]، فإسلام الوجه إخلاص القصد والعمل لله، والإحسان فيه: متابعة رسول

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١٣٢٣ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم ١٣٢٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٢١.

(٣) سورة النساء، آية: ١٢٥.

الله ﷺ وسنته.، فإخلاص النية في طلب الشهادة أساس قبول الجهاد، فقد سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل رياء، ويقاتل شجاعة، ويقاتل حمية: أي ذلك في سبيل الله؟ فقال: ((مَنْ قَاتَلَ لِتَكونَ كلمةُ اللّهِ هي العُلْيا فهوَ في سَبيلِ اللّهِ عزَّ وجلَّ))[١][٢].

قال القرطبي: "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله، يعني بـ (كلمة الله) دين الإسلام. وأصله: أن الإسلام ظهر بكلام الله تعالى؛ الذي أظهره على لسان نبيه ﷺ.

ويفهم من هذا الحديث: اشتراط الإخلاص في الجهاد، وكذلك هو شرط في جميع العبادات، لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[٣]، والإخلاص مصدر من: أخلصت العسل وغيره: إذا صفيته، وأفردته من شوائب كدره أي: خلّصته منها. فالمخلص في عباداته هو الذي يخلصها من شوائب الشرك والرياء. وذلك لا يتأتي له إلا بأن يكون الباعث له على عملها قصد التقرب إلى الله تعالى، وابتغاء ما عنده. فأما إذا كان الباعث عليها غير ذلك من أعراض الدنيا؛ فلا يكون عبادة بل يكون مصيبة موبقة لصاحبها؛ فإما كفر وهو الشرك الأكبر وإما رياء، وهو: الشرك الأصغر. ومصير صاحبه إلى النار. هذا إذا كان الباعث على تلك العبادة الغرض الدنيوي وحده، بحيث لو فُقد ذلك الغرض لترك العمل. فأما لو انبعث لتلك الحالة لمجموع الباعثين - باعث الدنيا وباعث الدين - فإن كان باعث الدنيا أقوى، أو مساويًا ألحق القسم الأول في الحكم بإبطال ذلك عند أئمة هذا الشأن، وعليه يدل قوله ﷺ حكاية عن الله تبارك وتعالى: ((مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ))[٤].

فأما لو كان باعث الدين أقوى؛ فقد حكم المحاسبي بإبطال ذلك العمل متمسكًا بالحديث المتقدم، وبما في معناه، وخالفه في ذلك الجمهور، وقالوا بصحة ذلك العمل

(١) أخرجه البخاري ٢٨١٠، ومسلم ١٩٠٤.

(٢) انظر: مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/ ٢١٠ - ٢١١.

(٣) سورة البينة، آية: ٥.

(٤) أخرجه مسلم ٢٩٥٨.

وهو الأقدمُ في فروع مالك. ويستدل على هذا بقوله ﷺ: ((خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لَهُمْ، رَجُلٌ مُمْسِكٌ عِنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ))[1]، فجعل الجهاد مما يصحُ أن يتخذ للمعاش، ومن ضرورة ذلك أن يكون مقصودًا، لكن لما كان باعث الدين على الجهاد هو الأقوى والأغلب، كان ذلك الغرض مُلغى، فيكون معفوًا عنه، كما إذا توضأ قاصدًا رفع الحدث والتبرد، فأما لو تفرد باعث الدين بالعمل؛ ثم عرض باعث الدنيا في أثناء العمل فأولى بالصحة"[2].

فينبغي على المسلم أن يخلص النية في الجهاد وفي طلب الشهادة، وعن أبي أمامة الباهلي قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلاً غَزَا يَلْتَمِسُ الأَجْرَ وَالذِّكْرَ مَا لَهُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((لاَ شَيْءَ لَهُ)) فَأَعَادَهَا ثَلاَثَ مَرَّاتٍ يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((لاَ شَيْءَ لَهُ)) ثُمَّ قَالَ: ((إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلاَّ مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ))[3].

قال ﷺ: ((الْغَزْوُ غَزْوَانِ فَأَمَّا مَنِ ابْتَغَى وَجْهَ اللهِ وَأَطَاعَ الإِمَامَ وَأَنْفَقَ الْكَرِيمَةَ وَيَاسَرَ الشَّرِيكَ وَاجْتَنَبَ الْفَسَادَ فَإِنَّ نَوْمَهُ وَنُبْهَهُ أَجْرٌ كُلُّهُ، وَأَمَّا مَنْ غَزَا فَخْرًا وَرِيَاءً وَسُمْعَةً وَعَصَى الإِمَامَ وَأَفْسَدَ فِي الأَرْضِ فَإِنَّهُ لَمْ يَرْجِعْ بِالْكَفَافِ))[4].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان فضل الله تعالى على عباده المؤمنين المخلصين:

ويظهر ذلك من عموم الحديثين حيث بيّن رسول الله ﷺ أن إخلاص النية في طلب الشهادة يكون سببًا في نوال درجة الشهادة وثوابها ولو مات الإنسان على فراشه.

وذلك؛ لأن صلاح النية وإخلاص الفؤاد لرب العالمين، يرتفعان بمنزلة العمل الدنيوي البحت، فيجعلانه عبادة متقبلة.

---

(١) أخرجه مسلم ١٨٨٩.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٧٤٢/٣ - ٧٤٣.

(٣) أخرجه النسائي ٣١٤٠، وقال الألباني: حسن صحيح، (صحيح سنن النسائي ٢٩٤٣).

(٤) أخرجه ابو داود ٢٥١٥، وحسنه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٢١٩٥).

والحق أن المرء ما دام قد أسلم وجهه وأخلص نيته، فإن حركاته وسكناته ونوماته ويقظاته، تحتسب خطوات إلى مرضاة الله وقد يعجز عن عمل الخير الذي يصبو إليه، لقلة ماله أو ضعف صحته، ولكن الله المطلع على خبايا النفوس يرفع الحريص على الإصلاح إلى مراتب المصلحين، والراغب في الجهاد إلى مراتب المجاهدين لأن بعد همتهم أرجح لديه من عجز وسائلهم.

وحدث في غزوة العسرة أن تقدم إلى رسول الله ﷺ رجال يريدون أن يقاتلوا الكفار معه، وأن يجودوا بأنفسهم في سبيل الله، غير أن الرسول لم يستطع تجنيدهم فعادوا وفي حلوقهم غصة، لتخلفهم عن الميدان وفيهم نزل قوله عز وجل: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ﴾[١].

فقد أعطى الله هؤلاء المخلصين ثواب المجاهدين لصدق نيتهم، وقد نوّه النبى ﷺ بإيمان أولئك القوم وإخلاصهم[٢] فقال للجيش السائر: ((إِنَّ أَقْوَامًا خَلْفَنَا بِالْمَدِينَةِ مَا سَلَكْنَا شِعْبًا وَلاَ وَادِيًا إِلاَّ وَهُمْ مَعَنَا، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ))[٣].

ثالثًا- من مهام الداعية: حث المدعوين على الإخلاص في طلب الشهادة:

يستنبط هذا من عموم الحديثين فذكره ﷺ لإعطاء ثواب الشهادة لمن طلبها وأخلص النية في الطلب ولو مات على فراشه، حث للمسلمين على إخلاص النية والحرص على طلب الشهادة.

فعلى الداعية أن يحث المدعوين على الإخلاص في طلب الشهادة وذلك لقول رسول الله ﷺ: ((إن اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَامِكُمْ وَلاَ إِلَى صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ))[٤].

---

(١) سورة التوبة، آية: ٩٢.

(٢) انظر: خلق المسلم، الشيخ محمد الغزالي ص ٦٨ - ٧٠.

(٣) أخرجه البخاري ٢٨٣٩.

(٤) أخرجه مسلم ٢٥٦٤.

إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل حتى يكون خالصًا صوابًا، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة[١].

والإخلاص من الأشياء التي ينبغي أن يحرص عليها المسلم قال رسول الله ﷺ: ((ثَلاَثٌ لاَ يُغَلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ: إِخْلاَصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَالنُّصْحُ لأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ))[٢].

وقد سئل النبي ﷺ عن اختلاف نيات الناس في الجهاد وما يقصده من الرياء، وإظهار الشجاعة والعصبية، وغير ذلك: أي ذلك في سبيل الله؟ ففي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلاً أَعْرَابِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ. وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُذْكَرَ. وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ. فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ أَعْلَى فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ))[٣].

قال النووي: "أن الأعمال إنما تحسب بالنيات الصالحة، وأن الفضل الذي ورد في المجاهدين في سبيل الله يختص بمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا"[٤].

فينبغي على الداعية حث المدعوين على إخلاص النية في طلب الشهادة، حتى يكون لهم كمال الأجر والثواب من الله وإن مات على فراشه. (وذلك لأن من أعظم مسؤوليات الدعاة إلى الله تعالى التربية على الإخلاص لله تعالى في كل عمل، وكذلك تربية الإخلاص في نفس الإنسان، وتعهده دائمًا، ليكون زادًا مغذيًا لروحه وكيانه، ووقودًا ممدًا له بالطاقة الفكرية، والحيويّة النفسية في كل وقت، وكيلاً تأتي عليه جوائح الدنيا المختلفة، ولا تغتاله فتن الشبهات والشهوات، فتلقي به على قارعة الطريق.

فإذا غرسوا الإخلاص وتعهدوه، فلن يكون بعد ذلك من صاحبه إلا أن يرقى في مدارج كماله، حتى يكون من أهل البر والاحتساب، والحرص على فعل المعروف والتنافس في أبواب الخير)[٥].

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/٣١٠.
(٢) أخرجه ابن ماجة ٢٣٠ وصححه الألباني، (صحيح سنن ابن ماجة ١٨٧).
(٣) أخرجه البخاري ٢٨١٠، ٣١٢٦، ومسلم ١٩٠٤.
(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢١٩.
(٥) ركائز دعوية من هدي النبي ﷺ، د. عبدالمجيد البيانوني ص ١٦٩.

الحديث رقم (١٣٢٤)

١٣٢٤- وعن أنس ﵁ ، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ : ((مَنْ طَلَبَ الشَّهَادَةَ صَادِقًا أُعْطِيَهَا ولو لَمْ تُصِبْهُ)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥).

غريب الألفاظ:

أعطيها : أعطى ثوابها[٢].

الشرح الأدبي

إن حماية الدين والعرض والمال والنفس من الواجبات التي يقوم بأدائها كل مسلم وعلية أن يدافع ويجاهد. .. والشهادة تعد تاج الدفاع والجهاد وإذا لم يقم القادرون من أبناء الأمة بأداء هذا الواجب فهم من الذين يظنون البذل في سبيل الله مغرماً يستحق الرثاء، والموت في سبيل الله تضحية تستحق العزاء، هم قوم ليسوا من الدين في شيء ولا من الدنيا في شيء كما يقول الشيخ محمد الغزالي وحق على هؤلاء أن يدفنوا وهم أحياء وأن يرقدوا في مهاد الذل لا ليستريحوا ولكن لتستجاب فيهم دعوة خالد بن الوليد " لا نامت أعين الجبناء "

وفي ضوء هذا الواقع الذي يحيط بالمتخاذلين عن نصرة دينهم وحماية أوطانهم يرغب المصطفى ﷺ كل مسلم فى طلب الشهادة: ليس حباً في الموت ولكن دفاعاً عن حرمات الإسلام وديار المسلمين وصوناً لأعراضهم والحديث في بنائه اللغوي يتكون من جملتين شرطيتين للدلالة على أن الجزاء من جنس العمل، وفعل الشرط يتوهج بدلالة السعي والحركة وهو الفعل " طلبه، والطلب هو السعي إلي تحقيق المقصد المراد

---

(١) برقم (١٩٠٨/١٥٦). أورده المنذري في ترغيبه (١٩٢٨).

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٤٢٠.

والغرض المنشود والمطلوب هنا هو الشهادة، وهذه الشهادة ليست ادعاءً ولا رياءً، ولكنها مؤطرة بالصدق "وقوله" صادقاً في موقع "الحال" فطالب الشهادة "صادق في طلبه" ابتغاء مرضاة الله ولذلك نجد جواب الشرط متضمناً مادة العطاء وجاء الفعل مبنياً للمجهول أعطيها لأن الفاعل معلوم وهو "الله عز وجل" ومن أعظم عطاء الله ولسوف يعطيك ربك فترضى، والجملة الثانية: (ولو لم تصبه) أى الشهادة "متعلقة بدلاله الجملة الأولى: وتتضمن إيجازاً بالحذف وتقدير الكلام ولو لم تصبه الشهادة فسيعطاها" أى يعطى ثوابها "فأي ترغيب أجمل من هذا الترغيب وأي نعيم ينتظر هذا المجاهد الصادق الجسور وهذا الشهيد الذي يشهد ما أعد الله له من الكرامة يوم البعث والنشور، ورزقنا الله منازل الشهداء ودرجات الأولياء.

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تقدم ذكرها مدمجة في مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٣٢٥)

١٣٢٥ - وعن أَبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ : **((مَا يَجِدُ الشَّهِيدُ مِنْ مَسِّ القَتْلِ إلاَّ كَمَا يَجِدُ أحَدُكُمْ مِنْ مَسِّ القَرْصَةِ))** رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

القَرْصَة: عَضَّة النَّملة، أو المرة من القَرص: وهو القبض بالإبهام والسبّابة على جزء من الجسم قبضًا مؤلمًا[2].

الشرح الأدبي

إن الشهيد يستعذب الموت في سبيل الدفاع عن عقيدته وحريته ودم الشهادة يوم القيامة يضوع عبيره وينتشر أريجه فاللون لون الدم والرائحة رائحة المسك وجرح الشهيد وسام يتباهى به في ميدان القتال وهو يوم القيامة تاج فخار ولواء انتصار، ويصور هذا الحديث الشريف حقيقة شعور الشهيد وهو يتلقى ضربات السيوف وطعنات الرماح وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة ترددا أحد !. أحد ! فرد صمد ! ، وهو شعور الارتياح. . والاستبشار بدخول الجنة، ويصاغ الحديث كله في جمله واحدة. . من خلال أسلوب " القصر " عن طريق النفي والاستثناء وهذا الأسلوب الغرض منه " الحصر " دفعاً لما يتوهم أن ألم القتل في سبيل الله أعظم من ألم القرصة وبذلك يزيل أكبر مخاوف الإنسان من الموت، وهو ما فيه من الألم، وليس هناك إحساس في الوجود وشعور بالألم أخف من

---

(١) برقم (١٦٦٨) وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٤٦٥٥). أورده المنذري في ترغيبه (٢٠٣٩).

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان الهروي ٤١٠/٧، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ق ر ص).

هذا الإحساس وذلك الشعور وللألفاظ دورها في تصوير الشعور ونقل الإحساس إلى المتلقي وقوله "مس" مصدر مضاف إلى القتل والمس في اللغة هو أول ما يحس به المرء من التعب الذي لا يلبث أن يزول، وفى حديث موسى "على نبينا وعلية الصلاة والسلام" ولم يجد مساً من النصب "ويقولون" وجد مس الحمى "أي رسها وبدأها قبل أن تأخذه وتظهر"[١] والحديث يصور عن طريق هذه الموازنة الدقيقة: حال الشهيد ساعة استشهاده بأنة يشبه الذي شعر بالألم الخفيف من مس القرصة وقال الليث: القرص باللسان والأصبع والمراد فى الحديث: القرص بالإصبعين، ومنبع سر الجمال في هذا الحديث هو الإيجاز والترغيب فى الجهاد فالمسلمون- كما يقول الشيخ محمد الغزالي - في سبيل الله لا يبالون بالموت، كيف وهو هم الذين يطلبون وفيه يرغبون، فكان هذا الشعور الغامر هو الدعامة المكينة التي بنوا عليها تاريخهم وسجلوا فيه صحائف خلودهم فعاش من عاش سعيداً، ومات من مات شهيداً.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الحصر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان إكرام الله للشهيد وعدم إيلامه من القتل.

أولاً - من أساليب الدعوة: الحصر:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة).

قال المناوي: "القرصة: الأخذة بأطراف الأصابع وعبر بأداة الحصر؛ دفعًا لتوهم تصور أن ألمه يفضل على ألمها، وهذه تسلية لهم عن هذا الحادث العظيم، والخطب الجسيم، وتهييج الصبر على وقع السيوف واقتحام الحتوف".

وقال أيضًا: يعني أنه تعالى يُهون عليه الموت، ويكفيه سكراته وكربه، بل رب راغب في الشهادة يتلذذ ببذل نفسه في سبيل الله طيبة بها نفسه، كقول خبيب

---

(١) انظر: تأملات في الحياة والدين – الشيخ محمد الغزالي.

الأنصاري حين قُتل:

ولَستُ أبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسلِمًا ... علَى أيِّ شِقٍّ كَانَ للّهِ مَصرَعِي[1]

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان إكرام الله للشهيد وعدم إيلامه من القتل:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة)، فبيّن رسول الله ﷺ أن الذي يصيب الشهيد من ألم القتل مثل القرصة الأخذ بأطراف الأصابع مع أن الموت له سكرات وله آلام يعاني منها الإنسان، وقد ثبت ذلك في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾[2].

قال القرطبي: "أي: غمرته وشدته"[3].

والشهيد هو الذي يقدم شهادة من روحه ودمه أن دين الله أغلى عنده من حياته، ولذلك يبذل روحه وحياته فداءً لدين الله.

يا شهيدًا رفع الله به ... جبهة الحق على طول المدى

سوف تبقى في الحنايا علمًا ... حاديًا للركب رمزًا للفدى

ما نسينا أنت قد علمتنا ... بسمة المؤمن في وجه الردى

إن الناس يعيشون ويموتون، لكن الشهداء يعيشون ويعيشون!!

إن الناس يعيشون؛ ليموتوا ولكن الشهداء يموتون ليعيشوا.

إنهم الذين يحسنون طريقة الموت.. الواحد منهم آنس بالموت من الطفل بثدي أمه!!

إنهم الذين يخطون تاريخ الأمم؛ لأن صروح المجد لا تبنى إلا بجماجمهم

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ١٨٢/٤. والأبيات في البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٦٣/٤، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٢٦/٢.

(٢) سورة ق، آية: ١٩.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٢/١٧/٩.

وأشلائهم، وهم الذين يحفظون شجرة هذا الدين من أن تضمحل أو تذوى؛ لأن شجرة هذا الدين لا تروى إلا بالدماء، وهم الخالدون بذكرهم في الأرض والسماء، وبذكرهم تحيا القلوب؛ لأنهم قُتلوا لتحيا أممهم، ويحيون هم أنفسهم، هؤلاء هم عشاق الموت الذين تُبنى بهم الحياة؛ فهم يبحثون عن الموت، ويبغونه في مظانه، ليبعثوا الحياة في أممهم وفي الأجيال التي تأتي من بعدهم؛ كما قال ﷺ: ((مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لَهُمْ ، رَجُلٌ مُمْسِكٌ عِنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. يَطِيرُ عَلَى مَتْنِهِ. كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً أَوْ فَزْعَةً طَارَ عَلَيْهِ. يَبْتَغِي الْقَتْلَ وَالْمَوْتَ مَظَانَّهُ....))[1].

فهم يبتغون الموت مظانه؛ أي: أنهم حيثما ظنوا مكان الموت أسرعوا إليه ومضوا مسرعين يطلبونه.

ما العيش إلا معهم، وقربهم حياة للأرواح، وبذكرهم تطيب المجالس وتحيا القلوب.

تضيق بنا الدنيا إذا غبتم عنا ... وتزهق بالأشواق أرواحنا منا

بعادكم موتٌ وقربكم حيا ... ولو غبتم عنا ولو نفَسًا متنا

نعيش بذكراكم ونحيا بقربكم ... ألا إن تذكار الأحبة ينعشنا

الشهادة في سبيل الله مَرْتَبةٌ ساميةٌ ورتبة عظيمة، لا يُلقّاها إلا ذو حظ عظيم، ولا ينالها إلا كفؤ ماجد نبيل كريم، سبقت له من ربه الحسنى والفوز العظيم"[2].

ولقد منّ الله على الشهداء بنعم لا تحصى، وفضائل ومآثر لا تنسى، ومن أجل هذه النعم وأعظمها أن الله سبحانه جعلهم أحياء عنده يُرزقون من الجنة حيث يشاءون ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾[3].

إن هنالك قتلى سيخرون شهداء في معركة الحق، شهداء في سبيل الله، قتلى أعزاء أحباء، قتلى كرامًا أزكياء، فالذين يخرجون في سبيل الله، والذين يضحون

---

(١) أخرجه مسلم ١٨٨٩.

(٢) فرسان النهار من الصحابة الأخيار، د. سيد بن حسين العفاني ١/٥١٣ - ٥١٤.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٥٤.

بأرواحهم في معركة الحق هم عادة أكرم القلوب وأزكى الأرواح وأطهر النفوس، هؤلاء الذين يقتلون في سبيل الله ليسوا أمواتًا، إنهم أحياء، فلا يجوز أن يقال عنهم: أموات. لا يجوز أن يعتبروا أمواتًا في الحس والشعور، ولا أن يقال عنهم: أموات بالشفة واللسان، إنهم أحياء بشهادة الله سبحانه، فهم لا بد أحياء.

إنهم قتلوا في ظاهر الأمر، وحسبما ترى العين،ولكن حقيقة الموت وحقيقة الحياة لا تقررها هذه النظرة السطحية الظاهرة.. إن سمة الحياة الأولى هي الفاعلية والنمو والامتداد. وسمة الموت الأولى هي السلبية والخمود والانقطاع.

وهؤلاء الذي يقتلون في سبيل الله فاعليتهم في نُصرة الحق الذي قتلوا من أجله فاعلية مؤثرة، والفكرة التي من أجلها قتلوا ترتوي بدمائهم وتمتد، وتأثر الباقين وراءهم باستشهادهم يقوى ويمتد؛ فهم ما يزالون عنصرًا فعالاً دافعًا مؤثرًا في تكييف الحياة وتوجيهها، وهذه هي صفة الحياة الأولى، فهم أحياء بهذا الاعتبار الواقعي في دنيا الناس ثم هم أحياء عند ربهم، إما بهذا الاعتبار، وإما باعتبار آخر لا ندري نحن كنهه، وحسبنا إخبار الله تعالى به: ﴿أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾، لأن كنه هذه الحياة فوق إدراكنا البشري القاصر المحدود، ولكنهم أحياء.

أحياء: ومن ثم لا يغسلون كما يغسل الموتى، ويكفنون في ثيابهم التي استشهدوا فيها؛ فالغسل تطهير للجسد الميت وهم أطهار بما فيهم من حياة، وثيابهم في الأرض ثيابهم في القبر؛ لأنهم بعد أحياء.

أحياء: فلا يشق قتلهم على الأهل والأحباء والأصدقاء.

أحياء: يشاركون في حياة الأهل والأحباء والأصدقاء.

أحياء: فلا يصعب فراقهم على القلوب الباقية خلفهم، ولا يتعاظمها الأمر، ولا يهولنها عظم الفداء.

ثم هم بعد كونهم أحياء مكرمون عند الله، ماجورون أكرم الأجر وأوفاه"[1].

---

(١) فرسان من الصحابة الأخيار، د. سيد بن حسن العفاني ١/٥٢٥ - ٥٢٦.

عن مسروق قال: سَأَلْنَا عَبْدَ اللَّهِ - هُوَ ابْنُ مَسْعُودٍ - عَنْ هَذِهِ الآيَةِ: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[1] قَالَ: أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ. فَقَالَ: ((أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ. لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ. ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ . فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلاَعَةً. فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا : أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي؟ وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا. فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ. فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا ، قَالُوا : يَا رَبِّ نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى. فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا))[2].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : ((ما أحدٌ يدخلُ الجنة ، يُحبُّ أن يَرجعَ إلى الدُّنيا ، وله ما على الأرضِ مِن شيء إلا الشهيدُ ، يتمنَّى أن يرجعَ إلى الدُّنيا فيُقتَلَ عشرَ مرات، لما يَرى منَ الكرامةِ))[3].

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((انتَدَبَ اللهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لاَ يُخْرِجُهُ إِلاَّ إِيمَانٌ بِي وَتَصْدِيقٌ بِرُسُلِي، أَنْ أَرْجِعَهُ، بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ، أَوْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ وَلَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ، ثُمَّ أَحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أَحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ))[4].

فأعْظِم بها ميتةً تمنّاها رسول الله ﷺ ، وقال ﷺ : ((للشَّهيدِ عندَ الله سِتُّ خِصَالٍ : يُغفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دُفْعَةٍ ويرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، ويُجَارُ مِنْ عَذابِ القَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ على رأْسِهِ تَاجُ الوَقَارِ، اليَاقُوتَةُ منها خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وما فيها، ويُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وسبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ))[5].

وقال ﷺ : ((والذي نفسي بيده، لا يُكلَمُ أحدٌ في سبيلِ الله - والله أعلمُ بمن

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٦٩.

(٢) أخرجه مسلم ١٨٨٧.

(٣) أخرجه البخاري ٢٧٩٥ ، ٢٨١٧ ، ومسلم ١٨٧٧.

(٤) أخرجه البخاري ٣٦.

(٥) أخرجه الترمذي ١٦٦٣ ، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ١٣٥٨).

يُكلَمُ في سبيلهِ - إلا جاءَ يَومَ القيامةَ واللّونُ لَونُ الدَّمِ، والرِّيحُ رِيحُ المسْكِ))[1].

فنِعم المولى تبارك وتعالى على الشهيد لا تعد ولا تحصى، ومنها نعمة تخفيف آلام الموت وسكراته، كما معنا في الحديث الذي نحن بصدده، وذلك لأن جهاد أعداء الله من الكفار والمشركين من أصول هذا التوحيد، وهذا شيء مقرر، والذي جعل نفسه رخيصة في سبيل إعلاء كلمة الله، وتقرب إلى الله بدمائه قد وصل إلى أعلى مراتب الإيمان بالله، ومن كان هذا هو حاله لا يجد عند استشهاده عناء سكرات الموت، وذلك جزاء ما كان عليه من إيمان راسخ، وولاء وبراء وجهاد في سبيل الله وهذا من أجلّ مراتب التوحيد، فخفف الله عنه سكرات الموت بذلك، نسأل الله ذلك"[2].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٨٠٣، ٥٥٣٣، ومسلم ١٨٧٦.

(٢) التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد ص ١٧٢ - ١٧٣.

الحديث رقم (١٣٢٦)

١٣٢٦ - وعن عبد الله بن أَبي أَوْفَى رضي الله عنهما: أنَّ رسولَ الله ﷺ في بَعْضِ أيَّامِهِ الَّتي لَقِيَ فِيهَا (العَدُوَّ)[1] انْتَظَرَ حَتَّى مَالَتِ الشَّمْسُ.

ثُمَّ قَامَ فِي النَّاسِ فَقَالَ: ((أَيُّهَا النَّاسُ، لا تَتَمَنَّوا لِقَاءَ العَدُوِّ، وَاسْأَلُوا اللهَ العَافِيَةَ، فَإذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِروا؛ وَاعْلَمُوا أنَّ الجَنَّةَ تَحْتَ ظِلاَلِ السُّيُوفِ)) ثُمَّ قَالَ: ((اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الأحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن أبي أوفى: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥٣).

غريب الألفاظ:

تحت ظلال السيوف: يعني الجهاد في سبيل الله.

الشرح الأدبي

إن هذا المشهد الجليل من مشاهد السيرة النبوية العطرة يصور محبة النبي لأصحابه وحرصه على أن يظل المسلمون أقوياء أشداء ينشرون دين الله بين العالمين وحين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث النبوي نجدها متعددة ومتنوعة فالحديث يبدأ بالتأكيد "بأن" وذلك لترسيخ مفهوم الحديث في الأذهان لأنه واقعة تاريخية حقيقية وحتى يدفع الشك والارتياب من أي متوهم وظان في حقيقة الخير وقوله في بعض (أيامه)" إشارة إلى معارك رسول الله وغزواته: وأيام العرب في التراث العربي هي: حروبهم ومعاركهم التي يدافعون فيها عن حرياتهم وكرامتهم وأعراضهم، والنداء في بداية كلام رسول الله: أيها الناس " لأهمية الأمر ولضرورة الإصغاء والإتباع، وقوله: الناس ولم يقل " المسلمون " للترغيب في اعتناق الإسلام وللإيحاء بأن كل من يسمع هذا،

---

(١) قوله: (العدو) ليس عند البخاري في هذه الرواية، وإنما عنده برقم (٣٠٢٤)، وكذا عند مسلم.

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٦٥، ٢٩٦٦) واللفظ له، ومسلم (١٧٤٢/٢٠). وتقدم برقم (٥٣).

النداء أو يصل إليه عن طريق القراءة أو الرواية أو السماع بعد ذلك يجب أن يستظل بظل الإسلام، وأن يكون من المنافحين عنه الزائدين عن حياضه، وأسلوب النهى في قوله " لا تتمنوا لقاء العدو " ليس نهياً عن القتال وإنما نهى عن الغرور والاعتماد على قوة النفس والركون إليها وعدم التوكل على الله والاحتماء به وأسلوب الأمر فى قوله " وأسالوا الله العافية " فيه حث للمسلمين على عدم إلقاء أنفسهم في التهلكة والحرص على الفوز والانتصار بعد إعداد القوة في ظل الخطط المحكمة وأسلوب الشرط في قوله: فإذا لقيتموهم فاصبروا، يوحى بأن لقاء العدو لابد منه والتعبير بأداة الشرط " إذا " يفيد ذلك لأنها تدل على التحقق وجواب الشرط قوله: فاصبروا: يشع بدلالات متعددة وكلها توحي بالثبات وعدم الفرار من ميدان المعركة ولمزيد من الترغيب في الاستشهاد دفاعاً عن الإسلام علل الصبر بهذه البشرى التي لا تتحقق إلا عن طريق الجهاد وما أجمل هذه الصورة الأدبية البلاغية " إن الجنة تحت ظلال السيوف " وصيغة الدعاء جاءت في ختام الحديث الشريف على لسان النبي ﷺ لتزيد المسلمين اطمئناناً لأن الرسول مستجاب الدعوة وجمل الدعاء الثلاث متناسقة فى مبناها، ومتوازنة فى معناها ومغزاها، واسم الفاعل المضاف إلى ما بعده وما فيه من السجع الجميل الذي يحدث إيقاعا محبباً ومرغباً يستميل السامعين ويؤثر في المتلقين وينبئ عن الصدق في الدعاء والأمل في تحقيق الرجاء "اللهم منزل الكتاب، ومجرى السحاب، وهازم الأحزاب إهزمهم وانصرنا عليهم". . آمين آمين.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم ٥٣.

الحديث رقم (١٣٢٧)

١٣٢٧- وعن سهل بن سعد رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ : ((ثِنْتَانِ لاَ تُرَدَّانِ، أَوْ قَلَّمَا تُرَدَّانِ: الدُّعَاءُ عِنْدَ النِّدَاءِ وَعِنْدَ البَاسِ حِيْنَ يُلْحِمُ بَعْضُهُم بَعضًا)) رواه أَبُو داود[١] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

سهل بن سعد الساعدي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧٥).

غريب الألفاظ:

النداء: الأذان[٢].

البأس: الحرب[٣].

حين يلحم بعضهم بعضًا: أي يتقاربون فيصيرون كالذين يلتصق لحم بعضهم ببعض[٤].

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث النبوي نجد في مقدمتها "الإيجاز " وهذه سمة في البيان النبوي.. وفى هذا الحديث حيث تتجلى بلاغة الحذف من بدايته.. فقوله ثنتان " ورد في روايات أخرى: دعوتان: والتقدير في هذا الحديث: دعوتان اثنتان، ويتجلى الإيجاز في قوله - عند النداء، والمراد بالنداء الأذان والإقامة - وصيغة الأذان معروفة. . وكلها في مجملها نداء لجميع المسلمين في كل زمان ومكان، وللإقامة صيغة معروفة والأذان والإقامة يتكرران يومياً قبل كل صلاة في جميع بقاع الأرض مشارقها ومغاربها.

---

(١) برقم (٢٥٤٠). وصحّحه ابن خزيمة (٤١٩)، وابن حبان (الإحسان ١٧٢٠). أورده المنذري في ترغيبه (٤٠٦).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن د و).

(٣) المرجع السابق في (ب أ س).

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٤٢١.

فتأمل هذه الإشعاعات المنبثقة من هذه الكلمة المتوجة بما لا يتناهى من الرجاءات والدعوات في كل الأماكن والأوقات، وفى كل العصور والبيئات، ومن مظاهر الجمال الأسلوبي: حسن التقسيم حيث العبارات المتساوية المتوازنة وجمال الإيقاع. . والتوازن الأسلوبي والسجع غير المتكلف الذي يحدث إيقاعاً محبباً يستميل المشاعر "ثنتان لا تردان. . أو قلما تردان: الدعاء عند النداء ومن مظاهر الجمال الأسلوبي اختيار الكلمات ذات الإشعاع الدلالي الذي يتفق مع سياق الحديث ومناخ الغرض والمقصد الأسنى من الحديث، وكلمة " البأس " لها إشعاعها وتأثيرها وليس هناك من الكلمات ما يصلح للإيحاء بجو الحرب والقتال والمجاهدة مثلها فالبأساء: اسم الحرب والمشقة والضرب واليأس والعذاب والبأس: الشدة في الحرب، ويقول ابن سيدة " البأس: الحرب: ثم كثر حتى قيل لا بأس عليك أي لا خوف ويقول على بن طالب: كنا إذا اشتد البأس اتقينا برسول الله ﷺ يريد الخوف و لا يكون إلا مع الشدة والصورة التعبيرية الموحية في قوله: حين يلحم بعضهم بعضاً " تصور شدة الحرب والتحام الصفوف وفى العبارة روايتان " وكل منهما تؤديان المعنى المراد: فإذا قلنا: يلتحم بعضهم بعضا بالحاء يكون المعنى ملتصقين حين يتقاربون كالذي يلتصق لحم بعضهم ببعض، وإذا كان الفعل بالجيم أى يلجم فيكون المعنى كأن كلا منهم يلجم صاحبة بالسلاح، " فاللهم منزل الكتاب ومجرى السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم، آمين آمين).

فقه الحديث

بوّب ابن خزيمة على هذا الحديث: باب استحباب الدعاء عند الأذان ورجاء إجابة الدعوة عنده(١).

وقد بوّب النووي في الأذكار هذا الحديث والحديث الذي قبله والحديثين الذين بعده، بوّب باب الدعاء والتضرع والتكبير عند القتال واستنجاز الله ما وعد من نصر المؤمنين(٢).

---

(١) الحديث ٤١٩.

(٢) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٣٧-٢٤٠.

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: البيان والإيضاح لأوقات إجابة الدعاء.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحرص على الدعاء عند الأذان وعند التقاء الجمعين في الجهاد.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من مهام الداعية: البيان والإيضاح لأوقات إجابة الدعاء:

يظهر ذلك من قول رسول الله ﷺ: (ثنتان لا تردان، أو قلما تردان: الدعاء عند النداء، وعند البأس حين يلحم بعضهم بعضا).

حيث بيّن رسول الله ﷺ إجابة الدعاء وقت النداء ووقت الجهاد، وقد ورد عن رسول الله ﷺ الكثير من الأحاديث التي تبين أوقات الإجابة، منها:

آخر الليل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ))[1].

ودبر الصلوات المكتوبة، فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله أي الدعاء أسمع؟ قال: ((جَوْفَ اللَّيْلِ الآخِرُ، وَدُبُرَ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ))[2].

وفي ليلة القدر، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله أرأيت إن علمت أي ليلة هي - ليلة القدر - ما أقول فيها؟ قال: ((قُولِي اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي))[3].

والدعاء من أقوى الأسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب، ولكن قد يتخلف عنه أثره، إما لضعف في نفسه بأن يكون الدعاء لا يحبه الله لما فيه من العدوان - وإما لضعف القلب وعدم إقباله على الله وقت الدعاء - فيكون بمنزلة القوس الرخو جدًا،

---

(١) أخرجه البخاري ١٤٥، ومسلم ٧٥٨.

(٢) أخرجه الترمذي ٣٤٩٩، وحسنه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٧٨٢).

(٣) أخرجه الترمذي ٣٥١٣، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٧٨٩).

فإن السهم يخرج منه خروجًا ضعيفًا..، وإما لحصول المانع من الإجابة، من أكل الحرام والظلم، ورين الذنوب على القلوب، واستيلاء الغفلة والشهوة واللهو وغلبتها عليها.

ومن أنفع الأدوية في أي عقدة الإلحاح في الدعاء، وإذا جمع مع الدعاء حضور القلب وجمعيته بكليته على المطلوب وصادف وقتًا من أوقات الإجابة، وهي: الثلث الأخير من الليل، وعند الأذان، وبين الأذان والإقامة، وأدبار الصلوات المكتوبة، وعند صعود الإمام يوم الجمعة على المنبر حتى تقضى الصلاة من ذلك اليوم، وآخر ساعة بعد العصر، وعند نزول الغيث، وشرب ماء زمزم، وفي السجود.

وصادف خشوعًا في القلب وإنكسارًا بين يدي الرب وذلة له وتضرعًا ورقة، واستقبل الداعي القبلة وكان على طهارة، ثم ثنى بالصلاة على محمد عبده ورسوله ﷺ، ثم قدم بين يدي حاجته، التوبَة والاستغفَار، ثم دخل على الله وألح في المسألة وتملقّه ودعاه رغبة ورهبة وتوسل إليه بأسمائه وصفاته وتوحيده، وقدم بين دعائه صَدَقَة، فإن هذا الدعاء لا يكاد يُرد أبدًا، ولا سيما إن صادف الأدعية التي أخبر النبي ﷺ أنها مظنة الإجابة، أو أنها متضمنة للاسم الأعظم[1].

فينبغي على الداعية أن يبين للمدعوين هذه الأوقات حتى يغتنموها في التوجه إلى الله بالدعاء والرغبات.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الحرص على الدعاء عند الأذان وعند التقاء الجمعين في الجهاد:

ذلك لأن الدعاء في هذين الوقتين لا يرد، أو قلما يرد كما أخبر الصادق الأمين في الحديث، ولأنهما وقتان عظيمان أما الأذان فلأنه كلمة جامعة لعقيدة الإيمان مشتملة على نوعية من العقليات والسمعيات، فأوله إثبات الذات وما يستحقه من الكمال والتنزيه عن أضدادها وذلك بقول: الله أكبر، ثم صرح بإثبات الوحدانية ونفي ضدها من الشركة المستحيلة في حقه سبحانه وتعالى، وهذه عمدة الإيمان والتوحيد، المقدمة

---

(١) انظر: الداء والدواء، ابن القيم الجوزية ص ٩ - ١٥ بتصرف.

على كل وظائف الدين. ثم صرح بإثبات النبوة والشهادة بالرسالة لنبينا ﷺ وهي قاعدة عظيمة بعد الشهادة بالوحدانية وموضعها بعد التوحيد لأنها من باب الأفعال الجائزة الوقوع، وتلك المقدمات من باب الواجبات، وبعد هذه القواعد كملت العقائد العقليات فيما يجب ويستحيل ويجوز في حقه سبحانه وتعالى، ثم دعا إلى ما دعاهم إليه من العبادات، فدعاهم إلى الصلاة وعقبها بعد إثبات النبوة، لأن معرفة وجوبها من جهة النبي ﷺ لا من جهة العقل، ثم دعا إلى الفلاح وهو الفوز والبقاء في النعيم المقيم، وفيه إشعار بأمور الآخرة من البعث والجزاء وهي آخر تراجم عقائد الإسلام، ثم كرر ذلك بإقامة الصلاة للإعلام بالمشروع فيها وهو متضمن لتأكيد الإيمان وتكراره وذكره عند الشروع في العبادة بالقلب واللسان، وليدخل المصلي على بينة من أمره، وبصيرة من إيمانه، ويستشعر عظيم ما دخل فيه وعظمة حق من يعبده وجزيل ثوابه"[1].

فالآذان نداء حبيب إلى كل نفس مؤمنة، يدعو إلى خير عمل، وأعظم لقاء، في أطهر مكان، فهو عبادة تتقدم الصلاة، يتردد صداها في الكون، الله أكبر، فكل ما نتصور أنه كبير، فالله أكبر منه، فكل شيء دون الله حقير، التجارة، الأموال، المتاع الدنيا، يا له من نداء عظيم، يدعو إلى التوحيد ونفي الشرك، ويثبت الرسالة لمحمد ﷺ، فيرتفع ذكره مع كل أذان مقترنًا بذكر الله تعالى يتردد عبر الأزمان.

يدعو النداء أمة الإسلام أن تقبل على الله لأداء الصلاة، والفوز برضاه، إلى الطاعة في صلاة الجماعة، في بيت الله، إلى الفلاح في الدنيا والآخرة.

وينتهي الآذان معلنًا لكل من شغلته الدنيا وألْهَتْه، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله حتى ينتبه، ويترك كل شيء، ويسعى إلى لقاء الله"[2].

ومما يدل على فضل الأذان أن الشيطان إذا سمعه هرب فعن جابر رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: ((إِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا سَمِعَ النِّدَاءَ بِالصَّلاَةِ، ذَهَبَ حَتَّى يَكُونَ مَكَانَ

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٣٣٩، وهذا ملخص كلام القاضي عياض في إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢/٢٥٣ - ٢٥٤.

(٢) الصلاة، د. عبدالله بن محمد الطيار ص ٦٤ - ٦٥.

الرَّوْحَاءِ)) قَالَ سُلَيْمَانُ: فَسَأَلْتُهُ عَنِ الرَّوْحَاءِ؟ فَقَالَ: هِيَ مِنَ الْمَدِينَةِ سِتَّةٌ وَثَلاَثُونَ مِيلاً[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: ((إِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا سَمِعَ النِّدَاءَ بِالصَّلاَةِ أَحَالَ لَهُ ضُرَاطٌ، حَتَّى لاَ يَسْمَعَ صَوْتَهُ، فَإِذَا سَكَتَ رَجَعَ فَوَسْوَسَ، فَإِذَا سَمِعَ الإِقَامَةَ ذَهَبَ حَتَّى لاَ يَسْمَعَ صَوْتَهُ، فَإِذَا سَكَتَ رَجَعَ فَوَسْوَسَ))[٢].

قال القاضي: "وهروب الشيطان عند النداء لعظيم أمْرِه عنده، وذلك - والله أعلم - لما اشتمل عليه من الدعاء بالتوحيد، وإظهار شعار الإسلام، وإعلان أمره كما فعل يوم عرفة، لما رأى من اجتماع عباد الله على إظهار الإيمان، وما ينزل عليهم من الرحمة"[٣][٤]. فهذه المعاني تدل على أن وقت الأذان وقت مفضل لإجابة الدعاء ينبغي الحرص على الدعاء فيه. أما الدعاء عند التقاء الجمعين فهو مجاب أيضًا فينبغي الحرص على الدعاء فيه، يؤيد ذلك قول رسول الله ﷺ: ((الْغَازِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْحَاجُّ وَالْمُعْتَمِرُ، وَفْدُ اللَّهِ. دَعَاهُمْ فَأَجَابُوهُ. وَسَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ))[٥].

وقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بذكره واللجوء إليه بالدعاء عند لقاء العدو في الجهاد، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[٦].

قال ابن كثير: "فأمر الله تعالى بالثبات عند قتال الأعداء والصبر على مبارزتهم، فلا يفروا ولا ينكلوا ولا يجبنوا، وأن يذكروا الله في تلك الحال ولا ينسوه، بل

---

(١) أخرجه مسلم ٣٨٨.

(٢) أخرجه مسلم ٣٨٩.

(٣) يعني بذلك ما أخرجه مالك في الموطأ عن طلحة بن عبيد الله بن كريز، أن رسول الله ﷺ قال: ((ما رؤي إبليس في يوم أصغر ولا أحقر ولا ادحر ولا اغيظ منه في يوم عرفة وذلك مما يرى من تنزل الرحمة والعفو عن الذنوب إلا ما رأى يوم بدر، قالوا: يا رسول الله، وما رأى يوم بدر؟ قال: أما إنه رأى جبريل عليه السلام يزع الملائكة))، الحج باب: جامع الحج ١/٤٢٢، رقم ١٨٤١.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢/٢٥٧.

(٥) أخرجه ابن ماجه ٢٨٩٣، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٢٣٣٩).

(٦) سورة الأنفال، آية: ٤٥.

يستعينوا به ويتوكلوا عليه ويسألوه النصر على أعدائهم"[١].

وقال د. محمد محمود حجازي: "المعنى: يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله، إذا حاربتم جماعة من الكفار، والتقيتم بهم في ميدان الحرب فالواجب عليكم أن تثبتوا في قتالهم وتصمدوا للقائهم، وإياكم والفرار من الزحف وتوليتهم الأدبار، فالثبات فضيلة. والفرار كبيرة؛ وعليكم بذكر الله في السراء والضراء وحين البأس، فبذكره تطمئن القلوب، وبدعائه تفك الكروب، فهو القريب، المجيب دعوة الداعي، لا سيما إذا كان دعاء بالنصر على عدو الله، اثبتوا عند اللقاء، واذكروا الله كثيرًا، رجاء أن تفوزوا بالأجر والثواب، والنصرة على الأعداء"[٢].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (ثنتان لا تردان أو قلما تردان، الدعاء عند النداء وعند البأس حين يلحم بعضهم بعضًا)، حيث رغّب رسول الله ﷺ في الدعاء عند الأذان وعند التقاء الجمعين في الجهاد وبين سبب ذلك بأن الدعاء فيهما لا يرد.

وأسلوب الترغيب من الأساليب التي يحسن استخدامها في الدعوة إلى الله، "وذلك لأن غريزة حب الإنسان لنفسه تدفعه إلى أن يحقق لها كل خير، وأن يحميها من كل شر سواء ما كان فيها من عاجل وما كان من آجل، ومن هنا تحرص النفوس الموفقة على وعي هداية القرآن، وهدي الرسول ﷺ، وتعمل جاهدة على أن تحفظ منهما ما وسعها الإمكان"[٣] لتستفيد به في كل زمان.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٧٢/٤.

(٢) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ٧/١٠/١.

(٣) انظر: قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري ص ٥٠٩.

الحديث رقم (١٣٢٨)

١٣٢٨- وعن أنس ﵁، قَالَ: كَانَ رسولُ اللهِ ﷺ إِذَا غَزَا، قَالَ: ((اللَّهُمَّ أنْتَ عَضُدِي وَنَصِيرِي، بِكَ أَحُولُ، وَبِكَ أَصُولُ، وَبِكَ أُقَاتِلُ)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[١]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

عَضُدي: ناصري أتم نصر وأبلغه[٢].

أَحَول: أصرف كيد العدو وأحتال لدفع مكرهم، من حال يحول حيلة وأصله حولة[٣].

أَصُول: أحمل على العدو حتى أغلبه واستأصله، ومنه الصولة بمعنى الحملة[٤].

الشرح الأدبي

إن التوكل على الله من سمات المنهج الإسلامي ومن معالم التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة وفى أيام الجهاد وأزمنة الصراع ومقاومة جحافل الشرك والغزاة يكون المسلم في أشد حالاته توكلاً على الله واحتماء به واحتياجاً لتأييده ونصره، وحين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث النبوي الذي يرصد موقف رسول الله وسلوكه الإيماني وهو يواجه أعداءه ويستعد لملاقاتهم نجد الحديث يضيء بكثير من الظواهر الفنية والأسلوبية ومن هذه الظواهر الفنية أسلوب الشرط في

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٣٢) واللفظ له، والترمذي (٣٥٨٤). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٤٧٦١).

(٢) القاموس المحيط، الفيروز آبادي في (ع ض د).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح و ل).

(٤) المرجع السابق في (ص و ل).

بداية الحديث في قول الراوي الأعلى :انس بن مالك " إذا غزا قال " وهذا الأسلوب تتصدره أداة الشرط " إذا " وهى للتحقيق واليقين ولم يقل: إن غزا " لأن " إن " تفيد الشك وعدم التحقق، وانس يروى مشاهد حقيقية ويسرد دعاء رسول الله عندما يستعد للحرب وهو دعاء مأثور موثوق الخبر وصيغة الدعاء في قوله " اللهم " وما بعده " تعلن عن طبيعة المنهج الذي يتبعه المسلم في بداية كل عمل " وهو الدعاء " اتباعا لأمر الله عز وجل :ادعوني أستجب لكم " وصيغة " اللهم في الدعاء " مرتبطة بشدائد الأمور وقال الخليل وجميع النحويين الموثوق بعلمهم اللهم بمعنى يا الله " وأن الميم المشددة عوض من يا " وضمير المخاطب " أنت " وهو في مخاطبة الله عز وجل واستحضار جلاله وسلطانة وإسناد العضد إلى الله عز وجل. . مع إضافته إلى ياء المتكلم وهو رسول الله ﷺ لأنه قوى بربه منصور به ومعنى " أنت عضدي " أي ناصري أتم نصر وأبلغه " ولنتأمل هذا الجمال الأسلوبي النابع من التكرار قوله: بك ثلاث مرات " وضمير الخطاب المتصل المقترن بباء الاستعانة. . والمقصود بك يا رب استعين وتتغير أحوالي من الضعف إلى القوة ومن الهوان إلي العزة ولا صولة إلا بك، ولا حول ولا قوة إلا بالله عز وجل، ولا قتال ولا انتصار إلا به ومما يقوى من هذا التوجه أسلوب القصر " عن طريق التقديم في الخبر في الجمل الثلاث بك أحول وبك أصول وبك أقاتل " والتعبير بالمضارع في قوله: أحول وأصول وأقاتل " للدلالة على تجدد هذا المنهج الإسلامي في كل زمان وفى كل مكان ولدى أي مواجهة تحدث بين المسلمين وأعدائهم ويجب أن يكون هذا الدعاء على لسان كل مجاهد يدافع عن الإسلام، وكرامة المسلمين، ولا يخفى عنصر التأثير الصوتي الذي يحدثه هذا الإيقاع الجميل المؤثر الناشئ من توازن العبارات وتوافق الفواصل من خلال السجع الذي جاء من غير تكلف في قوله: بك أحول وبك أصول. وبلاغة رسول الله كما وصفت (لم تصنع وهى من الأحكام كأنها مصنوعة ولم يتكلف لها وهى على السهولة بعيدة ممنوعة) عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص النبي على الاستعانة بالله واللجوء إليه خاصة في أوقات الشدة.

ثانيًا: من وسائل الدعوة: التعليم.

ثالثًا: من آداب الداعية: الاقتداء بالنبي ﷺ في الدعاء والاستعانة بالله.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص النبي على الاستعانة بالله واللجوء إليه خاصة في أوقات الشدة:

يظهر ذلك في قول أنس رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ إذا غزا قال: (اللهم أنت عضدي ونصيري، بك أحول، وبك أصول، وبك أقاتل).

وهذا يدل على حرص النبي ﷺ على الاستعانة بالله واللجوء إليه خاصة في أوقات الشدة.

وهذا كان شأنه ﷺ، فهو دائم اللجوء إلى الله والاستعانة به تعالى في كل وقت وحين، وأما في أوقات الشدة فيكون أشد إلحاحًا في الدعاء وفي طلب الإعانة من الله تعالى، وفي ذلك تعليم لأمته باللجوء إلى الله وقت الشدة والكروب بالدعاء والإلحاح فيه وطلب عونه ونصره تعالى. ومما ورد عنه ﷺ في ذلك لجوؤه إلى الله بالدعاء، والإلحاء فيه قبيل غزوة بدر.

فقبيل غزوة بدر يدعو رسول الله ﷺ ربه ويستعين به ويكثر من الإلحاح في الدعاء، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاث مائة وتسعة عشر رجلا، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ثم مدّ يديه فجعل يهتف بربه: ((اللَّهُمَّ! أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ! آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ! إنْ تَهلِكْ هَـٰذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الإِسْلاَمِ لاَ تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ» فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ، مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّىٰ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَىٰ مَنْكِبَيْهِ. ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ. وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللّهِ كَفاكَ مُنَاشَدَتَكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ. فَأَنْزَلَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[1]. فَأَمَدَّهُ اللّهُ بِالْمَلاَئِكَةِ))[2].

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٩.

(٢) أخرجه مسلم ١٧٦٣.

وقال القرطبي: "قوله: (فما زال يهتف بربه، مادًّا يديه، مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه)، هذا منه ﷺ قيام بوظيفة ذلك الوقت من الدعاء، والالتجاء إلى الله تعالى، وتعليم لأمته ما يلجؤون إليه عند الشدائد والكرب الواقعة بهم، فإن ذلك الوقت كان وقت اضطرار وشدة، وقد وعد الله المضطر بالإجابة، حيث قال: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾[1]، يعني: عن المضطر عند الدعاء، فقام بعبادة ذلك الوقت، ولا يلزم من اجتهاده في الدعاء في ذلك الوقت أن يكون ارتاب في أن الله سينجز له ما وعده به، كما ظهر مما وقع لأبي بكر رضي الله عنه حيث قال له: كفاك مناشدتك ربك! فإنه سينجز لك ما وعدك! كما لا يلزم من دعائه في أن يدخله الله الجنة، وينجيه من النار، ويغفر له ذنوبه أن يكون في شك من شيء من ذلك، فإن الله قد أعلمه قطعًا أنه يدخله الجنة وينجيه من النار ويغفر له، لكنه قام بحق العبودية من إظهار الفاقة، وامتثال العبادة؛ فإن الدعاء مخ العبادة، فقلبه ﷺ مستغرق بمعرفة الواعد، وإنجاز الموعود، ولسانه وجوارحه مستغرقة بالقيام بحق عبادة المعبود، فقام في كل جارحة بوظيفتها، ولكل عبادة بحقيقتها.

وسقوط ردائه ﷺ عن منكبيه أوجبه غيبته عن ظاهره بما وجده في باطنه، وَرَدُّ أبي بكر رضي الله عنه رداء رسول الله ﷺ على منكبيه بعد سقوطه، أوجبه مراعاة أبي بكر رضي الله عنه أحوال رسول الله ﷺ حتى يحفظ عليه محاسن آدابه. والتزامه إياه، وتثبيته له بما قاله له، أوجبه فَرَطُ محبته وشفقته وقصر نظره على ظاهره، مع ذهوله عما استغرقه من ذلك من الالتفات إلى ما ذكرناه من المعاني والأسرار التي لاحت للنبي ﷺ في باطنه.

ولا يظن أحد أن أبا بكر رضي الله عنه كان في تلك الحالة أقوى من النبي ﷺ، وأوثق بما وعده الله به من النصر، فإن ذلك ظن من لا يعرف محمدًا ﷺ حق معرفته، ولا قدّره حق قدره. وكيف يصير إلى غير هذا المعنى من سمع قوله في الغار يوم سراقة:

---

(١) سورة النمل، آية: ٦٢.

﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[1]، وكيف يظن من يعلم أن رسول الله ﷺ سيد ولد آدم، وأكملهم، وأقواهم ولو وزن بجميع أمته لرجحهم؟ وبلا شك: أن الأنبياء أفضل الناس، وأعلمهم بالله وبحدوده. ولا شك في أنه ﷺ أفضل الأنبياء وأكملهم. وإذا كانت هذه حاله مع الأنبياء، فحاله مع من ليس بنبي أعلى، وأكمل وهو فيها أقوى. وكيف لا يكون حاله في هذه القصة أتم، وأقوى من حال أبي بكر، وقبل ذلك الوقت بيسير كان قد أخبر أصحابه بأن الله ينصره على عدوه ذلك، حتى أراهم مصارعهم واحدًا واحدًا باسمه وعينه، فكان الأمر كما ذكر فثبت ما قلناه.

وقوله: (كفاك مناشدتك ربك) هكذا رواية العذري: كفاك - بالفاء - ورواية الكافة: كذاك مناشدتك ربك. ورواه البخاري: حسبك. وكلها متقاربة، إلا أن: كذاك، بابها الإغراء، كـ (إليك)، كما أنشدوا:

يَقُلْنَ وقد تَلاحَقَتِ المَطايَا ... كذاكَ القَوْلُ إنَّ عَلَيْك عَيْنا

والرواية (مناشدتك) بالرفع على أنه فاعل ما في كفاك وكذاك من معنى الفعل. وقد ضبط عن أبي بحر بالنصب على المفعول، ويكون الفاعل مضمرًا في الأمر المقدر الذي ناب (كذاك) عنه.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾، أي: تطلبون منه الغوث وهو النصر: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾[2]، أي: أجاب. (ممدكم) مقويكم ومعينكم، (مُرْدَفِين) -بفتح الدال- اسم مفعول، أي: أردف الله بهم المسلمين، وبكسر الدال: اسم فاعل. قال أبو علي: يحتمل وجهين: أحدهما: مردفين مثلهم. يقال: أردفت زيدًا دابتي. فيكون المفعول الثاني محذوفًا.

والثاني: أن يكون المعنى: جاؤوا بعدكم. تقول العرب: بنو فلان مردفونا، أي: يجيئون بعدنا.

---

(١) سورة التوبة، آية: ٤٠.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٩.

(من فورهم): وجهتهم، وحينهم. و(مسوَّمين) -بفتح الواو-: اسم مفعول، أي: معلمين، من السيما، وهي العلامة أي: قد علموا بعلامة. وبكسر الواو: اسم فاعل، أي: علموا أذناب خيلهم بصوف أبيض، وقيل: أنفسهم بعمائم صفر"[١].

إن هذا الدعاء فيه كل مقومات الإيمان بالله والتوكل عليه وفيه يقين بأن الله الذي أرسله لن يخذله، وفيه حقيقة أنه استنفد جهده في الأخذ بالأسباب المادية لنصرة دعوته، فلا بد إذن أن تتدخل العناية الإلهية وتمده بأسباب النصر، تتولاه بعنايته[٢]، فلجأ إلى الله طالبًا عونه ونصره، ليعلم أمته أن تحرص على الأخذ بالأسباب ثم اللجوء إلى الله بالدعاء.

وقد كان رسول الله ﷺ دائم الحرص على اللجوء إلى الله والاستعانة به سبحانه وتعالى في وقت الشدة، والأمثلة على ذلك كثيرة مثل: دعاؤه ﷺ على سادة قريش عندما اشتد إيذاءهم له، ودعاؤه بعد فشل رحلته إلى الطائف.. وغيرها الكثير من الوقائع التي وردت في ذلك.

ثانيًا - من وسائل الدعوة: التعليم:

يظهر ذلك في تعليم النبي ﷺ لأمته بأهمية اللجوء والاستعانة بالله في كل وقت وخاصة وقت الشدة، والتعليم من الأشياء التي حرص عليها رسولنا الكريم ﷺ، معلم الخير منذ بداية دعوته وفي فترتها السرية كان يجتمع مع من أسلم ليعلمهم أمور دينهم، واستمرت هذه المهمة حتى قبض - عليه الصلاة والسلام - يعلم أصحابه رضي الله عنهم أمر دينهم، وهكذا صحابته رضي الله عنهم من بعده، ومعلوم أنه لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون حتى في الأمور الحياتية نلحظ هذا الفارق، والإسلام من خصائصه التي عرف بها الاهتمام بالعلم والتعليم، فلا بد أن تبدأ الدعوة في المجتمعات الإسلامية بالحث على الاهتمام بالعلم تعليمًا وتعلمًا حتى يتمكن الواحد منهم من العمل إذ لا عمل بدون علم،

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣/٥٧٤ - ٥٧٧.

(٢) انظر: الدعوة والداعية في ضوء سورة الفرقان، محمد سعيد البارودي ص ٢١٤ - ٢١٥.

وبالأخص العمل المتعلق بالعبادة أو العبادات المفروضة على المسلم[١]".

ثالثًا - من آداب الداعية: الاقتداء بالنبي ﷺ في الدعاء والاستعانة بالله:

يستنبط هذا من عموم الحديث وذلك؛ لأن المسلم مأمور بالتأسي والاقتداء برسول الله ﷺ في الالتجاء إلى الله بالدعاء وطلب العون والمساعدة في كل الأشياء وذلك لأن الدعاء من أقوى الأسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب، وهو من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء يدافعه ويعالجه ويمنع نزوله ويرفعه أو يخففه إذا نزل وهو سلاح المؤمن[٢]".

قال رسول الله ﷺ: ((لاَ يَرُدُّ القَضَاءَ إلاَّ الدُّعَاءُ))[٣].

وقال ﷺ: ((الدُّعَاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ اللهِ بالدُّعَاءِ))[٤].

وقد بيّن رسول الله ﷺ أن الدعاء هو العبادة، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ وَقَرَأَ: وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ. إِلَى قَوْلِهِ. دَاخِرِينَ))[٥].

أي: "هو العبادة الحقيقية التي تستأهل أن تسمى عبادة لدلالته على الإقبال على الله والإعراض عما سواه بحيث لا يرجو ولا يخاف إلا إياه"[٦].

فينبغي على المسلم الاقتداء بالنبي ﷺ في اللجوء إلى الله ودعئه وقت الشدة، لكن اللجوء يكون بعد استكمال الأسباب كاملة، وإعداد القوة: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[٧].

فعلى الأمة المسلمة اتخاذ جميع أسباب القوة وتحصيل أسبابها وأن تأخذ بعوامل النصر كاملة من ثبات وتحمل وإخلاص وتكاتف بين أفرادها.

---

(١) انظر: قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان الهجاري ص ٤٣٦ - ٤٣٩.

(٢) انظر: الذكر والدعاء والعلاج بالرقي من الكتاب والسنة، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني ص ٨٨٥.

(٣) أخرجه الترمذي ٢١٣٩، وحسنه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ١٧٣٨)..

(٤) أخرجه الترمذي ٣٥٤٨، وحسنه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٨١٣)..

(٥) أخرجه الترمذي ٢٩٦٩، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٦٨٥).

(٦) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢١٩٣/٢.

(٧) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

بعد هذا كله يتوجه الداعي إلى الله تعالى يطلب منه النصر والغوث والحفظ والرعاية ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾[١]، ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾[٢]، ﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٣]، يدعوه بعد أن لم يترك ما في طاقته من قدرة واستعداد وتأهب وأخذ بالأسباب. لا أن يدعوه دعاء الكسالى، ويلجأ إليه لجوء المتواكلين والمغفلين، الذين يستحثون غارة الله أن تجد السير مسرعة لتنقص على الأعداء فتمزق جموعهم وتشتت شملهم وتحطم صناعتهم وتعطل تقدمهم وتطورهم، وإن كان هذا ليس على الله ببعيد ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[٤]. لكنه مشروط بـ ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[٥]، ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ﴾[٦]، و ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[٧]، واللجوء إلى الله تعالى أسلوب من أساليب الأخذ بالأسباب، التي اعتمدها رسول الله ﷺ في مسيرته الدعوية الطويلة، لأن بالأخذ به استشعار بمعية الله تعالى، وهو الحصن الحصين الذي يعتصم به. والقوة القاهرة التي تقف وراء الداعية فتبث بداخله الطمأنينة، والثقة بنصر الله وعونه، وتمده بالشجاعة والإقدام، وتظهر أمامه قوى الأعداء مهما بلغت هزيلة ضعيفة ذليلة متداعية"[٨].

---

(١) سورة القمر، آية: ١٠.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٩.

(٣) سورة القصص، آية: ٢١.

(٤) سورة يس، آية: ٨٢.

(٥) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

(٦) سورة الأنفال، آية: ٤٥.

(٧) سورة الرعد، آية: ١١.

(٨) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني ص ١٢٢.

الحديث رقم (١٣٢٩)

١٣٢٩- وعن أَبي موسى رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ إِذَا خَافَ قَوماً، قَالَ: ((اللَّهُمَّ إنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ)) رواه أَبُو داود[1] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

نحورهم: جمع نُحْر: أعلى الصَّدر، ويقال: جعلتَ فلانًا في نحر العدو: أي قبالته وحذاءه ليُقاتل عنك، ويحول بينك وبينه، والمعنى: نسألك أن تصد صدورهم وتدفع شررهم[2].

الشرح الأدبي

حين نتأمل الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الموجز البليغ نجده مطعماً بكثير من الأسرار التعبيرية في ظل نظرية النظم التي تكشف عن أسرار التعبير وجماليات الأسلوب فالحديث يبدأ بالتأكيد بأن على لسان الراوي " أبو داود " رواية عن أبى موسى، وبداية الحديث بالتأكيد ينبئ عن أهمية الخبر ويوحي إلى ترسيخ الموقف من الأعداء الذين نخشى بأسهم وغدرهم وأسلوب الشرط في قوله: كان إذا خاف قوماً: يرشد الى تحقق الدعاء وهو ما تحقق بعد ذلك: لأن إذا تدل على التحقق فأعداء الإسلام في كل عصر موجودون = والتنكير في قوله: قوماً. للعموم والتنويع، فلم يحدد هؤلاء القوم لأن جبهات العداوة للإسلام تتعدد وتتلون حسب تلون البيئات وتغير العصور

---

(١) برقم (١٥٣٧)، وتقدم برقم (٩٨٢). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٤٧٦٥)، وقال الحاكم (١٤٢/٢): هذا حديث صحيحٌ على شرط الشيخين واكبر ظني أنهما لم يخرجاه.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ح ر)، وعون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٦٩٢.

والدعاء في بيان الرسول ﷺ يجيء في صيغة الجمع ويبدأ بالتأكيد بعد قوله: اللهم، وصيغة الجمع توحي بأن الدعاء ليس فردياً وليس مناجاة وإنما الأمر أعم وأشمل فالخطر يهدد المسلمين جميعاً ولذلك لابد أن يقتدوا بالمصطفى ﷺ ويثقوا في قدرة الله عز وجل وحمايته لهم بعد الأخذ بالأسباب وإعداد القوة: (إنا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم) ولنتأمل هذا الإيقاع الصوتي النابع من السجع الجميل المؤثر وكذلك من الجناس الناقص في قوله " في نحورهم، ومن شرورهم " والتعبير بالمضارع في هذا الدعاء " نجعلك، ونعوذ بك " يعطى للدلالة هنا صبغة التجدد والحدوث والاستمرار والتوازن بين عبارتي الحديث يشير إلى ضرورة توازن شخصية المسلم في موقعة وعدم هلعه وبعده عن الفزع لأنه التجأ الى ربه وأوكل أمر أعدائه إلي حكم ربه وقدرته وإرادته، والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم ٩٨٢.

الحديث رقم (١٣٣٠)

١٣٣٠ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: ((الخَيْلُ (مَعقُودٌ)[١] في نَوَاصِيهَا الخَيْرُ إِلَى يَومِ القِيَامَةِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

معقود: ملوي مضفور[٣].

نواصيها: المراد بالناصية هنا: الشعر المسترسل على الجبهة، وكني بالناصية عن جميع ذات الفرس[٤].

الشرح الأدبي

إن للخيل في مسيرة الدعوة الإسلامية دوراً وأثر كبيراً فهي مقترنة بالجهاد والقوة والاستعداد " قال تعال {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ} [الأنفال: ٦٠]. والحديث الشريف جاءت صياغته في قالب " الجملة الاسمية " وهى لها صفة الثبات وعدم التغيير وكأن هذه الإشارة الأسلوبية إعلان عن ثبات هذه القيمة المباركة التي أضفاها رسول الله ﷺ على الخيل، وسميت الخيل بذلك لأنها تختال في مشيتها وتزهو بنفسها وكذلك المسلم

---

(١) هذه الزيادة لا توجد عندهما، وإنما عند أحمد في المسند (٥٢٠٠)، وكذا عند المنذري في ترغيبه، وتبعه عليها المؤلف.

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٥٠) واللفظ له، ومسلم (١٨٧١/٩٦) كلاهما بدون قوله: ((معقود))، وهذه الزيادة في رواية عروة التي ستأتي بعد هذا. أورده المنذري في ترغيبه (١٨٨٢).

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٠٥.

(٤) المرجع السابق ١٢٠٦.

أمام أعدائه يختال ويزهو بقوته وشجاعته وهو مرهوب قال أبو عبيدة: الخيل واحدها خائل " لأنه يختال في مشيته، وقال جمهور علماء اللغة " لا واحد له من لفظه وتركيب الجملة في الحديث يفصح عن مراد الحديث وغايته فالخيل في الجملة: مبتدأ وقوله: معقود في نواصيها في كل زمان ومكان ينتشر فيه الإسلام إلى يوم القيامة والجناس والتشابه اللفظي بين قوله: الخيل والخير له أثره الصوتي العميق وكذلك له دلالته الدقيقة في التقارب الشديد والاقتران الدائر بين الخيل والخير حتى في النطق والحروف والتقديم في قوله: معقود في نواصيها الخير: يدل على أن الخير لا يفارق الخيل الغازية في سبيل الله والتعبير بقوله: معقود يوحى بالشدة. . والرسوخ، وبأن هذه الصفة ليست طارئة وإنما هي من ملازمات الخيل وتخصيص النواصي بذلك وهى مقدمة جبهة الفرس والشعر المسترسل عليها لأن العرب تقول: فلان مبارك الناصية وفى ذلك إشارة إلى ضرورة الإقدام بها على العدو وعدم الإدبار وكلمة: الخير: تشع بكثير من الدلالات التي ترتبط بالقوة والنصر والشجاعة. . ورفع كلمة الحق ونشر راية الإسلام خفاقة في كل زمان، ومكان والله أعلم.

فقه الحديث

قال النووي: (في هذه الأحاديث استحباب رباط الخيل واقتنائها للغزو وقتال أعداء الله)[١].

المضامين الدعوية[٢]

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل خيل الجهاد.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل خيل الجهاد:

يظهر ذلك من عموم الحديثين حيث قال رسول الله ﷺ في الأول: (الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة).

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣/١٦.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١٣٣٠ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم ١٣٣١.

وقال في الثاني: (الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة: الأجر والمغنم).

قال القاضي عياض: "وقوله: (الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة: الأجر والغنيمة)، وهذا من كلامه البليغ ﷺ، وتحسينه الألفاظ العذبة السهلة بعضها ببعض، وفي الحديث الآخر: ((الْخَيْرُ مَعْقُوصٌ بِنَوَاصِي الْخَيْلِ))[1] وهو بمعنى معقود، أي ملوي بها ومضفور فيها والعقصة: الضفيرة. وفي الحديث الآخر: ((الْبَرَكَةُ فِي نَوَاصِي الْخَيْلِ))[2]، الناصية: هذا الشعر المسترسل على الجبهة. قاله الخطابي[3]: وكنى بها عن الذات نفسها. يقال: فلان مبارك الناصية، أي الذات والنفس، وهذا كله دليل على تفضيل الخيل وارتباطها في سبيل الله، واتخاذها عدة لجهاد أعدائه، وأن خيرها وبركتها ما فسر في الحديث من الغنيمة. وفيه أن الجهاد باق ثابت إلى يوم القيامة، واستدل بعض العلماء باستمراره تحت راية كل بر وفاجر بهذا الحديث وفيه بقاء الإسلام والمجاهدين الذابين إلى يوم القيامة"[4].

قال النووي: "وفي هذه الأحاديث استحباب رباط الخيل، واقتنائها للغزو وقتال أعداء الله وأن فضلها وخيرها والجهاد باق إلى يوم القيامة"[5].

قال ابن حجر: (قال الخطابي: وفيه إشارة إلى أن المال الذي يكتسب باتخاذ الخيل من خير وجوه الأموال وأطيبها).

وقال ابن عبدالبر: "فيه إشارة إلى تفضيل الخيل على غيرها من الدواب لأنه لم يأت عنه ﷺ في شيء غيرها مثل هذا القول"[6].

قال الشيخ محمد تقي العثماني: "قوله: (إلى يوم القيامة)، فيه إشارة إلى أن الجهاد ماض إلى يوم القيامة، وأن الخيل لا يستغنى عنها في الجهاد إلى يوم القيامة، كما هو

---

(١) أخرجه مسلم ١٨٧٣ عن عروة البارقي برواية أخرى.

(٢) أخرجه البخاري ٢٨٥١، ومسلم ١٨٧٤.

(٣) معالم السنن ٣٩٨/٢ وما بعدها.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٨٨/٦.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٠٦.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٦/٦.

مشاهد في عصرنا، حيث إن الخيل يحتاج إليها في الجبال والفلوات على الرغم من توفر الطائرات والدبابات وسائر آلات الحرب المعاصرة"[١].

قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾[٢]، قال ابن زيد: "ورباط الخيل فضل عظيم ومنزلة شريفة، وكان لعروة البارقي سبعون فرسًا معدة للجهاد".

قال القرطبي: "فإن قيل: إن قوله: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة)، كان يكفي فلم خص الرمي والخيل بالذكر؟ قيل له: إن الخيل لما كانت أصل الحروب وأوزارها التي عقد الخير على نواصيها، وهي أقوى القوة وأشد العدة، وحصون الفرسان، وبها يجال في الميدان خصها بالذكر تشريفًا، وأقسم بغبارها تكريمًا فقال: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾[٣]"[٤].

والأحاديث في فضل حبس الخيل للجهاد كثيرة، منها:

قال رسول الله ﷺ: ((مَنِ احتبسَ فَرَسًا في سَبِيلِ اللهِ، إيمانًا باللهِ، وتَصْديقًا بوَعْدِهِ، فَإِنَّ شِبَعَهُ وَرِيَّهُ ورَوْثَهُ وبَوْلَهُ في مِيزَانِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ))[٥].

وقال ﷺ: ((مَنِ ارْتَبَطَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ عَالَجَ عَلَفَهُ بِيَدِهِ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ حَبَّةٍ حَسَنَةٌ))[٦].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (الخيل معقود في نواصيها الخير)، قال الطيبي: "فيه الترغيب في اتخاذ الخيل للجهاد، وأن الجهاد لا ينقطع أبدًا"[٧].

---

(١) تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثمان ٣٢٨/٩.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

(٣) سورة العاديات، آية: ١.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٧/٨/٤.

(٥) أخرجه البخاري ٢٨٥٣.

(٦) أخرجه ابن ماجة ٢٧٩١ وصححه الألباني، (صحيح سنن ابن ماجة ٢٢٥٠).

(٧) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٣١٧/٧.

فرغّب رسول الله ﷺ في الخيل وبيّن أن الخير معقود في نواصيها، ومن النفوس من ترغب في الخير، وتهفو إلى الهدى، وتشتاق إلى النور، ذكر الخير يرغبها ودعوة الإحسان تدفعها ونور الحق يدفئها[1].

وقد ورد عن رسول الله ﷺ على هذا المنوال الترغيب في الخير، يقول ﷺ: ((مَنِ اسْتَنَّ خَيْرًا فاسْتُنَّ بِهِ فَلَهُ أَجْرُهُ وَمِثْلُ أُجورِ مَنِ اتَّبَعَهُ غَيْرَ مُنْتَقصٍ مِنْ أُجورِهِمْ شَيْئًا))[2].

---

(١) الدعوة إلى الله، د. توفيق الواعي ص ٢٠٠.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٥١٦/٢، رقم ٣٩٦١، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذا اللفظ.

الحديث رقم (١٣٣١)

١٣٣١ - وعن عروة البارِقِيِّ ﵁: أنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: ((**الخَيْلُ مَعقُودٌ في نَوَاصِيهَا الخَيْرُ إِلَى يَوم القِيَامَةِ: الأجْرُ، وَالمَغْنَمُ**)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عروة البارقي: هو عروة بن الجعد وقيل: ابن أبي الجعد وقيل: ابن عياض بن أبي الجعد البارقي الأزدي.

كان ماهرًا في أمور البيع والشراء ودعا له النبي ﷺ بالبركة في بيعه، فصار من أغنى الناس، فقد أعطاه ﷺ دينارًا يشتري به شاة فاشترى له شاتين، فباع إحداهما بدينار فجاء بدينار وشاة، فدعا له بالبركة في بيعه، وكان لو اشترى التراب لربح فيه[2].

وفي رواية: قال: لقد رأيتني أقف بكُناسة الكوفة [اسم مكان] فأربح أربعين ألفًا قبل أن أصل إلى أهلي. فكان أكثر أهل الكوفة مالاً[3].

وكان من المجاهدين بنفسه وماله في سبيل الله، أعدّ في بيته خيلاً للجهاد، لما عرف من فضل ذلك من النبي ﷺ كما في الحديث المذكور. قال شبيب بن غرقدة [أحد الرواة عنه]: رأيت في دار عروة سبعين فرسًا مربوطة للجهاد في سبيل الله عزّ وجلّ وشارك في الفتوحات فشهد فتوح الشام وكان مرابطًا في إحدى ثغورها ومعه عدة أفراس منها فرس اشتراه لعشرة آلاف درهم.

وظلّ هناك حتى استعمله عمر على قضاء الكوفة، فكان أول من قضى بها وهناك نشر علمه وحدّث بأحاديث رسول الله ﷺ[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٥٢)، ومسلم (١٨٧٣/٩٨) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (١٨٨٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٤٢).

(٣) أخرجه أحمد ٢٧٦/٤، رقم ١٩٣٦٢، وقال محققو المسند: هذا إسناد حسن ١٠٦/٣٢، ١٠٧.

(٤) الطبقات الكبرى، ابن سعد، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا (٣٤/٤) والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٥٦٤، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٢٦/٤) والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٩٠٥، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (١٥٢/٥) والتهذيب (٩١/٣).

غريب الألفاظ:

الـمَغْنَم: هـو مـا أصـيب مـن أمـوال أهـل الحـرب، وأوْجـف عليـه المسلمون بالخيـل والركـاب[١].

الشرح الأدبي

هذه رواية أخرى للحديث السابق وهى عن عروة البارقي. . وفيها زيادة وهى قوله "الأجر والمغنم" وزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى ولراوي الحديث الأعلى صلة قوية بموضوع الحديث فهو خبير بالخيل. . ويعرف فضلها. . ومواطن الخير فيها، فقد كان مرابطاً معه عده أفراس مربوطة للجهاد في سبيل الله منها فرس اشتراه بعشرة آلاف درهم، وقال شبيب بن عرقد: قد رأيت في دار عروة سبعين فرساً مربوطة للجهاد في سبيل الله تعالى " وقوله: الأجر والمغنم: تفصيل لبعض دلالات الخير وتوضيح للمراد والثواب في الآجل والعاجل، فالأجر: أي الثواب المرتب على ربطها: وهو خير آجل، والمغنم الذي يكتسبه المجاهد من مال الأعداء وهو خير عاجل والموقع الإعرابي لكلمتي: الأجر والمغنم، يفصح عن دلالة هاتين الكلمتين وعلاقتهما بالخير فهما اشعاعان يصدران عن فضاء الخير المتوهج بشموس العطاء الإلهي وأنوار التأييد الرباني، والكلمتان بدل من الخير أو عطف بيان وفى الحديث صورة بيانية ذات أثر بالغ في الترغيب والتشويق فقول الحبيب كما يقول صاحب دليل الفالحين يحتمل أن يكون الخير المبشر بالأجر والغنيمة استعاره لظهوره وملازمته وخص الناصية لرفعة قدرها: فكأنه شبهه لظهوره بشيء محسوس معقود على مكان مرتفع فنسب الخير إلى لازم المشبه به وذكر الناصية تجريد للاستعارة ومما يؤكد بركة الخيل رواية جابر التي رواها: أحمد حيث يقول ((الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة وأهلها معانون عليها فامسحوا بنواصيها وادعوا لها بالبركة وقلدوها ولا تقلدوها الأوتار))[٢].

المضامين الدعوية[٣]

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (غ ن م).

(٢) مسند الإمام أحمد الحديث رقم (١٤٧٩١).

(٣) تقدم ذكرها مدمجة في مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٣٣٢)

١٣٣٢- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ((مَنْ احْتَبَسَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللهِ، إيمَانًا بِاللهِ، وَتَصْدِيقًا بِوَعْدِهِ، فَإنَّ شِبَعَهُ، وَرِيَّهُ وروْثَهُ، وَبَوْلَهُ في مِيزَانِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ)) رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

احتبس فرسًا: وقفه على الغزاة يركبونه في الجهاد[2].

شِبعه: قدر ما يشبع به[3].

رِيَّه: شُربه وشَبَعه[4].

وروثه وبوله: يريد ثواب ذلك لا الأرواث بعينها[5]، والرَّوث: رجيع ذات الحافِر[6]. أي: ما خرج من دبرها.

الشرح الأدبي

هذا وعد نبوي صادق لكل من يستعد لملاقاة العدو، ويعد العدة والعتاد.. من سلاح وخيل وزاد والحديث كله يصاغ في جمله شرطيه واحدة مكونة من أداة الشرط وجمله فعل الشرط وجمله جواب الشرط وهذه الصياغة تتفق مع مضمون الحديث الذي يتضمن الوعد بالجنة... مكافأة لكل من اقتنى الخيل وغذاها وتعهدها بالرعاية

---

(١) برقم (٢٨٥٣). أورده المنذري في ترغيبه (١٨٧٢).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ب س).

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٨/٦، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ش ب ع).

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ر و ي).

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٨/٦.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر و ث).

استعداداً للدفاع عن ثغور الإسلام. ،وأداة الشرط " من " وهى للعاقل. . وفى ذلك إيحاء بأن كل من يقدم على هذا الصنيع ينعم بالرشاد والهداية في ثوب التفكير المتزن والتوازن في كل خطواته، وجمله الشرط تتضمن " الفعل "احتبس" ومتعلقاته وصيغة "افتعل" تدل على المعاناة وبذل الجهد في تربية الخيل وإعدادها "والمراد" احتبسه على نفسه لسد ما عسى أن تحدث ثلمة في ثغر من الثغور ولذلك قيد الاحتباس بقوله في سبيل الله إيمانا بالله وتصديقاً بوعده وقوله: إيمانا وتصديقاً: في موقع المفعول لأجله: فغاية الاحتباس من أجل الإيمان والتصديق بوعد الله ووعده صادق والله لا يخلف الميعاد، وجمله جواب الشرط: فإن شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة: وهذه الجملة اسمية. . وهى تدل على الثبات وفى ذلك إشارة عن طريق الأسلوب إلى أن وعد الله ثابت ودائم ولا يتغير والتأكيد في بداية الجملة يقوى ذلك التفسير فالله لا يخلف الميعاد. . وقال العيني " وروثه يدل: أرد به ذلك الثواب لا أن الأرواث توزن بعينها فأي ترغيب في الجهاد أعظم وأجمل من هذا الترغيب النبوي الصادق البشارة والجميل.

فقه الحديث

قال ابن حجر:

(١- قال المهلب وغيره: في هذا الحديث جواز وقف الخيل للمدافعة عن المسلمين، ويستنبط منه جواز وقف غير الخيل من المنقولات ومن غير المنقولات من باب الأولى[1].

٢- وقوله: "وروثه" فيه أن المرء يؤجر بنية كما يؤجر العامل، وأنه لا بأس بذكر الشيء المستقذر بلفظه للحاجة)[2].

---

(١) وقد خالف في ذلك أبو حنيفة: انظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٢٠/٦، وحاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، علي بن أحمد العدوي ٢٦٤/٢، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٥٢٥/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٦٣/٤، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٦٤/٤٤-١٦٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٧/٦.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على اقتناء الخيل وإعدادها في سبيل الله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الإنفاق في إعداد عدة الجهاد.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: الحث على البذل والإنفاق في سبيل الله.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على اقتناء الخيل وإعدادها في سبيل الله:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: من احتبس فرسًا في سبيل الله إيمانً بالله، وتصديقا بوعده... إلخ الحديث)، قال الطيبي: "قال التوربشتي: والمعنى أنه يحبسه على نفسه لسد ما عسى أن يحدث في ثغر من الثغور من ثلمة. قوله: (إيمانًا) مفعول له أي ربطه خالصًا لله تعالى امتثالاً لأمره. وقوله: (تصديقًا بوعده)، عبارة عن الثواب المرتب على الاحتباس فمن احتبس فكأنه قال: صدقت فيما وعدتني"[1].

وقد أمر المولى عز وجل بإعداد الخيل واقتنائها للجهاد في سبيل الله ولإرهاب أعداء الله، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾[2].

وقد أكد رسول الله ﷺ على أهمية اقتناء الخيل وإعدادها للجهاد في سبيله في كثير من الأحاديث:

قال رسول الله ﷺ: ((الْخَيْلُ ثَلاَثَةٌ: هِيَ لِرَجُلٍ وِزْرٌ . وَهِيَ لِرَجُلٍ سِتْرٌ. وَهِيَ لِرَجُلٍ أَجْرٌ. فَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ وِزْرٌ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا رِيَاءً وَفَخْرًا وَنِوَاءً عَلَى أَهْلِ الإِسْلاَمِ فَهِيَ لَهُ وِزْرٌ. وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ سِتْرٌ. فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ. ثُمَّ لَمْ يَنْسَ حَقَّ اللَّهِ فِي ظُهُورِهَا وَلاَ رِقَابِهَا. فَهِيَ لَهُ سِتْرٌ وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ أَجْرٌ. فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لأَهْلِ الإِسْلاَمِ. فِي مَرْجٍ وَرَوْضَةٍ. فَمَا أَكَلَتْ مِنْ ذَلِكَ الْمَرْجِ أَوِ الرَّوْضَةِ مِنْ شَيْءٍ. إِلاَّ كُتِبَ لَهُ، عَدَدَ مَا أَكَلَتْ، حَسَنَاتٌ، وَكُتِبَ لَهُ، عَدَدَ أَرْوَاثِهَا وَأَبْوَالِهَا، حَسَنَاتٌ. وَلاَ تَقْطَعُ طِوَلَهَا فَاسْتَنَّتْ

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٣١٧/٧.

(٢) سورة الأنفال آية: ٦٠.

شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ إلاَّ كَتَبَ اللّهُ لَهُ، عَدَدَ آثَارِهَا وَأَرْوَاثِهَا، حَسَنَاتٍ. وَلاَ مَرَّ بِهَا صَاحِبُهَا عَلَى نَهْرٍ فَشَرِبَتْ مِنْهُ وَلاَ يُرِيدُ أَنْ يَسْقِيَهَا، إلاَّ كَتَبَ اللّهُ لَهُ، عَدَدَ مَا شَرِبَتْ، حَسَنَاتٍ))[1].

وقال ﷺ: ((إذَا أَرَدْتَ أَنْ تَغْزُوَ، فاشْتَرِ فَرَسًا أَدْهَمَ أَغَرَّ مُحَجَّلاً مُطْلَقَ اليُمْنَى، فإنَّكَ تَغْنَمُ وتَسْلَمُ))[2].

فالخيل كانت في الزمن القديم آلة الجهاد، وهي بمثابة أسرع المركبات العسكرية في عصرنا، ولذلك جاء الحث على اقتنائها بنحو قوله ﷺ: ((الخيلُ مَعْقُودٌ في نواصِيهَا الخَيْرُ إلَى يَوْمِ القِيامَةِ))[3]، ولم تجب الزكاة فيها، تشجيعًا على اقتناءها، ففي الحديث عن رسول الله ﷺ: ((ليسَ على المسلمِ صدقةٌ في عبدِهِ ولا في فرَسِهِ))[4]، وكره أكل لحمها، لأنها لو تسلط الناس عليها لأثر ذلك في كفاءة الجيوش، وجعل لها في الغنمية استحقاقًا هو ضعف استحقاق المقاتل وكره إنزاء الحمير على الخيل لإنتاج البغال؛ ولأن الخيل أجدى في الحرب من البغال، لأن البغال تصلح للحمل، أما الخيل فإنها للكر والفر، فقد أهديت لرسول الله ﷺ بغلة، فركبها، فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لو حملنا الحمير على الخيل لكانت لنا مثل هذه، فقال رسول الله ﷺ: ((إنَّمَا يَفْعَلُ ذلِكَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ))[5]"[6].

أي لا يعلمون قيمة الخيل وفضلها أو الذين لا يعلمون أثر المزج بين الأنواع على انقراض الجميع في النهاية.

ثانيًا - فضل الإنفاق في إعداد عدة الجهاد:

يستنبط ذلك من عموم الحديث، حيث ذكر رسول الله ﷺ: (أن من احتبس

---

(١) أخرجه البخاري ٤٩٦٢، ٧٣٥٦، ومسلم ٩٨٧ واللفظ له.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٩٢/٢، رقم ٢٥٠٤، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٣) أخرجه البخاري ٢٨٤٩، ٣٦٤٤، ومسلم ١٨٧١.

(٤) أخرجه البخاري ١٤٦٣، ١٤٦٤.

(٥) أخرجه ابو داود ٢٥٦٥، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٢٢٣٦).

(٦) الموسوعة الفقهية الميسرة، د. محمد رواس قلعه جي ٨٤٥/١.

فرسًا في سبيل الله إيمانًا بالله وتصديقًا بوعده فإن شبعه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة).

وفضل الله على المنفقين لأموالهم في سبيل الله كبير، قال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[1].

قال ابن كثير: "أي: مهما أنفقتم في الجهاد فإنه يوفى إليكم على التمام والكمال"[2].

وقال ﷺ: ((لِلْغَازِي أجْرُهُ، وَلِلْجَاعِلِ أجْرُهُ وَأجْرُ الْغَازِي))[3].

أي: "له ثواب ما بذل من المال (وأجر الغازي)، أي: مثل أجره لإعانته على القتال"[4].

فيكون المنفق حصل على الأجر مرتين: الإنفاق وعلى أجر الغزو، وهذا يدل على فضل الله على المنفقين في سبيله.

والجهاد بالمال يتحقق بإحدى حالتين في الغالب:

الحالة الأولى: أن يجاهد المؤمن بنفسه وماله في سبيل الله فيقوم بشراء السلاح وشراء ما يحتاجه من زاد وراحلة ونحوه ويخرج بنفسه معتمدًا على ماله في النفقة وإعداد العدة وهذا ما أكده القرآن وأمر به في كثير من الآيات ومنها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[5].

الحالة الثانية: أن يجاهد بماله دون نفسه في سبيل الله ويكون الجهاد بالمال

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤/ ٨٣.

(٣) أخرجه أبو داود ٢٥٢٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٢٢٠٣).

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١٩٧.

(٥) سورة الصف، الآيتان: ١٠ - ١١.

مسقطًا عن صاحبه لفريضة الجهاد بالنفس عند عدم القدرة على الجهاد بالنفس لمرض أو عذر مانع ولتحقيق مثل أجر المجاهد إذا قام المجهز بإعطاء المجاهد جميع التكاليف من نفقة وتجهيزات بل قد يكون الجهاد بالمال بتجهيز الغزاة في بعض الأماكن والأزمان في حق بعض الأشخاص أولى من الجهاد بالنفس، وذلك مثل أن يوجد شباب لهم خبرة وتدريب ومعرفة بالمسالك والدروب وليس معهم ما يتجهزون به للجهاد، ويكون صاحب المال له قدرة على الإنفاق في سبيل الله، وخبرة بطرق تنمية المال وليس له معرفة بأمور الجهاد في سبيل الله، فجهاده بالمال بتجهيز من ذكرنا أولى وأنفع للأمة من جهاده بنفسه بمفرده.

إن كثيرًا من البلدان الإسلامية في هذه الأيام أحوج ما يكون للمال لتجهيز المجاهدين للدفاع عن النفس والعرض والدين وما يجب الدفاع عنه عمومًا.

إنه يجب على أصحاب الأموال والقادرين على الإنفاق، تجهيز من يقدرون على تجهيزه، بما يستطيعون من عتاد وتأهيل وتدريب ووقف أرصدة مالية لمن يرونه أهلاً للجهاد في سبيل الله في أي بقعة من بقاع الأرض، ويكون الواجب أشد وجوبًا وأعظم أجرًا في الإنفاق لإعانة وتجهيز المدافعين عن أنفسهم ودينهم وأهليهم أمام قوات الاحتلال الغاصبين.

إن الفرض الواجب على القادرين على الجهاد في سبيل الله لا يسقط إلا على من قام بالجهاد بنفسه وماله أو بتجهيز غيره للجهاد تجهيزًا كاملاً من ماله الحلال ابتغاء مرضاة الله ودون أي مقابل أو عرض من عرض الدنيا كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٍ تُجۡزَىٰٓ ۝ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾[1].

ثالثًا – من أهداف الدعوة: الحث على البذل والإنفاق في سبيل الله:

يستنبط ذلك من عموم الحديث حيث إن النبي الكريم ﷺ يحث على البذل والإنفاق على احتباس الخيل في سبيل الله ليكون ذلك سببًا في الحصول على ثواب الله

(١) سورة الليل، الآيتان: ١٩ – ٢٠.

ورضوانه.

قال ابن حجر: (قال المهلب وغيره: وفي الحديث جواز وقف الخيل للمدافعة عن المسلمين، ويستنبط منه جواز وقف غير الخيل من المنقولات ومن غير المنقولات من باب أولى.

وقال ابن أبي جمرة: "يستفاد من هذا الحديث أن هذه الحسنات تقبل من صاحبها لتنصيص الشارع على أنها في ميزانه بخلاف غيرها فقد لا تقبل فلا تدخل الميزان"[١].

والإنفاق والبذل في سبيل الله يترتب عليهما رضوان الله، لأن الجهاد جزء أصيل لا يتجزأ عن طبيعة هذا الدين، والدين الذي ليس فيه جهاد لا يستطيع أن يثبت فوق أي أرض، ولا أن تستوي شجرته على سوقها، وأصالة الجهاد - التي هي من صميم هذا الدين ولها وزنها في ميزان رب العالمين - ليست ملابسة طارئة من ملابسات تلك الفترة التي تنزل فيها القرآن، وإنما هو ضرورة مصاحبة لهذه القافلة التي يوجهها هذا الدين فينبغي البذل والإنفاق في سبيل الله لإقامة دين الله وحفظه من الأعداء واعتدائهم على أهله[٢].

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٨/٦.

(٢) انظر: فرسان النهار من الصحابة الأخيار، د. سيد العفاني ٢٣/١.

الحديث رقم (١٣٣٣)

١٣٣٣ - وعن أبي مسعود رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ - (إِلَى النبيِّ ﷺ) [١] - بِنَاقَةٍ مَخْطُومَةٍ فَقَالَ: هذِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: **((لَكَ بِهَا يَوْمَ القِيَامَةِ سَبْعُمائَةِ نَاقَةٍ كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ))** رواه مسلم[٢].

ترجمة الراوي:

أبو مسعود البدري الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١٠).

غريب الألفاظ:

مَخْطَومة: من الخطام، وخطام البعير أن يؤخذ حبل فيجعل في أحد طرفيه حلقة، ثم يشد فيه الطرف الآخر حتى يصير كالحلقة، ثم يقاد به البعير. والمعنى ناقة مخطومة أي مربوطة مشدودة[٣].

الشرح الأدبي

هذا الحوار بين رسول الله ﷺ وأحد الصحابة الذين أخلصوا النية وأعدوا العدة وهذا الرجل: احتبس ناقة في سبيل الله إيمانا بالله وتصديقاً بوعده ووصف الناقة بأنها مخطومة: أي في رأسها الخطام فهي ناقة زوراء. يشارك بها في الدفاع عن دين الله عز وجل والخطم في الدابة: مقدم الأنف والفم واسم الإشارة في قول الرجل: هذه في سبيل الله يوحى بإخلاص النية واحتباسه الكامل لهذه الناقة في سبيل الله حيث لم يقل هذه ناقتي ولم يقل خذ ناقتي وإنما قال: هذه: ثم أكمل الجملة وتتم المعنى بقوله: في سبيل الله، وتجيء مقولة رسول الله له مبشرة واعدة بأوفى وعد وبالجزاء المضاعف إلى سبعمائة ضعف ولنتأمل التقديم والتأخير في قول رسول الله: لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة حيث قدم خطابه للرجل، مقروناً بلام الملكية وهذا التقديم يفيد النصر وفى ذلك

---

(١) هذا التفسير من المؤلف، وليس عند مسلم.

(٢) برقم (١٨٩٢/١٣٢).

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ ط م).

اطمئنان للرجل. . وترغيب في الإنفاق، وحث لغيرة على أن يحذو حذوه، والتقديم في قوله كلها مخطومة. . يفيد الاستقصاء والتأكيد على الثواب والخطام: هو الحبل الذي يقاد به البعير، وهو ترغيب يفتح القلوب على مصراعيها للبذل والعطاء استثمارا عند الله في الباقيات الصالحات.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﷺ على البذل في سبيل الله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: مضاعفة الله تعالى لأجر المنفقين في سبيله إلى سبعمائة ضعف.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﷺ على البذل في سبيل الله:

يظهر ذلك في قول أبي مسعود ﷺ: جاء رجل إلى النبي ﷺ بناقة مخطومة فقال: هذه في سبيل الله.

لقد كان الصحابة ﷺ يتسابقون في الإنفاق والبذل في سبيل الله. فعندما حثّ رسول الله ﷺ على الإنفاق في تبوك تصدق عمر بن الخطاب ﷺ بنصف ماله، وظنّ أنه سيسبق أبا بكر ﷺ بذلك ولكن وجده أنفق كل ماله في سبيل الله.

قال عمر بن الخطاب ﷺ في ذلك: أَمَرَنَا رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم يَوْمًا أَنْ نَتَصَدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ مَالاً عِنْدِي، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فقال رَسُولُ الله ﷺ: ((ما أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟)) فَقُلْتُ مِثْلَهُ. قال: وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ بكلِّ ما عِنْدَهُ، فقال لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: ((مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟)) قال: أَبْقَيْتُ لَهُمُ الله وَرَسُولَهُ. قُلْتُ: لا أُسَابِقُكَ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا[1].

إن أجر البذل والإنفاق في سبيل الله عظيم عند الله. قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[2].

---

(١) اخرجه ابو داود ١٦٧٨، وحسنه الألباني، (صحيح سنن ابي داود ١٤٧٢).

(٢) سورة التوبة، آية: ١٠٤.

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: (ما تصدق رجل بصدقة إلا وقعت في يد الله قبل أن تقع في يد السائل وهو يضعها في يد السائل)[١]. وقد فهم الصحابة رضي الله عنهم هذا المعنى وعملوا بمقتضاه، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لَمَّا نزلَتْ هَـذِهِ الآيَةُ: ﴿لَنْ تَنَالوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[٢]. قَالَ أَبُو طَلْحَةَ أَرَى رَبَّنا يَسْأَلُنَا مِنْ أَمْوَالِنَا، فَأُشْهِدُكَ يَا رَسُولَ اللّهِ، أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ أَرْضِي، ببريحا لِلّهِ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: ((اجْعَلْهَا فِي قَرَابَتِكَ قَالَ: فَجَعَلَهَا فِي حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ))[٣].

وكان أغنياء الصحابة رضي الله عنهم وفقراؤهم يشاركون في الإنفاق في سبيل الله بل إن إنفاق الفقراء أفضل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاءَ رجلٌ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال: يا رسول اللهِ أيُّ الصدقةِ أعظمُ أجرًا؟ قال: ((أن تَصَدَّقَ وأنتَ صَحيحٌ شَحيحٌ تَخشى الفَقْرَ وتأمُلُ الغِنى، ولا تُمْهِلُ حتى إذا بلغت الحُلْقُومَ قلتَ: لفُلانٍ كذا ولفلانٍ كذا، وقد كان لفلان))[٤].

وكما كان الصحابة رضي الله عنهم ينفقون في سبيل الله، كذلك كانت الصحابيات - رضي الله عنهن - أكثر من يتصدق في عصر النبوة، وكانت أم المؤمنين زينب بنت خزيمة رضي الله عنها تعمل بيدها فتتصدق به، وكن يتصدقن من مال أزواجهن بعد استئذان الأزواج، وقد سجل التاريخ مواقف رائعة في الإنفاق في سبيل الله[٥].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: مضاعفة الله تعالى لأجر المنفقين في سبيله إلى سبعمائة ضعف:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ لمن جعل الناقة في سبيل الله: (لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة مخطومة)، ومضاعفة الأجر للمنفقين في سبيل الله إلى سبعمائة ضعف واضح في قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢١٩/٧.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٩٢.

(٣) أخرجه مسلم ٩٩٨.

(٤) أخرجه البخاري ١٤١٩.

(٥) انظر: التربية الروحية والاجتماعية، د. أكرم ضياء العمري ص ٢٠٨ - ٢١٠.

سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[١].

قال ابن كثير: "هذا مثل ضربه الله تعالى لتضعيف الثواب لمن أنفق في سبيله وابتغاء مرضاته، أن الحسنة تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف.

وهذا المثل أبلغ في النفوس، من ذكر عدد السبعمائة، فإن هذا فيه إشارة إلى أن الأعمال الصالحة ينميها الله عز وجل لأصحابها، كما ينمي الزرع لمن بذره في الأرض الطيبة، وقد وردت السنة بتضعيف الحسنة إلى سبعمائة ضعف"[٢].

قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ أنْفَقَ نَفَقَةً في سبيلِ الله كُتِبَتْ لَهُ بسَبْعَمَائةِ ضِعْفٍ))[٣].

أي: من صرف نفقة صغيرة أو كبيرة كتبت له سبعمائة ضعف، أي: مثل، وهذا أقل الموعود، والله يضاعف لمن يشاء، قال المناوي: (أخذ منهم بعضهم أن هذا نهاية التضعيف، ورُدَّ بآية: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾[٤])[٥].

ثالثًا – من أساليب الدعوة: الترغيب:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة)، حيث رغّب رسول الله ﷺ في الإنفاق والبذل في سبيل الله وبين ثواب ذلك مضاعف بسبعمائة ضعف يوم القيامة.

والأصل في الترغيب: أن يكون في نيل رضا الله سبحانه وتعالى في الدنيا والآخرة وكسب ثوابه في الآخرة والفوز فيها [٦]، وهو ما فعله رسول الله ﷺ من الترغيب في النفقة في سبيل الله.

"ومعلوم أن الإنسان في هذه الحياة – دار الاختبار والامتحان – تحيط به صوارف

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٦١.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦٩١/١.

(٣) أخرجه الترمذي ١٦٢٥، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ١٣٢٦).

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٦١

(٥) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٤٥٩/٢.

(٦) انظر: الدعوة إلى الله، د. توفيق الواعي ص ٢٠٢.

كثيرة جدًا خاصة في هذا العصر، والتي تؤثر على قيامه بما كلف به من أمر الدين وفي نفس الوقت جبلت نفسه على حب الخير والسعي في الحصول عليه وكره الشر والرغبة في البعد عنه، فالإنسان يحب نفسه ويتوق إلى حمايتها من كل الشرور العاجلة والآجلة، لهذا فإن أسلوب الترغيب فيما عند الله من أجر عظيم لعبده الذي أطاعه واتقاه محبب إلى النفس البشرية تهفو إليه وتسعد به وتتصت له"[١].

---

(١) قواعد الدعوة الإسلامية د. الشريف حمدان الهجاري ص ٤٤٠.

الحديث رقم (١٣٣٤)

١٣٣٤-وعن أَبي حمادٍ -ويقال: أَبُو سعاد، ويقال: أَبُو أسدٍ، ويقال: أَبُو عامِرٍ، ويقال: أَبُو عمرو، ويقال: أَبُو الأسود، ويقال: أَبُو عبسٍ- عُقبة بن عامِرٍ الجُهَنيِّ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى المِنْبَرِ، يقول: ((﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾، **أَلاَ إنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلاَ إنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلاَ إنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ**)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عقبة بن عامر الجهني: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠١٥).

الشرح الأدبي

هذا الحديث قبس متوهج من خطبة نبوية كريمة يحث فيها الرسول ﷺ أصحابة على الجهاد. . والحديث فيه اقتباس من القرآن الكريم حيث تلا النبي ﷺ في خطبته هذه الآية من سورة الأنفال. وهى في سياق قصة غزوة بدر حيث قصد المسلمون الكفار بلا آلة و لا عدة فأمرهم الله أن لا يعودوا لمثل ذلك، وأن يعدوا للكفار ما يمكنهم من آلة وعدة، وقوة، وفعل الأمر هنا للوجوب ويدل على الاستعداد للجهاد بالنبل والسلاح وتعليم الفروسية والرمي فريضة إلا أنه من فروض الكفايات والقوة لها عموميتها. . والمراد كل ما يتقوى به على وجوب العدو وكل ما هو آله للغزو والجهاد فهو من جمله القوة كما يقول: الرازي في مفاتيح الغيب، ولنتأمل القوة في هذا الجمل الثلاث. . وهى جمله واحدة متكررة لتأكد المعنى لترسيخ مفهوم ثقافة القوة في وجدان المسلمين في كل العصور، " ألا إن القوة الرمي " و الجملة تبدأ بألا " وهى للحض والاستعداد وتتكرر ثلاث مرات ثم يجيء التأكيد بأن متكرراً وهى للحض والاستعداد وتتكرر ثلاث مرات ثم يجيء التأكيد بإن متكرراً ثلاث مرات " إن القوة الرمي " والمراد أن الرمي أعظم أنواع القوة في العدد وأنفعها في الحرب ولا ينفى هذا

(١) برقم (١٩١٧/١٦٧). أورده المنذري في ترغيبه (١٩٢٠).

كون غير الرمي لأن المسلم مطالب بأن يواكب كل تطور في صناعة آلات الدفاع، ووسائل الحرب في كل عصر وفى العصر الحديث على المسلمين أن يستكملوا معالم القوة المادية والمعنوية، وحتى الاقتصادية لأنها صارت في عصرنا من أسلحة السيطرة، لأن المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف " ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ".

فقه الحديث

١ - حثّ النبي ﷺ أصحابه على الرمي وحضّهم على مواصلة التدرب عليه وحذّر من تعلّم الرمي وتركه، كما في أحاديث الباب[١]، قال النووي: (في هذه الأحاديث فضيلة الرمي والمناضلة والاعتناء بذلك بنية الجهاد في سبيل الله تعالى. وكذلك المشاجعة وسائر أنواع استعمال السلاح وكذا المسابقة بالخيل وغيرها. والمراد بهذا كله التمرن على القتال والتدرب والتحذق فيه ورياضة الأعداء بذلك[٢].

وقال أبو عبدالله القرطبي: (فضل الرمي عظيم ومنفعته عظيمة للمسلمين ونكايته شديدة على الكافرين، قال رسول الله ﷺ: "يا بني إسماعيل ارموا فإن أباكم كان راميًا" وتعلّم الفروسية واستعمال الأسلحة فرض كفاية وقد يتعين)[٣].

٢ - المناضلة: المناضلة هي المسابقة في الرمي بالسهام، وتصح المناضلة على الرمي بالسهام بالاتفاق[٤].

وأجاز الشافعية المناضلة - بجانب ما تقدم - على رماح وعلى رمي بأحجار بمقلاع

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٦٨/٢٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، ٥٦/١٣/٧ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٥٧/١٠ .

(٤) رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٢٥٧/٥، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٠٦/٦، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤١٦/١٣ وما بعدها ، والإقناع ٢٤٧/٢، وجواهر الإكليل ٢٧١/١ (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٧٠/٢٣).

أو بيد ورمي بمنجنيق وكل نافع في الحرب بما يشبه ذلك كالرمي بالمسلات والإبر، والتردد بالسيوف والرماح.

وقد تجب المناضلة إذا تعينت طريقًا لقتال الكفار، وقد يكره أو يحرم - حسب اختلاف المذاهب - إذا كان سببًا في قتال قريب كافر لم يسبّ الله ورسوله. وبذلك تعتري المناضلة الأحكام التكليفية الخمسة[1].

٣ - قال النووي: (قوله ﷺ "من علم الرمي ثم تركه فليس منا أو قد عصى" هذا تشديد عظيم في نسيان الرمي بعد علمه وهو مكروه كراهة شديدة لمن تركه بلا عذر)[2].

٤ - وقال ابن حجر عن حديث سلمة بن الأكواع رضي الله عنه مرفوعًا: "ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميًا" قال: (فيه أن الجد الأعلى يسمّى أبًا، وفيه التنويه بذكر الماهر في صناعته ببيان فضله، وتطييب قلوب من هم دونه ... وفيه الندب إلى اتباع خصال الآباء المحمودة والعمل بمثلها)[3].

المضامين الدعوية

أولاً: من فقه الداعية: الاستدلال بالقرآن الكريم.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: التكرار والتوكيد.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: أهمية استخدام القوة والإفادة من التقنيات الحديثة في الحرب مع الأعداء.

أولاً - من فقه الداعية: الاستدلال بالقرآن الكريم:

يظهر ذلك في قول عقبة بن عامر الجُهني رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: ("وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة"، ألا إن القوة الرمي...).

---

(١) الإقناع وحاشية الباجوري عليه ٢٤٧/٢، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٥٠/١٦، ١٧٠/٢٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، ٥٦/١٣/٧-٥ .

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩٢/٦.

إن الداعية إلى الله صديق لكتابه الكريم، يألف تلاوته وينتظم في أداء وِرْده، ويستوحش إذا حجزته عنه شواغل طارئة.

والأصل أن يستوعبه كله حفظًا وتجويدًا، فإن قصر عن تلك الدرجة فلن يقصر في المداومة على مطالعته، واستذكار موضع الاستشهاد منه.

إن المعاني العلمية للقرآن الكريم يجب أن تكون جزءًا كبيرًا من حياة الداعية العقلية.. تسبح في فكره كما تسبح الكواكب في أجواء الفضاء، ففي رأسه كل ما يحويه القرآن من معارف يستخدمها في الاستدلال في دعوته.

والداعية الذي يحيا في جو القرآن ينشد للمجتمع حوله أن يحيا هو الآخر فيه، وأن يقيم أوامره ويجتنب نواهيه، وينفذ أحكامه، ويرعى حدوده ويقبل عليه إقبال المعظم لرسالته الموقن بصدقها، الراجي سعادة الدارين من ورائها..

قال الهراوي تحت عنوان: "نحن نبغي القرآن:

إن هذا القرآن يهدي إلى الرشد ... ويدعو لصالح الإنسان
نحن نبغي القرآن علمًا وفهمًا ... يخلقان الكمال في الشبان
نحن نبغي القرآن لفظًا ومعنى ... فهو صقل الحجا وصقل اللسان
نحن نبغي القرآن دينًا ودنيا ... يتجلى هديه الحسنيان
نحن نبغي القرآن في مهد الدّر ... س وفي كل منزل ومكان

والقرآن كله نماذج يتخير منها الداعية ما يناسب مقتضى الحال"[1].

قال د. القرضاوي: "ومما ينبغي للداعية أن يتحراه ويحرص عليه ويحكمه: حسن الاستدلال بالقرآن وآياته على ما يريد تقريره أو تثبيته من أحكام وتعاليم وأفكار. فإنه إذا أحسن الاستدلال بالنص القرآني، ووضعه في موضعه، أزاح كل شبهة، وقطع كل تعلة، وأخرس كل معارض، فلا دليل بعد القرآن، ولا حديث بعد كلام الله ﴿وَمَنْ

(١) انظر: مع الله، الشيخ محمد الغزالي ص ٤٣١ - ٤٣٢.

أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾[١]! ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾[٢]. ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[٣].

ولهذا لا يملك المؤمنون أمام الدليل القرآني الصريح إلا أن يقولوا: آمنا وصدقنا. أو: سمعنا وأطعنا كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا ﴾[٤].

قد أدخل رجل على المأمون كان يمشي في الناس فيأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، دون أن يكون مأمورًا من قِبَل الخليفة، فقال له المأمون: لم تأمر وتنهى وقد جعل الله ذلك إلينا، ونحن الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[٥]، فقال الرجل: صدقت يا أمير المؤمنين، أنت كما وصفت نفسك من السلطان والتمكن غير أنا أولياؤك وأعوانك فيه - ولا ينكر ذلك إلا من جهل كتاب الله وسنة رسوله ﷺ قال الله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[٦]، وقال رسول الله ﷺ: ((الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا))[٧]. فأعجب المأمون بكلامه، وسر به وقال: "مثلك يجوز أن يأمر بالمعروف، فامض على ما كنت عليه بأمرنا وعن رأينا.

---

(١) سورة النساء، آية: ٨٧.

(٢) سورة النساء، آية: ١٢٢.

(٣) سورة المائدة، آية: ٥٠.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٣٦.

(٥) سورة الحج، آية: ٤١.

(٦) سورة التوبة، آية: ٧١.

(٧) أخرجه البخاري ٤٨١ ٢٤٤٦، ٦٠٢٦، ومسلم ٢٥٨٥.

وهكذا حين أحسن الرجل الاستشهاد بالقرآن والسنة، انقطعت حجة الخليفة، ولم يجد بدًا من إقرار الرجل على ما هو عليه.

وفي مقابل ذلك، دخل واعظ على المأمون فوعظه، وعنف له في القول. فقال المأمون: يا رجل، ارفق، فإن الله بعث من هو خير منك إلى من هو شر مني، وأمره بالرفق: بعث موسى وهارون إلى فرعون، فأوصاهما بقوله: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[1]، وهنا كان موقف المأمون هو الأقوى، لأن الدليل القرآني معه. ومما يجب على الداعية أن يراعيه في هذا المقام أن يستدل بالمتفق عليه. لا بالمحتمل والمختلف فيه. فإن الدليل الذي يتطرق إليه الاحتمال، يسقط الاستدلال به.

فعند الحديث عن شمول القرآن - مثلاً - يستدل بعض الناس بقوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾[2].

مع أن الكتاب في الآية يحتمل أن يكون هو القرآن، فيكون الاستدلال صحيحًا ويحتمل أن يكون المراد به (اللوح المحفوظ) الذي كتب الله فيه مقادير الخلائق كما في قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾[3]، ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾[4]. وغيرها من الآيات.

والأولى هنا أن يستدل على شمول القرآن بقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[5]، فهي صريحة في الدلالة على المراد.

كما أن على الداعية أن يتجنب الاستدلال بما ليس بدليل.

---

(١) سورة طه، آية: ٤٤.

(٢) سورة الأنعام، آية: ٣٨.

(٣) سورة يس، آية: ١٢.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٦.

(٥) سورة النحل، آية: ٨٩.

مثال ذلك: أن بعض الناس يستدلون على أن من ثمار تقوى الله أن يعلمه ما لم يكن يعلم - بقوله تعالى في ختام آية من سورة البقرة: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾[1].

والحق أن الآية لا تدل على هذه الدعوى، لأنها ليست أمرًا وجوابًا فإنما كان يصح ذلك لو كان لفظها: (واتقوا الله يعلمكم الله)، أما الآية أو هذه الفقرة منها - فإنها تتضمن أمرًا بتقوى الله، كما هي سنة القرآن حين يقرن الأوامر والنواهي بالتقوى. ثم بعد ذلك قال: (ويعلمكم الله) أي هذه الأوامر والأحكام، كما قال في آية أخرى: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ﴾[2].

أما الاستدلال على الدعوى المذكورة فيمكن بقوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾[3]. أي نورًا تفرقون به بين الحق والباطل.

ومثلها قوله في سورة الحديد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾[4].

بل يمكن أن يستدل بعموم قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾[5]، لأنه يشمل المخرج من الشبهات والمتشابهات"[6].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: التكرار والتوكيد:

يظهر ذلك من قول رسول الله ﷺ: (ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي)، حيث كرر وأكد ﷺ أن القوة الرمي، والتأكيد من أهم الوسائل

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٨٢.

(٢) سورة النساء، آية: ١٧٦.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٢٩.

(٤) سورة الحديد، آية: ٢٨.

(٥) سورة الطلاق، آية: ٢.

(٦) ثقافة الداعية، د. يوسف القرضاوي ص ٣٠ - ٣٢.

في تثبيت المعنى في القلوب، وبثه في النفوس، وحملها على التصديق والإيمان به، لا يكون التأكيد ذا نفوذ حقيقي، إلا إذا دام تكراره ما أمكن، والأمر إذا ما أكد انتهى بالتكرار إلى الرسوخ في النفس على أنه حقيقة ثابتة"(١).

ولا شك في أن التأكيد والتكرار لهما أثر كبير في النفوس. وهذا شيء هديت إليه فطرة الإنسان فلجأ إلى تأكيد كلامه للسامع وتكرار ما يريد نقله إليه، لما رأى أثر ذلك في تثبيت المعاني وتأكيد الأفكار لديه"(٢).

والأمر إذا كرر لم يلبث في الحقيقة أن يستقر في مناطق اللاشعور العميقة، حيث تتضج عوامل سيرنا، ونحن إذا ننسى مصدر الزعم المكرر بعد انقضاء بعض الزمن، لا نلبث أن نؤمن به. وبهذا نفسر قوة الإعلام العجيبة(٣).

والقرآن الكريم سبق السنة النبوية في استخدام التكرار والتوكيد وسيلة لتثبيت المعنى في نفوس قارئيه وإقراره في أفئدتهم، حتى يصبح عقيدة من عقائدهم، وقد يكرر القرآن الجملة المؤكدة عدة مرات بألفاظها نفسها، علمًا منه بما لذلك من أثر في النفس(٤).

وقد استخدم الرسول ﷺ التوكيد والتكرار وسيلة تربوية، تجعل من الأمر المكرر عند المرء عادة مستحكمة راسخة في أعماق قلبه ونفسه.

فبالتكرار يمكن التأثير على كثير من النفوس التي لا تأخذ بالتوجيه لأول وهلة للتفاوت في مدارك البشر وأمزجتهم(٥).

ومن عادته ﷺ التكرار للأمور المهمة ثلاث مرات أو أكثر تأكيدًا لينبه السامع

---

(١) أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجًا، د. عبدالغني محمد سعيد بركة ص ٣٤، وروح الجماعات، لجوستاف ص ١١٥.

(٢) أسلوب الدعوة القرآنية، د. عبدالغني محمد بركة ص ٣٤.

(٣) روح الجماعات، لجوستاف ليبون ص ١١٥.

(٤) من بلاغة القرآن، د. أحمد بدوي ص ١٤٣ - ١٤٤.

(٥) أنظر: سيكولوجية القصة في القرآن، د. التهامي نفرة، رسالة دكتوراه، الشركة التونسية للتوزيع: ١٩٧١م، ص ١٢٨ بتصرف.

على إحضار قلبه وفهمه للخير الذي يذكره[١].

ومن أمثلة التكرار والتأكيد عنده ﷺ:

١/ ما رواه البخاري ومسلم عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((ألا أُنبِّئكم بأكبرِ الكبائر؟)) قلنا: بلىٰ يا رسولَ الله. قال ثلاثًا: ((الإشراك بالله، وعُقوق الوالِدَين. وكان متَّكِئًا فجلسَ فقال: ألا وقولُ الزُّور. وشهادةُ الزور. ألا وقولُ الزور. وشهادةُ الزور))، فما زال يقولها حتى قلنا: ليته سَكَت[٢].

٢/ وروى البخاري عن أبي شريح أن النبي ﷺ قال: ((واللّهِ لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن)). قيل: ومَن يا رسولَ الله؟ قال: ((الذي لا يأمنُ جارهُ بوائقَه))[٣].

٣/ وما رواه البخاري ومسلم عن أبي بكرة أيضًا قال: أثنى رجلٌ على رجلٍ عند النبيِّ ﷺ، فقال: ((وَيلَكَ، قطعتَ عُنُقَ صاحِبِكَ مرارًا، قطعتَ عنقَ صاحبكَ)). ثم قال: ((من كان منكم مادحًا أخاهُ لا مَحالَةَ فلْيَقُلْ: أحسب فلانًا. واللّهُ حَسيبُه. ولا أُزكي على اللهِ أحدًا. أحسِبهُ كذا وكذا. إن كان يَعلمُ ذلك منه))[٤].

٤/ وما رواه البخاري عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((اتقوا النار. ثمَّ أعرض وأشاحَ ثم قال: اتقوا النار. ثمَّ أعرض وأشاحَ ثلاثًا حتى ظننا أنه يَنظرُ إليها. ثم قال: اتقوا النارَ ولو بشِقِّ تمرة، فمن لم يَجِدْ فبِكلمةٍ طيِّبة))[٥][٦].

٥/ وما رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: ((كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلاَثًا حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ، وَإِذَا أَتَىٰ عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلاَثًا))[٧].

فأسلوب التكرار من أساليب الدعوة التي توضح الدعوة وتجعل المدعوين يفهمونها

---

(١) انظر: فتح الباري، ابن حجر ١٠/٥٠١.

(٢) أخرجه البخاري ٢٦٥٤، ٥٩٧٦، ٦٢٧٣، ٦٢٧٤، ٦٩١٩، ومسلم ٨٧.

(٣) أخرجه البخاري ٦٠١٦.

(٤) أخرجه البخاري، ٢٦٦٢، ٦١٦٢، ومسلم ٣٠٠٠.

(٥) أخرجه البخاري ٦٥٤٠.

(٦) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني ص ٢٠١ - ٢٠٣.

(٧) أخرجه البخاري ٩٥.

وتزيل ما بأنفسهم من شك وعدم فهم.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: أهمية استخدام القوة والإفادة من التقنيات الحديثة في الحرب مع الأعداء:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (إلا إن القوة الرمي...).

قال القرطبي: "إنما فسر القوة بالرمي، وإن كانت تظهر بإعداد غيره من آلات الحرب، لكون الرمي أشد نكاية في العدو وأسهل مؤونة، لأنه قد يرمي رأس الكتيبة فيصاب فيهزم من خلفه"[١].

قال ابن عاشور في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[٢]، "والإعداد التهيئة والإحضار، ودخل في (ما استطعتم) كل ما يدخل تحت قدرة الناس اتخاذه من العدة.

والخطاب لجماعة المسلمين وولاة الأمر منهم، لأن ما يراد من الجماعة إنما يقوم بتنفيذه ولاة الأمور الذين هم وكلاء الأمة على مصالحها.

والقوة تطلق مجازًا على شدة تأثير شيء ذي أثر، وتطلق أيضًا على سبب شدة التاثير، فقوة الجيش شدة وقعه على العدو وقوته أيضًا سلاحه وعتاده، وهو المراد هنا، فهو مجاز مرسل بواسطتين فاتخاذ السيوف والرماح والأقواس والنبال من القوة في جيوش العصور الماضية، واتخاذ الدبابات والمدافع والطائرات والصواريخ من القوة في جيوش عصرنا.

وبهذا الاعتبار يفسر ما روى مسلم والترمذي عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية على المنبر ثم قال: (ألا إن القوة الرمي، قالها ثلاثًا)، أي أكمل أفراد القوة آلة الرمي، أي: في ذلك العصر وليس المراد حصر القوة في آلة الرمي"[٣].

---

(١) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣/٧٥.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

(٣) انظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ٥/١٠/٥٥.

وقال السعدي في تفسير هذه الآية: "أي: (وأعدوا) لأعدائكم الكفار الساعين في هلاككم، وإبطال دينكم (ما استطعتم من قوة)، أي: كل ما تقدرون عليه من القوة العقلية والبدنية، وأنواع الأسلحة ونحو ذلك، مما يعين على قتالهم، فدخل من ذلك أنواع الصناعات التي تعمل فيها أصناف الأسلحة والآلات من المدافع، والرشاشات، والبنادق والطائرات الجوية، والمراكب البرية والبحرية، والقلاع والخنادق، وآلات الدفاع، والرأي والسياسة التي بها يتقدم المسلمون ويندفع عنه به شر أعدائهم وتعلم الرمي، والشجاعة والتدبير.

ولهذا قال النبي ﷺ: (ألا إن القوة الرمي)، ومن ذلك: الاستعداد بالمراكب المحتاج إليها عند القتال، ولهذا قال تعالى: (ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم)، وهذه العلة موجودة فيها في ذلك الزمان، وهي إرهاب الأعداء، والحكم يدور مع علته. فإذا كان شيء موجودًا أكثر إرهابًا منها، كالسيارات البرية والهوائية المعدة للقتال التي تكون النكاية فيها أشد، كانت مأمورًا بالاستعداد بها، والسعي لتحصيلها، حتى إنها إذا لم توجد إلا بتعلم الصناعة، وجب ذلك، لأن: (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب)"[1].

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٢٨٥ - ٢٨٦.

الحديث رقم (١٣٣٥)

١٣٣٥- وعنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ، يقول: ((سَتُفْتَحُ عَلَيْكُمْ أَرَضُونَ، وَيَكْفِيكُمُ اللهُ، فَلاَ يَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أنْ يَلْهُوَ بِأَسْهُمِهِ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عقبة بن عامر الجهني: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠١٥).

غريب الألفاظ:

يلهو بأسهمه: يلعب بأسهمه، والمعنى: الندب إلى الرمي والتمرن عليه[2].

الشرح الأدبي

هذا الحديث من المبشرات التي تحققت والتي تؤكد سر تفرد الحديث النبوي بعد القرآن الكريم بكثير من أسرار الإعجاز العلمي والبياني والتاريخي ولنتأمل سر بناء الفعل (ستفتح) للمجهول وسر اقترانه بالسين، وتعلق حرف الجر ومجروره به، والسر التعبيري يتمثل في أن هذه الصيغة اللغوية تشير إلى كثرة الفتوحات وكثرة البلاد التي ستدين بالإسلام وتدخل في دين الله أفواجاً بدون قتال ولا حروب بقدرة الله عز وجل وقد حدث ذلك في العصور المتعاقبة وفى العصر الحديث بمشيئة الله عز وجل وإرادته والتعبير بقوله: عليكم " أولى وأنسب لسياق الحديث " لكم " لأن عليكم توحي بالخير والغنائم وكثرة الأرزاق والفتح: هو النتيجة الحتمية للنصر وهو في اللغة ضد الإغلاق ومن معاني الفتح التي توحي بالخير والخصب أن الفتح هو الماء المتحدر إلى الأرض لتسقى به أو هو الماء الجاري على سطح الأرض أو هو " النهر " وفى الحديث ما سقى فتحاً وما سقى بالفتح ففيه العشرة ومادة الفتح وما يشق منها " ذكرت فى ٣٨ " ثمانية

---

(١) برقم (١٩١٨/١٦٨). أورده المنذري في ترغيبه (١٩٣٦).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ل هـ و)، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٢٥، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٤٢٥.

وثلاثين آية في القرآن الكريم ودلالاتها متقاربة فالفتح ضد الإغلاق والفتح بمعنى " الحكم والفتح المراد هو انتشار الإسلام وظهوره بعد نصر الله لجنده في ميادين الجهاد.، والتفكير في قوله " أرضون " يوحى بكثرة الفتوحات التي لا تحدها جهة و لا يؤخرها زمان وإنما هذه الأرضون ستكون في كثير من جهات العالم وقاراته، وقوله: ويكفيكم الله إشارة إلى الراحة من عناء القتال ودخول الناس في الإسلام طواعية في أيام السلم وقال أحد المفسرين في شأن صلح الحديبية سمى ظفر المسلمين فتحاً تعظيماً لشأن المسلمين وأسلوب النفي في العبارة الأخيرة فيه تحذير للمسلمين من نسيان فنون القتال وفى مقدمتها " الرمي " وفيه دعوة للتدريب والاستعداد للدفاع عن الإسلام والتصدي للأعداء المتربصين بالمسلمين وعقيدتهم وديارهم [1] والله اعلم.

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من موضوعات الدعوة: بشارة النبي ﷺ بالفتوحات الإسلامية.

ثانيًا: من أهداف الدعوة: حثّ المسلمين على الأخذ بأسباب القوة والاستعداد في أوقات السلم وعدم الخضوع واللهو.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: أهمية الأخذ بالأسباب وإعداد العدة.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: بشارة النبي ﷺ بالفتوحات الإسلامية:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (ستفتح عليكم أرضون ويكفيكم الله..).

وفي ذلك بشارة من النبي ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم بالفتوحات الإسلامية وهذا معجزات ودلائل نبوته ﷺ، وما أخبر به ﷺ من المغيبات زيادة على ما جاء في الكتاب العزيز فوقع بعد وفاته كما أخبر سواء بسواء والأحاديث في هذا كثيرة[3]، منها:

---

(١) أنظر : التطور الدلالى بين لغة الشعر ولغة القرآن، د. عودة خليل أبو عودة.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٣٣٥- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٣٣٦).

(٣) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٥٤٦/١.

قوله ﷺ: ((تُفْتَحُ الشَّامُ. وَيَخرُجُ مِنَ الْمَدِينَةِ قَوْمٌ بِأَهْلِيهِمْ. يُبِسُّونَ وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ. ثُمَّ تُفْتَحُ الْيَمَنُ. فَيَخْرُجُ مِنَ الْمَدِينَةِ قَوْمٌ بِأَهْلِيهِمْ. يَبِسُّونَ. وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ. ثُمَّ تُفْتَحُ الْعِرَاقُ فَيَخْرُجُ مِنَ الْمَدِينَةِ قَوْمٌ بِأَهْلِيهِمْ. يَبِسُّونَ. وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ))(١).

قال النووي: "قال العلماء: في هذا الحديث معجزات لرسول الله ﷺ؛ لأنه أخبر بفتح هذه الأقاليم، وأن الناس يتحملون بأهليهم إليها ويتركون المدينة، وأن هذه الأقاليم تفتح على هذا الترتيب، ووجد جميع ذلك كذلك بحمد الله وفضله"(٢).

وقال ابن عبدالبر وغيره: "افتتحت اليمن في أيام النبي ﷺ وفي أيام أبي بكر ﵁، وافتتحت الشام بعدها، والعراق بعدها وفي هذا الحديث علم من أعلام النبوة، فقد وقع على وفق ما أخبر به النبي ﷺ وعلى ترتيبه، ووقع تفرق الناس في البلاد لما فيها من السعة والرخاء"(٣).

ومن الأحاديث عن ثوبان ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الأَرْضَ. فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا. وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلكها مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا. وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ. وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لأُمَّتِي أَنْ لاَ يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ. وَأَنْ لاَ يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ. فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ. وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لاَ يُرَدُّ. وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لأُمَّتِكَ أَنْ لاَ أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ. وَأَنْ لاَ أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ. يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ. وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا - أَوْ قَالَ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا - حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا))(٤).

وهكذا وقع فقد عمّ وظهر وغلب وعلا على سائر الأديان، في مشارق الأرض ومغاربها وعلت كلمته في عهد الصحابة ﵃ ومن بعدهم وذلت لهم سائر البلاد ودان

---

(١) أخرجه البخاري ١٨٧٥، ومسلم ١٣٨٨.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٨٦١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٤/١١٠.

(٤) أخرجه مسلم ٢٨٨٩.

لهم جميع أهلها على اختلاف أصنافهم وألوانهم وصار الناس إما مؤمن داخل في الدين، وإما مهادن باذل الطاعة والمال وإما محارب خائف وجل من سطوة الإسلام وأهله [١].

ثانيًا- من أهداف الدعوة: حثّ المسلمين على الأخذ بأسباب القوة والاستعداد في أوقات السلم وعدم الخضوع واللهو:

يظهر ذلك من قوله ﷺ: (فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه)، وقوله ﷺ: (من علم الرمي، ثم تركه فليس منا أو فقد عصى)، وفي ذلك حث للمسلمين على الأخذ بأسباب القوة والاستعداد في أوقات السلم وعدم الخضوع واللهو.

وهو ما يعرف في الحروب الحديثة بالحرب النفسية، وهذا من أخطر الأسلحة التي يمكن أن يستخدمها كل فريق ضد الآخر، والقرآن الكريم أشار إلى أن إعداد العدة المادية والمعنوية فيه إرهاب لأعداء، تمكين للرعب في قلوبهم، وهو هدف من أهداف إزهاق الباطل وإذلاله [٢]، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [٣].

قال القاسمي: "دلت هذه الآية على وجوب إعداد القوة الحربية، إتقاء بأس العدو وهجومه، ولما عمل الأمراء بمقتضى هذه الآية، أيام حضارة الإسلام، كان الإسلام عزيزًا عظيمًا...، وعاش بنوه أحقابًا متتالية وهم سادة الأمم، وقادة وشعوب، وزمام الحول والطول وقطب روحي العز والمجد، لا يستكينون لقوة، ولا يرهبون لسطوة، وأما اليوم، فقد ترك المسلمون العمل بهذه الآية الكريمة ومالوا إلى النعيم والترف وأهملوا فرضًا من فروض الكفاية، فأصبحت جميع الأمة آثمة بترك هذا الغرض، ولذا تعاني اليوم من غصته ما تعاني" [٤].

---

(١) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٥٤٦/١.

(٢) انظر: دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، د. زاهر بن عواض الألمعي ص ٣٧٢.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

(٤) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٨٥/٨/٥.

فالأخذ بأسباب القوة فريضة على المسلمين على اختلاف صنوفها وألوانها، وأسبابها، مادية كانت أو معنوية، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[١]، والخطاب لكافة المسلمين لأن المأمور به وظيفة كافتهم، وتشمل كل ما يطيقونه مما يفيد في الحرب من الوسائل ماديًا كان كالسلاح والإنفاق وتدريب المجاهدين في فنون الحرب، وإتقان استعمال أنواع السلاح المختلفة، لقوله: (ما استطعتم) أو معنويًا كالتصافي، واتفاق الكلمة والثقة بالله وعدم خوض الحرب بغير إذن الإمام، والاختيار لإمارة الجيش من كان ثقة في دينه، والتوصية بتقوى الله، وأخذ البيعة عليهم بالثبات على الجهاد وعدم الفرار، وغير ذلك مما يؤدي إلى القوة البدنية والمعنوية.

فأخذ أسباب القوة بقسميها فرض على المسلمين، بالأمر القرآني: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾، وقد ثبت أن النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم مارسوا كل عمل مشروع متاح لهم في بيئتهم يدل على علو الهمة وكمال الرجولة، ويؤدي إلى قوة الجسم ودفع الكسل والميل إلى الدعة"[٢].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: أهمية الأخذ بالأسباب وإعداد العدة:

ويستنبط ذلك من عموم الحديثين حيث أن نهيه ﷺ عن ترك الرمي، بيان لأهمية إعداد العدة والحفاظ على أسباب النصر، وقد أمر الله تعالى في السعي في الأسباب وإعداد العدة، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾[٣].

قال ابن كثير: "يأمر الله عباده المؤمنين بأخذ الحذر من عدوهم، وهذا يستلزم التأهب لهم بإعداد الأسلحة والعدد، وتكثير العدد بالنفير في سبيله"[٤].

إن الأخذ بالأسباب وإعداد العدة من الأشياء المهمة في تحقيق النصر وإرهاب العدو؛

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٨٤/٣٤، انظر: مراجعها ومصادرها.

(٣) سورة النساء، آية: ٧.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٥٧/٢.

فقد ثبت عن رسول الله ﷺ قوله: ((نُصِرْتُ بالرُّعْب مَسِيرَةَ شَهرٍ))[١].

فالعدة - أي الاستعداد للحرب - فريضة تلازم فريضة الجهاد، فالحرب بلا عدة إلقاء للنفس إلى التهلكة، والعدة للحرب في سبيل إعلاء كلمة الله بأنواعها فرض على المسلمين. قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾[٢]، والخطاب لكافة المسلمين، وقال سبحانه: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[٣]، أي بترك الإنفاق في سبيل الله، والخطاب أيضًا لكافتهم، وعد سبحانه وتعالى: ترك الإنفاق في سبيل الله وعدم الاستعداد للحرب باتخاذ العدة اللازمة للنصر تهلكة للنفس، وتهلكة للجماعة، فالدعوة إلى الجهاد في التوجيهات القرآنية والنبوية تلازمها في الأغلب الأعم دعوة إلى الإنفاق.

جاء في تفسير الماوردي: "(ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) بأن تتركوا النفقة في سبيل الله فتهلكوا، ثم قال: هذا قول ابن عباس، قيل: لا تقحموا أنفسكم في الحرب بغير نكاية في العدو، وقال ابن كثير: التهلكة أن تمسك يدك عن النفقة في سبيل الله.

والعدة بما في الطوق من فروض الكفاية على المسلمين، فإن تركوها أثموا جميعًا، وهي من الأمور المنوطة بالإمام وتلزم عليه، قال الماوردي: من الأمور الواجبة على الإمام: تحصين الثغور بالعدة المانعة، والقوة الدافعة حتى لا يظفر الأعداء بغرة ينتهكون فيها محرمًا، أو يسفكون يها لمسلم أو معاهد دمًا، وعد القرآن ترك العدة للحرب إعلاء لكلمة الله من علامات النفاق، فقال تعالى في شأن المنافقين الذين استأذنوا النبي ﷺ لأعذار واهية في عدم الخروج معه في الجهاد: ﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا

(١) أخرجه البخاري ٣٣٥، ومسلم ٥٢٣.

(٢) سورة الأنفال آية: ٦٠.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٩٥.

يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً﴾[1]"[2].

رابعًا - من أساليب الدعوة: الترهيب:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (من علم الرمي ثم تركه فليس منا أو فقد عصى).

قال النووي: "هذا تشديد عظيم في نسيان الرمي بعد علمه وهو مكروه كراهة شديدة لمن تركه بلا عذر"[3].

إن أسلوب الترهيب من الأساليب ذات الأهمية البالغة في مجال الدعوة إلى الله، وذلك لأن غرس الخوف من غضب الله وعقابه العاجل والآجل في النفوس مطلوب، لكي يحمل النفوس على اتقائه بتجنب ما يسخط الله عز وجل، والقيام بالطاعة التي ينال بها العبد مرضاته[4].

---

(١) سورة التوبة، الآيات: ٤٤ - ٤٦.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٠١/٩ - ٢٠٢، وانظر: مراجعها ومصادرها.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٢٥.

(٤) انظر: معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم، د. عبدالوهاب بن لطف الديلمي، ط١ دار المجتمع، جدة: ١٤٠٦هـ، ٥٤٣/١.

الحديث رقم (١٣٣٦)

١٣٣٦ - وعنه: أنَّه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((مَنْ عُلِّمَ الرَّمْيَ ثُمَّ تَرَكَهُ، فَلَيْسَ مِنَّا، أَوْ: فَقَدْ عَصَى)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عقبة بن عامر الجهني: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠٢١).

الشرح الأدبي

هذا الحديث يدور معناه في فلك الحدثين السابقين ومن دلائل هذا الإتقان في المعنى أن الراوي واحد في الأحاديث الثلاثة والحديث التالي كذلك يتفق في معناه ومقصده. . وهو التأكيد على إتقان فن الرمي كما قال رسول الله صلى الله علية وسلم " ألا إن القوة الرمي " وصياغة الحديث اللغوية تكشف عن أسرار ودلالات كثيرة في سياق المراد من الحديث فالحديث كله جمله شرطية واحدة وهو بمثابة قاعدة إسلامية يرسيها رسول الله صلى الله علية وسلم في كل عصر وفى كل مكان وأداة الشرط " من " وهى للعاقل. . وفى ذلك إشارة إلى ما يجب أن يكون علية المسلم من الوعي والإدراك وفعل الشرط قوله: (علم): وبناؤه للمجهول يرشد إلى أن تعليم الرمي لا يكون اختياراً وليس مسؤولية فردية وإنما تعلمه مسؤولية جماعية وفرق بين (علم) (وتعلم): فالفعل تعلم يفيد التكلف الذي يوحي بمشقة والفعل (علم) يشير إلى المواتاة، والطواعية التي تشير إلى الميل الداعي للملازمة لمن يتعلمها فتتمكن من نفسه، ويتقنها فلا يجب عليه أن يضيع تلك الميزة لهذه المهارة التي تحقق التفوق القتالي مع حفظ قوة المسلمين لأن الرامي يصيب عدوه، دون أن يناله من أذى هذا العدو خطر لأنه ليس فيه مواجهة مباشرة كما في المبارزة بالسيف مثلا، أما الفعل تعلم فإنه يشير إلى تكلف فتفيد التكليف وهناك من ينتدب لتعليم الرمي بصورة منتظمة وعلمية وقس على ذلك كل

---

(١) برقم (١٩١٩/١٦٩). أورده المنذري في ترغيبه (١٩٤٨).

فنون الاستعداد للدفاع عن النفس والأرض والعرض والعقيدة والعطف بثم في قوله: ثم تركة " يوحى بالتمهل وطول الخبرة في هذا الفن القتالي، وجواب الشرط فيه قسم للأمر وفية تنويه بأهمية تعلم الرمي: حيث قال: فليس منا ومعناه: ليس من أهل هدينا أو ليس على مثال المسلم الكامل وقوله: " منا " إشارة إلى وحدة التصور الإسلامي وتوحد الأمة الإسلامية فالأمة كلها كالبنيان المرصوص يشد بعضة بعضا " وقال العلماء (هذا تشديد عظيم في نسيان الرمي بعد تعلمه وهو مكروه كراهة شديدة لمن تركة بلا عذر) والله اعلم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٣٣٧)

١٣٣٧ - وعنه رضي الله عنه ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، يقول: ((إنَّ اللهَ يُدْخِلُ بالسَّهْمِ الوَاحِدِ ثَلاثَةَ نَفَرٍ الجنَّةَ: صَانِعَهُ يَحْتَسِبُ فِي صَنْعَتِهِ الخَيْرَ، وَالرَّامِي بِهِ ومُنْبِلَهُ. وَارْمُوا وَارْكَبُوا، وَأنْ تَرْمُوا أحَبُّ إليَّ مِنْ أنْ تَرْكَبُوا[١].

وَمَنْ تَرَكَ الرَّمْيَ بَعْدَ مَا عُلِّمَهُ رَغْبَةً عَنْهُ فَإنَّهَا نِعْمَةٌ تَرَكَهَا)) أَوْ قَالَ: ((كَفَرَهَا)) رواه أَبُو داود[٢].

ترجمة الراوي:

عقبة بن عامر الجهني: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠١٥).

غريب الألفاظ:

بالسهم الواحد: أي بسبب رميه على الكفار[٣].

نفر: اسم جمع يقع على جماعة من الرجال خاصة ما بين الثلاثة إلى العشرة ولا واحد له من لفظه[٤].

يحتسب الخير: استعمل أنواع البر وقام بها على الوجه المرسوم فيها طلبًا للثواب المرجوّ منها[٥].

منبله: مناول النبل، يقال: نبَّلت الرجل بالتشديد إذا ناولته النبل ليرمي به، قال الخطابي: "وقد يكون ذلك على وجهين، أحدهما: أن يقوم مع الرامي بجنبه أو خلفه ومعه عدد من النبل فيناوله واحدًا بعد واحد، والوجه الآخر: أن يرد عليه النبل المرمي به"[٦].

---

(١) عند أبي داود زيادة: (ليس من اللهو إلا ثلاث: تاديب الرجل فرسَه، وملاعبته أهله، ورميه بقوسه ونَبله)، تبع المؤلفُ فيه المنذريَّ في ترغيبه، حيث لم يوردها.

(٢) برقم (٢٥١٣). وقال الحاكم (٢/٩٤): هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (١٩٣١).

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٠٩٣.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ف ر).

(٥) المرجع السابق في (ح س ب).

(٦) المرجع السابق في (ن ب ل).

رغبة عنه: إعراضًا عنه[١].

كفرها: سترها ولم يشكرها[٢].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يبين فضل تعلم الرمي للدفاع عن دين الله وراويه هو " راوي الأحاديث الثلاثة السابقة " ويبدأ الحديث بالتأكيد بأن للدلالة على أفضلية الرمي وأهميته وفيه بشرى لكل من تعلم الرمي أو صنع السهام أو شارك في مساعدة الرماة والمؤكد في هذه الجملة هو " دخول الجنة " واسم إن " لفظ الجلالة " الله " والتصريح باسم الجلالة، ثم إعادته مرة ثانية عن طريق الإضمار في قوله: (يدخل): أي هو يضاعف من قيمة التأكيد على أهمية " الرمي " في الإسلام وصيغة اسم الفاعل في بيان هؤلاء الثلاثة الذين يدخلون الجنة بسبب صنع السهام واستعمالها في سبيل الله هذه الصيغة المتماثلة في قوله: صانعه، والرامي به، ومنبله " يرشد إلى عظمة الفعل ومهارة الفاعل، وإتقان العمل، وإخلاص النية وقوله: (الخير) لفظ جامع لكل استخدام للسهام في سبيل المصلحة العامة. . وحماية النفس: حيث يقصد الرامي بعمله التقرب إلى الله وإثابته وتكرار الأمر في قوله: وارموا واركبوا. . للدلالة على أهمية الأمر والاستعداد للقتال حتى الخيول لابد من تدريبها. . وإتقان فن الفروسية استعداداً للمواجهة والدفاع والنصر والفتح، وقدم الرمي على الركوب: لقوة نفعه بالنسبة لنفع الركوب لأن الرمي يصيب العدو عن بعد، فيضمن سلامة المجاهد، وإصابة عدوه، ولذلك يصرح رسول الله بذلك، ويستخدم المصدر المؤل مرتين في أسلوبه للإيحاء بالمكابدة والمعاناة والفعل المتجدد. . وتتضمن هذه الصيغة أمر بالرمي والركوب غير مباشر بعد وروده صريحاً في الجملة الأخيرة جاءت في صيغة الشرط لإرساء قاعدة الثواب والعقاب، حيث قال: ومن ترك الرمي بعدما علمه رغبة عنه فإنها نعمة تركها أو قال كفرها".

---

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ر غ ب).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ك ف ر).

وجواب الشرط فيه إنذار غير مباشر. وجاء مؤكداً ولم يصرح بالعقاب وإنما اكتفى بقوله فإنها نعمة تركها أو كفرها وهل هناك ذنب أشد وأكبر من كفران النعمة وجحدها؟؟ والله أعلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل النية الخالصة في العمل.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحث على المساهمة في دعم قوة المسلمين من خلال الصناعة وغيرها.

رابعًا: من أهداف الدعوة: الحث على الإعداد البدني وتعلم الرياضة البدنية اللازمة.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: أهمية التعاون في دعم القوة الإسلامية.

أولاً - من أساليب الدعوة: التوكيد:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة)، حيث أكد رسول الله ﷺ على دخول الجنة بالسهم الواحد ثلاثة نفر.

وأسلوب التوكيد من أساليب الدعوة التي يستخدمها الداعية في التأكيد على الحقائق للمدعوين حتى يتيقنوا من صدقها.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل النية الخالصة في العمل:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (صانعه يحتسب في صنعته الخير)، أي:حال كونه يطلب في صنعة السهم الثواب من الله تعالى[1].

فلا يعتد بالعمل في أبواب الخير إلا إذا كان عن نية طيبة خالصة لوجه الله، فتكون وجهة الإنسان في الحياة إرادة الخير لنفسه وللناس جميعًا[2].

وفي الحديث الصحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١٠٩٣.

(٢) انظر: دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، د. زاهر بن عواض الألمعي ص ٢٧٩.

يقول: ((إِنَّما الأعْمَالُ بالنِّيات، وإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِىءٍ ما نَوَى: فَمَنْ كانتْ هِجْرَتُه إِلى دُنْيَا يُصيبُها، أَوْ إِلى امْرَأَةٍ يَنْكِحُها، فَهِجْرَتُه إِلى ما هاجَرَ إِلَيه))[١].

قال ابن رجب: "لما ذكر رسول الله ﷺ أن الأعمال بحسب النيات وأن حظ العامل من عمله نيته من خير أو شر وهاتان كلمتان جامعتان وقاعدتان كليتان لا يخرج عنهما شيء ذكر بعد ذلك مثالاً من الأمثال والأعمال التي صورتها واحدة ويختلف صلاحها وفسادها باختلاف النيات وكأنه يقول سائر الأعمال على حذو هذا المثال.

أي: سائر الأعمال كالهجرة في هذا المعني فصلاحها وفسادها بحسب النية الباعثة عليها كالجهاد والحج وغيرهما وقد سئل النبي ﷺ عن اختلاف نيات الناس في الجهاد وما يقصد به من الرياء وإظهار الشجاعة والعصبية وغير ذلك أي ذلك في سبيل الله فقال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله فخرج بهذا كل ما سألوه عنه من المقاصد الدنيوية.

ففي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن أعرابيا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن قاتل في سبيل الله فقال رسول الله ﷺ: ((مَنْ قَاتَلَ لِتَكونَ كلمةُ اللّهِ هي العُلْيا فهوَ في سَبيلِ اللّهِ)).

وفي رواية لمسلم سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء فأي ذلك في سبيل الله؟ فذكر الحديث.

وفي رواية له أيضًا ((الرَّجُلُ يُقَاتِلُ غَضَبًا وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً))[٢].

وخرج النسائي من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر ما له فقال رسول الله ﷺ: لاشيء ثم قال رسول الله ﷺ ((إنَّ اللّهَ لاَ يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إلاَّ مَا كَانَ خَالِصًا وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ))[٣]"[٤].

---

(١) أخرجه البخاري ١، واللفظ له، ومسلم ١٩٠٧.

(٢) أخرجه البخاري ١٢٣، ٢٨١٠، ٣١٢٦، ٧٤٥٨، ومسلم ١٩٠٤.

(٣) أخرجه النسائي ٣١٤٠، وقال الألباني: حسن صحيح، (صحيح سنن النسائي ٢٩٤٣).

(٤) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٧٢/١ - ٧٥.

" فالنية روح العمل ولبه وقوامه، وهو تابع لها يصح بصحتها ويفسد بفسادها، والنبي ﷺ قد قال كلمتين كَفَتَا وشَفَتَا وتحتهما كنوز العلم وهما قوله: ((إِنَّما الأعْمَالُ بالنِّيات، وإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِىءٍ ما نَوَى)) فبين في الجملة الأولى أن العمل لا يقع إلا بالنية، ولهذا لا يكون عمل إلا بنية، ثم بين في الجملة الثانية أن العامل ليس له من عمله إلا ما نواه وهذا يعم العبادات والمعاملات والأيمان والنذور وسائر العقود والأفعال"[١].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: الحث على المساهمة في دعم قوة المسلمين من خلال الصناعة وغيرها:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة: صانعه يحتسب في صنعه الخير، والرامي به ومنبله ...).

وقد كان رسول الله ﷺ يذكر الصحابة رضي الله عنهم بأن الأنبياء عليهم السلام وهم القدوة للناس كانوا يحترفون لأنفسهم ويقومون ببعض الحرف للكسب، فقد ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عليه السلام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ))[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((كَانَ زَكَرِيَّا نَجَّارًا))[٣].

وهكذا نرى أن رسول الله ﷺ كان دائمًا يضرب الأمثال للصحابة رضي الله عنهم بالأنبياء عليهم السلام وأنهم كانوا يحترفون لأنفسهم ويطلبون العيش عن طريق بعض الحرف أو الصناعات اليدوية دون أن يأنفوا من ذلك وكان لدى الصحابة رضي الله عنهم استجابة لهذه التوجيهات الكريمة[٤].

ويكاد علماء المسلمين يجمعون على أن القيام بالصناعات فرض كفاية على المسلمين كما أنهم جعلوا لولي الأمر إلزام أرباب الصناعات القيام بأعمالهم[٥].

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ص ٦٠٠.

(٢) أخرجه البخاري ٢٠٧٢.

(٣) أخرجه مسلم ٢٣٧٩، وابن ماجه ٢١٥٠.

(٤) الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ، د. عبدالعزيز بن إبراهيم العُمري ص ٤٦.

(٥) انظر: الطرق الحكمية في السياسة الشرعية أو الفراسة المرضية في أحكام السياسة الشرعية، ابن قيم الجوزية، خرج آياته وأحاديثه: الشيخ/ زكريا عميرات ص ١٩٢.

وهذه التوجيهات النبوية الكريمة كلها توجه الأمة نحو العمل والكسب والاحتراف والقيام بما يحتاج إليه الناس من صناعات[١].

رابعًا - من أهداف الدعوة: الحث على الإعداد البدني وتعلم الرياضة البدنية اللازمة:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (وارموا واركبوا وأن ترموا أحب إلي من أن تركبوا..). وفي ذلك حث على الرمي والإعداد البدني وتعلم الرياضة البدنية اللازمة.

والإعداد البدني وتعلم الرياضة البدنية من الأشياء اللازمة للمحارب، وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يتمرنون على الرمي باستمرار بناء على توجيه الرسول ﷺ لهم، وكان الرسول ﷺ يشهد ذلك معهم حتى إنهم في بعض الأيام كانوا يترامون عامة اليوم[٢].

فمن أهم الوسائل النافعة التي وضعها الإسلام في تربية أفراد المجتمع جسميًا، وتكوينهم صحيًا.. هو إملاء فراغهم بأعمال جهادية، وتدريبات عسكرية، وتمرينات رياضية.. كلما سنحت لذلك فُرص، أو تهيأت ظروف..

ذلك لأن الإسلام بمبادئه السمحة، وتعاليمه السامية.. جمع في آن واحد بين الجد واللهو البريء، وَوَفَّق بين مطالب الروح، وحاجات الجسم، واعتنى بتربية الأجسام وإصلاح النفوس على حد سواء.

والولد من حين أن يعقل هو أولى بالعناية بهذا الإعداد الصحي، والتكوين الجسماني.. بل هو أولى بإملاء الفراغ في كل ما يعود على جسمه بالصحة، وعلى أعضائه بالقوة، وعلى سائر بدنه بالحيوية والنشاط.. وذلك لثلاثة أسباب:

الأول: للفراغ الكثير المتيسر له.

الثاني: لوقايته من الأمراض والأسقام.

---

(١) الحرف والصناعات، د. عبدالعزيز العمري ص ٤٦.

(٢) القول التام في فضل الرمي بالسهام، محمد بن عبدالرحمن بن محمد السخاوي، مخطوط مصور بقسم المخطوطات، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، رقم ١٧٤١، ميكروفيلم ص ٨١.

الثالث: لتعويده منذ الصغر على تمارين الرياضة وأعمال الجهاد.

وهذه بعض من نصوص الشريعة في اهتمام الإسلام بالتربية الرياضية، والإعداد العسكري؛ ليعلم كل ذي عينين أن الإسلام هو دين الله الخالد في دعوته إلى وسائل العزة والقوة والجهاد، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[1].

وروى مسلم في صحيحه عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَىٰ اللّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ...))[2].

وروى الطبراني بإسناد جيد عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((كُلُّ شَيْءٍ لَيْسَ مِنْ ذِكْرِ الله عز وجل فَهُوَ لغو ولَهْوٌ أوسهو إلا أَرْبَعَ خصال: مَشْيُ الرَّجُلِ بَيْنَ الغَرَضَيْنِ، وَتأْدِيبُه فَرَسَهُ، ومُلاعَبَتُه أهله، وَتَعَلُّمُ السِّبَاحَةَ))[3].

وروى مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ تلا قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾[4]، ثم قال: ((أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ. أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ. أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ))[5].

وروى الشيخان أن النبي ﷺ أذن للحبشة أن يلعبوا بحرابهم في مسجده الشريف، وأذن لزوجه عائشة رضي الله عنها أن تنظر إليهم، وبينما هم يلعبون دخل عمر فأهوى إلى الحصباء (الحصى الصغيرة) فحصبهم بها فقال عليه الصلاة والسلام: ((دَعْهُم يا عمرُ))[6].

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٦٤.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٧٨٥، وقال الهيثمي في المجمع ٢٦٩/٥: رواه الطبراني في الأوسط ٢٢٩ مجمع البحرين، والكبير والبزار ١٧٠٤، ورجال الطبراني رجال الصحيح خلا عبدالوهاب بن بحث وهو ثقة، وصححه الألباني (سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣١٥).

(٤) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

(٥) أخرجه مسلم ١٩١٧.

(٦) أخرجه البخاري ٢٩٠١، ومسلم ٨٩٢.

وروى أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((سَابَقَنِي النَّبِيُّ ﷺ، فَسَبَقْتُهُ، فَلَبِثْنَا حَتَّى إذا أَرْهَقَنِي اللَّحْمُ سَابَقَنِي فَسَبَقَنِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: هذه بِتِلْكَ))[1].

وروى البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: كانت ناقةٌ لرسول اللّه ﷺ تسمى العَضْباء، وكانت لا تُسبَق، فجاء أعرابيٌّ على قَعودٍ له فسبَقها، فاشتد ذلك على المسلمينَ وقالوا: سُبِقتِ العَضباءُ، فقال رسول اللّه ﷺ: ((إن حقًّا على اللّهِ أن لا يَرفَعَ شيئًا من الدنيا إلا وَضَعَه))[2].

فمن هذه النصوص يتبين أن الإسلام شرع ممارسة الألعاب الرياضية، والتدريبات الجهادية من مصارعة، وَعَدْوٍ، وسباحة، ورماية، وفروسية.. من أجل أن تأخذ أمة الإسلام بأسباب العزة والنصر والسيادة، وأن تتربى أفرادًا وجماعات على معاني القوة، والفتوة والجهاد، تنفيذًا لقوله تبارك وتعالى: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة)، وتحقيقًا لقوله عليه الصلاة والسلام: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف).

ومما لا يختلف فيه اثنان أن أعداء الإسلام حين يعلمون أن أمة الإسلام استعدت عسكريًا وحربيًا، وتكوّنت صحيًا وجسميًا، واكتملت إيمانيًا ونفسيًا، وعزمت على الجهاد حركيًا وإراديًا... فإنهم - لا شك - ينهزمون من نفوسهم القلقة الخائفة الخوّارة.. قبل أن ينهزموا في ميادين المنازلة والجهاد، وهذا ما يعرف اليوم بالسلم المسلح، وهذا ما نوّه عنه عليه الصلاة والسلام حين قال: ((نُصِرْتُ بالرُّعْب مَسِيرَةَ شَهرٍ))[3][4].

خامسًا - من موضوعات الدعوة: أهمية التعاون في دعم القوة الإسلامية:

يظهر ذلك في قول رسول اللّه ﷺ: والرامي به ومنبله..)، أي: مناول النبل للرامي ليرمي به.

وقال الخطابي: "وقد يكون ذلك على وجهين، أحدهما: أن يقوم مع الرامي بجنبه أو خلفه ومعه عدد من النبل فيناوله واحد بعد واحد، والوجه الآخر: أن يرد عليه النبل

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٣٩/٦ رقم ٢٤١١٨، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) أخرجه البخاري ٦٥٠١.

(٣) أخرجه البخاري ٣٣٥، ومسلم ٥٢٣.

(٤) تربية الأولاد في الإسلام، الشيخ عبدالله ناصح علوان، ٨٨٧/٢ - ٨٩٠.

المرمي به"[١].

والتعاون في دعم القوة الإسلامية أمر هام وقد ضرب لنا المثل في ذلك رسول الله ﷺ فقد عمل ﷺ مع أصحابه رضي الله عنهم يوم الخندق، فعن البراء رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ يوم الأحزاب ينقل التراب - وقد وارى بياض بطنه - وهو يقول:

((لولا أنتَ ما اهتدَينا ... ولا تَصدَّقْنا ولا صلَّينا

فأنزِلِ السَّكينةَ علينا ... وثبِّتِ الأقدامَ إن لاقَينا

إنَّ الأُلى قد بَغَوا علَينا ... إذا أرادوا فِتنةً أبَينا))[٢]

وقد كانت النسوة يقدمن خدماتهن في ميادين الجهاد، ومن ذلك موقف نساء بني غفار أردن الخروج مع رسول الله ﷺ فقلن له: يا رسول الله قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا، وهو يسير إلى خيبر فنداوي الجرحي، ونعين المسلمين بما استطعنا، فقال: على بركة الله"[٣].

فإذا كان هذا شأن النساء في التعاون فهل يحجم الرجال؟! وأصحاب الأهداف العظيمة لا يصلون إلى أهدافهم بالجهود المتضادة المتنافرة، ولنا في ذي القرنين أسوة حين قال لقومه: ﴿ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾[٤]، فلا بد من التعاون بقوة للخير وعلى الخير، ولنخرج من دائرة الأنانية والاهتمامات الفردية، ولنعش مشاعر الأمة ذات الجسد الواحد[٥].

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١٠٩٣.

(٢) أخرجه البخاري ٢٨٣٧، ومسلم ١٨٠٣.

(٣) السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون ٢٩٠/٣، والبداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٣١٢/٦.

(٤) سورة الكهف، آية: ٩٥.

(٥) انظر: هذه أخلاقنا، الخزندار ص ٢١٧.

الحديث رقم (١٣٣٨)

١٣٣٨ - وعن سَلَمة بن الأكوع ﷺ، قَالَ: مَرَّ النَّبيُّ ﷺ عَلَى نَفَرٍ[١] يَنْتَضِلُون، فَقَالَ: ((ارْمُوا بَنِي إسمعِيلَ فَإنَّ أبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا)) رواه البخاريُّ[٢].

ترجمة الراوي:

سلمة بن عمرو بن الأكوع: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٥٩).

غريب الألفاظ:

ينتضلون: يترامون بالسهام للسبق[٣].

بني إسماعيل: أي: يا بني إسماعيل، يقصد بهم العرب[٤].

الشرح الأدبي

هذا مشهد من مشاهد السيرة النبوية وملمح من ملامح السنة العملية حيث أقر النبي ﷺ عمل هؤلاء النفر الذين ينتضلون. "والنفر" عدد من الأشخاص ما بين الثلاثة والتسعة وهم من قبيلة " أسلم، والفعل (ينتضلون) يوضح ما كان علية هؤلاء النفر من عمل محبب فيه قوة وبأس واستعداد وحركة جماعية إيجابية ومعنى ينتضلون أي: يترامون بالسهام للسبق، ومادة (نضل) في اللغة تعنى الرمي والقتال والزود والدفاع " فيقولون " ناضله مناضلة ونضالاً: إذا باراه في الرمي، وخرج القوم ينتضلون إذا استبقوا في رمى الأغراض ومن النضال: الدفاع: والنصح والمحاججة: وفى الحديث " بعدا لكن وسحقاً: فعنكن كنت أناضل، أي أجادل وأخاصم وأدافع. ومن معاني: المناضلة:

---

(١) عند البخاري زيادة: (من أسلم).

(٢) برقم (٢٨٩٩). أورده المنذري في ترغيبه (١٩٣٢) بتمامه، واختصره المؤلف.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠٨/٦، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٤٢٧.

(٤) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٤٢٦.

المفاخرة، وانتضل القوم إذا تفاخروا وقال ابن السكيت موضحاً دلالة أخرى لهذه الفعل وهى لا تخرج عن دائرة الفروسية والشجاعة: يقول انتضى السيف انتضله بمعنى واحد، وتنضلت الشيء إذا استخرجته وكل الدلالات السابقة يمكن أن يشع بها الوصف الحركي الدقيق لهؤلاء النفر من أسلم الذين رآهم النبي ﷺ (ينتضلون)، فقال وتأمل العطف بالفاء الدال على سرعة التعقيب والتأييد والإقرار من رسول الله ﷺ والأمر في قوله: ارموا بني إسماعيل للإعجاب بعملهم وكذلك لوجوب الإقتداء بهؤلاء النفر في ظل تعاليم رسول الله وحثه على تعلم الرمي. وقوله: بني إسماعيل: للمباهاة والافتخار لأن كل العرب من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام وفى ذلك إيحاء بأن الرمي يجب تعلمه على كل من تحدر من ذرية إسماعيل وكذلك غيرهم من المسلمين اقتداء بهم فالقوة الرمي، والفاء في قوله: فإن أباكم للتعليل والتأكيد لترسيخ المعنى في نفوس السامعين ولتذكيرهم بأن من حقهم أن يفاخروا وهم ينتضلون بأبيهم جميعاً إسماعيل.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على الرمي في سبيل الله والتدرب عليه.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين:

يظهر ذلك في قول سلمة بن الأكوع رضي الله عنه: مر النبي ﷺ على نفر ينتضلون فقال: (ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميًا... الحديث).

وقد كان من هديه ﷺ أن يتعهد أصحابه رضي الله عنهم ويسألهم عن أحوالهم وعبادتهم، تنشيطًا لهم، ورفعًا لهمتهم في الطاعة والعبادة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا ؟)) قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنَا. قَالَ: ((فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟)) قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنَا.

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٣٣٨- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٣٣٩).

قَالَ: ((فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟)) قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَنَا. قَالَ: ((فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟)) قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِىءٍ، إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ))[1].

فهذا أدب حسن للدعاة في تعهد من يقومون بدعوتهم، فيظهر لهم المقصر في الطاعة والعبادة، فيخصونهم بمزيد من الاهتمام والنصح، وكذا يثنون على من ينشط للطاعة ويبشرونه بالخير[2].

فالداعية الناجح هو الذي يحرص على تفقد أحوال المدعوين ومخالطتهم ذلك لأن "الدعوة إلى الله تقتضي مخالطة الناس فتكون المخالطة واجبة لأن ما لا يؤدى الواجب إلا به فهو واجب، والواقع أن طبيعة الإسلام تقتضي المخالطة، فالإسلام ليس معنى خاصًا بالفرد بل هو أيضًا عمل المسلم خارج نفسه، ورسول الله ﷺ منذ أن أكرمه الله بالنبوة وأمره بالتبليغ عاش مع الناس وخالطهم وغشي مجالسهم يدعوهم إلى الله ويحذرهم مما هم فيه وكذلك فعل أصحابه الكرام ﷺ خالطوا الناس وبثوا فيهم ما تعلموه من رسول الله ﷺ من الهدى والعلم والدين. وما روي عن بعض التابعين من استحباب العزلة وكراهية المخالطة فهو أمر يتعلق بأحوال طارئة وظروف استثنائية فليس ما ذكروه هو القاعدة التي يستهدي بها المسلمون من بعدهم لأن وجوب الدعوة إلى الله أمر ثابت في الشرع، والمخالطة هي المقدمة إلى الدعوة. فلا يمكن التخلي عنه، بل إن هذا الوجوب أصبح أشد في زماننا من أي زمان مضى، لما غشي البشر من غاشية رهيبة قاسية من المادية الصماء السوداء التي حجبت عنهم أنوار الحق وقطعت صلاتهم بالله عز وجل، مما جعل لزامًا على كل مسلم أن يسهم في الدعوة إلى الله بقدر طاقته وبأي نوع من أنواع القدرة يستطيعه وهذا يستلزم مخالطة الناس ليدعوهم إلى الله"[3].

---

(١) أخرجه مسلم ١٠٢٨.

(٢) انظر: التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ٢٧٧.

(٣) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٣٦٥.

فعلى الدعاة أن يفقهوا أحوال الناس وطبائعهم وأنواعهم ليتعاملوا معهم على ضوء تلك المعرفة بما يتناسب مع كلٍّ، ورحم الله الإمام ابن القيم فقد ذكر لنا أصناف الناس الذين نخالطهم وشخصّهم لنا تشخيصًا دقيقًا، فقال: ينبغي للعبد أن يأخذ من المخالطة بقدر الحاجة، ويجعل الناس فيها أربعة أقسام، متى خلط أحد الأقسام بالآخر ولم يميز بينها دخل عليه الشر:

فأحدها: من مخالطته كالغذاء لا يُستغنى عنه في اليوم والليلة وهذا الصنف نادر، وهم العلماء العاملون الناصحون لله ولكتابه ولرسوله ولخلقه.

الثاني: من مخالطتهم كالدواء تحتاج إليه عند المرض فما دمت صحيحًا فلا حاجة لك به، وهم من لا يُستغنى عن مخالطتهم في مصلحة المعاش من أنواع المعاملات.

الثالث: من مخالطتهم كالداء على اختلاف مراتبه وأنواعه وقوته وضعفه.

الرابع: من مخالطتهم فيها الهلكة والموت المحقق إلا أن يشاء الله وهؤلاء هم أهل الضلالة والبدع الصادين عن الله وشرعه ودينه[١]، مع ملاحظة أن عمل الداعية مع الناس، فالمخالطة مع الناس من لوازم عمله الدعوي، ولكن عليه أن يخالطهم بقصد علاجهم كما يخالط الطبيب مرضاه، فلا يتخذ من غير الصالحين أصحابًا له يأوي إليهم ويطمئن بهم ويسمع منهم ويقضي أوقات فراغه معهم، أما غيرهم فيخاطبهم بقدر ما يستلزمه عمله الدعوي معهم، فإذا غشي مجالسهم غشيها من أجل الدعوة، وإذا زارهم في بيوتهم فمن أجل الدعوة، وإذا ابتعد عنهم وهجرهم إلى حين فمن أجل الدعوة، وهكذا يكون الداعية في دعوته للآخرين إلى الله[٢].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على الرمي في سبيل الله والتدرب عليه:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميًا).

وكذلك قوله في الحديث الثاني: "من رمى بسهم في سبيل الله فهو له عدل محررة" وتشجيع النبي ﷺ لرياضة الرمي لأنه جعل للقوس دورًا كبيرًا وركز على الاهتمام

---

(١) انظر: التفسير القيم، ابن القيم ص ٦٢٨.

(٢) نصوص دعوية من أحاديث خير البرية، د. حيدر أحمد الصافح ص ٩٦ - ٩٨.

به، فحين نزل قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾[١]، فسّر الرسول ﷺ القوة فقال: ((أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ. أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ. أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ))[٢]، وتفسير الرسول ﷺ (القوة) بأنها الرمي لا يقتصر على أن القوة في الرمي أمر مختص بزمن الرسول ﷺ بل إن الرسول ﷺ بهذا الكلام قد أعطى إشارة بأن القوة في الرمي سواء في زمنه أم في الأزمان التي تأتي من بعده، فالرمي بالقوس أو بالمنجنيق أو غيره في تلك الأيام هو (القوة) ويمكننا أن نتأكد أن القوة هي (الرمي) في زماننا هذا حيث نرى أن معظم الأسلحة الحديثة تقوم على الرمي، فالرمي بالبندقية أو الرشاش أو الرمي بالمدفعية أو الرمي بالصواريخ أو الرمي بالطائرات كله لا تخرج عن كلام الرسول ﷺ في تحديد القوة بأنها الرمي[٣].

وإنما فسّر القوة بالرمي وإن كانت القوة تظهر بإعداد غيره من آلات الحرب لكون الرمي أشد نكاية في العدو، وأسهل مؤنة، لأنه قد يرمي رأس الكتيبة فيصاب فينهزمُ مَنْ خلفه"[٤].

إن الرمي بالسهام من الوسائل المستخدمة في الحروب سابقًا وهو يشبه الرمي بالأعتدة الخفيفة (البنادق) عندنا اليوم، وله تأثير كبير في كسب المعركة، وإلحاق الخسائر والهزائم في الأعداء، لهذا شجع النبي ﷺ على تعلمه وممارسته، فقال رسول الله ﷺ: ((ارموا بني إسْمَاعيلَ، فإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا... الحديث)).

بل إن رسول الله ﷺ عدّ من ترك الرمي بعد تعلمه أنه ليس من هذه الأمة أو من العاصين، لذلك لم يترك الصحابة الكرام رضي الله عنهم تعلم الرمي وممارسته شبابًا وشيوخًا، روى مسلم في صحيحه أن فقيمًا اللخمي قال لعقبة بن عامر: تَخْتَلِفُ بَيْنَ هَـٰذَيْنِ

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

(٢) أخرجه مسلم ١٩١٧.

(٣) انظر: النظم الإسلامية "نشأتها وتطورها"، د. صبحي الصالح ص ٥٠٧.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٧٥٩/٣.

الْغَرَضَيْنِ، وَأَنْتَ كَبِيرٌ يَشُقُّ عَلَيْكَ. قَالَ عُقْبَةَ: لَوْلاَ كَلاَمٌ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللّهِ ﷺ، لَمْ أُعَانِيهِ. قَالَ الْحَارِثُ: فَقُلْتُ لاِبْنِ شُمَاسَةَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: إِنَّهُ قَالَ: ((مَنْ عَلِمَ الرَّمْيَ ثُمَّ تَرَكَهُ، فَلَيْسَ مِنَّا، أَوْ قَدْ عَصَى))[١].

ولم ينس رسول الله ﷺ وهو يبشرهم بفتح الدول والمدن عليهم أن يوصيهم بالرمي فيقول: ((سَتُفْتَحُ عَلَيْكُمْ أَرَضُونَ. وَيَكْفِيكُمُ اللّهُ. فَلاَ يَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَلْهُوَ بِأَسْهُمِهِ))[٢].

يتبين لنا مما تقدم من أحاديث مدى اهتمام النبي ﷺ بتدريب أصحابه رضي الله عنهم على الرمي وإعدادهم وحثهم على تعلمه، كأسلوب من أساليب التربية الجسدية المكملة لبقية أنواع التربية[٣].

حتى إذا ما جاهد المسلم في سبيل الله ورمى صوب رميه وسددت خطاه ونال من الجزاء جزيله ومن الثواب عظيمه كما نرى ذلك في الحديث الثاني في قوله ﷺ: ((مَنْ رَمَى بِسَهمٍ في سَبيلِ الله فَهُوَ لَهُ عِدْلُ مُحَرَّرَةٍ)) أي مثل ثواب مُعْتَق[٤]. وفي ذلك حث منه ﷺ على الرمي في سبيل الله وذلك لاهتمامه ﷺ بالرمي، ومما يدل على اهتمام رسول الله ﷺ بالرمي أنه في غزوة أحد خصص مكانًا عاليًا للرماة على جبل صغير قرب معسكر المسلمين، وأمر الرماة ألا يبرحوه لمعرفته ﷺ بقوة الرمي ودفعه الشر عن معسكر المسلمين، كما أمرهم بصد الخيل عن المسلمين بالنبال[٥].

كما ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((كان أبو طلحةَ يَتَتَرَّسُ معَ النبيِّ ﷺ بتُرْسٍ واحد، وكان أبو طلحةَ حسَنَ الرَّمْيِ، فكان إذا رَمى يُشرِفُ النبيُّ ﷺ فينظُرُ إلى مَوضع نبلِهِ))[٦].

---

(١) أخرجه مسلم ١٩١٩.

(٢) أخرجه مسلم ١٩١٨.

(٣) أساليب الدعوة والترية، د. زياد محمود العاني، ص ٢٤٠-٢٤١.

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٤٦٤/٢.

(٥) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون ٢٩/٣.

(٦) أخرجه البخاري ٢٩٠٢.

فرسول الله ﷺ كان يحث الصحابة رضي الله عنهم على الرمي ويشجعهم عليه فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ما رأيتُ النبي ﷺ يُفَدِّي رجُلاً بعد سعدٍ، سمعتهُ يقول: ((ارْمِ فِداكَ أبي وأمِّي))[١].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميًا)، حيث رغّب رسول الله ﷺ في الرمي وبيّن أن إسماعيل عليه السلام كان راميًا.

كما رغب النبي ﷺ في قول في حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه: "من رمى بسهم في سبيل الله فهو له عدل محررة" أي رمى سهم في سبيل الله يعدل ثواب عتق رقبة، وفي ذلك ترغيب عظيم في الرمي في سبيل الله، فأسلوب الترغيب من لوازم الداعية في دعوته وإرشاده للناس بالعدول عن طريق الغواية والتزام طريق الرشد والهداية وعلى هذا الأساس كان للترغيب أهمية كبيرة في جنس الطاعات، وعلى رأسها تحقيق كلمة التوحيد، والقيام بمقتضياتها وشروطها والبعد عما ينقضها ويخدشها[٢].

(١) أخرجه البخاري ٢٩٠٥.

(٢) انظر: وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم المغذوي ص ١٩٣ - ١٩٤.

الحديث رقم (١٣٣٩)

١٣٣٩- وعن عمرو بن عبسة ﵁، قال: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ، يقول: ((مَنْ رَمَى بِسَهمٍ في سَبيلِ الله فَهُوَ لَهُ عِدلُ مُحَرَّرَةٍ[1])) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[2]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عمرو بن عَبَسة السلمي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤٣٨).

غريب الألفاظ:

عدل: مثل[3].

محررة: رقبة معتقة[4].

الشرح الأدبي

إن الدفاع عن الإسلام والتصدي لأعدائه من ألزم الواجبات التي يتحملها المسلم ولا يليق به أن يتقاعس أو يفرط في هذا المضمار، ويرغب رسول الله كل مسلم في الإقدام وعدم الإدبار وللمواجهة والمجابهة والحديث في بنائه اللغوي يتكون من جمله واحدة: صيغت في قالب الشرط والجواب وأسلوب الشرط يجيء في مقام الثواب والعقاب. .

---

(١) لفظ الترمذي وغيره: (محرر) بلفظ التذكير، تبع المؤلف فيه المنذري في ترغيبه (٢/٢٤٤).

(٢) أخرجه الترمذي (١٦٣٨) بهذا اللفظ. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٤٦١٥)، وقال الحاكم (٢/١٢١): هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين. أورده المنذري في ترغيبه (١٩٣٨).

تنبيه: لفظ الحديث عند أبي داود (٣٩٦٥): (من بلغ بسهم في سبيل الله عزّ وجلّ، فله درجة) ولم يكمله. ولذا اعترض الناجيُّ على المنذريِّ في عجالة الإملاء بقوله: ليس هذا كما قاله المصنف، ، وإنما عند أبي داود، ثمّ ذكره. علمًا بأن المنذري ذكر برقم (١٩٤٢) حديثًا بلفظ أبي داود، وعزاه لابن حبان بتمامه. فتبين أن الحديث بهذا اللفظ ليس عند أبي داود، بل هذا اللفظ للترمذي فقط.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع د ل).

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٤٢٧.

فالجزاء من جنس العمل والمقدمات الصحيحة تؤدى إلى النتائج الصحيحة الحاسمة ولذلك يقول الحبيب المصطفى ﷺ من رمى بسهم في سبيل الله فهو له عدل محررة " وأداة الشرط للعاقل أو فعل الشرط " رمى " وهو دال على المواجهة والمبادرة والإقدام، وقوله "بسهم" لا يدل على التقليل ولكن لتحديد النوعية وتحديد الفضل والعمل لا يقاس بالكثرة ولكن يقاس بالنية والقصد والحديث يرسخ هذا التصور في وجدان المسلمين فالعمل الصالح مهما قل فله جزاؤه المضاعف عند الله عز وجل، فالسهم الواحد. . الذي يرميه صاحبة في سبيل الله ثوابه مثل ثواب رقبة محررة أعتقها صاحبها عن طيب قصد وإخلاص نية. وقوله: عدل محررة: فيه بلاغة الحذف: أي مثل جزاء رقبة محررة: وقيل العدل والعديل والعدل سواء، أي: النظير والمثيل وفرق سيبوبه بين " العديل والعدل " — فقال: العديل من عادلك من الناس، والعدل لا يكون إلا للمتاع خاصة، وقال ابن الأثير: " العدل " بالفتح ما عادله من جنسه والعدل بالكسر: ما ليس من جنسه " — وتحديد الضمير " هو" بعد الفاء في جواب الشرط. . يرشد إلى مكانة الرامي بسهم في سبيل الله، حيث لم يقل: فله: وإنما قال: فهو له، وتكرار الضمير يؤكد هذه المكانة ويرمى إلى تخصيصه بالثواب الجزيل وهذا صاحب السهم فما بالنا بمن كانت حرفتهم الرماية وعملهم المتقن هو هذا الصنيع الماجد أنه مثل من يحرر آلاف الرقاب وهو يحرر النفوس من قيود الشرك ومن طواغيت الوثنية ومعاقل الطغيان وحبائل الشيطان ويقود الناس مع كل المجاهدين إلى منارات الهداية وسبل السلام وآفاق الرضوان.

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٣٤٠)

١٣٤٠- وعن أَبي يحيى خُرَيْم بن فاتِكٍ ﵁، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَنْ أنْفَقَ نَفَقَةً في سَبيلِ اللهِ كُتِبَ[1] لَهُ سَبْعُمِئَةِ ضِعْفٍ)) رواه الترمذيُّ[2]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

خريم بن فاتك الأسدي: وهو خريم بن الأخرم بن خزيمة الأسدي.

له صُحبة ورواية، قال له النبي ﷺ: ((أيُّ رجلٍ أنتَ لولا خلَّتان فيك، قال: وما هما؟ قال: تُسْبِل إزارك، وترخي شعرك. قال خريم: لا جرم، فجزَّ شعره، ورفعَ إزاره[3].

وقد أخبر خريم عُمَرَ بن الخطاب ﵁ بإسلامه، وشهد بدرًا، وقال ابنه أيمن - وكان شاعرًا فارسًا شريفًا - إن أبي وعمي شهدا بدرًا ونهياني أن أقاتل مسلمًا، وقيل إنه أسلم حين أسلمت بنو أسد بعد فتح مكة وتحول إلى الكوفة فنزل بها بعد ذلك.

وروى عن النبي ﷺ، وعن كعب الأحبار.

وعداده في الكوفيين وقيل في الشاميين.

وتوفي بالرَّقة في عهد معاوية ﵁[4].

غريب الألفاظ:

ضعف: الضعف: المِثل فما زاد، وليس بمقصور على مثلين، فأقل الضعف محصور

---

(١) لفظ الترمذي: (كتبت)، وهذا لفظ المنذري في ترغيبه.

(٢) برقم (١٦٢٥) وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٤٦٤٧)، وقال الحاكم (٨٧/٢): هذا حديثٌ صحيحُ الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير، رقم (٤١٥٦).

(٤) الطبقات الكبرى، ابن سعد، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا (٣٨/٦-٣٩)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٢٠٧-٢٠٨)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (١٦٧/٢-١٦٨)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٣٨١/٢-٣٨٢)، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٥٤١/١).

في واحد، وأكثره غير محصور"[1].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يتوهج ضوؤه في باب فضل الجهاد. وهو ذو دلالة عامة ترغب في الإنفاق بمعناه الشامل في سبيل الله والإنفاق في تجهيز الجيوش وتقويه شوكة المسلمين من أجلٍ السبل وأشرفها في هذا الميدان وحين نتأمل صياغة هذا الحديث الموجز نجده يتكون من جملة واحدة تعد قاعدة شرعية تؤصل للإنفاق الصحيح الذي يتقوى به المسلمون. . وهو أن يكون في سبيل الله أي في كل ميدان من شأنه تقويه المسلمين وتقدمهم. . ورعاية مصالحهم وتعليمهم وعلاجهم وحماية أموالهم وأعراضهم وديارهم وثغورهم وأسلوب الشرط والجواب يتفق مع منطق الثواب والعقاب وجو الحديث فيه حث على الإنفاق وترغيب فيه ووعد بمضاعفة الثواب والفعل انفق: يدل على صرف المال في سبيل الطاعة: قال تعالى: وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله أي: أنفقوا في سبيل الله وأطعموا وتصدقوا، ومادة الإنفاق توحي بالزيادة لأن (نفق) " بدون الهمزة " تعنى البوار. . والذهاب والقلة بلا ثواب – وتنكير قوله: نفقة لمزيد من الترغيب في الإنفاق في سبيل الله: فمهما قلت النفقة فالله يضاعفها إلى سبعمائة ضعف لأنها في سبيل الله، وبناء الفعل للمجهول في قوله: كتب له " وهو (جواب الشرط) يوحى بأن الثواب مؤكد ولا يحتاج الأمر إلى تحديد من يضاعف الثواب لأنه معلوم وهو الله وليس سواه من مكافىء والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم، ومادة " كتب " تعطى دلالة صدق الوعد ويقينه، ومعناها: أثبت الله للمتقين في صحف الأعمال أو في عالم الملكوت في علم الله: سبعمائة ضعف: وضعف الشيء كما يقول اللغويين – مثلاه: وقال الزجاج ضعف الشيء: مثله الذي يضعفه وأضعافه: أمثاله. ومعنى: أضعف الشيء وضعفه وضاعفه: زاد على أصل الشيء وجعله مثيلة أو أكثر ومعنى: سبعمائة ضعف: أي سبعمائة من مثيلة وفى ذلك غاية الإكرام من الملك العزيز العلام.

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ض ع ف).

فقه الحديث

قال النووي: (قال أصحابنا: يستحبّ الإكثار من الصدقة عند الأمور المهمة وعند الكسوف والسفر وبمكة والمدينة وفي الغزو الحج والأوقات الفاضلة كعشر ذي الحجة وأيام العيد ونحو ذلك، ففي كل هذه المواضع هي آكد من غيرها).

المضامين الدعوية

أولاً: من أهداف الدعوة: ترغيب المدعوين في الجهاد والإنفاق في سبيل الله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: مضاعفة الله تعالى ثواب المنفقين في سبيل الله سبعمائة ضعف.

أولاً - من أهداف الدعوة: ترغيب المدعوين في الجهاد في سبيل الله:

لقد رغب الإسلام في الإنفاق في سبيل الله، وحثّ عليه وبيّن ما يعطي الله عز وجل عليه من زيادة كبيرة هائلة حيث تضعف النفقة فيه إلى سبعمائة ضعف[1]، فقال ﷺ: "من أنفق في سبيل الله كُتب له سبعمائة ضعف".

قال المباركفوري: "قوله: (من أنفق نفقة)، أي: صرف نفقة صغيرة أو كبيرة (كتبت له سبعمائة ضعف)"[2]، وفي ذلك ترغيب في الإنفاق في سبيل الله، فالترغيب للمدعوين في الجهاد والإنفاق في سبيل الله من أهداف الدعوة، فإن الجهاد في سبيل الله يكون بالنفس وبالمال وباللسان، وقد أعظم الله الثمن للمجاهدين بالأنفس والأموال، فقال جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[3].

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٦٥٠.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٤٥٩/٢.

(٣) سورة التوبة، آية: ١١١.

قال ابن كثير: "يخبر تعالى أنه عاوض المؤمنين عن أنفسهم وأموالهم إذ بذلوها في سبيله بالجنة، وهذا من فضله وكرمه وإحسانه، فإنه قبل العوض عما يملكه بما تفضل به على عباده المطيعين له، لهذ قال الحسن البصري وقتادة: بايعهم والله فأغلى ثمنهم"[1].

لقد جاءت نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية حاضّة على الإنفاق في سبيل الله، فمن القرآن مثل قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ۝ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾[4]، وقال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾[5].

فنجد أن الله تعالى حثّ على النفقة في سبيله؛ لأن الجهاد متوقف على النفقة فيه وبذل الأموال في التجهز له، فقال: "من ذا الذي يقرض الله قرضًا حسنًا" وهي النفقة

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢١٨/٤.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٩٥.

(٣) سورة الأنفال، الآيتان: ٥٩ - ٦٠.

(٤) سورة محمد، آية: ٣٨.

(٥) سورة الحديد، الآيتان: ١٠ - ١١.

الطيبة التي تكون خالصة لوجه الله تعالى، موافقة لمرضاة الله، من مال حلال طيب، طيبة به نفسه، وهذا من كرم الله تعالى حيث سماه قرضًا، والمال ماله والعبيد عبيده، ووعد بالمضاعفة عليه أضعافًا كثيرة وهو الكريم الوهاب [(١)].

كما جاء الأحاديث الكثيرة في الحث على الإنفاق في سبيل الله، فعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ: دِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَىٰ عِيَالِهِ. وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ عَلَىٰ دَابَّتِهِ فِي سَبِيلِ اللّهِ. وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَىٰ أَصْحَابِهِ فِي سَبِيلِ اللّهِ)) [(٢)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَن أنفقَ زَوجَينِ مِن شيءٍ مَن الأشياء في سبيل الله دُعِيَ من أبوابِ - يعني الجنةَ - يا عبدَ الله هذا خيرٌ. فمن كان من أهلِ الصلاةِ دُعي من بابِ الصلاةِ ومن كان من أهل الجهادِ دُعِيَ من باب الجهاد ومن كان من أهل الصدَقَةِ دُعيَ من بابِ الصدقة ومن كان من أهل الصيام دُعيَ من بابِ الصيام وبابِ الرَّيَّانِ. فقال أبو بكرٍ: ما على هذا الذي يُدعى من تلكَ الأبوابِ من ضَرورة. وقال: هل يُدعى منها كلِّها أحد يا رسول الله؟ قال: نعم وأرجو أن تكونَ منهم يا أبا بكر)) [(٣)].

وقد ضرب الصحابة رضي الله عنهم المثل الأعلى في التطبيق العملي لهذه النصوص وتجسيدها في حيز التنفيذ، فذلكم عثمان بن عفان رضي الله عنه من بارزي الصحابة في الإنفاق في سبيل الله، فعنه رضي الله عنه لما حوصر بعد أن أشرف عليهم: أنشُدُكم اللهَ، ولا أنشُدُ إلا أصحابَ النبيِّ ﷺ: أَلستم تَعلمونَ أنَّ رسول الله ﷺ قال: ((مَن حفرَ رُومةَ فلهُ الجنَّة، فحفَرتُها؟ أَلَستم تَعلَمونَ أنهُ قال: مَن جهَّزَ جيشَ العُسرةِ فلهُ الجنة، فجهَّزتُه؟ قال: فصدَّقوهُ بما قال)) [(٤)].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٧٧٠.

(٢) أخرجه مسلم ٩٩٤.

(٣) أخرجه البخاري ٣٦٦٦ واللفظ له، ومسلم ١٠٢٧.

(٤) أخرجه البخاري ٢٧٧٨.

ولم يكن التباري في الإنفاق في سبيل الله قاصرًا على كبر الصحابة رضي الله عنهم، وإنما كان ذلك سمة عامة لمجتمع الصحابة كل حسب قدرته، فعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: جاء رجل بناقة مخطومة، فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: ((لَكَ بِهَا، يَوْمَ الْقِيَامَةِ. سَبْعُمِائَةِ نَاقَةٍ. كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ))[1].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: مضاعفة الله تعالى ثواب المنفقين في سبيل الله سبعمائة ضعف:

ويظهر ذلك في قوله ﷺ: (من أنفق نفقة في سبيل الله كتب له سبعمائة ضعف).

وقد أيد الله مضاعفة ثواب المنفقين في سبيله إلى سبعمائة ضعف في كتابه، قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[2].

قال ابن عطية الأندلسي في تفسير هذه الآية: (هذه الآية لفظها بيان مثال بشرف النفقة في سبيل الله وبحسنها، وضمنها التحريض على ذلك، وهذه الآية في نفقة التطوع، وسبل الله كثيرة، وهي جميع ما هو طاعة وعائد بمنفعة على المسلمين والملة وأشهرها غناءً الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا.

والجنة اسم جنس لكل ما يزرعه ابن آدم ويقتاته، وأشهر ذلك البر، وكثيرًا ما يراد بالحب، وقد يوجد في سنبل القمح ما فيه مائة حبة، وأما في سائر الحبوب فأكثر، ولكن المثال وقع بهذا القدر، وقد ورد في القرآن بأن الحسنة في جميع أعمال البر بعشر أمثالها، واقتضت هذه الآية أن نفقة الجهاد حسنتها بسبعمائة ضعف[3]، وبين ذلك الحديث: "من أنفق نفقة في سبيل الله كتب له سبعمائة ضعف".

---

(١) أخرجه مسلم ١٨٩٢.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٦١.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبدالله بن إبراهيم الأنصاري وآخرين ٢/٥٧.

قال الشيخ السعدي: "هذا حث عظيم من الله لعباده على إنفاق أموالهم في سبيله، وهو طريقه للوصول إليه، فيدخل في هذا إنفاقه في ترقية العلوم النافعة، وفي الاستعداد للجهاد وتجهيز المجاهدين، وفي جميع المشاريع الخيرية النافعة للمسلمين. وهذه النفقات مضاعفة إلى سبعمائة ضعف وإلى أضعاف أكثر من ذلك"[١].

إن الإنفاق في سبيل الله ركن أساسي من أسس الدين، ودعامة من دعائم الدولة، فما بخلت أمة بمالها إلا حاق بها الذل والاستعباد، وسلط الله عليها الأعداء من كل جانب يتكاثرون عليها كما تتكاثر الأكلة الجياع على المائدة.

والإنفاق في سبيل الله واجبًا كان أو مندوبًا، ما دام في وجوه الخير ومحاربة الجهل والفقر والمرض ونشر الدين وخدمة العلم فهو مما يطلبه الدين ويحث عليه الشرع [٢].

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٩٤.

(٢) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ١٢/٣/١.

الحديث رقم (١٣٤١)

١٣٤١ - وعن أَبي سعيد رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْمًا فِي سَبيلِ اللهِ إلاَّ بَاعَدَ اللهُ بِذلِكَ اليَوْمِ وَجهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١).

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث. .. نجد أن التركيب اللغوي يكشف عن أسرار تعبيرية متعددة لأن جمال المبني يؤدى إلى جمال المعنى، والحديث كله جملة واحدة صيغت في قالب، " القصر " عن طريق النفي والاستثناء " ما وإلا " وهذا الأسلوب يؤكد المضمون المراد من الحديث الشريف وهو ما ينعم به الله على من يصوم يوماً في سبيل الله بنجاته من النار وما فيها من عذاب وهلاك وسوء مصير، ولكل لفظ في الحديث إشعاع يتوهج بسر من أسرار البيان النبوي – فقوله: ما من عبد: يفيد الاستقصاء؛ لأن الحرف (من) ليس زائداً عن المعنى – وإنما هو زيادة في المبنى تدل على زيادة في المعنى – والمراد أنه لن يحرم عبد من العباد قام بهذه الطاعة من نعم الله عز وجل الذي وعد به رسول الله في هذا الحديث، وصيغة " التفكير " في قوله " عبد " تؤكد هذا الاستقصاء الذي أفادته " من " فالنكرة هنا للتعميم، والشيوع، ومادة " العبودية " تفيد الخضوع وإسلام الوجه لله – ولفظ عبده له إشعاع وظلال غير لفظ " أحد " أو " فرد " لأنه يوحى بأن العبادة من شأن العباد، وقوله: في سبيل الله – فيه إطلاق وتشريع لأوجه كثيرة من الصوم نابعة من النية الخالصة لوجه الله عز وجل، واسم الإشارة " ذلك " المقترن بباء السببية يوحى بتعظيم ذلك اليوم وتمييزه أكمل تميز،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٤٠)، ومسلم واللفظ له (١١٥٣/١٦٧)، وتقدم برقم (١٢٢٠). أورده المنذري في ترغيبه (١٤٤٣، ١٨٩٥).

ولذلك لم يقل " بهذا " وإنما قال " بذلك "، وقوله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفا: كناية عن النجاة من النار والفوز بنعيم الجنة، وقوله: وجهه: فيه مجاز مرسل: لأن المراد: أبعده الله عن النار، أو باعد ذاته، وقد أطلق الجزء وأراد الكل. من باب المجاز المرسل، وقوله: سبعين خريفا: كناية عن البعد الزمني والبعد المكاني، والبعد بكل أبعاده واحتمالاته عن النار، والنار لها في القرآن الكريم صفات وألقاب كثيرة ومنها جهنم، والجحيم، وسعير، وسقر، والحطمة، ولظى، والهاوية، والغاشية، أعاذنا الله من النار وعذابها، ووعدنا بالجنة وما فيها من نعيم مقيم، وهناء عميم آمين.

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٢٢٠).

الحديث رقم (١٣٤٢)

١٣٤٢- وعن أَبي أُمَامَة ﵁، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((**مَنْ صَامَ يَوْمًا في سَبيلِ اللهِ جَعَلَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ خَنْدَقًا كما بَيْنَ السَّمَاء والأَرْضِ**)) رواه الترمذيُّ[١]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أبو أُمامة الباهليُّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧٣).

غريب الألفاظ:

خندقًا : الخندق: حفير حول المكان، وأخدود عميق مستطيل يحفر في ميدان القتال ليتقي به الجنود[٢].

الشرح الأدبي

إن الصيام يعد جهاداً للنفس، ومقاومة لرغباتها. .، ويعد من سمات الجهاد الأكبر.. لأنه جهاد للنفس، وانتصار على أهوائها، وكبح لجماح غرائزها، ويمكن أن يكون هذا التوجيه لدلالة الحديث الشريف من أسرار وورود هذا الحديث في باب فضل الجهاد، ويرى البعض العلماء أن دلالة: في سبيل الله " مرتبطة بالجهاد، والحديث يبشر كل من يصوم في سبيل الله يوماً بالنجاة من النار.. مثل الحديث السابق، ولكن تصوير المعنى وتقريبه يختلف من حديث إلى آخر. وهذا من أسرار جماليات الأداء الأسلوبي في الحديث النبوي، " وقد صيغ الحديث في قالب الشرط والجواب " وهذه الصياغة اللغوية تتفق مع جو الحديث، وسياق المعنى وطبيعة الدلالة، فالجزاء من جنس العمل، والصائم ابتغاء مرضاة الله ثوابه مضاعف. . وهو يتمثل في هذه التعبير المجازى البليغ المبشر المطمئن " جعل الله بينه وبين النار خندقاً كما بين السماء والأرض ".

---

(١) برقم (١٦٢٤) وقال: حديثٌ غريبٌ. أورده المنذري في ترغيبه (١٤٤٣، ١٨٩٨).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (خ ن د ق).

والأصل اللغوي في الصيام " الإمساك عن الحركة، فكل شيء سكنت حركته فقد صام، والخيل الساكنة خيل صائمة، ولكن الصيام في المصطلح الإسلامي اتخذ دلالة جديدة، ومعالم محددة وهو " الامتناع عن الطعام والشراب من طلوع الفجر إلى غروب الشمس " وله آداب وشروط ومتعلقات كثيرة، وقوله صلى الله عليه وسلم: جعل الله بينه وبين النار خندقاً كما بين السماء والأرض: كناية أو مجاز مرسل. يصور البعد السامع الذي لا حد له بين الصائم وبين النار.. ، وهذه الجملة الكنائية، أو المجازية جواب الشرط الذي يحدد الثواب الجزيل للصائمين في سبيل الله، وصورة " الخندق " الذي صوره الحديث بهذا الاتساع – كما بين السماء والأرض، توحي بأن البعد مطلق غير محدود، وبأن النجاة حتمية في ظل هذا التصوير الحسي، فهو خندق كبير عرضه يقدر بمسافة ما بين السماء والأرض، وهى مسافة تقدر بحيز يبدأ من الأعلى إلى الأسفل، وذلك مبدأ يوافق الحفر في الخندق، والخندق في هذا السياق التصويري والدلالي رمز لطيف إلى المعاصي التي هي دنو في النفس ونزول عن مرتبة الكمال بالهبوط في المستوى البهيمي المتدني، والمفهوم الذي يشع به هذا الحديث في سياق توهج هذه الصورة هو نعمة الله على الصائمين المخلصين الذين نجاهم الله من النار، وجعل بينهم وبينها خندقاً كما بين السماء والأرض.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الصيام في سبيل الله.

ثالثًا: من صفات الداعية: البيان والإيضاح.

أولاً – من أساليب الدعوة: الترغيب:

حيث جاء في الحديث: (من صام يومًا في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار خندقًا كما بيّن السماء والأرض)، وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة النافعة في جذب المدعوين إلى الطاعة، وتحبيبهم في فعل الخير.

قال د. عبدالكريم زيدان: "والترغيب هو كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول

الحق والثبات عليه، والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضا الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة، وهو من نهج الرسل عليهم الصلاة والسلام"(١).

"إن الحث على فعل الخير وأداء الطاعات والاستقامة على أمر الله، جاء في الكتاب والسنة مقرونًا ببشريات كثيرة وحكم مذكورة.. والدعاة عندما يغرون العامة والخاصة باتباع الدين لا يسأمون من تكرار هذه الجوائز المضروبة والعلل الباعثة"(٢)، ومن صور استعمال القرآن لأسلوب الترغيب قوله تعالى: ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴾(٣)، وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ۝ هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴾(٤).

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل الصيام في سبيل الله:

حيث جاء في الحديث: (من صام يومًا في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار خندقًا كما بين السماء والأرض) وهذا بلا شك يبين فضل الصيام في سبيل الله، قال المباركفوري: "قال ابن الجوزي: إذا أطلق ذكر سبيل الله فالمراد به الجهاد، وقال القرطبي: سبيل الله: طاعة الله، فالمراد: من صام قاصدًا وجه الله، قال الحافظ: ويحتمل أن يكون ما هو أعم من ذلك، وقال ابن دقيق العيد: العرف الأكثر استعماله في الجهاد؛ فإن حمل عليه كانت الفضيلة لاجتماع العبادتين، قال: ويحتمل أن يراد بسبيل الله طاعته كيف كانت والأول أقرب ولا تعارض في أن الفطر في الجهاد أولى لأن الصائم يضعف عن اللقاء، لأن الفضل المذكور محمول على من لم يخش ضعفًا ولا سيما من اعتاد به فصار ذلك من الأمور النسبية، فمن لم يضعفه الصوم عن الجهاد فالصوم في حقه أفضل ليجمع بين الفضيلتين"(٥).

---

(١) أصول الدعوة ص ٤٣٧.

(٢) مع الله "دراسات في الدعوة والدعاة"، الشيخ محمد الغزالي ص ٢١٢.

(٣) سورة فاطر، آية: ٣٣.

(٤) سورة يس، الآيتان: ٥٥ - ٥٦.

(٥) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٤٥٨/٢.

وقال ابن عثيمين: "وفي هذا الحديث دليل على فضيلة الصيام في الجهاد في سبيل الله وأن الإنسان إذا صام يومًا في سبيل الله باعد الله بينه وجهه وبين النار سبعين خريفًا، يعني: سبعين سنة"[1].

قال الشيخ أبو الحسن الندوي: "وإذا تغلبت الطبيعة الحيوانية، وملكت زمام الحياة،واستحوذت على مشاعر الإنسان وحواسه، وأصبحت (المعدة) هي القطب الذي تدور حوله الحياة، شقّ على الإنسان كل ما يحول بينه وبين رغبته، وما يشغله عن ارضاء نهمته، وكل ما يذكره بمبدئه ومصيره، وما يصور له الحساب، والاحتساب، والجزاء والعقاب فلا يجد في أعوامٍ طوالٍ وقتًا صافيًا، وقلبًا فارغًا، وعقلاً يقظًا،وضميرًا حيًّا، فتثقل عليه العبادة والذكر وما يتصل بهما، ولا يجد لذتهما بطبيعة الحال؛ قال تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[2]، ﴿وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[3].

ولقد جاءت النبوة في أزمان مختلفة، وأمكنة مختلفة، تُغيث الإنسانية المهددة بالمادية الطاغية، وتُديل الروح والأخلاق، والمشاعر اللطيفة،والقلب المخنوق المفلوج من طغيان الشهوات، وقسوة المعدات، وتقيم الموازين القسط في الحياة، وتُعد الإنسان إعدادًا جديدًا لتحقيق الغاية التي خُلق لها، وهي (العبادة) والوصول إلى الكمال المطلوب، الذي هيئ له، وهي (الولاية) وإكمال المهمة التي أُهبط لها في الأرض وهي (الخلافة).

وذلك لا يتحقق بروحانية ملكية ولا بمادية بهيمية. فأمرت بالصوم ليُحد من شِرّة هذه المادية المَعَدِيّة، ويعيد للنفس ما فقدته من حياة ونشاط، ومن جدّة وقوة وليشحنها

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١٤٥٤.

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ٤٥ - ٤٦.

(٣) سورة النساء، آية: ١٤٢.

شحنًا روحانيًا إيمانيًا، تستطيع أن تحفظ به اعتدالها في الحياة، وتقاوم به مغريات الشهوة ومفاسد التخمة، وتتخلق ببعض أخلاق الله، وتنال منها نصيبًا، فتسعد به وتسمو. وتلتحق بالملائكة والملأ الأعلى، فترتع في رياض الروح والقلب، وتسرح في ملكوت السماوات والأرض، وتعرف لذة لا عهد لها بها في ألوان الطعام والشراب، وفي الشبع المُفرط والتخمة المُملة"[1].

وقال أبو حامد الغزالي: "المقصود من الصوم، التخلق بخُلق من أخلاق الله عز وجل، وهو الصمدية، والاقتداء بالملائكة في الكف عن الشهوات بحسب الإمكان، فإنهم منزهون عن الشهوات، والإنسان رتبته فوق رتبة البهائم لقدرته بنور العقل على كسر شهوته، ودون رتبة الملائكة لاستيلاء الشهوات عليه، وكونه مبتلى بمجاهدتها، فكلما انهمك في الشهوات انحط إلى أسفل السافلين، والتحق بغمار البهائم، وكلما قمع الشهوات ارتفع إلى أعلى عليين والتحق بأفق الملائكة، والملائكة مقربون من الله عز وجل والذي يقتدي بهم ويتشبه بأخلاقهم يقرب من الله عز وجل كقربهم فإن الشبيه من القريب قريب، وليس القرب ثمَّ بالمكان بل بالصفات"[2].

وقال ابن القيم: "المقصود من الصيام حبس النفس عن الشهوات، وفطامها عن المألوفات، وتعديل قوتها الشهوانية، لتستعد لطلب ما فيه غاية سعادتها ونعيمها، وقبول ما تزكو به مما فيه حياتها الأبدية، ويكسر الجوع والظمأ من حدتها وسورتها، ويذكرها بحال الأكباد الجائعة من المساكين، وتضيق مجاري الشيطان من العبد بتضييق مجاري الطعام والشراب، وتحبس قوى الأعضاء عن استرسالها لحكم الطبيعة فيما يضرّها في معاشها ومعادها، ويسكّن كل عضوٍ منها وكل قوةٍ عن جماحه، وتلجم بلجامه، فهو لجام المتقين، وجنة المحاربين، ورياضة الأبرار والمقربين"[3].

ويمضي ابن القيم ببلاغته في شرح أسرار الصوم ومقاصده، فيقول: "وللصوم تأثيرٌ

---

(١) الأركان الأربعة ص ١٨٤ - ١٨٥.

(٢) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ١/ ٢٣١.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٢/ ٢٨.

عجيب في حفظ الجوارح الظاهرة، والقوى الباطنة، وحميتها عن التخليط الجالب لها المواد الفاسدة التي إذا استولت عليها، أفسدتها، واستفراغ المواد الرديئة المانعة لها من صحتها، فالصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها، ويعيد اليها ما استلبته منها أيدي الشهوات، فهو من أكبر العون على التقوى كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[1]. وأمر من اشتدت عليه شهوة النكاح، ولا قدرة له عليه بالصيام، وجعله وجاء هذه الشهوة.

والمقصود: أن مصالح الصوم لما كانت مشهودةً بالعقول السليمة، والفطر المستقيمة، شرعه الله لعباده رحمة بهم، وإحسانًا إليهم، وحميةً لهم وجُنةً"[2].

ثالثًا - من صفات الداعية: البيان والإيضاح:

يتضح هذا من سياق الحديث ولا شك أن من أهم صفات الداعية البيان والإيضاح لتصل الدعوة إلى الجميع، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3]، قال القاسمي: "أي: تبين للناس ما أمروا ونهوا ووعدوا وأوعدوا فلعلهم ينظرون لأنفسهم فيهتدون فيفوزون بالنجاة في الدارين، أو يتأملون ما فيه من العبر فيحترزون عما أصاب الأولين"[4].

قال د. عبدالكريم البكار: "إن الأنبياء عليهم السلام وخلفاءهم من الدعاة إذ يقومون بـ (البلاغ المبين) يكونون قد قاموا بالعمل الأساس الذي تبرأ به الذمة أمام الله سبحانه وتعالى، وهناك آيات كثيرة تدل على هذا من نحو قوله تعالى: ﴿فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾[5]، وقوله سبحانه: ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ﴾[6]،

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٨٣.
(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٢٩/٢.
(٣) سورة النحل، آية: ٤٤.
(٤) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ١١٢/١٠/٦.
(٥) سورة النحل، آية: ٣٥.
(٦) سورة الشورى، آية: ٤٨.

وتحقيق البلاغ المبين يجعل حياة الأمة مشدودة نحو هدف واحد إذ إن تبليغ الرسالة يحول دون انسياق الأمة خلف أهداف مشتتة متناقضة ودنيوية، والبلاغ المبين يعلم الناس تحمل مسؤولياتهم تجاه أنفسهم ودينهم ومجتمعهم، وما أصيبت الأمم بداء أخطر من فقد الشعور بالمسؤولية ومن خلال الدعوة يتمكن الناس من معرفة ما يجب عليهم أن يفعلوه، وفي الوقت نفسه الثمن الذي عليهم أن يدفعوه إذا هم لم يستجيبوا ومن خلال هذا وذاك تتولد الشخصية وفضيلة الشعور بالمسؤولية"[1].

---

(١) مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي ص ١٤٣ - ١٤٤.

الحديث رقم (١٣٤٣)

١٣٤٣ - وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بالغَزْوِ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنَ النِّفَاقِ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الشعبة: الطائفة من كل شيء، والقطعة منه[2].

الشرح الأدبي

إن للمجد ثمنه الغالي الذي يتطوع الإنسان بدفعه وإن الشجاعة قد تكلف صاحبها فقدان حياته ولكن الهوان لا يعفى صاحبة من ضريبة يدفعها وهو كاره حقير ومن ثم كما يقول الداعية الإسلامي الشيخ محمد الغزالي – فالأمة التي لا تربي بنيها في ساحة الجهاد تفقدهم أيام السلم والتي لا تقدم للحرية أبطالا وشهداء يقتلون وهم سادة كرام تقدم للمذلة والاستعباد رجالاً يشنقون وهم سفلة لئام في ضوء هذا المعنى، وذلك التصور نقرأ هذا الحديث الشريف قراءة تتطلع إلى قيمة الشهيد ودوره في إحياء أمجاد الأمة وصون عقيدتها وكرامتها ومن ثم فالحديث الشريف ينعى على هؤلاء الذين يتناهون عن الجهاد فساد سلوكهم وينذرهم بسوء المصير وسوء العافية فهم يموتون على شعبة من النفاق. والحديث يصاغ في قالب يتواءم مع دلالته. . حيث صيغ في أسلوب الشرط، والجزاء وهو يحدد مصير الذين لم يشاركوا في الغزو ولم يسعوا إلي ذلك ولم يتمنوا ذلك والمصير هو الموت على سفينة من النفاق، فجمله فعل الشرط في الحديث مات ولم يغز ولم يحدث نفسة بغزو ونلاحظ أن جمله الشرط هنا ممتدة ولها متعلقاتها ومكونة

(١) برقم (١٥٨/ ١٩١٠) وزاد: قال عبد الله بن المبارك: فنُرى أنَّ ذلك كان على عهد رسول الله ﷺ.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ش ع ب).

من ثلاثة مراحل: الموت: وهو النهاية – وعدم الغزو: وهو حال الرجل في حياته وساعة مماته – ولم يحدث نفسه بغزو: وهذا هو حال سريرته، وحقيقة نيته وطبيعة مشاعره وجواب الشرط: وهو (مات على شعبة من النفاق) وتكرار الفعل " مات " في بداية الشرط وبداية الجواب. . يوحي بعدم جدوى حياة هذا الصنف من الناس فحياته لا قيمة لها. . وموته كشف حقيقته وأبان عن طبيعته. . فهو ينتمي لشجرة المنافقين التي تتعدد شعبها وتمتد فروعها لتحجب ضوء الحقيقة وتغمى عيون الضعفاء والجبناء الذين لم يفقهوا أسرار مقولة أبي بكر الصديق: احرص على الموت توهب لك الحياة، قال تعالى :" قل لن ينفعكم الفرار من الموت أو القتل وإذن لا تمتعون إلا قليلاً " الأحزاب آية ١٦) رزقنا الشهادة وحسن الخاتمة.

فقه الحديث

١ – ساق مسلم بعد هذا الحديث الشريف قول عبدالله بن المبارك: فنرى أن ذلك كان على عهد رسول الله ﷺ. وعقّب النووي على ذلك فقال: (وهذا الذي قال ابن المبارك محتمل، وقد قال غيره: إنه عام والمراد أن من فعل ذلك فقد أشبه المنافقين المتخلفين عن الجهاد في هذا الوصف، فإن ترك الجهاد أحد شعب النفاق.

وفي هذا الحديث أن من نوى فعل عبادة فمات قبل فعلها لا يتوجه عليه من الذم ما يتوجه على من مات ولم ينوها. وقد اختلف أصحابنا فيمن تمكن من الصلاة في أول وقتها فأخرها بنية أن يفعلها في أثنائه، فمات قبل فعلها أو أخّر الحج بعد التمكن إلى سنة أخرى فمات قبل فعله، هل يأثم أم لا؟ والأصح عندهم أنه يأثم في الحج دون الصلاة، لأن مدة الصلاة قريبة فلا تنسب إلى تفريط بالتأخير بخلاف الحج، وقيل: يأثم فيهما، وقيل: لا يأثم فيهما، وقيل: يأثم في الحج الشيخ دون الشاب، والله أعلم)[1].

٢ – قال الأمير الصنعاني: (فيه دليل على وجوب العزم على الجهاد وألحقوا به فعل كل واجب، قالوا: فإن كان من الواجبات المطلقة كالجهاد وجب العزم على فعله عند

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، ٤٩/١٣/٧ .

إمكانه، وإن كان من الواجبات المؤقتة وجب العزم على فعله عند دخول وقته. وإلى هذا ذهب جماعة من أئمة الأصول، وفي المسألة خلاف معروف)[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على الغزو وأهمية النية والعزم عليه.

ثانيًا: من أهداف الدعوة: تنمية روح الجهاد لنصرة الإسلام.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الحث على الغزو وأهمية النية والعزم عليه:

وذلك حيث جاء في الحديث: (من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة من النفاق)، قال الإمام النووي: "والمراد أن من فعل هذا فقد أشبه المنافقين المتخلفين عن الجهاد في هذا الوصف فإن ترك الجهاد أحد شعب النفاق، وفي هذا الحديث أن من نوى فعل عبادة فمات قبل فعلها لا يتوجه عليه من الذم ما يتوجه على من مات ولم ينوها"[٢].

وقال القاضي عياض: "وقوله: (من مات ولم يغزو ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق): بيّن فيه أن من منعه مانع من أداء فرض أو مسارعة إلى ركن من أركان الشرع أو سننه المشهورة، أن يكون على نيته فيه متى أمكنه فعل ذلك، وأن العزم على الشيء بدل من فعله إذا لم يتعين وقت فعله.

قوله: (مات على شعبة من نفاق): فسره في الكتاب ابن المبارك: أنه مخصوص بزمن النبي ﷺ، حيث كان الجهاد واجبًا، وحمله على النفاق الحقيقي. وقد يحتمل أنه على العموم، ويكون معنى هذا: أنه تشبه بأخلاق المنافقين التي منها التخلف عن الجهاد وهو أحد شعب النفاق وأخلاق المنافقين"[٣].

وقال أبو العباس القرطبي: "وقوله: (من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو مات

---

(١) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني ٨١٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٢٢.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٦/٣٣٥.

على شعبة من النفاق) فيه ما يدل على أن من لم يتمكن من عمل الخير فينبغي له أن يعزم على فعله إذا تمكن منه وأن ينويه، فيكون ذلك بدلاً من فعله في تلك الحال. فأما إذا أخلى نفسه عن ذلك العمل ظاهرًا وباطنًا عن نيته، فذلك حال المنافق الذي لا يعمل الخير، ولا ينويه. وخصوصًا: الجهاد الذي به أعزّ الله الإسلام، وأظهر به الدين حتى علا على كل الأديان؛ ولو كره الكافرون.

وقوله: (شعبة من نفاق) أي: على خلق من أخلاق المنافقين"[١].

ومن خلال هذا يتضح أهمية استحضار النية والتطلع للجهاد في سبيل الله، جاء في الموسوعة الفقهية: "إن النية هي محط نظر الله تعالى من العبد، قال النبي ﷺ: ((إِنَّ اللّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَىٰ صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ. وَلكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ))[٢]، وإنما نظر إلى القلوب لأنها مَظِنَّة النية، وهذا هو سر اهتمام الشارع بالنية فأناط قبول العمل ورده وترتيب الثواب والعقاب بالنية، ومن فضيلة النية أن الهم بفعل الحسنة حسنة في ذاته يدل على ذلك قول النبي ﷺ: ((مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً))[٣]، فالنية في نفسها خير، وإن تعذر العمل بعائق، والنية تعظم العمل وتصغره فقد ورد عن بعض السلف: رب عمل صغير تعظمه النية، ورب عمل كبير تصغره النية، وإن الله تعالى يعين العبد ويوفقه للعمل على قدر نيته، فقد كتب سالم بن عبدالله إلى عمر بن عبدالعزيز: اعلم أن عون الله تعالى للعبد على قدر النية، فمن تمت نيته تم عون الله له، وإن نقصت نقص بقدره"[٤].

ثانيًا- من أهداف الدعوة: تنمية روح الجهاد لنصرة الإسلام:

يتضح هذا من سياق الحديث ومما هو معلوم أن تنمية روح الجهاد هدف رئيس من

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣/٧٥٠.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٦٤.

(٣) أخرجه مسلم ١٣٠.

(٤) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٤٢/٦٣ - ٦٤.

أهداف الدعوة الإسلامية، وقد حث الله عليه في مواضع متعددة من القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾[(١)]، وقال سبحانه: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾[(٢)]، وبيّن الله سبحانه وتعالى أن الجهاد هو التجارة الرابحة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[(٣)].

وحثّ الله على الوحدة في القتال والجهاد فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾[(٤)]، "ولما كان الجهاد من فرائض الإسلام فقد عظمت به الوصية واشتدت إليه الحاجة وأصبح من لوازم الحياة الكريمة حيث يبذل المسلم ماله ونفسه وجميع ما يملك لإعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى امتثالاً لأمره جلّ وعلا والجهاد يضمن بقاء أمة الإسلام قوية مهابة الجانب يحسب لها الطامعون ألف حساب، وهذا الأثر لو لم يكن إلا هو فقد كفى"[(٥)].

إن الإسلام يحث أتباعه على بذل النفس والوسع والجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله "ولما كان الجهاد هو الحجة والبرهان على صدق الإيمان، كانت منازل الناس عن ربهم في الدنيا والآخرة، حسب ما يقومون به من جهاد، وما يقدمونه من تضحيات فمن حاز قصب السبق منه، وجب على المجتمع المسلم أن يرفعه ويكرمه، ومن فترت همته عنه لم يجز تسويته بالمجاهدين.

فالجهاد قيمة عليا من القيم التي يتعامل بها المجتمع المسلم، وإنما كان العلم والتقوى من تلك القيم أيضًا، لأنها أنواع من الجهاد، لما في العلم من دوافع للجهاد،

---

(١) سورة التوبة، آية: ٧٣.

(٢) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٣) سورة الصف، الآيتان: ١٠ - ١١.

(٤) سورة الصف، آية: ٤.

(٥) قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان الهجاري ص ٢٤١.

ومعرفة طريقه، والتثبيت عليه، ولما في التقوى من جهاد النفس وإلزامها بطاعة الله وترك نواهيه سبحانه، وكذلك فإن العلم والتقوى ثمرة من ثمار الجهاد في سبيل الله تعالى، قال عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾(١).

ولهذا كان رسول الله ﷺ أكرم الخلق وأكملهم عند الله لأنه كمل مراتب الجهاد كلها، وجاهد في الله حق جهاده من حين بعث إلى أن توفاه الله وجاهد بقلبه وجنانه، ودعوته وبيانه، وسيفه وسنانه، وكانت ساعاته وأيامه وعمره موقوفة جميعها على الجهاد.

وإذا كان المسلم لا يمكنه أن يصل إلى تلك الرتبة العليا فينبغي أن يسير نحوها، وأن يحاول أن يقترب منها، وأن يأخذ من تلك المراتب الجهادية قسطًا وافرًا حتى يكون ممتثلاً لقول الله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾(٢)، وحق الجهاد أن يستعمل العبد جميع ما أوتي من طاقة في جهاد نفسه وشيطانه وأهل الكفر والنفاق والمنكر في الأرض"(٣).

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترهيب:

حيث جاء في الحديث: (مات على شعبة من النفاق) وهذا ترهيب من هذه النهاية ولا شك أن أسلوب الترهيب من أساليب الدعوة التي تخوف المدعو وترهبه من الوقوع في محظور، قال الشيخ محمد الغزالي: "وكما تقاد النفس عن طريق الرغبة تقاد عن طريق الرهبة فتكف عن الرذيلة وجلاً مما يعقبها من منغصات، أو تندفع إلى الفضيلة خوفًا من مغبة التراخي والتفريط"(٤).

ومن استعمال القرآن لأسلوب الترهيب قوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝٢١ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا﴾(٥).

---

(١) سورة العنكبوت، آية: ٦٩.

(٢) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٣) الجهاد "ميادينه وأساليبه"، د. محمد نعيم ياسين ص ٢٤٤ - ٢٤٥.

(٤) مع الله "دراسات في الدعوة والدعاة" ص ٣١٦.

(٥) سورة النبأ، الآيتان: ٢١ - ٢٢.

الحديث رقم (١٣٤٤)

١٣٤٤ - وعن جابر رضي الله عنه، قَالَ: كنا مَعَ النبيِّ ﷺ، في غَزاةٍ فقالَ: **((إنَّ بالمَدينَةِ لَرِجَالاً مَا سِرْتُمْ مَسِيراً، وَلاَ قَطَعْتُمْ وَادِيًا إلاَّ كَانُوا مَعَكُمْ، حَبَسَهُمُ المَرَضُ))**[1].

وفي رواية[2]: **((حَبَسَهُمُ العُذْرُ))**.

وفي رواية[3]: **((إلاَّ شَرَكُوكُمْ في الأجْرِ))** رواه البخاريُّ من رواية أنس.

ورواه مسلم من رواية جابر واللفظ لَهُ.

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

هذا الحديث قبس من أحداث غزوة تبوك وبشارة محمدية لهؤلاء الذين لم يتخلفوا عن الجهاد خوفاً وجبناً ونفاقاً وإنما حبسهم العذر أو حبسهم المرض فهم ليسوا هؤلاء المنافقين الذين قالوا حين دعا رسول الله ﷺ لغزو بلاد الروم - لا تنفروا في الحر. ورد الله عليهم (قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون) وقد نزلت فى هؤلاء آيات كثيرة من سورة التوبة. ويبدأ الحديث بالتأكيد بقوله: إن بالمدينة لرجالاً والتأكيد هنا لإثبات صدق الخبر فى مقابل المنافقين الذين تقاعسوا لأسباب واهية، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩] ويصور الحديث مشقة السفر وعناء المكابدة في قوله: ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً، - والتحرك إلى تبوك كان في وقت لم ينته فيه الصيف بعد والقيظ في أوائل الخريف يصل إلى درجات تجعله أشد من قيظ الصيف في هذه الصحارى إرهاقاً وقتلاً – كما يقول د. محمد حسين هيكل في كتابة - حياة محمد

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٩/١٩١١) من حديث جابر.

(٢) أخرجها البخاري (٢٨٣٩، ٤٤٢٣) من حديث أنس.

(٣) أخرجها مسلم بعد حديث (١٥٩/١٩١١، بدون رقم) من حديث جابر. وتقدم برقم (٤).

- ثم يقول إن المشقة من المدينة إلى بلاد الشام طويلة شاقة تحتاج إلى الجلد وتحتاج إلى المؤنة وإلى الماء، ولذلك يبشر الحديث هؤلاء الذين فاتهم حظ الجهاد وكانوا على استعداد لتحمل مشاق السفر وتبعات الطريق، وقد أقبلوا على رسول الله يريدون أن يحملهم النبي ﷺ معه فحمل منهم ما استطاع واعتذر إلى الباقين وهم الذين نوه بهم في هذا الحديث الشريف وقال: لا أجد ما أحملكم عليه. . فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون، وأسلوب التعريف في هذا الحديث يؤكد المعنى ويرشد إلى صدق العزم عند هؤلاء الذين حبسهم العذر ولم يجدوا ما يتجهزون به للقتال ولا ما يحملهم إلى ملاقاة العدو. والروايات الثلاث لختام الحديث كلها تتكامل في تتميم المعنى وشمولية الغرض فهؤلاء منهم من حبسه المرض ومنهم من حبسه الفقر ومنهم من حبستهم أحداث أخرى غير مرفوضة وكلهم شركاء في أجر الغازين والمجاهدين والشهداء الأبرار والصالحين الأخيار.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٤).

الحديث رقم (١٣٤٥)

١٣٤٥ - وعن أَبي موسى رضي الله عنه : أنَّ أعرابيًا أتى النبيَّ ﷺ ، فَقَالَ: يَا رسولَ اللّهِ، الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُذْكَرَ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ[١].

وفي رواية[٢]: يُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً.

وفي رواية[٣]: يُقَاتِلُ غَضَبًا، فَمَنْ في سبيل اللّه؟ فقالَ رسولُ اللّهِ: ((**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا، فَهُوَ في سَبيلِ اللهِ**)) متفقٌ عَلَيْهِ[٤].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث ونستشف ما وراء التراكيب من أسرار. .نجده يبدأ بالتأكيد في التمهيد لمضمون الحديث يقول الراوي: أن أعرابياً. . أتى النبي ﷺ فقال: ولم يعرف من هذا الأعرابي. . ولذلك جاء "منكراً "لأن المراد هو معرفة إجابة هذه الأسئلة وصفة "الأعرابي "تطلق على كل من سكن البادية عربياً كان أو غيره وقيل هو "لاحق بن ضمرة الباهلي "والعطف بالفاء في قوله: فقال: يدل على التتابع واللهفة لمعرفة الإجابة والنداء في قوله: يا رسول الله يدل على اهتمام الأعرابي وعلى اقتناعه بالإسلام وحبة للنبي ﷺ وحرصه على معرفة حكم الإسلام الصحيح في القضايا التي أثارها لأنه ناداه بصفة الرسالة وليس باسمه المجرد ولا بكنيته ولا بلقبه وإنما قال: يا رسول الله، واللام في قوله: الرجل: للعهد الذهني وليس المقصود

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٢٦)، ومسلم واللفظ له (١٩٠٤/١٤٩).

(٢) أخرجها البخاري (٧٤٥٨) بلفظ: (يقاتل حمية، ويقاتل شجاعة) بتقديم وتأخير.

(٣) أخرجها البخاري (١٢٣)، ومسلم (١٩٠٤/١٥١).

(٤) أورده المنذري في ترغيبه (١٩٨٧) بدون ذكر اختلاف الألفاظ، بلفظ مسلم (١٩٠٤/١٤٩) بتمامه، وتقدم برقم (٨).

شخصاً بعينة. . لأن المفهوم المراد أعم، وأشمل ولنتأمل تكرار قوله: الرجل يقاتل "ثلاث مرات "وذلك لتأكيد وقوع "فعل القتال "ولكنه تتوع من شخص لآخر حسب النوايا والمقاصد والتعبير بالمضارع في قوله: يقاتل مع التكرار ثلاث مرات يوحى بتجدد هذا الفعل وتكراره في كل عصر ولكن النوازع والدوافع تختلف فالقتال قد يكون لمزيد من المكاسب المادية وقد يكون للشهرة والتمجيد والتغني بالبطولة والقيادة في حياته وبعد مماته وقد يكون القتال للمنافسة وإثبات الذات وأخذ الريادة في حركات التحرر والقتال وقد يكون بدافع العصبية والدفاع عن القبيلة أو الحدود الجغرافية المصطنعة أو بدافع الانتقام للنفس، وسؤال الأعرابي يجيء في نهاية تفصيل هذه المواقف وذلك للتشويق وتطلع المسامع والقلوب لمعرفة من المقبول من هؤلاء هو عند الله وتأتى إجابة رسول الله على خلاف مقتضى الظاهر وعلى غير المتوقع. . فهو لم يحدد أحد هؤلاء الثلاثة. . وإنما أرسى قاعدة كلية شامله ليست مرتبطة بمكان السؤال ولا زمانه و لا بشخصه وإنما تصلح لتقويم كل تحرك للقتال في كل زمان ومكان، وجاءت الإجابة في صيغة الشرط والجزاء لتحدد قيمة الفعل وهدفه ثم جزاءه وموقعه من الله عز وجل وتأمل هذا البيان النبوي الحكيم البليغ. "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله "فإعلاء كلمة الله. . هو المقصد أي إعلاء شأن العقيدة وراية التوحيد ويمكن أن يكون هذا الإعلاء لكلمة التوحيد مصحوباً بالغنائم التي تقوى شوكة المسلمين وكذلك يكون مقروناً بتمجيد أبطال الإسلام وقادته ومازلنا نذكر كل أبطال الفتوحات الإسلامية في كل العصور وما زلنا نشيد بالقادة العظام والفرسان الأماجد في ساحات الوغى وميادين الجهاد، صلى الله عليك يا رسول الله يا من أوتيت جوامع الكلم ويا من نصرت بالرعب. . بفضل تأييد الله عز وجل فهو القاهر فوق عباده وهو القوى العزيز.

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٨) مع اختلاف في الفاظ الحديث المشار إليه.

الحديث رقم (١٣٤٦)

١٣٤٦- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ : **((مَا مِنْ غَازِيَةٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ تَغْزُو، فَتَغْنَمُ وَتَسْلَمُ، إلاَّ كَانُوا قَدْ تَعَجَّلُوا ثُلُثَيْ أُجُورِهُمْ، وَمَا مِنْ غَازِيَةٍ أَوْ سَرِيَّةٍ تُخْفِقُ وَتُصَابُ إلاَّ تَمَّ لَهُمْ[١] أجُورهُمْ))** رواه مسلم[٢].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

غريب الألفاظ:

غازية: تأنيث الغازي وهي - هاهنا - صفة لجماعة غازية[٣].

السرية: طائفة من الجيش يبلغ أقصاها أربعمائة تبعث إلى العدو وجمعها السرايا، سموا بذلك لأنهم يكونون خلاصة العسكر وخيارهم من الشيء السريّ النفيس، وقيل: سموا بذلك لأنهم ينفذون سرًا وخفية[٤].

فتغنم: فتصيب غنيمة وهي ما أصيب من أموال أهل الحرب وأوجف عليه المسلمون بالخيل والركاب[٥].

تخفق: الإخفاق أن يغزوا فلا يغنموا شيئًا[٦].

الشرح الأدبي

إن الشهادة في سبيل إعلاء كلمة الله أسمى ما يتطلع إليه المسلم الشجاع الجواد والبطل الكمي الهصور وهذا الحديث يفتح الطريق أمام هؤلاء الفرسان ليفوزوا

---

(١) (لهم) لا توجد عند مسلم.

(٢) برقم (١٥٤/١٩٠٦). أورده المنذري في ترغيبه (١٩٩٨).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (غ ز و).

(٤)المرجع السابق في (س ر ى).

(٥)المرجع السابق في (غ ن م).

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٢٠.

بالفردوس الأعلى من الجنة وليتم لهم أجرهم وليخلد في العالمين ذكرهم والحديث في بنائه اللغوي يتكون من جملتين متقابلتين في الحركة. . ولكنهما تلتقيان في دائرة واحدة، هي دائر ة الجهاد الخالص لوجه الله عز وجل والجملتان بينهما تشابه في الصياغة وتشابه في بعض المقاصد فهما صيغا في أسلوب القصر عن طريق النفي والاستثناء، والقصر هنا يفيد الحصر. . والتأكيد على ثواب كل من الفريقين ولكن الفريق الثاني ثوابه أتم وأكمل من الفريق الأول ومن أسرار بلاغة النبوة هنا. . "الحذف "حيث قال: ما من غازية "والتقدير ما من طائفة غازية وقوله "أو "للتنويع أو للشك من الراوي ولكنها للتنويع أقرب، واختيار الألفاظ له دلالته في ترسيخ المعنى وتقويته في البيان النبوي فكلمة (سرية) تدل على قطعة من الجيش: وهى بمعنى فاعله: أي سارية: والسرى: هو المشي ليلاً وذلك (الجيش يسرى ليلاً في خفية. . والجمع سرايا وسريات وقد تحمل هذه الكلمة في دلالتها معنى: إحراز الغنائم فهي توحي بالحركة "السير ليلاً "وتوحي بثمرة الحركة وهى الغنائم: حيث تتسق من "السرى وهو الخفاء، والتعبير بالمضارع المتوالي في هذه الأفعال (تغزو فتغنم وتسلم) يوحى بتتابع الحركة وسرعة المقاتلة وسرعة الانتصار وقوة المقاتلين والعطف بالفاء في قوله: تغزو فتغنم: يقوى من هذا التفسير: والعطف بالواو في قوله: فتغنم وتسلم. . يوحى باقتران الغنيمة بالسلامة وعدم الإصابات لأن الواو لمطلق الجمع وليست للترتيب ولا للتعبير "وقد "تفيد التحقيق، وقوله: تعجلوا "فيه إشارة إلى أن هذا المغنم ليس هو نهاية المطاف. . ولكن لابد من المكابدة والاستعداد واستشهاد بعض المقاتلين (يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقا. ...الآية) واختيار الفعل "تحفق" بما له من دلاله خاصة، يعد سراً من أسرار بلاغة النبوة: فالإخفاق - كما قال أهل اللغة: أن يغزوا. . فلا يغنموا شيئاً، وكذا كل طالب حاجة إذا لم تحصل له فقد أخفق: ومنه قولهم: أخفق الصائد: إذا لم يقع له صيد فالحديث لا يشير إلى الهزيمة في الحرب ولكنة يشير إلي الجهاد في سبيل الله والاستشهاد ولكن لا توجد غنائم وغنائم الشهداء والمصابين هي تمام أجورهم، والله يضاعف لمن يشاء وهو أرحم الراحمين.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل المشاركة والخروج للغزو في سبيل الله.

ثانيًا: من أهداف الدعوة: الحث على بذل الجهد والحرص على الشهادة أو النصر.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل المشاركة والخروج للغزو في سبيل الله:

حيث جاء في الحديث: (ما من غازية أو سرية تغزو فتغنم تسلم إلا كانوا قد تعجلوا ثلثي أجورهم، وما من غازية أو سرية تخفق وتصاب إلا تم أجورهم).

قال النووي: "والإخفاق أن يغزو فلا يغنموا شيئًا، وكذلك كل طالب حاجة إذا لم تحصل فقد أخفق أما معنى الحديث: أن الغزاة إذا سلموا أو غنموا يكون أجرهم أقل من أجر من لم يسلم أو سلم ولم يغنم، وأن الغنيمة هي في مقابلة جزء من أجر غزوهم فإذا حصلت لهم فقد تعجلوا ثلثي أجرهم المترتب على الغزو وتكون هذه الغنيمة من جملة الأجر، هذا موافق للأحاديث الصحيحة المشهورة عن الصحابة رضي الله عنهم كقوله: ومنا من مات ولم يأكل من أجره شيئًا، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهديها أي يجتنيها"[1].

قال القاضي عياض: "ذهب غير واحد أن هذا الحديث يعارض الحديث الوارد في قوله ﷺ: ((تَكَفَّلَ اللّهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ. لاَ يُخْرِجُهُ مِنْ بَيْتِهِ إلاَّ جِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ وَتَصْدِيقُ كَلِمَتِهِ. بِأَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ. أَوْ يَرْجِعَهُ إِلَىٰ مَسْكَنِهِ الَّذي خَرَجَ مِنْهُ. مَعَ مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ))[2]، قالوا: قال القاضي: ذهب غير واحد أن هذا الحديث يعارض الحديث المتقدم في قوم مع ما قال: (من أجر وغنيمة). قالوا: ولا يصح أن تنتقص الغنيمة من أجورهم كما لم تنقص من أجر أهل بدر، وكانوا أفضل المجاهدين، وأفضلهم غنيمة، حتى قال بعضهم: لا يصح الحديث. وأبو حميد بن هانئ راوية ليس بمشهور، ورجحوا الحديث المتقدم عليه لشهرته وشهرة رجاله، لكن إدخال مسلم له من طريق

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٢٠.

(٢) أخرجه مسلم ١٨٧٦.

يضعف قوله، قد ذكره البخاري في التاريخ، فقال: أبو حميد الخولاني مصري، سمع بعدالرحمن الحبلى، وعمرو بن مالك سمع من حيوة وابن وهب.

وقيل في الجمع بينهما: إن هذه التي أخفقت تزداد من الأجر بالأسف على ما فاتها من المغنم، ويضاعف لها كما يضاعف لمن أصيب بماله وأهله. وقيل: بل لعل الذي تعجل من أجره بالغنيمة في غنيمة أخذت على غير وجهها، وهذا بعيد لا يحتمله الحديث، وأصح ما يجمع فيه بين الحديثين أن الأول قال فيه: "لا يخرجه إلا للجهاد في سبيله وتصديق كلماته)، فهذا الذي ضمن له الجنة، أو يرد إلى بيته مع ما نال من أجر أو غنيمة. وهذا الحديث الآخر لم يشترط فيه هذا الشرط، فيحتمل أنه فيمن خرج بنية الجهاد وطلب المغنم فهذا شرك بما يجوز له الشريك فيه، وانقسمت نيته بين الوجهين فنقص أجره، والأول أخلص فكمل أجره.

وأوجه من هذا عندي في استعمال الحديثين على وجههما أيضًا: أن أجر المغانم بما فتح عليه من الدنيا وحساب ذلك عليه وتمتعه به في الدنيا وذهاب شظف عيشه في غزوة وبعده إذا قوبل، فمن أخفق ولم يصب منها شيئًا، وبقى على شظف عيشه والصبر على حالته في غزوة وجد أجر هذا أبدًا في ذلك وافيًا مطردًا بخلاف الأول، ومثله قوله في الحديث الآخر: ((فمنّا من مات لم يأكُلْ مِن أجرِهِ شيئًا، ومنّا مَن أَيْنَعَتْ له ثمرَتُهُ فهوَ يَهدِبُها))[1]، فكان هذا إذا لم يهدب ثمرة الدنيا والاتساع فيما فتح عليه من مغانمها، وبقى على حالته الأولى، كان أجره في الصبر والتقلل على ما كان عليه، فلما خالف لم يكن له ذلك الأجر، فكأنه نقص بما كان له في التقدير وكذلك هذا -والله أعلم.

ويدل على صحة هذا التأويل قوله: (إلا تعجلوا ثلثي أجرهم)، أي أنهم نالوا من الدنيا ما هو حساب ما فاتهم منها بقدر ثلثي الأجر، ولو كان نقصًا من الأجر في الأصل كان على ثلث أجر من لم يغنم، كما قال في صلاة القاعد على النصف من

---

(١) أخرجه مسلم ٧٣٥.

صلاة القائم، لما كان حظ الأجر في أصل العمل - والله أعلم. وأما على ما جاء في الحديث فيخفق ويصاب الإثم أجورهم فبين؛ لأن لهم أجر الجهاد كاملاً، وأجر ما فاتهم من الغنيمة، وأجر ما أصابهم من العدو، ونال منهم واستشهدوا، بخلاف من لم يصب الذي له أجر الجهاد فقط، ولا شك أن المصائب كثيرة الأجور، فكيف إذا كانت في ذات الله؟ فهي مضاعفة على تقدير ما جاء في الحديث من الثلثين وأكثر، فيكون معنى قوله في التي غنمت ولم تصب: (إنها تعجلت ثلثي أجورها)، بالإضافة إلى الأخرى إلى تضاعف أجرها عليها مرتين ساوتها في أجر الجهاد، وفضلت عليها بأجر الإخفاق وأجر الإصابة، فجاء نقصها عن درجتين من درجات هذه، كأنه تعجيل بما حصل لها من الدنيا والأخرى بخلافها، كما قال في الحديث المذكور قبل: (فمنا من لم يأكل من أجره شيئًا) على ما قدمناه"[١].

وقال ابن حجر: "جاء عن بعض المتأخرين حكمة لطيفة بالغة وذلك أن الله أعد للمجاهدين ثلاث كرامات: دنيويتان وأخروية ، فالدنيويتان السلامة والغنيمة والأخروية دخول الجنة، فإذا رجع سالما غانما فقد حصل له ثلثا ما أعد الله له وبقي له عند الله الثلث، وإن رجع بغير غنيمة عوضه الله عن ذلك ثوابا في مقابلة ما فاته، وكأن معنى الحديث أنه يقال للمجاهد: إذا فات عليك شيء من أمر الدنيا عوضتك عنه ثوابا، وأما الثواب المختص بالجهاد فهو حاصل للفريقين معا، قال: وغاية ما فيه عد ما يتعلق بالنعمتين الدنيويتين أجرًا بطريق المجاز، والله أعلم"[٢].

وجاء في فتح الملهم: "قوله: (إلا تعجلوا ثلثي أجرهم من الآخرة) ظاهره أن من غنم من المجاهدين انتقص أجره بقدر الثلثين من المجاهد الذي لم يغنم شيئًا. واستشكله بعض العلماء بأن الغنيمة نعمة من الله تعالى أحلّت لهذه الأمة فكيف ينتقص بها أجر الجهاد؟ ولو كانت منقصة للأجر لما تناولها الصحابة والتابعون والذين كانوا يطمعون في زيادة الأجر أكثر مما يطمعون في التمتع بالغنائم ولو كانت الغنيمة ينقص بها الأجر

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣٢٠/٦ - ٣٢١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢/٦ - ١٣.

لما فضل أصحاب بدر على أصحاب أحد.

والحق أنه لا إشكال في حديث الباب، لأن الأجر على قدر المشقة والمصيبة، ولا شك أن من لم يسلم أو لم يغنم مصيبته أكثر ممن سلم وغنم، فكان ثوابه أعظم.

وأما ما ذكروا من حل الغنيمة لهذه الأمة والتمدح بها، وتناول السلف لها برغبة، فإن ذلك لا إشكال فيه لأن الحرمان من الغنيمة لهذه الأمة يؤجر عليها الغازي، وكذلك حال كل مصيبة، ولكن لا يجوز أن يتمنى الرجل مصيبة لزيادة الأجر، وإنما أمر بأن يسأل الله العافية. ثم إن في الغنيمة مصالح عظيمة من كونها قوة للمسلمين، فلا مانع من أن يغتفر لها بعض النقص في الأجر.

وكذلك الاستدلال بفضيلة أهل بدر على أهل أحد استدلال في محله، إذ مفاد الحديث الباب أن أهل بدر لو لم يغنموا شيئًا كان أجرهم أكثر مما حصل لهم بعد الغنيمة فالتقابل بين كمال الأجر ونقصانه لمن يغزو بنفسه إذا لم يغنم، أو يغزو فيغنم، ولا ينفي ذلك أن يكون حالهم أفضل من حال غيرهم من جهة أخرى. فأفضل الله سبحانه وتعالى أهل بدر على من بعدهم بحيث يفضل الغانم منهم على غير الغانم بعدهم فإن ذلك فضله يؤتيه من يشاء، والله سبحانه أعلم"[1].

وقال ابن علان: "وقوله: تغزو فتغنم وتسلم إلا كانوا قد تعجلوا ثلثي أجرهم، معناه: يكون أجرهم أقل من أجر من لم يسلم أو سلم ولم يغنم، وقال القرطبي: ويحتمل أن هذه التي أخفقت إنما يزاد في أجرها لشدة ابتلائها وأسفها على ما فاتها من الظفر الغنيمة، قلت: فيه بُعد لأن الكامل من قاتل لإعلاء كلمة الله فهو باذل نفسه لله غير ناظر لعرض ولا غرض"[2].

ثانيًا- من أهداف الدعوة: الحث على بذل الجهد والحرص على الشهادة أو النصر:

ويتضح هذا من سياق الحديث ومما لا شك فيه أن من الأهداف الرئيسة للدعوة حث المدعوين على بذل الجهد والحرص على الشهادة والنصر، وقد دلت الكثير من

---

(١) فتح الملهم ٩/٣٦٨.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٤٣٠ - ١٤٣١.

آيات القرآن الكريم على فضل الجهاد وبذل النفس، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾[2].

قال السعدي في تفسير هذه الآية: "إن الجهاد والإيمان بالله أفضل من سقاية الحاج، وعمارة المسجد الحرام، بدرجات كثيرة، لأن الإيمان أصل الدين، وبه تقبل الأعمال وتزكو الخصال، وأما الجهاد في سبيل الله فهو ذروة سنام الدين، به يحفظ الدين الإسلامي، ويتسع وينصر الحق، ويخذل الباطل. ولقد صرح الله تعالى بفضل النفقة في الجهاد وتجهيز الغزاة والخروج بالنفس بأن ذلك أعظم درجة عند الله فلا يفوز بالمطلوب، ولا ينجو من المرهوب، إلا من اتصف بصفاتهم، وتخلق بأخلاقهم يبشرهم ربهم رحمة منه وكرمًا وبرًا بهم، واعتناء ومحبة لهم بجنات لهم فيها نعيم مقيم مما لا يعلم وصفه ومقداره إلا الله تعالى الذي منه ما أعده الله للمجاهدين في سبيله مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ولو اجتمع الخلق في درجة واحدة منها لوسعتهم"[3].

"إن الدعوة الإسلامية تقوم على بذل الجهد، وهو حصيلة جهود الأفراد، وهو مظهر تخطيط القيادة التي تستفيد من جميع الطاقات فالدعوة جهاد والجهاد دعوة"[4].

---

(١) سورة التوبة، آية: ١١١.

(٢) سورة التوبة، الآيتان: ٢٠ - ٢١.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٢٩٢.

(٤) فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٣١.

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

حيث جاء في الحديث: (إلا كانوا قد تعجلوا ثلثي أجورهم)، وقوله: (إلا تم أجورهم)، (وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي تحث المدعو على الإقدام على الطاعات، والترغيب هو التشويق للحمل على فعل أو اعتقاد أو تصور وترك خلافه والترغيب يقوم على وعد بتحقيق منفعة مقابل الالتزام بأداء أمر أو اجتناب نهي ويبرز أثر الترغيب بحسب درجة المنفعة التي سوف تتحقق للملتزم)[1]، ومن آيات الترغيب قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾[2].

وفي الحديث رغَّب النبي ﷺ في الجهاد وحث عليه من خلال بيان الأجر الذي يناله المجاهد في سبيل الله.

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي ص ٢٩٣.

(٢) سورة النبأ، آية: ٣١.

الحديث رقم (١٣٤٧)

١٣٤٧ - وعن أَبي أُمَامَة رضي الله عنه : أنَّ رجلاً ، قَالَ: يَا رسولَ اللّهِ، ائْذَنْ لي في السِّيَاحَةِ فَقَالَ النبيُّ ﷺ : ((إنَّ سِيَاحَةَ أُمَّتِي الجِهَادُ في سَبيلِ اللّهِ ﷻ)) رواه أَبُو داود[١] بإسنادٍ جيدٍ.

ترجمة الراوي:

أبو أُمامة الباهليُّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧٣).

غريب الألفاظ:

السياحة : الذهاب في الأرض للعبادة[٢].

الشرح الأدبي

هذا مشهد حقيقي من مشاهد تعليم النبي ﷺ لأصحابه وإقناعهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، والحديث يبدأ بتأكيد الخبر (أن رجلاً قال)؛ لأن الموقف حقيقي، ولم يسم السائل لأن العبرة بالمنهج المتبع المأخوذ عن رسول الله وليس العبرة بالأشخاص، ولذلك ورد السائل في صيغة النكرة أن رجلاً قال، ولم يقل سأل لأن الرجل لا يسأل وإنما يطلب الإذن في السياحة وفعل الأمر هنا ليس على حقيقته، ائذن لي "وإنما هو التماس بالإذن، ولفظ "السياحة "من الألفاظ ذات الدلالة المشعة فالمراد من الإذن هو "مفارقة الوطن والذهاب في الأرض وأصل الاشتقاق اللغوي من "السبح وهو الماء الظاهر الجاري على وجه الأرض وفى حديث الزكاة: ما سقى بالسبح العشر "وقيل السياحة: الذهاب في الأرض للعبادة والترهيب وفى الحديث "لا سياحة في الإسلام "أراد - كما يقول ابن الأثير "مفارقة الأمصار وسكنى البراري وترك شهود الجمعة الجماعات "وقيل

---

(١) برقم (٢٤٨٦). وقال الحاكم (٢/٧٣): هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال العراقي في تخريج الإحياء (٢٦٥٩): إسناده جيدٌ.

(٢) القاموس المحيط، الفيروز آبادي في (س ي ح).

المراد بالسياحة عند بعض العلماء: الذين يسعون في الأرض بالشر والنميمة والإفساد بين الناس، وهذا الرأي لا يتسق مع دلاله الحديث واستفسار الصحابي. وإجابة النبي ﷺ تأتى مدعمة بالتأكيد حتى يتعمق المفهوم الجديد للسياحة في ذهن الرجل وفى أذهان كل المسلمين. . وحتى يصبح سلوكاً عملياً (وهو الجهاد) والمشاركة في الفتوحات الإسلامية ولذلك جاءت إجابة رسول الله ليس بالمنع ولا بالإذن وإنما بتوضيح التصور الإسلامي للسياحة حسب المفهوم الواقعي الجديد الذي تتحرك في ظلاله الأمة كلها، "إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله عز وجل "وإضافة أمة إلى ياء المتكلم. . تشريف لهذه الأمة لأنها أمة رسول الله وهى خير امة أخرجت للناس أكرمها الله بالإسلام وأنعم عليها بخير الأنام سيدنا محمد علية الصلاة والسلام.

فقه الحديث

قال البهوتي: (والجهاد من السياحة المرغوب فيها، وأما السياحة في الأرض لا لمقصود شرعي، ولا إلى مكان معروف فمكروهة لأنهامن العبث)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على استئذان النبي ﷺ في أمورهم.

ثانيًا: من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين وتوجيههم لما ينفعهم.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على استئذان النبي ﷺ في أمورهم:

حيث جاء في الحديث: (أن رجلاً قال: يا رسول الله ائذن لي في السياحة)، ومما لا شك فيه أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يسألون النبي ﷺ عن كل كبيرة وصغيرة في أمورهم وحياتهم، ذلك لأنهم يعرفون أن رسول الله ﷺ هو المبلغ عن وحي الله، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾[2]، وهم في ذلك يستجيبون لأمر

---

(١) كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٢٥٩/٤.

(٢) سورة النجم، الآيتان: ٣ - ٤.

الله في رد كل أمورهم إلى الله والرسول، قال سبحانه: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[1]، قال شرف الحق العظيم آبادي: "والسياحة من ساح في الأرض يسيح إذا ذهب فيها، والمراد مفارقة الأمصار وسكنى البراري وترك الجمعة والجماعات، قال في السراج المنير: كأن هذا السائل استأذن النبي ﷺ في الذهاب في الأرض قهرًا لنفسه بمفارقة المألوفات والمباحات واللذات، وترك الجمعة والجماعات وتعليم العلم ونحوه فرد عليه ذلك كما رد على عثمان بن مظعون في التبتل"[2].

وقال ابن علان: "والسائل أراد مفارقة الوطن والذهاب في الأرض وأصله من السيح وهو الماء الجاري على وجه الأرض منبسطًا وقد رده ﷺ كما ردّ من أراد التبتل وهو الانقطاع عن النساء وترك النكاح لعبادة الله تعالى، قان ابن رسلان: ولعله محمول على أن السؤال كان في زمن تعين فيه الجهاد وكان السائل شجاعًا، قال: أما السياحة في الفلوات والإنسلاخ عما في النفس من الرعونات فلمن علم من نفسه الصبر على ذلك من غير تضييع من يعوله من أولاد وزوجات ففيها فضيلة بل هي من المأمورات"[3].

والرسول عندما وجهّه إلى الجهاد فإنما أراد أن يرشده إلى الأفضل له في دنياه وأخراه "والسياحة مفارقة الوطن والذهاب في الأرض وما دام هناك جهاد وتحققت القدرة عليه فإن التفرغ للعبادة والابتعاد عن تحمل المسؤوليات لا قيمة له ولا اعتبار وفيه: حكمة الإسلام، وحسن مواجهته للحياة وحسمه في الحكم على الأمور"[4].

ثانيًا - من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين وتوجيههم لما ينفعهم:

يتضح هذا من الحديث: (إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله عز وجل)، ويعتبر بيان الحقائق للمدعوين من أولى مهام الداعية لأنه عليها تقوم مهمة الدعوة إلى الله، وقد

---

(١) سورة النساء، آية: ٥٩.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١٠٨٥.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٤٣١.

(٤) شرح رياض الصالحين ص ٦٥٢.

قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾[1]، والداعية دائمًا يرشد المدعوين إلى ما ينفعهم لأنه حريص عليهم كما كان ﷺ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

لقد كان النبي ﷺ شديد الحرص على توجيه المدعوين وإرشادهم إلى ما ينفعهم، واستقبال أسئلتهم واستفساراتهم، ومما يدل على ذلك ما جاء عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: ((إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا مَهْ مَهْ فَقَالَ ادْنُهْ فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا قَالَ فَجَلَسَ قَالَ: أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ؟ قَالَ لاَ وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ: وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأُمَّهَاتِهِمْ قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لابْنَتِكَ؟ قَالَ لاَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ: وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ؟ قَالَ لاَ وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ: وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأَخَوَاتِهِمْ قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ قَالَ لاَ وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ: وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟ قَالَ لاَ وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ: وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالاَتِهِمْ قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ)) قَالَ فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ[3].

"إن قصة هذا الشاب المتوقد شبابًا وغريزة، تقدّم لنا نموذجًا رائعًا من الهدي النبوي في الدعوة إلى الله تعالى، ومعالجة مشكلات الناس النفسية والسلوكية..

فإن تغيير السلوك الفردي أو الاجتماعي ليس كتغيير شيء من الجماد عن موضعه.. وإن فطم النفس عن المعصية إذا ألفتها واعتادت عليها من أشق الأمور وأصعبها.. إنه

---

(١) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٣) أخرجه أحمد ٢٥٧/٥، رقم ٢٢٢١١، وقال محققو المسند: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح، ٥٤٥/٣٦.

يصطدم بعقبات كثيرة في النفس والمجتمع، تمنع من أن تجري دعوة الحق وموجة الإصلاح على طبيعتها الهادية البينة، الوادعة المرسلة. فما لم يكن الداعية حكيمًا، واعيًا لهذه العقبات والعراقيل، عارفًا بدوافع النفوس وكوابحها، قادرًا على حسن توظيفها واستغلالها.. فإنه سرعان ما تفل عزيمته، ويدب اليأس إلى قلبه، وينكص على عقبيه، ويلقى على قارعة الطريق. والحادثة التي بين أيدينا تعطينا صورة جلية من المنهج النبوي الحكيم، في الدعوة إلى الله تعالى ومعالجة المشكلات، وبالأخص المشكلات النفسية السلوكية.

لقد جاء هذا الشاب يطلب منه أن يأذن له بالزنى، والزنى فعل قبيح مستهجن، دنيء وضيع يدل على خسة مرتكبه، وتفاهة فاعله، وقد يأنف من التصريح به من يفعله، ويغرق في قاذوراته، فكيف تجرأ هذا الشاب على أن يطلب من النبي ﷺ أن يأذن له به؟ ولم تمنعه هيبة النبي ﷺ من ذلك؟ فهلا من غير النبي ﷺ؟ من بعض أصحابه، ولو من كبارهم؟!

إن هذا الطلب المباشر من النبي ﷺ يدل على شدة توقد الغريزة في نفس هذا الشاب، أو على أنه قد اعتاد في جاهليته عليه، فهو لا يستطيع عنه فكاكًا.. فكيف عالجه النبي ﷺ؟ وكيف حرره من أسره وفساده؟

لقد أدناه ﷺ منه دنوًا شديدًا، وهذا ما يحمل دلالات متنوعة من الشفقة والرحمة، إلى المودة وبث الطمأنينة، وإشعاره بالأنس بالنبي ﷺ، ليكون التلقي عنه على أكمل وجه، وأقوى تأثير. ثم افتتح معه النبي ﷺ حوارًا صريحًا، فماذا كانت سمة ذلك الحوار؟ لقد كان حوارًا فطريًا عاطفيًا، إنه يقوم على الاستجاد برصيد الفطرة.. التي فطر الله الناس عليها التي تأبى على صاحبها أن يتمرد عليها، أو يشقى بها..

ولا يزال هذا المبدأ النبوي الحكيم: (أتحبه لأمك؟)، وهو مبدأ من مبادئ الفطرة السوية، مبدأ مفيدًا في الدعوة حاسمًا، مؤثرًا في جل الناس وأكثرهم.. ولا عبرة بمن انحرفت فطرهم، أو حاولوا المعاندة والمكابرة للحق في بعض المواقف، وقد يفعلون

ذلك، بل ويتبجحون به إلى حين.. ولكنهم في قرارة أنفسهم، لا يحبون الفساد لأهليهم وذويهم. ولا يرتضونه، ولو قدّر لهم الداعية الحكيم لفاءوا إلى الحق، وثابوا إلى رشدهم.

ومن الفوائد الدعوية المهمة في هذه الحادثة: خطر الانفصام بين الدعوة والفتوى، ونزوع العالم إلى تحرير الفتوى، دون أن يتحلى بروح المعلم المربي.. إنه لا بد للعالم أن يكون داعيًا مربيًا حكيمًا، قبل أن يكون مفتيًا أو قاضيًا.. وما كثر ما أفسدت الفتوى المتجردة عن روح الدعوة والتربية ولم تصلح، ونفرّت ولم تقرّب"(١).

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

حيث جاء في الحديث: (إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله عز وجل)، وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي تحبب المدعو في فعل الخير، "والترغيب هو تشويق الناس إلى ثواب الله والجنة والترغيب والترهيب في الشريعة يأتي حسب الأحوال والنفوس والمواقف يأتي علاجًا وردعًا، ويأتي بشيرًا ونذيرًا فإن من النفوس من ترغب في الخير وتهفوا إلى الهدى، وتشتاق إلى النور ذكر الخير يرغبها، ودعوة الإحسان تدفعها ونور الحق يدفئها ومن الناس من يلهث وراء الشهوات ويجري وراء المادة فهذا يقرعه الترهيب ويوقفه الإنذار"(٢).

وفي الحديث يرغب النبي ﷺ في الجهاد في سبيل الله من خلال بيان أنه سياحة هذه الأمة وأن المسلم يجب أن يصرف همته إليه ويحرص عليه.

---

(١) انظر: ركائز دعوية من هدي النبي ﷺ في العلاقات الاجتماعية، د. عبدالمجيد البيانوني ص ١١٦ - ١٢٠.

(٢) الدعوة إلى الله "الرسالة - الوسيلة - الهدف"، د. توفيق الواعي ص ٢٠٠.

الحديث رقم (١٣٤٨)

١٣٤٨ - وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، عن النبيِّ ﷺ ، قَالَ: ((قَفْلَةٌ كَغَزْوَةٍ)) رواه أَبُو داود بإسنادٍ جيدٍ[١].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

غريب الألفاظ:

قفْلة: القفلة: الرجوع، والمراد: الرجوع من الغزو بعد فراغه، ومعناه: أنه يثاب في رجوعه بعد فراغه من الغزو[٢].

الشرح الأدبي

هذا الحديث في غاية الإيجاز حيث يتكون من كلمتين "قفلة كغزوة "والإيقاع فيها سريع. . وهما متساويان في الحروف ومتشابهان في الحركات ومتشابهان في النوعية فهما: اسما مرة: أي قفلة واحدة، وغزوة واحدة، والمثلية بينهما ليست تشبيهاً بيانياً وليست صورة في الفعل، وإنما المثلية هنا في الأجر والمثوبة، والقفول: الرجوع من السفر وحدد بعض العلماء دلالة القفول وخصوها بالجهاد فقالوا (القفول): رجوع الجند بعد الغزو فالرجوع ليس عن ضعف وإنما بعد انتصار مبين وهذا القفول يعقبه عود للغزو بعد الاستعداد والراحة التي تهيىء للمجاهدين أسباب النصر وبواعث القوة والفوز وسميت: القافلة "قافلة "تفاؤلاً بقفولها عن سفرها الذي ابتدأته، ودلاله الحديث تفيد أن أجر المجاهد في انصرافه إلى أهله بعد غزوة كأجره في إقباله إلى الجهاد: لأن في قفوله إراحة للنفس واستعدادا بالقوة للعود وحفظاً لأهله برجوعه إليهم وللحديث دلاله أخرى يشع بها نصه الموجز: حيث قيل: يحتمل أن يكون رسول الله سئل عن قوم قفلوا لخوفهم

---

(١) برقم (٢٤٨٧). وقال الحاكم (٢/٧٣): هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٢) رياض الصالحين ٤٦٩.

أن يدهم من عدوهم من هو أكثر عدداً منهم فقفلوا ليستضيفوا لهم عدداً أخر من أصحابهم، ثم يكروا على عدوهم (١) ودلاله لفظ: غزوه "يشع بالحركة وقصد القتال: فالعرب تقول غزا الشيء غزواً أراده وطلبه، والغزو: القصد، والغزو: السير إلى قتال العدو وانتهابه: وقال ثعلب: إذا قيل غزاة فهو عمل سنة وإذا قيل "غزوة "فهي المرة الواحدة من الغزو، إن هذا الحديث نموذج للبيان النبوي الذي وصفه الجاحظ قائلاً: هو الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانية، وجل عن الصنعة ونزه عن التكلف وجمع بين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام. والله أعلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من خصائص النبي ﷺ: جوامع الكلم.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان فضل الجهاد والحث عليه.

أولاً - من خصائص النبي ﷺ: جوامع الكلم:

حيث جاء في الحديث: (قفلة كغزوة)، ومما لا شك فيه أنه ﷺ أوتي جوامع الكلم فكان يعبر عن المعاني الكثيرة باللفظ القليل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِسِتٍ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ. وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ. وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ. وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا. وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً. وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ))[1].

ولا يستطيع أحد أن يمارئ في بلوغ النبي ﷺ الغاية من البلاغة والفصاحة، وأوتي جوامع الكلم في التعبير قال الماوردي: "وليس يصح اختيار الكلام، إلا لمن أخذ نفسه بالبلاغة، وكلفها لزوم الفصاحة، حتى يصير متدربًا بها، معتادًا لها. فلا يأتي بكلام مستكره اللفظ، ولا مختل المعنى، لأن البلاغة ليست على معان مفردة، ولا لألفاظها غاية، وإنما البلاغة أن تكون المعاني الصحيحة، مستودعة في ألفاظ فصيحة، فتكون فصاحة الألفاظ مع صحة المعاني هي البلاغة.

---

(١) أخرجه مسلم ٥٢٣.

وقد قيل لليوناني: ما البلاغة؟ قال: اختيار الكلام، وتصحيح الأقسام. وقيل ذلك للرومي. فقال: حسن الاختصار عند البديهة، والغزارة يوم الإطالة. وقيل للهندي فقال: معرفة الفصل من الوصل. وقيل للعربي، فقال: ما حسن إيجازه وقل مجازه وقيل للبدوي، فقال: ما دون السحر، وفوق الشعر، يفتُ الخردل، ويحط الجندل. وقيل للحضري، فقال: ما كثر إعجازه، وتناسبت صدوره وأعجازه.

وقال ابن المقفع: البلاغة قلة الحصر، والجراءة على البشر. وسأل الحجاج ابن القرية عن الإيجاز؟ قال: أن تقول فلا تُبطئ، وأن تصيب فلا تخطئ. قال الشاعر:

خَيْرُ الكلامِ قَليلُ ... على كَثير دَليلُ

والعِيُّ مَعنى قَصِيرُ ... يَحويه لفظٌ طَويلُ

وفي الكلام فضولٌ ... وفيه قال وقيل[1]

ولقد استجمع النبي ﷺ شروط البلاغة في الكلام، قال القاضي عياض: "وأما كلامه المعتاد ﷺ وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه المأثورة فقد ألف الناس فيها الدواوين وجمعت في ألفاظها ومعانيها الكتب، ومنها ما لا يوازي فصاحة ولا يباري بلاغة"[2]، لقد فضل الله عز وجل نبيه ﷺ على غيره من الأنبياء عليهم السلام بأن أعطاه جوامع الكلم، "فلقد كان ﷺ يتكلم؛ بالقول الموجز القليل اللفظ الكثير المعاني أعطاه مفاتيح الكلام وهو ما يسره له من البلاغة والفصاحة والوصول إلى غوامض المعاني وبدائع الحكم ومحاسن العبارات والألفاظ التي أغلقت على غيره وتعذرت عليه، قال العز بن عبدالسلام: "ومن خصائصه أنه بعث بجوامع الكلم واختصر له الحديث اختصارًا وفاق العرب في فصاحته وبلاغته"[3].

ثانيًا – من موضوعات الدعوة: بيان فضل الجهاد والحث عليه:

حيث جاء في الحديث: (قفلة كغزوة)، قال ابن الأثير: "والمراد أن أجر المجاهد في

---

(١) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ٢٧٠ – ٢٧١.

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١٦١/١.

(٣) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٤٥٩/١.

انصرافه إلى أهله بعد غزوه كأجره في إقباله إلى الجهاد لأن في قفوله راحة للنفس، واستعدادًا بالقوة للعود، حفظًا لأهله برجوعه إليهم، وقيل: أراد بذلك التعقيب وهو رجوعه ثانيًا في الوجه الذي جاء منه منصرفًا، وإن لم يلق عدوًا ولم يشهد قتالاً، وقيل: يحتمل أن يكون سئل عن قوم قفلوا لخوفهم أن يدهمهم من عدوهم من هو أكثر عددًا منهم فقفلوا ليستضيفوا إليهم عددًا آخر من أصحابهم ثم يكروا على عدوهم"[1].

وقال ابن علان: "والقفول هو الرجوع والمراد: الرجوع من الغزو وبعد فراغه، ومعنى الحديث بجملته: أنه يثاب في رجوعه بعد فراغه من الغزو كما يثاب في ذهابه إليه لما في القفول من معاني داعية للإثابة من راحة النفس وحفظ الأهل والاستعداد للعود"[2]، ومما لا شك فيه أن الله عز وجل فضل المجاهدين في سبيله ووعدهم بالأجر الجزيل والثواب العظيم، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[3]، وقال عز وجل: ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[4].

وقال الفيروزآبادي: "والجهاد والمجاهدة: استفراغ الوسع في مدافعة العدو قال الشاعر:

يا من يجاهد غازيًا أعداء دين الله ... يرجو أن يعان ويُنصرا
هل غشيت النفس غزوًا إنها ... أعدى عدوك كي تفوز وتظفرا
مهما عنيت جهادها وعنادها ... فلقد تعاطيت الجهاد الأكبرا

وقال آخر في الجهد ومعنييه:

تعاليت عن قدر المدائح صاعدًا ... فسيّان عفو القول عندك والجهد
وإني لأدري أنّ وصفك زائد ... على منطقي لكن على الواصف الجُهْد
وإنّ قليل القول يكثر وَقْعُه ... إذا عُرفت فيه الموالاة والودّ

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق ف ل).
(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٤٣٢.
(٣) سورة العنكبوت، آية: ٦٩.
(٤) سورة النساء، آية: ٩٥.

وورد الجهاد في القرآن على معانٍ:

الأول: مجاهدة الكفار والمنافقين بالبرهان والحجة قال تعالى: ﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾[٢].

الثاني: جهاد أهل الضلالة بالسيف والقتال، قال تعالى: ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ﴾[٣]، وقال سبحانه: ﴿هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[٤].

الثالث: مجاهدة مع النفس قال تعالى: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ﴾[٥].

الرابع: مجاهدة مع الشيطان بالمخالفة طمعًا في الهداية قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[٦].

الخامس: جهاد مع القلب لنيل الوصل والقرب، قال تعالى: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾[٧].

والحق أن يقال: المجاهدة ثلاثة أضرب: مجاهدة العدو الظاهر، ومجاهدة الشيطان، ومجاهدة النفس. ويدخل الأضرب الثلاثة في ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾، والمجاهدة تكون باليد وباللسان. قال ﷺ: ((قوله تعالى جَاهِدُوا المُشْرِكِينَ بأمْوَالِكُم وَأنْفُسِكُمْ وَألْسِنَتِكُم))[٨]،[٩].

---

(١) سورة التوبة، آية: ٧٣، وسورة التحريم، آية: ٩.

(٢) سورة الفرقان، آية: ٥٢.

(٣) سورة النساء، آية: ٩٥.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢١٨.

(٥) سورة العنكبوت، آية: ٦.

(٦) سورة العنكبوت، آية: ٦٩.

(٧) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٨) أخرجه أبو داود ٢٥٠٤، وصححه اللباني، (صحيح سنن ابي داود ٢١٨٦).

(٩) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٢/٤٠٢-٤٠٣.

الحديث رقم (١٣٤٩)

١٣٤٩ - وعن السائب بن يزيد رضي الله عنه ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ النبيُّ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوك تَلَقَّاهُ النَّاسُ، فَتَلَقَّيْتُهُ[1] مَعَ الصِّبْيَانِ عَلَى ثَنِيَّة الوَدَاعِ. رواه أَبُو داود[2] بإسنادٍ صحيح بهذا اللفظ.

ورواه البخاريُّ[3] قَالَ: ذَهَبنا نَتَلَقَّى رسولَ اللهِ ﷺ ، مَعَ الصِّبْيَانِ إِلَى ثَنِيَّةِ الوَدَاعِ.

ترجمة الراوي:

السائب بن يزيد: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢٣٨).

غريب الألفاظ:

تبوك: بلدة بين وادي القرى والشام، بين الحجر وأول الشام، تبعد عن المدينة المنورة ٧٧٨ كم، وقد توجه النبي ﷺ ٩هـ إليها وهي آخر غزواته[4].

ثنية الوداع: ثنية مشرفة على المدينة المنورة يطؤها من يريد مكة المكرمة، فهي موضع وداع المسافرين من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة[5].

الشرح الأدبي

يصور هذا الحديث مشهداً من مشاهد العودة. . بعد أن منَّ الله على رسول الله بالنصر في غزوة "تبوك "وهذه الغزوة كانت كما يقول ابن هشام في السيرة النبوية "في زمان من عسرة الناس وشدة الحر وجدب من البلاد "وحين طابت الثمار والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ويكرهون الشخوص على الحال من الزمان الذي هم عليه.

---

(١) لفظ أبي داود: (فلقيته).

(٢) برقم (٢٧٧٩). قال المنذري في مختصره (٢٦٦٢): فيه تمرين الصبيان على مكارم الأخلاق، واستجلاب الدعاء لهم.

(٣) برقم (٣٠٨٣). قلتُ: وأقرب منه، لفظ البخاري برقم (٤٤٢٧): أذكر أني خرجتُ مع الصبيان نتلقى النبي ﷺ إلى ثنية الوداع، مقدمه من غزوة تبوك.

(٤) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ص ٨٩.

(٥) المرجع السابق ص ١٠٨.

وهذا التصوير للأجواء المصاحبة لغزوة تبوك اقتضى أن يصرح رسول الله بما يريد من غزو الروم، وكان رسول الله "قلما يخرج في غزوة إلا كنى عنها وأخبر أنه يريد غير الوجه الذي يصمد له إلا ما كان من غزوة تبوك فإنه بينها للناس لبعد الشقة وشدة الزمان وكثرة العدو الذي يصمد له ليتأهب الناس لذلك أهبته فأمر الناس بالجهاز وأخبرهم أنه يريد الروم (١) ولذلك حينما قفل رسول الله من الغزو "تلقاه الناس "كما يصف هذا الحديث الشريف بالبشر والفرح والسرور، وكلمة (الناس) كلمة جامعة تشمل كل الطوائف (الرجال - النساء - الشباب - الشيوخ - الأطفال) وصيغة الفعل (تلقاه الناس) توحي باللهفة والشوق: حيث لم يقل لقيه الناس "وإنما تلقاه الناس "فزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، والتلقي ينبيء عن الحرص والشوق والتضعيف في "القاف "يدل على الكثرة والمزاحمة. . والشوق إلى اللقاء، ويصف السائب بن يزيد فرحته ولهفته فيقول (فلقيته مع الصبيان على ثنية الوداع) وتحديد المكان: يفيد الخروج، والاستعداد للقاء وانتظار رسول الله مع الجيش العائد المنتصر ومن الذين استقبلوه أو تلقوه (البكاؤون) الذين لم يجدوا لهم ما يحملهم عليه ومنهم المعذرون من الأعراب "الذين تخلفوا وبعضهم اعتذروا لرسول الله ولم يعذرهم الله تعالى "وبغزوة تبوك "كما يقول د. محمد حسين هيكل "تمت كلمة ربك في الجزيرة كلها وأمن محمد كل عادية عليه وأقبل سائر أهلها وفوداً علية يقدمون الطاعة ويعلنون لله الإسلام ولقد كانت هذه الغزوة خاتمة غزوات النبي ﷺ ومن بعدها أقام محمد علية السلام بالمدينة مغتبطاً بما أفاء الله عليه.

فقه الحديث

قال الشوكاني: (في الحديث دليل على مشروعية تلقي الغازي إلى خارج البلد لما في الاتصال به من البركةو والتيمن بطلعته، فإنه في تلك الحال ممن حرّمه الله على النار، وما في ذلك من التأنيس له والتطييب لخاطره، والترغيب لمن كان قاعدًا في الغزو)[1].

---

(١) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ١٤٩٠ ، وانظر: المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٣/١٧-١٨.

المضامين الدعوية

أولاً: من تاريخ الدعوة: غزوة تبوك.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﷺ على استقبال النبي ﷺ في رجوعه من غزوة تبوك.

أولاً- من تاريخ الدعوة: غزوة تبوك:

جاء في الحديث: (لما قدم النبي ﷺ المدينة من غزوة تبوك)، قال ابن عبدالبر: "وخرج ﷺ في رجب من سنة تسع بالمسلمين إلى غزوة الروم وهي آخر غزاة غزاها ﷺ بنفسه وكان خروجه إلى غزوته تلك في حر شديد وحين طاب أول الثمر وفي عام جدب وأقام رسول الله ﷺ بتبوك بضع عشرة ليلة ولم يتجاوزها، ثم انصرف وبنى رسول الله ﷺ بين تبوك والمدينة مساجد كثيرة نحو ستة عشر مسجدًا، ولقد نزل من القرآن من سورة براءة وسورة الأحزاب ما يفضح المنافقين الذين كانوا يخذلون المسلمين في هذه الغزوة"[1].

وقال د. أبو شهبة" وبعد أن أقام النبي ﷺ بتبوك مدة استشار أصحابه ﷺ في مجاوزة تبوك إلى ما هو أبعد منها من ديار الشام فقال الفاروق عمر ﷺ: (إن كنت أمرت بالسير فسر)، فقال ﷺ: (لو كنت أمرت بالسير لما استشرت)، فقال عمر ﷺ: (يا رسول الله إن للروم جموعًا كثيرة وليس بالشام أحد من أهل الإسلام وقد دنونا وقد أفزعهم دنوك فلو رجعنا في هذه السنة حتى ترى أو يحدث الله أمرًا، فاستجود النبي ﷺ رأيه واتبع مشورته بالرجوع إلى المدينة فعادوا حامدين شاكرين"[2].

ولا ريب أن غزوة تبوك تمثل تاريخًا هامًا للدعوة الإسلامية وتمثل طورًا من أطوار تبليغ هذا الدين للعالمين، ونشره في كل بقعة من بقاع الأرض، ويدلل على جهاد النبي ﷺ وصحابته الكرام ﷺ، وتحملهم المشاق في سبيل الدعوة الإسلامية لتظل

---

(١) الدرر في اختصار المغازي والسير، ابن عبدالبر ص ٢٣٨.

(٢) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، د. محمد بن محمد أبو شهبة ٢/٥٠٤.

حية في القلوب، شاخصة للناظرين، متحركة في الدماء والعروق "إن الدعوة الإسلامية تقوم على بذل الجهد، وهو حصيلة جهود الأفراد، وهو مظهر تخطيط القيادة التي تستفيد من جميع الطاقات فلا يوجد في قاموسها (طاقات معطلة) ولا يخطر ببالها أن فردًا مهما كان وأيًا كان لا يستطيع أن يقدم شيئًا؛ فكل إنسان قد يكون له دور، وقد يتقن شيئًا لا يتقنه غيره، إنها دعوة تجاهد نفسها لتحافظ على أفرادها وتنميتهم، وتضم عناصر جديدة إليها، وهي دعوة تجاهد لتبليغ دين الله الذي يحتاجه الناس وهم في ضلال، وهي دعوة تجاهد لتفنيد شبهات المناوئين من الكافرين والمشركين والمنافقين والفاسقين والزنادقة، فجوانب الجهاد لا تتوقف بل هي متعددة متحركة عبر الزمان والمكان، تجاهد للتجديد ولمواجهة مكر أعداء الله تخطط وتدعو الله تعالى أن يوفقها لما فيه خير البلاد والعباد"[1].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﵃ على استقبال النبي ﷺ في رجوعه من غزوة تبوك:

وذلك حيث جاء في الحديث: (لما قدم النبي ﷺ المدينة من غزوة تبوك تلقاه الناس فتلقيته مع الصبيان على ثنية الوداع)، قال شرف الحق العظيم آبادي: "وتبوك موضع من بادية الشام قريب من مدين الذين بعث الله إليهم شعيبًا والثنية العقبة أو طريقها أو الجبل وسميت ثنية الوداع بالمدينة لأن من سافر إلى مكة كان يودع ويشيع إليها"[2].

قال محمد الغزالي: "وقدم رسول الله ﷺ المدينة ولاحت له معالمها من بعيد فقال: هذه طابة وهذا أحد جبل يحبنا ونحبه وتسامع الناس بمقدمه فخرج النساء والصبيان والولائد يقلن:

طَلَعَ البَدْرُ عَلَينَا ... مِنْ ثَنِيَّاتِ الوَدَاعْ
وَجَبَ الشُّكْرُ عَلَينَا ... مَا دَعَا لِلَّهِ دَاعْ

(١) فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٣١ - ٣٢.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١١٨٦.

لقد قوبل جيش العسرة في مرجعه هذا بحفاوة بالغة إنه أكبر جيش خرج مع رسول الله ﷺ، إذ وصل تعداده لثلاثين ألفًا"(١).

ولحرص الصحابة رضي الله عنهم على استقبال النبي ﷺ عنون الإمام البخاري بابًا سماه: باب استقبال الغزاة وأورد فيه حديث ابن أبي مليكة: قال ابنُ الزُّبير لابنِ جَعفرٍ رضي الله عنهم: ((أتذكُرُ إذ تلقّينا رسولَ اللهِ ﷺ أنا وأنتَ وابنُ عباسٍ؟ قال: نعم، فحملنا وتركَكَ))(٢)، وحديث السائب بن يزيد رضي الله عنه: ((ذَهبْنا نَتلقَّى رسولَ اللهِ ﷺ معَ الصِّبيانِ إلى ثَنِيَّة الوَداعِ))(٣).

قال ابن حجر: "والمراد باستقبال الغزاة أي عند رجوعهم وفي الحديث جواز الفخر بما يقع من إكرام النبي ﷺ، وثبوت الصحبة لابن جعفر ولابن الزبير وهما متقاربان في السن"(٤).

وجاء في كتاب المغازي من صحيح البخاري من حديث السائب بن يزيد أيضًا: ((أذكُرُ أني خرجتُ مع الصِّبيانِ نتلقى النبيَّ ﷺ إلى ثنيَّةِ الوداع، مَقْدَمَهُ من غزوةِ تبوك))(٥).

قال ابن حجر: "أنكر الداودي كون ذلك مقدمة من غزوة تبوك وتبعه ابن القيم وقال: ثنية الوداع من جهة مكة لا من جهة تبوك، بل هي مقابلها كالمشرق والمغرب، قال: إلا أن يكون هناك ثنية أخرى في تلك الجهة، والثنية ما ارتفع في الأرض، وقيل الطريق في الجبل، قلت: لا يمنع كونها من جهة الحجاز أن يكون خروج المسافر إلى الشام من جهتها، وهذا واضح كما في دخول مكة من ثنية والخروج منها من أخرى، وينتهي كلاهما إلى طريق واحدة، وقد روينا بسند منقطع في (الحلبيات) قول النسوة لما قدم النبي ﷺ المدينة: (طلع البدر علينا من ثنيات الوداع) فقيل: كان ذلك عند قدومه في الهجرة وقيل عند قدومه من غزوة تبوك"(٦).

---

(١) فقه السيرة ٤٠٩.

(٢) أخرجه البخاري ٣٠٨٢.

(٣) أخرجه البخاري ٣٠٨٣.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٢٢/٦.

(٥) أخرجه البخاري ٤٤٢٧.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٣٥/٧.

الحديث رقم (١٣٥٠)

١٣٥٠ - وعن أَبي أُمَامَة رضي الله عنه، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((مَنْ لَمْ يَغْزُ، أَوْ يُجَهِّزْ غَازِيًا، أَوْ يَخْلُفْ غَازِيًا فِي أَهْلِهِ بِخَيرٍ، أَصَابَهُ اللهُ بِقَارِعَةٍ[1] قَبْلَ يَوْمِ القِيَامَةِ)) رواه أَبُو داود[2] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

أبو أُمامة الباهليُّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧٣).

غريب الألفاظ:

يخلف غازيًا في أهله بخير: يقوم بما كان يفعله من قضاء مصالحهم[3].

بقارعة: بداهية تهلكه، يقال: قرعه أمر إذا أتاه فجأة[4].

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث النبوي.. نجده يتكون من جملة واحدة.. وهي جملة شرطية.. تتسق مع دلالة الحديث حيث يتوعد النبي صلى الله عليه وسلم أولئك الذين يتقاعسون عن الجهاد مثل المنافقين في غزوة تبوك، وغيرها من المعارك التي خاضها المسلمون علي امتداد تاريخ الإسلام وسيرته الجهادية، ويتوعد الذين يبخلون بما أتاهم الله من فضله، ويتوعد الذين لا يحمون الأهل والأموال والديار في غياب المجاهدين والمرابطين علي الثغور، بأن يصيبهم الله بقارعة قبل يوم القيامة. وفعل الشرط يتضمن ثلاث طوائف من الناس: فمنهم من لم يغز، ولم يحدث نفسه يغزو فهو

---

(١) قال ابوداود: (قال يزيد بن عبد ربه في حديثه: قبل يوم القيامة). رواه ابن ماجه (٢٧٦٢) بتمامه من رواية هشام بن عمار. والمؤلف تبع فيه المنذري في ترغيبه، حيث أورده هكذا، وعزاه إلى أبي داود، وابن ماجه.

(٢) برقم (٢٥٠٣). أورده المنذري في ترغيبه (٢٠٧٠).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ ل ف).

(٤) المرجع السابق في (ق ر ع).

يتعمد القعود عن الجهاد ، وإذا قصر في المشاركة والقتال فأمامه مجال آخر وهو الجهاد بالمال.. وتجهيز الغزاة. . ولكنه لم يقم بذلك، وحذف حرف النفي لم. . يدل عليه ما قبله في الجملة الأولى، ويمكن أن يكون الحذف هنا إشارة إلي أن التجهيز غير منفي لمزيد من الترغيب في هذا المجال، وهذه المرحلة التي تحتاج إلي ثراء وغني - قد يفتقدها بعض الناس، ولكن يبقي أمامه المجال مفتوحا وهو الحراسة والحماية، ورعاية أهل المجاهدين. . وهو إن قام بهذا الصنيع له مثل اجر المجاهد. فجملة الشرط تتضمن المراحل الثلاث التي يمكن أن يشارك بها المسلم في الجهاد كل حسب طاقته وقدرته وإمكاناته، ولذلك يأتي جواب الشرط منذرا وعاصفا. . إذا لم يقتحم المسلم أي مجال من المجالات السابقة. . حيث يقول رسول الله محددا عقاب هذا المتقاعس عن الجهاد بكل ألوانه فيقول: أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة، وفاعل أصاب: لفظ الجلالة الله: وهو ظاهر لمزيد من الرهبة والخشية. . والتوعد والإنذار. والمادة اللغوية للفعل: أصاب بجد الفجيعة والألم: فمعني أصابه بكذا: فجعه به، وأصابهم الدهر بنفوسهم وأموالهم أي : فجعهم فيها، واختيار لفظ القارعة. . دون غيره للإشعار بالخوف والعذاب حتى يرتدع المتقاعسون عن منهجهم. . ويعودوا إلي النهج الصحيح. فالقارعة في اللغة النازلة الشديدة تنزل عليهم بأمر عظيم، والمراد بها في الحديث، أصابه الله بداهية تهلكه، وقالوا: القارعة هي المصيبة التي لا تدع مالا ولا غيره، وهذا عقاب من الله عز وجل حيث يفقد ماله الذي ضن به، ويفقد كل ما يملك من أعوان وجاه، وهذا في الدنيا قبل يوم القيامة. . وهو من أسمائه: القارعة، والطامة الكبرى، والطارق، والحاقة، ولينصرن الله من ينصره إن الله القوي العزيز.

فقه الحديث

١ - ساق مسلم بعد هذا الحديث الشريف قول عبدالله بن المبارك: فنرى أن ذلك كان على عهد رسول الله ﷺ. وعقّب النووي على ذلك فقال: (وهذا الذي قال ابن المبارك محتمل، وقد قال غيره: إنه عام والمراد أن من فعل ذلك فقد أشبه المنافقين المتخلفين عن الجهاد في هذا الوصف، فإن ترك الجهاد أحد شعب النفاق.

وفي هذا الحديث أن من نوى فعل عبادة فمات قبل فعلها لا يتوجه عليه من الذم ما يتوجه على من مات ولم ينوها. وقد اختلف أصحابنا فيمن تمكن من الصلاة في أول وقتها فأخرها بنية أن يفعلها في أثنائه، فمات قيل فعلها أو أخّر الحج بعد التمكن إلى سنة أخرى فمات قبل فعله، هل يأثم أم لا؟ والأصح عندهم أنه يأثم في الحج دون الصلاة، لأن مدة الصلاة قريبة فلا تنسب إلى تفريط بالتأخير بخلاف الحج، وقيل: يأثم فيهما، وقيل: لا يأثم فيهما، وقيل: يأثم في الحج الشيخ دون الشاب، والله أعلم)[1].

٢ - قال الأمير الصنعاني: (فيه دليل على وجوب العزم على الجهاد وألحقوا به فعل كل واجب، قالوا: فإن كان من الواجبات المطلقة كالجهاد وجب العزم على فعله عند إمكانه، وإن كان من الواجبات المؤقتة وجب العزم على فعله عند دخول وقته. وإلى هذا ذهب جماعة من أئمة الأصول، وفي المسألة خلاف معروف)[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على المشاركة في الغزو أو تجهيز الغزاة.

ثانيًا: من مهام الداعية: الإخبار عن الحقائق.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الشرط.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على المشاركة في الغزو أو تجهيز الغزاة:

حيث جاء في الحديث: (من لم يغز أو يجهز غازيًا أو يخلف غازيًا في أهله بخير أصابه الله بقارعة يوم القيامة)، ولا شك أن في هذه حث على الغزو والقتال في سبيل الله وإلا فالمشاركة بالمال والإعانة للمجاهدين، قال شرف الحق العظيم آبادي: "وأصابه الله بقارعة، أي: بداهية مهلكة، قرعه أمر إذا أتاه فجأة"[3].

وقال ابن علان: "والمعنى: من لم يخرج للغزو، أو يهيئ أسباب السفر لمن يغزو، أو

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، ٤٩/١٣/٧ .

(٢) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني ٨١٠.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ض ١٠٩٠.

يكون قائمًا بمصالح من غزا في أهله بخير أصابه الله بداهية تقرعه وتقلقه وأشار إلى تعجيلها بقوله: قبل يوم القيامة"[1].

قال ابن عثيمين: "وفي الحديث الحث على الغزو، وأن الإنسان إذا لم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو ولم يخلف غازيًا في أهله وماله فإنه تصيبه قارعة قبل يوم القيامة"[2].

إن في هذا الحديث تحذيرًا من النكوص عن الجهاد في سبيل الله "من لم يخرج للجهاد أو يساعد المجاهدين بعمله أو ماله أو ينفق على أهله وعياله أصابه الله بداهية تقلقه وتقرعه وإن ظن أن ذلك طريق السلامة والنجاة" [3].

ولا أدلّ على فضل تجهيز الغزاة وإعانتهم مما وقع في صحيح مسلم عن أبي مسعود البدري ﷺ قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي أُبْدِعَ بِي فَاحْمِلْنِي. فَقَالَ: ((مَا عِنْدِي)) فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا أَدُلُّهُ عَلَى مَنْ يَحْمِلُهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: ((مَنْ دَلَّ على خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ))[4].

قال النووي: "وقوله: (أبدع بي)، معناه: هلكت دابتي وهي مركوبي وفي الحديث فضيلة الدلالة على الخير والتنبيه عليه والمساعدة لفاعله"[5].

لم يكن تحريض النبي ﷺ وحثه على الجهاد والغزو رغبة منه في سفك الدماء، واحتلال البلاد ولكن "لما أصبح للمسلمين دولة بالمدينة، ورضي أهلها جميعًا بالنبي ﷺ رئيسًا لها مسؤولاً عن أمنها وسلامتها، كان لا بد من حماية هذا الوضع من العدوان.

وما كانت قريش لتدع هذا المجتمع آمنًا، وقد أعلنت الحرب على الإسلام منذ ثلاثة عشر عامًا، فقاومت رسوله وآذته وهمت بقتله، وأصابت المؤمنين في أنفسهم وأموالهم، فلما هاجر بعضهم إلى الحبشة عز عليها أن يفلتوا من قبضتها، فبعثت وفدًا

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٤٣٢.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/١٤٥٦.

(٣) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٦٥٣.

(٤) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص١٢١٥.

يحمل الهدايا إلى النجاشي ورجاله لإعادتهم، واعتبرت الهجرة إلى المدينة خطرًا كبيرًا على تجارتها إلى الشام وسلطانها بالجزيرة، ففزعت حين علمت ببيعة العقبة الكبرى في موسم الحج، وحاولت أن تبطش بالذين بايعوا رسول الله ﷺ من أهل يثرب ثم وقفت في سبيل الهجرة مصرة على أن تحول دونها بأي ثمن، فأجمعت على قتل النبي ﷺ ليلة هجرته، وحبست عددًا من المؤمنين وقيدتهم بالأغلال وسامتهم سوء العذاب واستولت على أموال الذين تمكنوا من الخروج من مكة وممتلكاتهم، فلم يكن من المتوقع أن ترضى بوضع المسلمين بالمدينة أو تسكت عليه، بل كان المؤكد أنها سوف تلجأ إلى العدوان المسلح على المدينة، وبهذا كانت ظروف المسلمين تحتم عليهم الدفاع عن أنفسهم والإذن لهم بالقتال، وقد أذن الله لهم به بعد الهجرة، قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[1].

ثم حضّ القرآن على القتال لمقاومة الظلم وتحرير المستضعفين الذين كانوا يعذبون في مكة إكراهًا على الكفر وترك الإسلام، والذين كانوا يجأرون إلى الله بالشكوى والدعاء: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾[2].

والآيات تحدد أسباب الحرب في دفع الظلم ونصرة المظلوم ومنع الفتنة في الدين، والإخراج من الوطن بغير حق، وكفالة حرية العبادة، وتعديدها لأماكنها: من صوامع وبيع للنصارى، وصلوات لليهود، ومساجد للمسلمين، يعني كفالة هذه الحرية لجميع الناس.

---

(١) سورة الحج، الآيتان: ٣٩ - ٤٠.

(٢) سورة النساء، آية: ٧٥.

ثم بين القرآن واجب المسلمين بعد النصر، والتمكين لهم في الأرض، في تطهير المجتمعات من الظلم والإثم، وإقامتها على الحق والعدل والخير، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾[١].

وبهذا حصر الإسلام الحرب في أضيق نطاق، وجعلها إنسانية الأسباب والأهداف، ليس فيها مظنة عدوان ولا مطامع"[٢].

ثانيًا- من مهام الداعية: الإخبار عن الحقائق:

حيث جاء في الحديث: (أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة)، ويعتبر الإخبار عن الحقائق من أولى مهام الداعية لأن على الإخبار والبيان تقوم الدعوة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾[٣]، وبالإخبار عن الحقائق تقوم الحجة على المدعوين: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾[٤].

وقد أخبر النبي ﷺ في الحديث أن من لم يشارك في الغزو، أو يجهز غازيًا، أو يتعاون في إعانة أهل الغازي برعايتهم والنفقة عليهم فإن الله عز وجل يصيبه بداهية عظيمة وقارعة كبيرة يوم القيامة.

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الشرط:

حيث جاء في الحديث: (من لم يغز أو يجهز غازيًا أو يخلف في أهله بخير أصابه الله)، وأسلوب الشرط من أساليب الدعوة التي تلفت انتباه المدعو وتشده إلى معرفة الجواب.

---

(١) سورة الحج، آية: ٤١.

(٢) الجهاد في الإسلام، الشيخ: محمد شديد ص ٩١ - ٩٣.

(٣) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٤) سورة التغابن، آية: ١٢.

وفي الحديث بيّن النبي ﷺ أن الجزاء من جنس العمل، وأن الشرط مقرون بجوابه وأن من تقاعس عن الجهاد والغزو، وبخل بماله عن إعانة المجاهدين وتجهيزهم، أو النفقة على أهلهم فإن جزاءه قارعة تصيبه يوم القيامة.

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترهيب:

حيث جاء في الحديث: (أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة)، وأسلوب الترهيب من أساليب الدعوة التي تخوف المدعو وترهبه من المخالفات الشرعية، "والترهيب هو كل ما يخيف المدعو ويحذره من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله والترهيب يكون بالتخويف من غضب الله وعذابه في الآخرة"[1].

ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الترهيب قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾[2]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾[3].

---

(١) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

(٢) سورة فاطر، آية: ٣٦.

(٣) سورة الزخرف، الآيتين: ٧٤ - ٧٥.

الحديث رقم (١٣٥١)

١٣٥١ - وعن أنس رضي الله عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ، قَالَ: ((جَاهِدُوا المُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأنْفُسِكُمْ وَألْسِنَتِكُمْ)) رواه أَبُو داود[1] بإسنادٍ صحيح.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

إن الجهاد في سبيل الله منهج إسلامي لا يحيد عنه إلا من ختم الله علي قلوبهم وعلي سمعهم، وجعل علي أبصارهم غشاوة، ولذلك نجد هذا الحديث الشريف يصاغ في قالب الأمر. فهو يتكون من جملة واحدة ومتعلقاتها.. ويبدأها بفعل الأمر - جاهدوا والأمر للجماعة.. لأن الدفاع عن العقيدة مسؤولية الأمة كلها والمادة اللغوية للفعل، جاهد "تتسق مع دلالة الجهاد في كثير من معطياتها ومعانيها فالجهد والجهد: الطاقة، وقيل: الجهد بالفتح: المشقة وقيل المبالغة والغاية، وبالضم الوسع والطاقة، والدلالتان يجمعهما الجهاد في سبيل الله: لأن الجهاد مشقة وبذل. والعطف بالواو في الحديث الشريف ليس للاختبار ولكن للتنويع.. فالجهاد بالأموال والأنفس، والإعلام والتوعية.. وكشف مؤامرات أعداء الإسلام، ولا يمييز أحد هذه الأنواع عن الآخر ولذلك جاء العطف بالواو وهي لمطلق الجمع، ولم يجئ بأو أو الفاء: لأن أو تفيد الاختيار، والفاء تفيد الترتيب، والبيان النبوي في غاية الدقة، والحروف لها وظيفتها، والكلمات لها دلالتها المتسقة الدالة، والجمع في الكلمات الثلاثة يرشد إلي حتمية الاستعداد ماليا وجسمانيا.. وعقليا.. فالمال يوفر العدة والعتاد.. والمجاهد لابد أن يكون ذا خبرة قتالية ومدربا علي فنون القتال.. كذلك لابد أن يكون في جماعة المسلمين من يقدرون علي مهاجاة المشركين والتصدي لأفكارهم الخبيثة، ومؤامراتهم وتشويههم لمباديء الإسلام ورموزه وشخصياته وتاريخه.

---

(١) برقم (٢٥٠٤). وقال الحاكم (٢/ ٨١): هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط مسلم ولم يخرجاه.

فقه الحديث

قال الأمير الصنعاني: (الحديث دليل على وجوب الجهاد بالنفس وهو بالخروج والمباشرة للكفار، وبالمال وهو بذله لما يقوم به من النفقة في الجهاد والسلاح ونحوه، وهذا هو المفاد من عدة آيات في القرآن: ﴿وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ﴾[1].

والجهاد باللسان بإقامة الحجة عليهم ودعائهم إلى الله تعالى، وبالأصوات عند اللقاء والزجر ونحوه من كل ما فيه نكاية للعدو ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ﴾[2] وقال ﷺ لحسان: ((إن هجو الكفار أشد عليهم من وقع النبل))[3])[4].

وقال الشوكاني: (فيه دليل على وجوب المجاهدة للكفار بالأموال والأيدي والألسن. وقد ثبت الأمر القرآني بالجهاد بالأنفس والأموال في مواضع، وظاهر الأمر الوجوب)[5].

وقال ابن حجر: (والتحقيق أن جنس جهاد الكفار متعين على كل مسلم إما بيده أو بلسانه وإما بماله وإما بقلبه، والله أعلم)[6].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية جهاد المشركين بالمال والنفس واللسان.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: أثر الجهاد في نشر الدعوة.

---

(١) سورة التوبة، آية: ٤١.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢٠.

(٣) أخرجه مسلم ٢٤٩٠.

(٤) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني ٨١٠.

(٥) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ١٤٧٢.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٨/٦.

أولاً - من أساليب الدعوة: الأمر :

حيث جاء في الحديث: (جاهدوا المشركين)، وأسلوب الأمر من أساليب الدعوة التي تؤكد للمدعو أهمية المأمور به، وضرورة تنفيذه والاستجابة له، خاصة إذا كان من الأعلى للأدنى، وأما إذا كان من المساوي للمساوي فهو التماس، وإذا كان من الأدنى للأعلى فهو دعاء.

ومثاله في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1].

ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الأمر قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[2].

وقوله جلّ شأنه: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[3]، وقوله سبحانه: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[4].

والداعية الناجح هو الذي يستخدم أسلوب الأمر في وقته المناسب ويراعي أصناف المدعوين، ومن يوجه لهم الأمر حتى يضمن الاستجابة لدعوته وتوجيهه.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: أهمية جهاد المشركين بالمال والنفس واللسان:

يتضح هذا من الحديث: (جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم)، قال شرف الحق العظيم آبادي: "الحديث دليل على وجوب الجهاد بالنفس وهو بالخروج والمباشرة للكفار، وبالمال وهو بذله لما يقوم به من النفقة في الجهاد والسلاح ونحوه، وباللسان بإقامة الحجة عليهم ودعاؤهم إلى الله تعالى والزجر ونحوه من كل ما فيه

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٨٦.

(٢) سورة البقرة، آية: ٤٣.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٠٣.

(٤) سورة الإسراء، آية: ٧٨.

نكاية للعدو، قال تعالى: ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ﴾[(١)]"[(٢)].

وقال السيوطي: "قال المنذري: يحتمل أن يريد بقوله: (وألسنتكم، الهجاء ويؤيده قوله فهو أسرع فيهم من نضح النبل ويحتمل أن يريد به حض الناس على الجهاد وترغيبهم فيه وبيان فضائله لهم"[(٣)].

وقال السندي: "وقوله: (وألسنتكم)، أي: بإقامة الحجج وبالذم وبالشعر وبالنهي والزجر"[(٤)].

جاء في موسوعة فقه القلوب: "والجهاد بالمال مقدم على الجهاد بالنفس، وكلاهما مطلوب من العبد، والجهاد باللسان مقدم على الجهاد بالسيف، وكلاهما مطلوب من العبد.

فمن كان له مال وهو يقدر على الجهاد بنفسه وجب عليه الجميع، وإن كان لا يقدر بنفسه وله مال وجب عليه الجهاد بماله.

فإن كان لا يقدر بالمال ولا بالنفس فالحرج عنه مرفوع كما قال سبحانه: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[(٥)]، والجهاد فريضة من فرائض الله إذا قامت أسبابه، فإذا تركته الأمة وأقبلت على الدنيا هلكت كما قال سبحانه: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[(٦)].

ويجب على المسلمين أن يقوموا بما أمرهم الله به من جهاد أعدائهم بحسب

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٢٠.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٠٩٠.

(٣) حاشية السيوطي على سنن النسائي ٣١٤/٦.

(٤) حاشية السندي على سنن النسائي ٣١٤/٦.

(٥) سورة التوبة، آية: ٩١.

(٦) سورة البقرة، آية: ١٩٥.

استطاعتهم، وأن يتوكلوا على الله وحده ولا ينظروا إلى قوتهم وكثرتهم ولا يركنوا إليها، فإن ذلك من الشرك الخفي، ومن أسباب إدالة العدو عليهم، ووهنهم عن لقاء العدو، لأن الله أمرنا بفل الأسباب، ولكن لا نركن إليها، بل نتوكل على الله وحده كما قال سبحانه: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1].

وعلينا ألا نغتر بأهل الكفر، ولا بما أعطوه من القوة والعدة، فإن المسلمين يقاتلون بأعمالهم، فإن أصلحوها وصلحت وعلم الله منهم الصدق والإخلاص أعانهم ونصرهم على عدوهم وأذل أعداءهم وخذلهم، فالخلق كلهم عبيده، ونواصيهم بيده، وهو القوي الذي لا يقهر، والعزيز الذي لا يغلب ينصر أولياءه، ويخذل أعداءه: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[2].

ومن كفر سلّط الله عليه العذاب الشقاء، وعذبه في دنياه بالأموال والأولاد، وفي الآخرة بالنار، قال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾[3].

والله عز وجل أمر المؤمنين أن يجاهدوا الكفار لا طمعًا في أرضهم وأموالهم، إنما يجاهدونهم لأجل إنقاذهم من النار إن أسلموا، ولأجل كف ظلمهم وإراحة المسلمين من شرهم وتطهير الأرض من شركهم وكفرهم كما قال سبحانه: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾[4].

وقد شرع الله القتال في الإسلام وأذن به لتحقيق أهداف كثيرة:

---

(١) سورة المائدة، آية: ٢٣.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٦٠.

(٣) سورة التوبة، آية: ٥٥.

(٤) سورة الأنفال، الآيتين: ٣٩ - ٤٠.

أحدها: الدفاع عن المؤمنين، وحفظهم من الأذى والفتنة التي كانوا يسامونها وليكفل لهم الأمن على أنفسهم أموالهم ودينهم.

الثاني: تقرير حرية الدعوة بعد تقرير حرية العقيدة، فقد جاء الإسلام بهذا الخير ليهديه للبشرية كلها، ويبلغه إلى أسماعها وقلوبها، ثم من شاء بعد البيان أن يؤمن أو يكفر.

فمن وقف في وجه من يقوم بذلك، ومنع الناس من الاستماع للدين والحق، أو صدهم عنه، فهذا يجب قتاله لأنه منع الناس من قول الحق، وسماع الحق، والعمل بالحق.

الثالث: إقامة خلافة الله في أرضه، ليعبد الله وحده لا شريك له، وتمتثل أوامره وحده، وتقرير ذلك وحمايته.

فالإسلام هو نظام الحياة المنزل من عند الله، وهو الذي يقرر حرية الإنسان تجاه أخيه الإنسان، فيقرر عبودية الله، ويلغي من الأرض عبودية البشر للبشر، وهذا الدين لا يقوم إلا بجهد وجهاد، فلا بد له من أهل يبذلون جهدهم لتعريف الناس به، وتعليمهم إياه وردهم إليه.

لا بد من جهد بالحسنى حين يكون الضالون أفرادًا ضالين يحتاجون إلى الإرشاد والإنارة.

وبالقوة حين تكون القوة الباغية في طريق الناس هي التي تصدهم عن الهدى وتعطيل دين الله أن يوجد، وتعوق شريعة الله أن تقوم.

وعدة الإنسان في الحياة والجهاد والقتال هي الإيمان فالإيمان زاده وهو الذي يحركه، وهو الذي يحفظه، وبه يحصل له النصر والأمن، سواء كانت معه الأسباب أو لم تكن.

ولا بد للإسلام من قوة ينطلق بها في الأرض، وأهم ما تصنعه هذه القوة أن تؤمن الذين يختارون هذه العقيدة على حريتهم في اختيارها، فلا يصدون عنها، ولا يفتنون بعد اعتناقها، وأن ترهب أعداء هذا الدين فلا يفكرون في الاعتداء على دار الإسلام، وأن

تحطم هذه القوة كل قوة في الأرض تتخذ لنفسها صفة الألوهية، وتظلم العباد، وتحكم الناس بغير ما أنزل الله وتصد عن سبيل الله"[١].

قال ابن عثيمين: "وفي الحديث الحث على جهاد المشركين بالمال والنفس واللسان: بالمال أي أن يبذل الإنسان مالاً يساعد به المجاهدين، أو يشتري به سلاحًا أو غير ذلك. والنفس بأن يخرج بنفسه يقاتل واللسان: بأن يهجوهم بالقصائد والأشعار لأن هجو المشركين يؤثر فيهم ويكون ذكرى سيئة في حقهم إلى ما شاء الله ونحن نسمع إلى الآن هجاء حسان بن ثابت وعبدالله بن رواحة وغيرهم للمشركين"[٢].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: أثر الجهاد في نشر الدعوة:

يتضح هذا من سياق الحديث، وقد أمر الله نبيه ﷺ بالجهاد فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[٣]، "والجهاد من فرائض الإسلام فقد عظمت به الوصية واشتدت إليه الحاجة والجهاد دليل واضح وقاطع على الإيمان بالله سبحانه وتعالى، وفي الجهاد عزة وقوة للمسلمين وفخر لهم، والجهاد في مقدمة عوامل الاتحاد والائتلاف بين أمة الإسلام، لأن المسلمين يخرجون تحت راية واحدة ولهدف واحد والجهاد محصلته الفوز أو الشهادة[٤].

قال ابن القيم: "وأما جهاد الكفار والمنافقين فمراتبه أربعة: بالقلب، واللسان، والمال والنفس، وجهاد الكفار أخص باليد، وجهاد المنافقين أخص باللسان. وأما جهاد أرباب الظلم والبدع والمنكرات فعلى ثلاث مرات: باليد إذا قدر، فإن عجز انتقل إلى اللسان، فإن عجز جاهد بقلبه، وجهاد الكفار والمنافقين ومن في حكمهم من أهل البدع فهو فرض كفاية قد يكتفى فيه ببعض الأمة إذا حصل منهم مقصود الجهاد،

---

(١) موسوعة فقه القلوب، محمد بن إبراهيم التويجري ٣/٢٥٠٠ - ٢٥٠٣ بتصرف.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٤٥٦/٢.

(٣) سورة التوبة، آية: ٧٣.

(٤) قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري ص ٢٤١ - ٢٤٢.

وأكمل الخلق عند الله تعالى من كمّل مراتب الجهاد كلها، وهم متفاوتون في منازلهم عند الله تفاوتهم في هذه المراتب"[١].

وجاء في موسوعة نضرة النعيم: "قال ابن دقيق العيد: الجهاد أفضل الأعمال مطلقًا لأنه وسيلة إلى إعلان الدين ونشره وإخماد الكفر ودحضه ففضيلته بحسب فضيلة ذلك والله أعلم. وقال العز بن عبدالسلام: إذا كانت مشقة الغبار عاصمة من عذاب النار فما الظن بمن بذل ماله، وغرّر بنفسه في قتال الكفار. وقال نقلاً عن بعض أهل العلم: إن أتم الشرائع وأكمل النواميس هوالشرع الذي يؤمر فيه بالجهاد"[٢].

(إن لفظ الجهاد له معنيان:

أحدهما: بمعنى بذل الجهد لإعلاء كلمة الله، ونشر دينه، بالدعوة إلى الله والنصيحة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما قال سبحانه في الآيات المكية: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[٣].

وقال سبحانه: ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَبَعَثۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٖ نَّذِيرٗا ۝ فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا﴾[٤].

فهذا كله وما في معناه كله بمعنى الدعوة إلى الله وبذل الجهد في نشر دينه.

الثاني: الجهاد بمعنى القتال كما هو غالب في الآيات المدنية كقوله سبحانه: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[٥].

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٣/١١ - ١٢.

(٢) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٤/١٥٠٤.

(٣) سورة العنكبوت، آية: ٦٩.

(٤) سورة الفرقان، الآيتان: ٥١ - ٥٢.

(٥) سورة التوبة، آية: ٤١.

رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[(١)].

فالجهاد بمعنى الدعوة حسن لذاته.. والجهاد بمعنى القتال حسن لغيره.

فالله خلق الخلق لعبادته وطاعته، وأرسل رسله لإبلاغ شرعه إلى عباده، وأنزل كتبه ليهتدي بها الناس إلى ربهم.

فمن استجاب فآمن بالله وعمل بشرعه فهو من المؤمنين.. ومن أبى الإسلام فعليه أن يدفع الجزية مقابل رعايته في المجتمع الإسلامي.. فإن أبى الإسلام وأبى دفع الجزية فهذا مستكبر معاند، مؤذ ظالم كافر غير شاكر، عاصٍ غير مطيع، يجب قتاله حتى يكون الدين كله لله.

فالقتال في سبيل الله له أسباب، وله أوامر وله أوقات وله أحوال.

والدعوة إلى الله مشروعة ومفتوحة كل وقت لكل مسلم ومسلمة، والإسلام جاء لهداية الناس ورحمتهم ودعوتهم لعبادة الله وحده لا شريك له.

فالدعوة إلى الله واجبة على المسلمين في جميع الأوقات والأحوال ليلاً ونهارًا. سرًا وجهارًا، حال الأمن وحال الخوف، حال الإقامة وحال السفر، والنبي ﷺ أعطاها أكثر الوقت، وهي مسؤولية الأمة بعده.

أما الجهاد في سبيل الله فيشرع عند اللزوم، بل هو واجب لدفع عدو عن المسلمين، وقتال معاند، ونصر مظلوم، وحماية المسلمين ورفع الظلم عنهم، حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله.

فنوح عليه السلام دعا إلى الله ولم يقاتل، وهود، وصالح، وإبراهيم ولوط، وإسماعيل، وإسحق، وموسى، وعيسى عليهم السلام، جميع هؤلاء الأنبياء دعوا إلى الله، ولم يؤمروا بقتال، وقاتل داود عليه السلام من أنبياء الله بني إسرائيل.

ثم منّ الله على هذه الأمة بخاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ فدعا إلى الله، ولما أوذي والمؤمنون معه أذن الله لهم بالقتال بعد الهجرة إلى المدينة كما قال سبحانه: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢١٨.

يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾(١).

ولما أظهر الله دينه، وأعز أهله، وصارت لهم دار في المدينة، وقويت شوكتهم، عظم ذلك على الكفار، فزاد شرهم وظلمهم، وعظم كيدهم وطغيانهم، فحملوا سيوفهم وركبوا خيلهم للقضاء على الإسلام وأهله والدعاة إليه، واجتمع المشركون كافة لإبادة المسلمين كافة، فحيئذ شرع الله للمسلمين قتالهم كما قال سبحانه: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةًۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾(٢).

وكلما احتاج المسلمون في عهد النبي ﷺ إلى القتال بسبب ظلم الكفار لهم، وصدهم عن سبيل الله، شرعه الله لهم، وأمرهم به ورغبهم فيه لإعلاء كلمة الله كما قال سبحانه: ﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(٣).

وقد جاهد المسلمون مع النبي ﷺ لرد كيد الكفار، وصد عدوانهم، ومنعهم من الصد عن سبيل الله كما حصل في بدر وأحد، والأحزاب، والحديبية، وخيبر، وفتح مكة والطائف وغيرها كما قال سبحانه: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾(٤).

وقد فرض الله الجهاد في سبيل الله على المسلمين كافة كما فرض عليهم الصلاة والزكاة، فلا يحل لأحد أن يتخلف عنه إلا من عذر كما قال سبحانه: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِى

---

(١) سورة الحج، الآيتان: ٣٩ - ٤٠.

(٢) سورة التوبة، آية: ٣٦.

(٣) سورة النساء، آية: ٧٤.

(٤) سورة التوبة، الآيتان: ٨٨ - ٨٩.

سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2].

والدعوة إلى الله كالمطر للنبات، فإذا لم يوجد مطر لا يوجد نبات ولا حيوان، وكذلك إذا لم توجد الدعوة لا يعرف الناس الإيمان، ولا العبادات كالصلاة والزكاة، والصيام والحج وغيرها، ولا يعرفون المعاملات والآداب والأخلاق والسنن والأحكام.

فالصلاة لها وقت، والصيام له وقت، والحج له وقت، والجهاد له وقت والدعوة إلى الله كل الوقت لأنها أم الأعمال، وهي من وظيفة كل فرد من الأمة كما قال سبحانه: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[3][4].

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٩٠.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢١٦.

(٣) سورة يوسف، آية: ١٠٨.

(٤) موسوعة فقه القلوب، محمد بن إبراهيم التويجري ٣/٢٤٩٠ - ٢٤٩٣.

الحديث رقم (١٣٥٢)

١٣٥٢ - وعن أَبي عمرو -ويقالُ: أَبُو حكيمٍ- النُّعْمَانِ بن مُقَرِّن ﷺ قَالَ: شَهِدْتُ رسولَ اللهِ ﷺ، إِذَا لَمْ يُقَاتِلْ من أوَّلِ النَّهَارِ أخَّرَ القِتَالَ حَتَّى تَزُولَ الشَّمْسُ، وَتَهُبَّ الرِّيَاحُ، وَيَنْزِلَ النَّصْرُ. رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

النعمان بن مُقَرِّن: وهو النعمان بن مُقَرِّن، وقيل النعمان بن عمرو بن مقرن بن عائذ بن مِيَجَا بن هجير بن حُبْشِية بن كعب، المزني، الصحابي، الأمير، الشهيد، يكنى أبا عمر وقيل أبو حكيم، روى عن النبي ﷺ وروى له الجماعة، وقدم في وفد في قومه مزينة لمبايعة رسول الله ﷺ على الإسلام فروى عنه أنه قال: قدمنا على رسول الله ﷺ في أربع مائة من مزينة...))[2] وذكره ابن سعد في الطبقات في وفد مزينة.

وروى ابن عبدالبر في الاستيعاب عن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: ((إن للإيمان بيوتًا، وللنفاق بيوتًا، وإن بيت بني مُقرِّن من بيوت الإيمان)).

وأول مشاهد النعمان بن مقرن مع رسول الله ﷺ الأحزاب، وشهد بيعة الرضوان، وكان معه لواء مُزَينة يوم فتح مكة.

سكن البصرة، وتحول عنها إلى الكوفة، فوجهه سعد إلى "كَسْكَر" فصالح أهل زندورد، وقدم المدينة بفتح القادسية، وورد حينئذ على عُمرَ بن الخطاب اجتماع أهل أصبهان وهمذان والرَّيّ وأذربيجان ونهاوند فأقلقه ذلك، وشاور أصحاب النبي ﷺ وكتب إلى أهل الكوفة والبصرة بأن يسير ثلثاهم، وقال لأستعملنَّ عليهم رجلاً يكون لها فخرج إلى المسجد فرأى النعمان بن مقرن يصلي، فلما فرغ من صلاته، قال له عمر: إني مُسْتَعْمِلُك، فقال: أمّا جابيًا فلا، وأما غازيًا فنعم، قال: فإنك غاز،

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٥٥)، والترمذي (١٦١٣). قلتُ: يستدرك على المؤلف بأنه أخرج البخاري (٣١٦٠) هذا الحديث عن النعمان بن مقرن، ولفظه: (ربّما أشهدك الله مثلها مع رسول الله ﷺ، كان إذا لم يقاتل في أول النهار، انتظر حتّى تهب الأرواح، وتحضر الصلوات.

(٢) أخرجه أحمد ٤٤٥/٥، رقم ٢٣٧٤٦، وقال محققو المسند: صحيح لغيره ١٥٥/٣٩.

فأمره بالمسير والتقدم على الجيش في قتال الفرس، وقال عمر: إن قتل النعمان فحذيفة والمغيرة بن شعبة والأشعث بن قيس، وجرير وعبدالله بن عمر، وغيرهم تحت لوائه، ففتح الله عليهم "أصبهان" فلما أتى نهاوند، قال النعمان: شهدت مع رسول الله ﷺ فكان إذا لم يُقاتل أول النهار انتظر حتى تزول الشمس وتهب الرياحُ ويَنْزِلَ النصر))[1] اللهم ارزق النعمان الشهادة بنصر المسلمين وافتح عليهم، فأمَّن القوم، وقال: إذا هززتُ اللواءَ ثلاثًا فاحملوا مع الثالثة، وإن قُتِلتُ فلا يلوي أحد على أحد، فلما هزَّ اللواءَ الثالثة حمل الناس معه، فقُتِل، وكان أول شهيد، وأخذ الراية حذيفةُ ففتح الله عليهم، وكانت وقعة "نهاوند" يوم جمعة سنة (٢١)، ولما جاء نعيه إلى عمر خرج إلى الناس فنعاه إليهم على المنبر ووضع يده على رأسه يبكي[2].

غريب الألفاظ:

تزول الشمس: تميل عن منتصف السماء[3].

الشرح الأدبي

هذه شهادة صادقة من صحابي جليل له خبرة بفنون القتال وأوقاتها.. وقد استشهد بنهاوند سنة احدي وعشرين هـ، في عصر الفتوحات الإسلامية لبلاد فارس والروم،

---

(١) الترمذي، كتاب السير عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في الساعة التي يستحب فيها القتال، ص (٣٨٠)، حديث رقم (١٦١٢)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح الترمذي، المشكاة (٣٩٢٣).

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا (١/٢٩١، ٢٩٢)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٧٢١، ٧٢٢)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٥/٣٢٣، ٣٢٤)، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (١٣٣٣، ١٣٣٤)، سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (١/٤٠٣، ٤٠٤)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٧/٣٤٨، ٣٤٩)، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٤/٢٣٢، ٢٣٣)، الأعلام، خير الدين الزركلي (٨/٢٢)، موسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (٣/١٩٠٢).

(٣) لسان العرب، ابن منظور في (ز و ل).

ولذلك يقول: شهدت رسول الله ﷺ . . أي رأيت رأي العين وشاركت في ذلك ولم يقل علمت، ولا: كان رسول الله فاختيار الفعل شهدت له دلالة المشاركة. . والمشاهدة حيث يقال: فلان شهد المعارك كلها، وأسلوب الشرط يفيد التحقق حيث استخدم أداة الشرط إذا. . فرسول الله ﷺ يقاتل صباحا أو بعد وقت الزوال، واختيار وقت القتال ينبيء عن خبرة باستراتيجية الحرب. . والإعداد لها. . والتخطيط المحكم لها من كل الجوانب وقوله: أول النهار إشارة إلي وقت البكور حال برد الصبح وهبوب نسماته، وقوله حتى تزول الشمس: لا يعني: زوالها: أي فناءها: ولكن يدل علي وقت الزوال. . وهو حين تنتعل المطي ظلالها. . أو أن يصير ظل كل شيء مثله وقوله: وتهب الرياح: فيه إشارة إلي عنصر ملاءمة المكان والزمان لجو القتال: وقيل أن جواب الشرط في الحديث إفادته تسهيل لبس السلاح علي المقاتلة، وكذلك إتاحة الكر والفر في ميدان القتال للخيل التي يمتطيها الفرسان، واختيار الرياح "في صيغة الجمع أما الريح فهي كثيرا ما تأتي في سياق الإنذار والهلاك. وقال ابن رسلان وحربه ﷺ: عند هبوب الرياح استنصار بما نصره الله من الرياح حيث قال نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور ن وقوله وينزل بالنصر إشارة إلي أن النصر من عند الله. . وإسناد النزول إلي النصر مجاز مرسل وفيه تشخيص للنصر وتجسيد له. . وكأنه كائنا مشاهدا ينعم به المؤمنون. . وما النصر إلا من عند الله، ولينصر الله من ينصره إن الله لقوي عزيز.

فقه الحديث

بوّب البخاري بابًا في كتاب الجهاد، بعنوان: باب كان النبي ﷺ إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس[1].

قال ابن حجر: (لأن الرياح تهب غالبًا بعد الزوال فيحصل بها تبريد حدة السلاح والحرب وزيادة في النشاط)[2].

---

(١) وساق تحته حديث عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنهما، برقمي ٢٩٦٥، ٢٩٦٦، وهو الحديث المتقدم في الرياض برقم ٥٣، ١٣٢٦.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢٠/٦٧.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: تحين النبي ﷺ الأوقات المناسبة للقتال.

ثانيًا: من حكمة الداعية: تحري الأوقات والظروف المناسبة للدعوة.

أولاً - من موضوعات الدعوة: تحين النبي ﷺ الأوقات المناسبة للقتال:

إن من حكمة النبي ﷺ أنه كان يختار الوقت المناسب للقتال، ويتضح هذا مما جاء في الحديث: (شهدتُ رسولَ الله ﷺ إذا لم يقاتل من أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر)، قال الطيبي: "وفي ترك النبي ﷺ القتال في الأوقات المذكورة كان لاشتغالهم بالصلوات فيها اللهم إلا بعد العصر فإن هذا الوقت يستثنى فيها لحصول النصر فيه لبعض الأنبياء عليهم السلام فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: ((غَزا نبيٌّ منَ الأنبياءِ فدَنا منَ القَريةِ صلاةَ العصرِ أو قريبًا من ذلك، فقال للشمس: إنكِ مأمورةٌ وأنا مأمور، اللهمَّ احبِسْها علينا، فحُبِسَت حتّى فتحَ اللّهُ عليهم))[1]، ولعل لهذا السر كان الاجتهاد في القتال في هذا الوقت أشد وتحريه فيه أكمل"[2].

وقال المباركفوري: "والحكمة في إمساك النبي ﷺ عن القتال إلى الزوال لأجل أن تجيء أو تهيج الريح ويدعو المؤمنون لجيوشهم في صلواتهم أي في أوقات فراغها أو في أثناءها بالقنوت عند النوازل"[3].

وقال شرف الحق العظيم آبادي: "وقوله: (حتى تزول الشمس) ظاهر هذا أن التأخير ليدخل وقت الصلاة لكونه مَظِنَّة الإجابة، وهبوب الريح قد وقع النصر به في الأحزاب فصار مظنة ذلك"[4].

وقال ابن علان: "وقوله: إذا لم يقاتل من أول النهار، أي حال برد الصبح وهبوب

---

(١) أخرجه البخاري ٣١٢٤.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٢٥٧/٧ - ٢٥٨.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٤٥٢/١.

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١١٣٣.

نسماته أخر القتال حتى تزول الشمس من كبد السماء إلى جهة المغرب، وذلك ليبرد الوقت ويسهل لبس السلاح على المقاتلة، وعلى الخيل الكر والفر ويكون مع ذلك النصر بالتأييد الإلهي، قال ابن رسلان: وحريه عند هبوب الرياح استبشار بما نصره الله من الرياح وهذا مفهوم من قوله في الحديث: ((نُصِرْتُ بالصَّبا، وأُهلِكَتْ عادٌ بالدَّبورِ))[1]، ويرجو أن يهلك الله أعاديه بالدبور كما أهلك عادًا بها ونصر بالصبا"[2].

ثانيًا - من حكمة الداعية: تحري الأوقات والظروف المناسبة للدعوة:

إن الداعية الناجح يختار الوقت المناسب والظرف المناسب لإلقاء دعوته حتى تجد صدًى لدى نفوس المدعوين، ويتضح هذا من سياق الحديث، وإذا كان النبي ﷺ يتحرى الأوقات المناسبة للقتال والتي يرجو فيها النصر أيضًا فإنه من حكمة الداعية أن يتحرى الأوقات المناسبة لظروف المدعوين ليعرض دعوته، "وعلى الداعي أن يترقب الفرصة المناسبة لنشر الدعوة ترقب الفلاحين لنزول المطر، واعتدال الجو، ومواتاة الطقوس وإذا أتاح الله له فرصة ما تلائم عرض الدعوة فلا يجوز له أن يدعها تضيع هدرًا، بل يبادر في استعمالها في أكبر غاية وأعظم هدف"[3].

إن الداعية الحصيف هو الذي يجتهد في اختيار الوقت المناسب والظرف المناسب لعرض دعوته "والمقصود بمراعاة الوقت تخير الوقت الملائم للدعوة من حيث فراغ المدعوين واستعدادهم للتلقي، وكذا المراعاة لأوقات المواعظ والدروس، ومناسبة طول وقتها لأحوال الناس، ويندرج تحت ذلك مراعاة استعداد المدعو وبلوغه المرحلة التي يكون فيها الوقت مناسبًا لتفاعله واستجابته.

ومن هنا نعلم أن تخير الأوقات ومراعاة مناسبتها للموضوعات في غاية الأهمية، والأوقات متفاضلة وتفاضلها متفاوت متغير، والاجتهاد من الداعية مطلوب ليصيب الهدف باختيار العمل المناسب للوقت المناسب.

---

(١) أخرجه البخاري ١٠٣٥، ومسلم ٩٠٠.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٤٢٣ - ١٤٢٤.

(٣) منهج الدعوة إلى الله، امين احسن إصلاحي ص٩٣.

وهكذا نرى أمر المراعاة متشعبًا ومهمًا، والحقيقة أن المراعاة ضرب من التدرج؛ لأن المراعاة كثيرًا ما تقتضي ترك أمر لعدم ملاءمته إما للطبع أو الفهم أو الحال أو غير ذلك ثم يفعل مكانه أمر غيره حتى يكون ممهدًا لعرض الأمر المتروك فيأتي في وقته المناسب"(١).

ومن التطبيقات النبوية في تحري النبي ﷺ الأوقات المناسبة للدعوة ما جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه: ((كان النبيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُنا بالمَوْعِظةِ في الأيامِ، كَراهةَ السَّآمةِ علينا))(٢)، قال ابن حجر: "ويستفاد من الحديث استحباب ترك المداومة في الجد في العمل الصالح خشية الملال، وإن كانت المواظبة مطلوبة لكنها على قسمين: إما كل يوم مع عدم التكلف، وإما يومًا بعد يوم فيكون يوم الترك لأجل الراحة ليقبل على الثاني بنشاط، وإما يومًا في الجمعة، ويختلف باختلاف الأحوال والأشخاص، والضابط الحاجة مع مراعاة وجود النشاط"(٣).

وقال البغوي: "قال منصور: عن أبي وائل قال كان عبدالله بن مسعود يذكرنا كل يوم خميس فقال له رجل يا أبا عبدالرحمن إنا نحب حديثك ونشتهيه ولوَدِدْنا أنك حدثتنا كل يوم فقال ما يمنعني أن أحدثكم كل يوم إلا كراهية أن أُمِلَّكم، وذكر هذا الحديث.

قوله: (يتخولنا) أي: يتعهدنا بها في مظان القبول، لا يكلمنا في كل وقت لئلا نسأم، ومثله التخُّونُ، يقال: تخولت الرجل وتخونته، والخائل: المتعهد للشيء الحافظ له.

قال أبو عمرو بن العلاء: الصواب (يتحولهم) بالحاء، أي: يطلب أحوالهم التي ينشطون فيها للموعظة، فيعظهم فيها، ولا يُكْثِر عليهم فيملّوا.

وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: حدث القوم ما حدجوك بأبصارهم، وأقبلت عليك قلوبهم، فإذا انصرفت عنك قلوبهم، فلا تحدثهم قيل: وما علامة ذلك؟ قال: إذا التفت

(١) مقومات الداعية الناجح، د. علي عمر بادحدح ص ١٥١ – ١٥٣ بتصرف.

(٢) أخرجه البخاري ٦٨، ومسلم ٢٨٢١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٦٣/١.

بعضهم إلى بعض، ورأيتهم يتثاءبون، فلا تحدثهم.

قوله: (حدجوك بأبصارهم) أي: رموك بها يريد: حدثهم ما داموا يشتهون حديثك، فإذا أعرضوا عنك فاسكت.

وعن عكرمة، عن ابن عباس، قال: حدِّثِ الناسَ كلَّ جُمعةٍ مرَّةً، فإن أَبَيتَ فمرَّتين، فإن أكثرتَ فثلاثَ مرات، ولا تُملَّ الناسَ هذا القرآنَ، ولا أُلفينَّك تأتي القومَ وهم في حديث من حديثهم فتَقصُّ عليهم فتقطعُ عليهم حديثهم فتُملُّهم، ولكنْ أنصتْ، فإذا أمروك فحدِّثهم وهم يَشتهونهُ. وانظرِ السجعَ من الدعاء فاجتنِبْه، فإني عهدتُ رسولَ اللهِ ﷺ وأصحابَهُ لا يفعلون إلا ذلك.

وقالت عائشة رضي الله عنها لعبيد بن عمير: ألم أحَدّث أنك تجلس ويُجْلَس إليك؟ قال: بلى، يا أم المؤمنين قالت: فإياك وإملال الناس، وتقنيطهم.

وروي أنها قالت له: اقصص يومًا واترك يومًا، لا تُمِلّ الناس"[1].

(١) شرح السنة ٣١٣/١ - ٣١٤.

الحديث رقم (١٣٥٣)

١٣٥٣- وعن أَبي هريرة ﵁، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((**لاَ تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ، فَإذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا**)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

إن نسق البلاغة النبوية وكما يقول الرافعي يمتاز في جملته أنه ليس في شئ أنت واجده في كلام الفصحاء وهو محدود من ضروب الفصاحة ومتعلقاتها إلا وجدته في هذا النسق علي مقدار من الاعتبار يفرده بالميزة، ويخصه بالفضيلة، وهذا الحديث يتسم بالإيجاز والقصد. . وذلك من دعائم البلاغة النبوية. . حيث الاقتصار علي ما هو من طبيعة المعني في ألفاظه، ومن طبيعة الألفاظ في معانيها.

ويتكون الحديث من جملتين: الأولي: طلبية حيث أسلوب النهي. . حيث ينهي النبي ﷺ عن أن يكون لقاء العدو أمنية لدي المسلمين بدافع الاعتداء. . لأن الجهاد لنشر الإسلام وتخليص الناس من ظلمات الشرك وبرأ من الاستبداد والظلم والطغيان، وهذا هو الهدف الأسمى والعمل الجاد والتخطيط المتقن، فالتمني من اللغة هو طلب الأمر البعيد الحصول أو المستحيل وقوعه، والمسلم شجاع يقبل ولا يدبر، يقدم ولا يحجم، يكر ولا يفر، ولذلك جاءت الجملة الثانية في قالب الشرط والجواب. وأداة الشرط إذا الدالة علي التحقق فلابد من اللقاء، ولابد من المجاهدة: (﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة٢١٦]، وفعل الشرط: لقيتموهم "يوحي

---

(١) أخرج البخاري (٣٠٢٦) معلقًا، ومسلم (١٧٤١/١٩) ولفظهما سواء. وهذا الحديث قد ورد بنصّه في حديث عبدالله بن أبي أوفى ﵄، المتقدم برقم ٥٣، ١٣٢٦ فيحال إليه.

بالمواجهة ".. والدفاع عن النفس والعرض والمال والدين، وجواب الشرط: فصابروا "يفيد المفاعلة والمصابرة ".. ولم يقل: فاصبروا، فقوله: فصابروا يوحي بالتواصي بالصبر. والمؤازرة والمعاضدة في يوم الوفاء، وفي مجال المفاخرة بالنبي ﷺ، وفي ظلال هذه الرؤية المجاهدة يقول حسان بن ثابت: شاعر الرسول ﷺ: دفاعا عن النبي ﷺ ونصرا له:

نصرنا وآوينا النبيَّ محمداً ... على أنفِ راضٍ منْ عدوٍ وراغمِ

بحَيٍّ حريرٍ أصلُهُ وذمارُهُ ... بجابيةِ الجولانِ وسطَ الأعاجمِ

نصرناهُ لمّا حلَّ وسطَ رحالنا ... سيافنا من كلِّ باغٍ وظالِمِ

جعلنا بنينا دونَهُ وبناتنا ... وطبنا لهُ نفساً بفيءِ المغانمِ

ونحنُ ضرَبْنا الناسَ حتى تتابَعُوا ... على دينهِ بالمرهفاتِ الصوارِمِ

ونحنُ ولدنا من قريشٍ عظيمَها ... ولدنا نبيَّ الخيرِ منْ آل هاشِمِ

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٥٣، ١٣٢٦).

ملحوظة: الرواية في هذا الحديث (١٣٥٣) مختصرة عما ورد في الحديثين المشار إليهما.

الحديث رقم (١٣٥٤)

١٣٥٤- وعنه وعن جابرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: ((الحَرْبُ خَدْعَةٌ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الحرب خدعة: أي: من وسائلها الخداع أو هي تُخْدَع، وإذا خدع أحد الفريقين الآخر فيها فكأنما خُدِعتْ هي. يقال: خدع فلانًا خدعًا وخُدْعة وخديعة: أظهر له خلاف ما يخيفه وأراد به المكروه من حيث لا يعلم[2].

الشرح الأدبي

هذا الحديث الشريف من جومع كلمه ﷺ. لأنه يتضمن أسرارا ودلالات كثيرة وهو يتكون من جملة واحدة: مبتدأ وخبر، وقيل: معناه الظفر مع المخادعة بغير خطر ، ولفظ "خدعة "له أكثر من ضبط في التشكيل الذي ينطق به ومن ذلك خدعة وخدعة بفتح الدال وضم الخاء، أو خدعة "بفتح الخاء والدال أو خدعة بفتح الخاء وسكون الدال: وقالوا: هذه لغة النبي ﷺ ولغته أفصح اللغات وقال أبو بكر بن طلحة كان رسول الله يختار هذه البنية ويستعملها كثيرا لأنها بلفظها الوجيز تعطي معنى البنيتين الأخريين وتعطي أيضا معناها: أي: استعمل الحيلة في الحرب ما أمكنك، فإذا أعيتك الحيل فقاتل، فكانت هذه اللغة علي ما ذكرنا مختصرة اللفظ كثيرة المعني، فلذلك

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٢٩)، ومسلم (١٧٣٩/١٧) ولفظهما سواء.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ د ع)، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (خ د ع)، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٨٣/٦.

كان ﷺ يختارها، وهذه القاعدة التي أرساها رسول الله ﷺ تصلح للتطبيق في كل العصور مهما اختلفت آلات الحرب، ووسائل القتال، وبواعث الحرب، وبيئات المواجهة.

وقد أصدر هذه القاعدة وهو يخوض معركة الأحزاب، وبعد أن نقضت قريظة عهدها، وبعد أن اقتحم بعض فوارس من قريش الخندق "عمرو بن ود "، وعكرمة بن أبي جهل، وضرار بن الخطاب، وقال رسول الله لنعيم بن مسعود، الحرب خدعة. . ولم يواجه نعيم بن مسعود الأعداء، وإنما قام بإشعال نار الوقيعة بين الأحزاب وقريظة "ونجحت الحيلة "ووقعت الفتنة بين المشركين واليهود. . وقال أبو سفيان بعد أن اقتنع بغدر اليهود، وبعد أن عصفت ريح شديدة، وهطل المطر غزيرا، وقصف الرعد، ولمع البرق، واشتدت العاصفة، فاقتلعت خيام الأحزاب: (يا معشر قريش: إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع، والخف، وأخلفنا بنو قريظة، وبلغنا منهم ما نكره، ولقينا من شدة الريح ما ترون، فارتحلوا فإني مرتحل ".

ويصور حسان بن ثابت هذا النص الرباني والتأييد الإلهي: فيقول:

بهبوب معصفة تفرق جمعهم ... وجنود ربك سيد الأرباب

وكفي الإله المؤمنين قتالهم ... وأثابهم في الأجر خير ثواب

وأقر عين محمد وصحابه ... وأذل كل مكذب مرتاب

فقه الحديث

١ - قال النووي: (اتفق العلماء على جواز خداع الكفار في الحرب وكيف أمكن الخداع إلا أن يكون فيه نقض عهد أو أمان فلا يحلّ. وقد صحّ في الحديث جواز الكذب في ثلاثة أشياء أحدها في الحرب[1]. قال الطبري: إنما يجوز من الكذب في

---

(١) أخرج البخاري ٢٦٩٢، ومسلم ٢٦٠٥ من حديث أم كلثوم بنت عقبة أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيرًا أو يقول خيرًا" وزاد مسلم في رواية: قالت أم كلثوم: ولم أسمع يرخص في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاث تعني: الحرب والإصلاح بين الناس. وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها.

الحرب المعاريض دون حقيقة الكذب فإنه لا يحلّ، هذا كلامه، والظاهر إباحة حقيقة نفس الكذب لكن الاقتصار على التعريض أفضل، والله أعلم)[١].

٢ - قال ابن حجر: (وفيه التحريض على أخذ الحذر في الحرب، والندب إلى خداع الكفار، وأن من لم يتيقظ لذلك لم يأمن أن ينعكس الأمر عليه)[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من خصائص النبي ﷺ: جوامع الكلم.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على الخداع في الحرب وأخذ الحذر.

أولاً - من خصائص النبي ﷺ: جوامع الكلم:

حيث جاء في الحديث: (الحرب خدعة)، ولا شك أن هذا من جوامع كلمه ﷺ التي آتاه الله إياها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسل الله ﷺ قال: ((فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِسِتٍ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ. وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ. وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ. وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا. وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً. وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ))[٣].

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((أُعْطِيتُ فَوَاتِحَ الْكَلِمِ وَخَوَاتِمَهُ وَجَوَامِعَهُ))[٤].

قال ابن منظور: "وفواتح الكلم وفي رواية: أوتيت مفاتيح الكلم جمع مفتاح وهما في الأصل مما يتوصل به إلى استخراج المغلقات التي يتعذر الوصول إليها ومن كان في يده مفاتيح شيء مخزون سهل عليه الوصول إليه"[٥].

قال ابن حجر: "وقوله: بعثت بجوامع الكلم، حاصله أنه ﷺ كان يتكلم بالقول

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، ٦/١٢/ ٤٠ ، وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي كذلك، ٨/١٦/١٢٩-١٣٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٥٨/٦ ، وانظر: المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤١/١٢.

(٣) أخرجه مسلم ٥٢٣.

(٤) أخرجه أحمد ٤٠٨/١، رقم ٣٨٧٧، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين، ٤٢٢/٦.

(٥) لسان العرب، ابن منظور في (ف ت ح).

الموجز القليل اللفظ الكثير المعاني"[١].

وقال ابن رجب الحنبلي: "فجوامع الكلم التي خص بها النبي ﷺ نوعان أحدهما ما هو في القرآن، والثاني ما هو في كلامه ﷺ وهو منتشر موجود في السنن المأثورة عنه قد جمع العلماء جموعًا من كلماته ﷺ الجامعة"[٢].

وقال القاضي عياض: "وأما كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه المأثورة فقد ألف الناس فيها الدواوين وجمعت في ألفاظها ومعانيها الكتب، ومنها ما لا يوازى فصاحة ولا يبارى بلاغة"[٣].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الحث على الخداع في الحرب وأخذ الحذر:

حيث جاء في الحديث: (الحرب خدعة)، قال النووي: "واتفق العلماء على جواز الخداع في الحرب للكفار وكيف أمكن الخداع إلا أن يكون فيه نقض عهد أو أمان فلا يحل، وقد صح في الحديث جواز الكذب في ثلاثة أشياء أحدها في الحرب والظاهر إباحة حقيقة نفس الكذب لكن الاقتصار على التعريض أفضل"[٤].

وقال القاضي عياض: "(الحرب خدعة)، قال أهل العلم: الخداع في الحرب جائز كيفما تمكن لهذا الحديث، إلا أن يكون بنقض عهود أمان فلا يحل. قال الطبري: وإنما يجوز من الكذب في الحرب ما لا يجوز في غيرها من المعاريض والكلام بما يحتمل الألغاز والقصد إلى الإخبار عن الشيء ما هو عليه يعني في ظاهره.

ولغة النبي ﷺ (خدعة) بالفتح، وهي أفصح اللغات. قال: ثعلب: قال بعضهم: ومعناه: أنها تخدع أهلها وصف الفاعل باسم المصدر، وقيل: ويحتمل أن يكون وصفًا للمفعول، كما قيل: درهم ضرب الأمير، أي مضروبه، وقيل: معناها المرة الواحدة، أي لا يقبل العثرة إذا اتفقت فيها الخدعة، قال: ومن قال: (خُدعة) بالضم والسكون، إلى

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢/٢٦١.

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/٥٥ - ٥٦.

(٣) الشفا ١/١٦١.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص١١١٨.

أنها تخدع؛ لأن أحد الفريقين إذا خدع صاحبه فيها فكأنها خدعت فيها. ومن قالها بالضم وفتح الدال فهي تخدع أهلها، أو تمنيهم الظفر أبدًا، وقد تتقلب بهم الحال لغيرها"[1].

وقال ابن الأثير: "وقوله: (الحرب خَدْعة)، تروى بفتح الخاء وإسكان الدال ومعناها أن الحرب ينقضي أمرها بخَدْعة واحدة من الخداع أي: أن المقاتل إذا خدع مرة واحدة لم تكن لها إقالة وهي أفصح الروايات وأصحها، وتروى (خُدْعة)، بضم الخاء وإسكان الدال ومعناها الاسم من الخداع، وتروى (خُدعة) بضم الخاء وفتح الدال ومعناها: أن الحرب تخدع الرجال وتمنيهم ولا تفي لهم"[2].

وقال ابن حجر: "والحكمة في الإتيان بالتاء (خدعة) للدلالة على الوحدة فإن الخداع إن كان من المسلمين فكأنه حضهم على ذلك ولو مرة واحدة، وإن كان من الكفار فكأنه حذرهم من مكرهم ولو وقع مرة واحدة، فلا ينبغي التهاون بهم لما ينشأ عنهم من المفسدة ولو قلّ، وأصل الخدع إظهار أمر وإضمار خلافه، وفيه التحريض على أخذ الحذر في الحرب، والندب إلى خداع الكفار، وإن من لم يتيقظ لذلك لم يأمن أن ينعكس الأمر عليه، قال ابن العربي: الخداع في الحرب يقع بالتعريض وبالسكين ونحو ذلك وفي الحديث إشارة إلى استعمال الرأي في الحرب، بل الاحتياج إليه آكد من الشجاعة. قال ابن المنير: معنى الحرب خدعة أي: الحرب الجيدة لصاحبها الكاملة في مقصودها، إنما هي المخادعة لا المواجهة، وذلك لخطر المواجهة وحصول الظفر مع المخادعة بغير خطر"[3].

قال القرطبي: "ومعنى قوله: (الحرب خدعة) أن الحرب تكون ذات خدعة فوضع المصدر موضع الاسم. أي: ينبغي أن يستعمل فيها الخداع ولو مرة واحدة. ويحتمل أن يكون معناه: أن الحرب تتراءى لأخفاء الناس بالصورة المستحسنة، ثم تتجلى عن صورة

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٦/٤٢.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ د ع).

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/١٨٣.

مستقبحة كما قال الشاعر:

الــحَرْبُ أَوَّلُ مــا تكــونُ فَتِــيَّةً تَــسْعَى بِبِزَّتِهــا لكــلِّ جَهُــول[1]

وجاء في فتح الملهم: قوله: (الحرب خدعة) فيه ثلاث لغات مشهورة:

١/ خَدْعَة بفتح الخاء، وسكون الدال، وهي مرة من الخدع، والمراد على ذلك أن أمر الحرب ينقضي بمرة واحدة من الخداع، أي: أن المقاتل إذا خُدع مرة واحدة لم يكن لها إقالة.

٢/ خُدْعة بضم الخاء وسكون الدال، وهي اسم من الخداع والمراد حينئذ أن الحرب تشتمل على الخداع، فيخدع كل فريق مقابله، كأنها عبارة عن الخداع.

٣/ خُدَعة بضم الخاء، وفتح الدال، وهي مبالغة من الخداع مثل هُمزة، ولُمزة، وضُحكة، للذي يكثر الضحك، والمعنى على هذا: أن الحرب تكثر من الخداع، فتخدع الرجال، وتمنيهم، ولا تفي لهم.

هذه خلاصة ما حكاه ابن الأثير في جامع الأصول (٥٧٥/٢ - ٥٧٦) عن الخطابي، وزاد بعض العلماء لغتين سوى ما ذكر:

١/ خَدَعَة، بفتح الخاء والدال كلتيهما حكاه المنذري، وقال: وهو جمع (خادع)، أي: أن أهل الحرب خَدَعة، يخدعون خصومهم.

٢/ خِدْعة، بكسر الخاء، وسكون الدال، حكاه مكيّ، ومحمد بن عبدالواحد، ولعله اسم هيئة من الخداع، كأنه قال: الحرب هيئة مخصوصة من الخداع.

وهذان الوجهان ذكرهما الحافظ في فتح الباري (١٥٨/٦).

ورجح الخطابي، وابن الأثير، والنووي وأكثر العلماء الوجه الأول (وهو بفتح الخاء وسكون الدال)، ورجح الشيخ الأنور الوجه الثالث، فقال: الأبلغ فيه أن يكون صيغة

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٢٢/٣.

مبالغة من اسم الفاعل. والمراد أن الحرب لا تُدرى عاقبتها، ولا يتأتى فيها الاعتماد على الأسباب، فإنه قد تبدو النصرة في أول الأمر، ثم تنقلب هزيمة، وقد تنعكس"[١].

ورغم اختلاف الآراء حول تفسير قوله ﷺ في الحديث: (الحرب خدعة) إلا أن المتفق عليه أن الإسلام وضع للحرب آدابًا وشروطًا وضوابط وطالب أتباعه أن يتبعوها وكانوا أول من طبقوها.

قال الشيخ السيد سابق: "وإذا كان الإسلام أباح الحرب كضرورة من الضرورات، فإنه يجعلها مقدرة بقدرها. فلا يقتل إلا من يقاتل في المعركة. وأما من تجنب الحرب فلا يحل قتله أو التعرض له بحال.

وحرم الإسلام كذلك قتل النساء، والأطفال، والمرضى، والشيوخ، والرهبان، والعباد، والأجراء، وحرم المثلة؛ بل حرم قتل الحيوان، وإفساد الزروع والمياه، وتلويث الآبار وهدم البيوت، وحرم الإجهاز على الجريح، وتتبع الفار. وذلك أن الحرب كعملية جراحية لا يجب أن تتجاوز موضع المرض بمكان.

والإسلام يوجب العدل، ويحرم الظلم، وتعاليمه السامية، وقيمه الرفيعة، تتجه إلى المودة والرحمة، والتعاون والإيثار، والتضحية، وإنكار الذات وغير ذلك، مما يرفه الحياة، ويعطف القلوب، ويؤاخي بين الإنسان وأخيه الإنسان. وهو بعد ذلك كله، يحترم العقل الإنساني، ويقدر الفكر البشري، ويجعل العقل والفكر وسيلتين من وسائل التفاهم والإقناع.

فهو لا يرغم أحدًا على عقيدة معينة، ولا يكره إنسانًا على نظرية خاصة بالكون، أو الطبيعة، أو الإنسان، وحتى في قضايا الدين، يقرر أنه لا إكراه فيه، وأن وسيلته هي استعمال العقل والفكر والنظر فيما خلق الله من أشياء.

يقل الله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾[٢].

---

(١) تكملة فتح الملهم، الشيخ: محمد تقي العثماني ٢٨/٩.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٥٦.

ويقول تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1].

ورسول الله ﷺ لم تكن وظيفته إلا أنه مبلغ عن الله وداعية إليه.

يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾[2].

والإسلام يرى أن منع الحرب إنما يتم بمنع الظلم، الممثل في الاستعمار، وفي التفرقة العنصرية، وفي تجنب اعتقاد أن الجنس الأبيض ما خلق إلا ليسود، وأن غيره ما خلق إلا ليكون مسخرًا له، ودائرًا في فلكه.

وإما يتم ذلك ويتحقق في نظره، بنشر التعاليم الصحيحة، وتعميق جذورها في النفس الإنسانية؛ وتربية النشء على فضائل المحبة والمودة والإخاء والتعاون والتآزر، وتسخير جميع أدوات الإعلام في هذه السبيل حتى تصل الإنسانية إلى ما تنشده من أمان، وما تصبو إليه من سلام"[3].

---

(١) سورة يونس، الآيات: ٩٩ - ١٠١.

(٢) سورة الأحزاب الآيتان: ٤٥ - ٤٦.

(٣) عناصر القوة في الإسلام ص ٢١٢ - ٢١٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية الجهادية:

إن الآيات والأحاديث التي أوردها المصنف في هذا الباب لترشد إلى وجوب تربية الناشئة وغيرهم على الجهاد والعمل بمقتضياته والأخذ بلوازمه. إن الجهاد تربية لا غنى عنها للأفراد والجماعات فحسب بل لا غنى للأمم والشعوب أيضًا عنها، بل لا غنى للبشرية عنها كذلك، إن التربية الجهادية هي التي تميز البشر في كونه بشرًا، فإذا تخلى عن ذلك فإنه سيكون في مراتب الحيوانات تأكل وتشرب وتنام وتخرج فضلاتها ثم تموت لا يحس بها أحد ولا يشعر بها إنسان، بل إنه إذا فعل ذلك انحط عن هذه الحيوانات درجات سفلى ومراتب دنيا، لذا فإن التربية الجهادية يجب أن يقوم بها كل المربين والواعظين والمرشدين والموجهين وكل من له شأن بالتربية من قريب أو بعيد، ولا يكون عملهم هكذا فرديًا كيفما اتفق، لا بل يكون مخططًا مدروسًا حق الدراسة معدًّا له حق الإعداد والتجهيز حتى يتحقق الغرض النبيل والهدف السامي من وراء التربية الجهادية، ولكن السؤال هنا: ماذا نقصد بالتربية الجهادية؟

أنقصد بها التربية على رفع السلاح في وجوه المخالفين ليل نهار حتى يسلموا لنا ويخضعوا لحكمنا ويسلموا لقوتنا؟ أنقصد بها أن نكون في حرب ونزاع مع المخالفين حتى نقضي عليهم أو يقضوا علينا؟ أنقصد بها أن نعلن الحرب إعلانًا دائمًا لا ينزل ولا ينخفض أبد الآبدين؟ أنعنى بها هدم الحضارات الأخرى ونسف إنجازاتها وإرجاعها إلى عصر البداوة والحياة المحدودة البسيطة؟ أنعني بها خروج المسلمين إلى بقاع الأرض المختلفة في سيل لا ينقطع ومدد لا ينفصم لمحاربة القاصي والداني في حرب لا هوادة فيها؟

إن الذين يبغضون الإسلام وكذلك الذين يسيئون فهم الجهاد وقيمه الحضارية، يرونه كذلك أو يودون أن يروه كذلك، ويروجون لذلك وينشرونه في أرجاء العالم وأنحاء الدنيا، يُخيفون العالم من الإسلام ومن المسلمين ويصورونهم الخطر المحدق بالعالم والذي يكون فناؤه وهلاكه على يديه. لكن الحقيقة خلاف ذلك وأشرف من هذا وأعظم من ذلك، إن الجهاد ما هو إلا وسيلة لنشر الإسلام للعالمين وتبيين فضائله

ومزاياه للناس ليدخل فيه من دخل عن بينة ، فإن تحقق ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة قام ذلك مقام الجهاد والحرب، وإلا جاهد المسلمون أعداء الدعوة الإسلامية حتى ييسروا سبل وصولها للناس واضحة جلية لا لبس فيها ولا غموض ولا تحريف. وفي كلتا الحالتين كان على المربين أن يربوا أتباعهم التربية الجهادية التي هي شرف الأمة وعنوان عزها ومجدها وشعار فخرها ، ونعني بالتربية الجهادية ما يلي:

أ - استعداد المسلمين في جميع الأحوال والأوقات والظروف لبذل الغالي والرخيص من أجل نصرة دين الله وسنة رسول الله ﷺ ، إنهم يربون على أن يستسهلوا التضحية بالمال والنفس معًا في سبيل الله.

ب - تربيتهم على امتلاك كل ما يمكنهم من وسائل القوة والدفع، والتي تمكنهم من غلبة أعداء الله والانتصار عليهم، وجعل كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى.

ج - تربيتهم على الانشغال بمعالي الأمور وجلائلها وعظائمها ، التي تيسر لهم سبل العلو في هذه الدنيا ، وعدم الاهتمام بالصغائر والتوافه التي تجرهم إلى مستنقع الذل والهوان والخسّة.

د - التربية الجهادية تجعل المسلمين يعتزون بهذه الحياة الدنيا اعتزازًا كبيرًا جدًا ، ويقدرونها حق قدرها لا لأنهم يستمتعون فيها بما لذّ وطاب، كما ينظر إليها كثير من الغربيين والشرقيين، بل لأنهم يرونها منحة إلهية عظيمة أعطاها الله لهم لكي يتركوها وهي أحسن وأفضل وأثمن وأقيم، لأن ذلك هو الذي يوصلهم إلى نعيم ربهم في الدار الآخرة ، لذا يجعلهم الجهاد محافظين عليها تمام الحفظ، وهذا عكس ما يراه أهل الفكر من الغرب من أن الجهاد يجعل الحياة وحياة الناس كأنها لا قيمة لها ، إذ بإمكان أحدهم أن يفجر نفسه في جموع من الناس فيخلف الكثير من القتلى والجرحى، نقول: هذا خطأ محض لتصور قيمة الجهاد ، فالجهاد - كما أسلفنا - ليس توزيعًا للموت على سكان المعمورة كل يوم وكل ليلة ، وإنما هو سبيل لتوفير الحياة الطيبة التي يتوارى فيها الظالمون والمستبدون والمعتدون والمتكبرون فيما وراء

الصفوف الخلفية، لا أن يبرزوا في مقدمة الصفوف كما هو الحال الآن.

لكننا يجب أن نفرق بين حياة وحياة، فهناك حياة تستحق أن تعاش وأن تحيا، هذه الحياة التي يحس فيها الإنسان بكرامته وعزته، ويكون آمنًا على نفسه وأهله وماله، ناظرًا إلى مستقبل مشرق لا يتسلط عليه أحد يظلمه أو يبخسه حقه أو يعتدي عليه، فهذه الحياة هي التي يحافظ عليها بكل طاقة وجهد، أما حياة تهان فيها المقدسات، ويعتدي على الأصول والثوابت ويستهان فيها بالكرامات وتداس فيها المشاعر المعتبرة، ويتسلط فيها المستبدون والطواغيت، فهذه حياة ما أتفهها وما أحقرها، وكل من يحاول أن يحافظ عليها فهو أحقر وأتفه وأذل.

ولذا شرع الجهاد لتغييرها إلى ما تستحق أن تكون به حياة.

هـ - التربية الجهادية تربية على العزة والكرامة، وتحطيم للذل والهوان والضعة، والإنسان الذي يبني، ويقدم الخير لنفسه وللآخرين وللأوطان والبشرية، هو الإنسان العزيز الكريم الذي يعتز بقيمه ومبادئه وأصوله وأهدافه، والتاريخ لا يعرف حضارة قامت على أكتاف العبيد والأذلاء، لأن الإبداع والابتكار يتنافيان تنافيًا كليًا مع الرق والعبودية والذل والهوان، ولماذا نذهب بعيدًا وتاريخنا شاهد صدق على ذلك؟ إن المسلمين الأوائل هم الذين شيدوا وأقاموا حضارة الإسلام ووضحوا معالمها وقدموا منجزاتها ونشروا الإسلام في أنحاء كثيرة من العالم القديم، على حين لم يكن خَلَفُهم على مستواهم الحضاري ومرتبتهم الإنجازية وسلمهم الابتكاري، والسبب في ذلك هو التربية الجهادية التي تشربها السلف وأعرض عنها الخلف.

ثانيًا- التربية على تقديم العمل المتعدّي نفعه على العمل القاصر نفعه:

الأعمال قسمان: قسم يقتصر نفعه على صاحبه، وقسم يتعدى ويشمل نفعه صاحبه وغيره، فكان فيه إفادة للغير وتحصيل النفع له، مثال الأول صلاة النوافل فإن صاحبها يحصّل بها التزكية والتهذيب والقرب من الله العليّ الجبار، ولا يتعدى نفعها إلى غيره بطريق مباشر، أما بالطريق غير المباشر فإن التزكية التي يتحصل عليها مصلّي النوافل لاشك تنعكس على معاملاته مع غيره من الناس، فنجده أحسن أخلاقًا وألين عريكة

وأكثر ألفة، أما مثال العمل المتعدي نفعه فكالجهاد في سبيل الله، أليس المجاهد بين سبيلين لا ثالث لهما: إما سبيل الفوز والانتصار، وإما سبيل الشهادة والقتل وهو في كلتا الحالتين تعدّى نفعه لغيره، فقد استفاد غيره الأمن والأمان الذي يحققه النصر والفوز، فضلاً عن الزهو والفخر و الاعتزاز، وإن كانت الشهادة فقد استفاد غيره الحياة التي بذلها هذا الشهيد رخيصة في سبيل الله، فضلاً عن كونه ضرب المثل الأعلى في بذل المهج والأنفس ابتغاء مرضاة الله، لذا أخبر رسول الله ﷺ عن فضل الجهاد وفضّله على غيره من النوافل غير المتعدية كالصيام وقيام الليل وغيره من الصلوات، فقال: "رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه" كما أخبر ﷺ أن ما يعادل الجهاد من الأعمال لا يستطاع ولا يقدر عليه ولا يحصل، فقد قيل له: يا رسول الله ما يعدل الجهاد في سبيل الله؟ قال: لا تستطيعونه" وأعاد ذلك بإعادة السؤال "فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثًا كل ذلك يقول: "لا تستطيعونه" وفي رواية أخرى قال: "لا أجده" ثم زاد الأمر وضوحًا وبيانًا عن طريق السؤال التقريري الذي يدفع المخاطب إلى الإقرار والتسليم: "هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر، وتصوم ولا تفطر؟ ثم قال نافيًا ذلك "ومن يستطيع ذلك؟" كما بين ﷺ بعض ما يقدم المجاهد من نفع للناس، فقال ﷺ: "من خير معاش الناس لهم: رجل ممسك عنان فرسه في سبيل الله يطير على متنه، كلما سمع هيعة أو فَزْعة طار عليه يبتغي القتل والموت مظانه".

وإذا كان المجاهد يحقق من المنافع الكثير للناس فإن الله يعامله ويجازيه على هذه الشاكلة وهذا النحو، فإنه سبحانه يزيد في عمله ويكثر من ثوابه إلى يوم القيامة، فيخبر عن ذلك ﷺ: "وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمل وأجري عليه رزقه وأمن الفتان" و"كل ميت يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله، فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة، ويؤمن فتنة القبر". فإذا كان تخلّص من أسر البشرية وحبّ الذات والخوف عليها، وهذا لا يتخلص منه إلا الصفوة والنخبة من الخلق، وأراق دمه أنهارًا تجري في الأرض، وأصبح مثالاً حيًا يتناقل ذكره على مر الدهور والعصور وعلى مر

الأجيال، فلا عجب أن كان ثوابه متواصلاً وجزاؤه متجددًا، لذا نهى النبي ﷺ الصحابي الذي رغب في العزلة للتعبد ورغبه في الجهاد قائلاً: "إن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عامًا، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة؟".

لذا كان من الأهمية بمكان: تربية الناشئة وغيرهم على تقديم العمل المتعدِّي النفع على القاصر النفع، إن تعذر الجمع بينهما، وقد حصل التعارض أو التزاحم، لما في ذلك من فوائد جليلة تعودُ على الأفراد والمجتمعات والشعوب والأمم.

ثالثًا- من الصفات الواجب توافرها في المربي: مراعاة أحوال من يقوم بتربيتهم جميعًا:

إن الجهاد يحتاج إلى استطاعة بدنية واستطاعة مالية، وإذا كان من الصحابة من يجدهما فإن بعضًا منهم كان لا يجدهما معًا أو يفقد إحداهما ويجد الأخرى، كما أن الرسول ﷺ لا يجد عنده من المال الكافي ما يجهز به الصحابة كلهم للغزو والجهاد، فإن هو خرج مع الغزاة والمجاهدين ترك بعض الصحابة في المدينة ممن حبسهم العذر، وهؤلاء يشق عليهم ألا يكونوا مع رسول الله ﷺ وإنهم يرغبون أن يكونوا معه، يدهم قبل يده، وسيوفهم قبل سيفه، وخيولهم قبل فرسه، ورماحهم قبل رمحه، ونفوسهم دون نفسه.

وإن هو ﷺ أمرهم بالتجهز والإعداد للخروج شق عليهم ألا يجدوا ما يتجهزون به ويستعدون، لذا كان النبي ﷺ لا يخرج مع كل سرية تقاتل في سبيل الله، مع رغبته ﷺ في ذلك، وفي الاستشهاد في سبيل الله، ورغبتُه ﷺ رغبة عارمة صادقة أصيلة، فهو أصدق من نوى، وأخلص من عمل، و أشدّ من امتثل ﷺ.

إنه ﷺ كان بين موقفين: موقف أشد حبًا إلى نفسه، وهو الخروج في سبيل الله والقتال مع كل سرية وعدم القعود، وموقف يفرضه عليه حبّ الصحابة له وحب ملازمته والتعلم بين يديه وهذا لا يتاح لبعضهم إن هو خرج مع كل سرية، فآثر النبي ﷺ - لشفقته وحبه ورحمته - الموقف الآخر، فكان ﷺ في بعض الأحيان

يبعث السرايا والجيوش تقاتل في سبيل الله، وترفع راية الإسلام عالية خفاقة، وهو ﷺ في المدينة بين أصحابه يعلمهم ويرشدهم ويواسي فقيرهم ويعين محتاجهم ويعلم جاهلهم ويرشد حائرهم، ومن معه من الصحابة أشد حرصًا على التعلم منه، والاقتداء به ونقل أحواله وأخباره إلى غيرهم، حتى يستفيدوا كما استفادوا، ويهتدوا كما اهتدوا ويرشدوا كما رشدوا، ويصيبهم الخير كما أصابهم.

كما أن وجود النبي ﷺ في المدينة كان يسهل عليه استقبال المسلمين الجدد أو الراغبين في التعرف على دين الله الحق، ومراسلة الملوك والأمراء ودعوتهم إلى دين الإسلام، ونحو ذلك.

إننا نرى في قوله ﷺ: ((وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلاَ أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، مَا قَعَدْتُ خِلاَفَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللّهِ أَبَدًا. وَلَـٰكِنْ لاَ أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلَهُمْ. وَلاَ يَجِدُونَ سَعَةً. وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنْ أَغْزُو فِي سَبِيلِ اللّهِ فَأُقْتَلُ. ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ. ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ))، إننا نرى في قوله ذلك دعوة للمربين جميعًا أن يكونوا على مستوى رسالتهم النبيلة التي لا تفرق بين غني وفقير ولا قوي وضعيف، وكريم وغيره، وشريف وسواه، فينبغي أن يكونوا على مستوى رسالتهم النبيلة فيراعوا أحوال من يقومون بتربيتهم جميعًا، لأن التربية للجميع، وليست لطائفة دون طائفة، ولا لشعب دون شعب، ولا لأمة دون أمة.

رابعًا – التربية على التعاون على فعل الطاعات:

إذا كان من المتعذر أن يخرج كل المسلمين إلى الجهاد، فإنه لا محالة سوف يظلّ بعضهم في أوطانهم يخلفون المجاهدين ويخلفونهم في أولادهم وأهليهم، وهؤلاء أمامهم طريقان لأن يعاونوا المجاهدين على أداء رسالتهم النبيلة في ساحات القتال ومنازل المعارك.

الطريق الأول: أن يقوموا بتجهيزهم أو تجهيز من لا عتاد له ولا سلاح ولا ركاب، فيسدون حاجتهم ويكفونهم مؤونتهم ويقومون بإعدادهم وتجهيزهم حتى يكونوا على أتم استعداد للقتال والاعتراك. وهذا ما تقوم به الدول الحديثة عن طريق فرض ضرائب

وتشتري ببعضها ما يلزم قواتها المسلحة من أسلحة وعتاد حديث يتناسب مع تطورات الأسلحة وتعقيداتها المتوالية التي لا تقف عند حدٍّ، ولو التفتت هذه الدول إلى الأخذ بهذا الحديث لفتحت المجال واسعًا أمام التبرعات والمنح والهبات من الأفراد والهيئات للإسهام في هذا الهدف النبيل. وقد أخبر النبي ﷺ أن هذه الصدقات من أفضلها أو أفضلها فقال: "أفضل الصدقات ظلّ فسطاط في سبيل الله، ومنيحة خادم في سبيل الله أو طروقة فحل في سبيل الله" وقد قام النبي ﷺ بنفسه بإرشاد بعض الصحابة الذين ينقصهم ما يتجهزون به، أرشدهم إلى من يساعدهم على ذلك، فقال: "ائت فلانًا فإنه قد كان تجهز فمرض" فرحب هذا الصحابي الأخير بذلك خير ترحيب ونادى: "يا فلانة أعطيه الذي كنت تجهزت به، ولا تحبسي عنه شيئًا، فوالله لا تحبسي منه شيئًا فيبارك لك فيه".

الطريق الثاني: أن يكونوا عونًا لأهل المجاهدين ومساعدي خير لهم، فيقوموا بقضاء حوائجهم ومتطلباتهم حتى كأنهم يشعرون بأنهم ما فقدوا الكثير بغياب آبائهم وأوليائهم وإخوانهم، بل إن موقف هؤلاء يدفع هؤلاء الأبناء والأهل إلى أن يشعروا بمزيد من الاهتمام والعناية ربما لم يجدونهما من أوليائهم، ولا يقتصر موقف هؤلاء على ذلك فحسب، بل يمتد أيضًا إلى الدعم المعنوي، فيبعثون إليهم برسائل التشجيع والتأييد والتحفيز والمساندة، سواء بطريق مباشر أم بما يصل إلى المجاهدين وهم في مواقع القتال من أخبار وأنباء.

إن أشد ما يكون على المقاتلين وقد قدموا أرواحهم فداءً وتضحية، ما يعرف في عالم اليوم بالطابور الخامس، ذلك النفر الذين يخلفون المقاتلين في بلادهم وأوطانهم بأسوأ ما يكون من إشاعة روح الهزيمة والتخاذل والاستسلام بين جموع المواطنين، وهذه خيانة كبرى لأولئك المجاهدين الذين خرجوا من ديارهم وأموالهم ابتغاء وجه الله والدفاع عن الأديان والأوطان، لذا كان دور من يخلف المجاهدين لا يقل أهمية عن دور المجاهدين أنفسهم، فقال ﷺ: "من جهز غازيًا في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازيًا في أهله بخير فقد غزا" وقال ﷺ: "أيكم خَلَفَ الخارجَ في أهله وماله بخير كان

له مثل نصف أجر الخارج".

هذا من ناحية تجهيز الغزاة والمجاهدين، أما من ناحية الأسلحة فحدّث عن التعاون في ذلك ولا حرج، فإن الأسلحة قديمًا كانت تصنع بسهولة ويسر، مما يجعل تعلم صنعها ميسورًا سهلاً، ومما لا يخفى أن الأسلحة لها دور كبير في القتال والنزال، فلا تتصور معركة بدون أسلحة سواء في القديم أم في الجديد، لذا كان دور صانعي الأسلحة من الأهمية بمكان، حتى إنه ليقارب دور المجاهد إذا ابتغى بصنعها وجه الله، وهذا هو التعاون المشروع لاشك في ذلك، فصانع يصنع السهم أو السيف يسلمه إلى المجاهد يقاتل به، فيساعده على أداء مهمته النبيلة ودوره الرائع، لذا قال النبي ﷺ: "إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة، صانعه يحتسب في صنعته الخير، والرامي به، ومنبله".

وفي عالم اليوم، نحن أحوج ما نكون، إلى أن يكون سلاحنا مصنوعًا في بلادنا وبأيد أبنائنا وسواعدهم الفتية، حتى لا يتحكم فينا غيرنا ويعطينا من السلاح ما يكون قديمًا أو غير مواكب لأحدث التطورات العسكرية، مما يحد من قدراتنا العسكرية بصورة كبيرة جدًا، فهل تتحقق صناعة السلاح في أرضنا ويكون للقائمين عليها أجر المجاهدين الصادقين أو نحوه؟

نخلص من ذلك كله إلى أنه ينبغي أن تكون التربية قائمة على التعاون على الخير لا على الشر والعدوان، وهذا ما ينبغي أن يستقر في أذهان الناشئة وأفئدتهم.

خامسًا - التربية على الترهيب من الدَّيْن:

أجر الشهيد لاشك في عَظَمه، وجزاؤه لا ريب في كثرته، وذلك لأنه قدّم أغلى ما يملك راضيًا طائعًا في سبيل الله، وابتغاء مرضاته سبحانه، لذا أعظم الله له الثواب وأجزل له العطاء، ووسّع له الفضل، وأكثر من إكرامه والإنعام عليه، فغفر له الذنوب ومحي عنه السيئات، وعفا عنه، وعن آثامه وخطاياه، إلا شيئًا واحدًا لم يغفره له تعالى على عظم فضله وكريم منّه، ألا وهو الدَّيْن، الذي هو حق للآخرين عليه كان يجب عليه أن يقوم بسداده لصاحبه إن استطاع ذلك. وهذا يستدعي سؤالاً ملحًا في الذهن:

أليس في هذا ترهيب من الاستدانة، والإقبال على الدَيْن، دون مسوغ مشروع من دفع حاجة أو القيام بواجب أو نحو ذلك؟ أليس في هذا تنبيهٌ للمربين وأتباعهم إلى أن يحذروا من الدَّين ومن تبعاته؟ أليس في هذا دفع لمن يستسهل الدين والاستدانة أن يكفّ عن ذلك وأن يحاول أن يسد هذا الباب ما استطاع إلى ذلك سبيلاً؟ إننا أمام توجيه نبوي كريم يؤخذ به في الترهيب من الاستدانة والإقبال عليها.

إن الناظر في الحياة الاقتصادية المعاصرة ليجد أن التربية على الترهيب من الاستدانة أمر مهم جدًّا يجب أن يفعّل في تربية الناشئة وتوجيههم وإرشادهم حتى يسلموا من المشاكل التي لا تكاد تنتهي مِن وراء الاستدانة، من ضياع المال والهيبة والتقدير والمكانة، ورغم ذلك يقع كثير في شَرَكِها وذلك لأن كثيرًا من التنظيمات الاقتصادية المعاصرة تدفع وتغري الناس إلى الاستدانة والاستمرار فيها ونستطيع أن نرصد بعض الصور المشهورة التي تقوم على الاستدانة والدين:

أ - ما تقوم به المصارف والبنوك من إغراء لعملائها في شراء سلع كمالية كثيرة هم في غنى عنها، وحياتهم لا تتضرر كثيرًا إذا لم يحصّلوها ويشتروها، فنجد هذه المصارف تغري عملاءها بشراء أحدث السيارات، وأحدث البيوت، وأرقى الملابس، ونحو ذلك عن طريق بيع التقسيط، وتقديم شروط ميسرة في ذلك، وهذا يساعد بدور كبير في تنامي الاقتصاد الاستهلاكي غير الإنتاجي الذي تزيد فيه النفقات كثيرًا عن مستوى الدخول والموارد.

ب - تقديم المصارف والبنوك التسهيلات والتيسيرات للمضاربين في الأسواق المالية "البورصة" عن طريق تقديم قروض بشروط ميسرة لهم فتزداد حمى المضاربة مع قلة المعروض من أسهم الشركات، فترتفع ارتفاعًا جنونيًا مما يزداد معها حمى المضاربة سُعارًا واشتعالاً فتظل هكذا، حتى تبلغ الذروة ثم تهبط هبوطًا لا قيام بعده. وقد ضاع كثير من الثروات والأموال، وتحول كثير من المضاربين إلى فقراء بعد أن كانوا قمة الأغنياء، وخربت بيوت ومات عائلها بعد أن كانت عامرة بالود والحب، وانطفأت شعلة الزواج بأن كثر عددُ المطلقين والمطلقات بعد أن كانت هناك بيوت زوجية واعدة،

وضاعت أصول مالية ممتازة باعها أصحابها ليستفيدوا بثمنها في المضاربة، وليأتوا بأحسن منها بعد ذلك، فضاعت عليهم سدىً وعضُّوا بنان الندم أن باعوها وفرطوا فيها.

ج - قيام النظام الاقتصادي العالمي على الفائدة التي تحتل فيه ركنًا أساسيًا لا يُتصور أن يستغني أو يتنازل عنها، والفائدة ما هي إلا زيادة للمال وتنمية له عن طريق الإقراض والإدانة، فيما يُعرف بالائتمان والقدرة الائتمانية، لا تنمية المال عن طريق العمل أو المشاركة، وكل ذلك قد استقرّ في أذهان الناس وشاع فيما بينهم، وأصبح من الثقافة الشائعة التي قلما تجد لها معارضًا أو ناقدًا أو مُعرضًا، مع أن ذلك هو عين الربا الذي حرّمه الله تعالى وآذن من يقترفه بحرب من الله ورسوله.

كل هذا يدفع المربّين دفعًا حثيثًا إلى أن يضربوا القدوة لمن يقومون بتربيتهم على الحذر من الاستدانة والخوف من الوقوع في تبعاتها المؤلمة، فضلاً عن أن يغرسوا ذلك في نفوسهم حتى يربوهم بالقول والعمل؛ نظرًا لخطورة هذا الأمر وشدة أثره.

سادسًا - من الأساليب التربوية: التبشير:

لقد كان النبي ﷺ في موقف الحرب أشجع الشجعان، وأثبت من الجبال، وأرسخ من الرواسي الراسخات، إنه مقدمة المسلمين تجاه العدّو وقبالته، يلوذ به المسلمون ويتقون به ﷺ من بأس العدو وقوته، وزاد على ذلك ﷺ بأنه كان يبشّر أتباعه وأصحابه المجاهدين الصابرين المحتسبين بالجنة ويخبرهم - وهو الصادق المصدوق - بأنهم من أهلها المنعمين بآلائها وظلالها الوارفة، فهذا صحابي كريم يقوله له: "أين أنا يا رسول الله إن قُتلت؟ قال: في الجنة، فاستبشر الرجل وطار من الفرح وترك دنياه ونسي لذته وشهوته فألقى تمرات تذكر بالدنيا وبأهل الدنيا وأقبل على القتال حتى قتل ففاز بجنة الخلد.

ولما كان يوم بدر يومًا له خطره وشأنه في حياة المسلمين، فهو أول اختبار عملي لقوتهم وبأسهم، وقبل ذلك هو اختبار لمدى صدقهم وإيمانهم بدينهم الجديد وبرسوله الكريم الذي يدعوهم إلى بذل الروح والمال رخيصين في سبيل الله، لذا كان يوم بدر بحق يوم الفرقان، لما كان الأمر كذلك استخدم النبي ﷺ التبشير العام، وذلك

ليقضي على ما قد يكون قد تبقى من خوف أو رهبة في نفوس بعض المسلمين لقتال أهل الشرك المعروفين بشدة بأسهم وكثرة عتادهم وعددهم، فقال ﷺ: "قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض" إنه ﷺ يبشرهم بجنّة واسعة وسعًا لا يكاد تدركه عقول البشر، مع أن المسلمين وقتذاك كانوا في ضيق في كل شيء تقريبًا، ضيق في المال وقد تركوا أموالهم وديارهم وهاجروا إلى الله ورسوله، وضيق في السلاح والعتاد، فليس في الجيش من الفرسان إلا واحد أو اثنان، وضيق في العدد: فعددهم ثلث عدد أعدائهم، وضيق وقلة في النصير والمعين، فإن الجزيرة العربية على وسعها تكاد تضيق على هؤلاء النفر المسلمين، فكلها أعلنت العداء والتنكر لهم، وهكذا كانت السمة العامة لحياة المسلمين الضيق، فبشرهم النبي ﷺ بالجنة الواسعة: فإذا كانوا هم في الدنيا في ضيق فإنهم سيكونون في سعةٍ في الآخرة، لذا أراد الصحابي عمير بن الحمام الأنصاري رضي الله عنه أن يطمأن قلبه فسأل النبي ﷺ: يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: نعم. ففرح بذلك أشد الفرح وتمنى أن يكون من أهلها وعبر عن ذلك بقوله: بخ بخ.

فلما أخبره النبي ﷺ أنه من أهلها اشتاق إليها واشتاق إلى دخولها، فأعرض عن الطعام ولذته وأسرع نحو غايته: الجنة التي طريقها الاستشهاد في سبيل الله.

ولم يكتف النبي ﷺ بتبشير المجاهدين فحسب بل كان يبشر أهليهم وذويهم أيضًا، فقال لأم حارثة: "يا أم حارثة إنها جنان في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى".

إننا نجد أن التبشير النبوي قد حقق الغاية وأتى بالمرجو وحصّل المطلوب.

وبناء على ذلك فإن على المربين أن يبشروا من يقومون بتربيتهم حتى يدفعوهم إلى معالي الأمور وفضائل الأخلاق ومكارمها، ولا يكون تبشيرهم إلا حقًا وصدقًا، ولاشك أن القرآن الكريم والسنة النبوية معين لا ينضب من التبشير عليهم أن يستخدموه ويفعلوه ويحققوه.

سابعًا - التربية على أن من تعلّم علمًا علّمه غيره:

لقد بعث النبي ﷺ إلى أمة أمية، فهدى الله به قلوبًا عميًا وفتح به آذانًا صمًا

وعلّم أفئدة كان الجهل فيها راسخًا، وربّى رجالاً يقيمون دولاً وحضارات بعد أن كانوا معول هدم للدول والحضارات، وهؤلاء علّموا غيرهم ما تعلموه وأنقذوهم من الجهل والضلال كما أنقذهم رسول الله ﷺ.

وهكذا ربّى النبي ﷺ معلمين أفذاذًا، ومربين متفردين، لم ير لهم التاريخ مثيلاً أو نظيرًا، وقد كان ﷺ يبعثهم إلى القبائل والأمصار، يعلمون غيرهم ويبصرونهم بأمور دينهم، ويصححون لهم أخطاءهم، ويقيمونهم على الملة الصحيحة، والصراط المستقيم والطريق الذي لا عوج فيه ولا أَمْتَى.

من ذلك ما أخبر به أنس بن مالك رضي الله عنه أنه "جاء ناس إلى النبي ﷺ أن ابعث معنا رجالاً يعلمونا القرآن والسنة، فبعث إليهم سبعين رجلاً من الأنصار يقال لهم: القراء، فيهم خالي حرام، يقرءون القرآن ويتدارسون بالليل ويتعلمون، وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه في المسجد ويحتطبون فيبيعونه ويشترون به الطعام لأهل الصفة وللفقراء، فبعثهم النبي رضي الله عنه ...".

لقد كان هؤلاء القراء السبعون يداومون على التعلّم والمدارسة، تعلم القرآن ومدارسته وكذلك الأمر في تعلم السنة ومدارستها، لذا كانوا أنسب من يبعثهم النبي ﷺ ليعلموا غيرهم، إنهم نماذج حية للتعلم والتعليم المستمرين: تعلم ومدارسة بالليل، وتعليم وتربية بالنهار، وهذا مبدأ تربوي وتعليمي إسلامي أصيل: أن من تعلم شيئًا صحيحًا علّم غيره ونقله إليه، ولا يضن ولا يبخل به ولا يكتفي بإصلاح نفسه ويترك الآخرين نهبًا للجهل والجهالات. وبهذا انتقل العلم الإسلامي وضُمن له الاستمرار والحيوية وتحمل الأجيال المتعاقبة له، كل جيل ينقله إلى من يليه من أجيال وهكذا حتى شاع العلم وانتشر وعرفت الأمة الإسلامية بأنها أمة "اقرأ" وأمة العلم والعلماء.

ولذا كان من المهم جدًا تربية الناشئة وغيرهم على أن ينقلوا لغيرهم ما تعلموه وفهموه ودرسوه، وفيما يلي بعض الصور السلبية الناشئة عن عدم التربية على هذا:

أ - الأمة الإسلامية لها كثير من العلماء الكبار المنتشرين في المراكز البحثية المتقدمة في العالم الغربي، وبعضهم قد نال جوائز علمية قيمة في مجاله وكان من

المتوقع والمنتظر أن ينقل هؤلاء العلماء ما تعلموا إلى دولهم الإسلامية حتى تلحق بركب التقدم العلمي الذي يشهد تطورات هائلة كل يوم، لكن الصورة الواقعية تكشف عن قصور شديد في ذلك مع الاعتراف بأن هناك أسبابًا كثيرة تقف وراء ذلك، لكن لو صمم هؤلاء العلماء الأفذاذ على نقل خبرتهم إلى دولهم التي خرجوا وتعلموا فيها لربما كانت الصورة مغايرة وأصابها بعض التحريك الدافع إلى الأمام.

ب - كثير من أهل الطب الحاذقين يضنون بمهاراتهم وخبراتهم الثمينة ويحتفظون بها ولا ينقلونها إلا لأقل القليل من تلاميذهم الذين ربما كانوا أبناءهم أو أقاربهم. أما من عداهم فيضعون أمامهم الكثير من العراقيل والمعوقات التي لا تكاد تنتهي حتى يصرفوهم عن وجهتهم، ويظلوا هم محتفظين بالنجومية واللمعان في عالم الطب، فلا ينصرف عنهم المرضى بل يزدادون عامًا بعد عامٍ.

ج - عالم الإدارة بما فيه من خبرات ثمينة وتجارب قيمة يكتسبها المديرون من خلال عملهم الطويل والمتواصل، كثير منهم يحرص أشد الحرص على الاحتفاظ بهذه الخبرات وتلك التجارب ولا يكاد ينقلها إلى من تحته من المديرين الشباب وربما ظلّ محتفظًا بها حتى تدخل معه قبره.

مع أن الدول الحيوية ذات التجارب الحضارية والتقدمية تحرص بكل وسيلة ممكنة على إيجاد صفٍ ثانٍ وثالث من المديرين الأكفاء على مختلف المستويات حتى تظل الإدارة على درجة واحدة من الكفاءة لا تتغير ولا تتأثر بغياب فلان أو تقاعده.

ثامنًا - التربية على صدق النية:

يتمنّى المسلم أن يفعل الخير كله ويأتي العمل الصالح بأنواعه ومراتبه، ويرغب في إتيان أفضل الأعمال وأعلاها وأحسنها، إنه يتمنى أن يكون من المجاهدين - بحق - في سبيل الله، لكن ذلك قد لا يتيسر له ولا يتاح، فيحال بينه وبين هذا العمل النبيل بسبب قلة الزاد أو قلة ذات اليد، أو بسبب مرض من الأمراض المقعدة، أو بسبب عدم توافر الظروف الملائمة للجهاد في سبيل الله أو لأي سبب آخر، فماذا يفعل المسلم الصادق أمام هذا؟ أينسى الجهاد وفضله أم يتناساه ويتجاهله أم يلغي مصطلح الجهاد من قاموسه

اليومي ويشطبه كما يريد كثير من الناس في عالم اليوم أم يتباكى ويقيمها مبكاة على فقد الجهاد وانعدام سبله؟

إن المسلم لا يفعل هذا ولا ذاك، إن أمامه أن يشارك المجاهدين جهادهم ولو لم يحضر معهم، إن بإمكانه:

أ - أن يسأل الله الشهادة ويبالغ في ذلك ويكون في ذلك صادقًا مخلصًا، سواء تيسر أمامه الجهاد أم أغلق، إنه بنيته تلك يبلغ منازل الشهداء وإن لم يرفع سيفًا أو يطلق طلقة واحدة "من سأل الله تعالى الشهادة بصدق بلّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه" و"من طلب الشهادة صادقًا أعطيها ولو لم تصبه".

ب - إن حبسه العذر أن يلحق بالمجاهدين ويكون في صفوفهم يقاتل معهم وينازل الأعداء، فإن صدق النية لا يحرمه من الأجر الذي يحصله المجاهدون في جهادهم سواء في سيرهم أو قطعهم المفازات وارتقائهم الجبال والتلال أو ما يصيبهم من تعب أو نصب في ذلك أو في قتالهم لعدوهم، كل ذلك ناله وحصّله بصدق نيته، مصداق ذلك ما أخبر به النبي ﷺ أصحابه في غزوة من الغزوات "إنَّ بِالْمَدِينَةِ لَرِجَالاً مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلاَ قَطَعْتُمْ وَادِيًا ، إلاَّ كَانُوا مَعَكُمْ. حَبَسَهُمُ الْمَرَضُ" وفي رواية "حبسهم العذر" وفي رواية "إلا شركوكم في الأجر".

ج - أما المقاتل المجاهد في ميدان القتال والنزال فإن لابدّ أن تكون نيته خالصة لله رب العالمين، فلا يقاتل إلا لله، ولا تحركه عصبية ولا قبلية ولا حمية، إنما يحركه ويدفعه نصرة دين الله فحسب، فإن كانت نيته كذلك كان جهاده لله وفي الله وإلا كان جهاده لشيء آخر، فقد جاء أعرابي النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل ليُذْكر، والرجل يقاتل ليُرَى مكانُه؟ وفي رواية: يقاتل شجاعة ويقاتل حمية؟ وفي رواية: يقاتل غضبًا. فَمَنْ في سبيل الله؟ فأجاب النبي ﷺ مبينًا أن من كانت نيته لله فهو في سبيل الله، فقال: "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله".

ولم يكن إخلاص النية مطلوبًا في الجهاد فحسب، وإنما كان مطلوبًا أيضًا في

جميع العبادات والطاعات، لأن الله أغنى الأغنياء عن الشرك، والبشر يغضبون أشدّ الغضب، ويثورون ثورة شديدة، إذا أحسُّوا أن أحدهم قصد بالعمل الذي عمله له، أحدًا آخر فكيف بالله تعالى، ولله المثل الأعلى؟

إن على المربين أن يربوا من يقومون بتربيتهم على إخلاص النية لله رب العالمين في أعمالهم وطاعاتهم، لأن ذلك يعود عليهم بالفوائد الجمة، من ذلك:

أ - العمل على إتقان العمل وإجادته بأفضل ما يكون وأحسن ما يستطاع، لأنه مقصود به رب العالمين الذي يعلم السر وأخفى.

ب - إحساسهم المليء بالثقة والاعتزاز اعتزازًا لا حدّ له بأعمالهم التي أخلصوا فيها، لأن الأعمال إنما تكتسب شرفها ونبلها وسموها من شرف الذي تتوجه إليه، فكيف بعمل يتوجه به إلى الله رب العالمين الذي عز عن النظير وجلّ عن المثل والشبيه ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾[1].

ج - تعويدهم على المثابرة، والجد والاجتهاد، والاستهانة بالصعاب والمعوقات مهما كانت، وكيف كانت، لأنها أعمال قصد بها وجه المولى جل في علاه، فلا يؤثر عليها صعب ولا مانع، ولا يعيقها معوق ولا ناقم، بل هي تتغلب على كل ما يقف في طريقها، لأن ما كان لله عز وجل دام واتصل وما كان لغيره انقطع وانفصل.

تاسعًا - التربية على الالتجاء إلى الله وطلب العون منه والمدد:

رسول الله ﷺ مؤيد من قبل ربه، أيده الله بالنصر والظفر على أعدائه، كما أيده بالتمكين في الأرض، ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[2] و﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾[3] وقال ﷺ مبينًا بعض فضل الله عليه "أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر ..."

---

(١) سورة مريم، آية: ٦٥.

(٢) سورة المجادلة، آية: ٢١.

(٣) سورة غافر، آية: ٥١.

الحديث[1]، ولمزيد عبوديته ﷺ جمع بين هذا التأييد والافتقار إلى الله رب العالمين وقت البأس والحرب والقتال والنزال، فكان يبتهل إلى الله مولاه ويتضرع إليه ويعلن خضوعه له سبحانه ويطلب منه - طلب الافتقار والحاجة والمسكنة - أن ينصره الله على أعدائه، تراه ﷺ وهو يستعد للعدو يقول: "اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم" كما يحث أتباعه ويرغبهم في الالتجاء إلى الله وقت القتال والنزال، وهم أحوج ما يكونون إلى التأييد والإمداد، فيخبرهم ﷺ أن الدعاء -وهو أصدق مظاهر الالتجاء إلى الله- قلما يرد وقت الاقتتال ووقت الأذان، فقال ﷺ: "ثنتان لا تردان أو قلما تردّان: الدعاء عند النداء، وعند البأس حين يلحم بعضهم بعضًا" فإذا كان الجيش الواحد يلتحم مع بعضه بعضًا ليتحد ويتقوى في مواجهة الأعداء، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن الجيش يلتحم مع جيش الأعداء لينال منه، وفي كلتا الحالتين: الجيش محتاج إلى المدد من الله ليزيد من التحامه بعضه ببعض من جهة، ومن جهة أخرى، من التحامه بالعدو، ليكون أكثر نَيْلاً من جهة أخرى.

وهذا النبي ﷺ يقول أمام أصحابه وهو يغزو "اللهم أنت عضدي ونصيري بك أحول وبك أصول وبك أقاتل" إنه ﷺ يستمد من ربه النصر والعون فهو العضد والنصير، وهو الذي يمن على عبده فيعطيه القوة والحول وييسر له الأسباب والأحوال ليقاتل وينازل ويكرّ ويهجم ويعاود الكرة بعد الكرة، أليس هذا اعترافًا بفضل الله وكرمه؟ أليس هذا استحضارًا لعون الله ونصره؟ أليس هذا إقرارًا بأن النصر إنما هو من عند الله؟ أليس هذا إعلانًا للبشر وللبشرية جمعاء أنه عبد الله يمن عليه بما شاء وكيف شاء وأنه لا يستغني عن نصره وعونه وظفره طرفة عين واحدة؟ أليس في هذا توكل على الله حق التوكل واعتماد عليه تمام الاعتماد فهو الناصر وهو المعين؟.

ولذا كان ﷺ إذا خاف قومًا، أعلن التجاءه لرب العالمين، وأظهر تضرعه إليه ليقيه بأسهم ويأمنه شرهم، فيدعو: "اللهم إنا نجعلك في نحورهم، و نعوذ بك من شرورهم".

---

(١) متفق عليه من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه، أخرجه البخاري ٣٣٥، ومسلم ٥٢١.

إننا أمام أحاديث نبوية شريفة ترسم لوحة رائعة -إن جاز هذا التعبير- للتضرع لله رب العالمين، واللجوء إليه وقت البأس والالتحام والنزال، وهذا من أشرف الخلق وأكرمه على الله، فكيف بغيره من البشر؟

إن على المربين أن يبذلوا الوسع والطاقة في تعويد الناشئة وغيرهم على الالتجاء إلى الله رب العالمين وقت الشدة ووقت الرخاء، إنهم إن غُرِس ذلك في نفوسهم حققوا من المنافع ما لا يحصى، من ذلك:

أ - إنهم يلجأون إلى خير معين وخير ناصر وخير مجيب وخير معطي، فيتعودون أن يكون توجههم إلى الله الأعلى ولا يلتفتون إلى ما سواه سبحانه مما يلجأ إليه المشركون وغيرهُم، من حجر أو شجر أو قبر أو نحو ذلك.

ب - إنهم يزدادون إيمانًا وتصديقًا، فبالمناجاة والتضرع والالتجاء يصفو القلب ويخلو مما سوى الله، ويتوجه إلى الله رب العالمين بكليته وجمعيته، وهذا طريق من طرق زيادة الإيمان والرسوخ فيه، فكلما كان القلب أكثر تعلقًا بالله ازداد إيمانه وبناؤه ورسوخه.

ج - انتفاء الكِبْر والعُجْب والبطر عنهم وعن أعمالهم، ففي الالتجاء إلى الله رب العالمين، يرى الإنسان مدى ضعفه، ومدى قلة حيلته، ومدى هوانه على الناس، وعلى أنه وحيدا في هذا الكون الفسيح، ولولا أن الله معه بعلمه وتأييده وعونه لضاع كما ضاع غيره، وهلك كما هلك غيره، وفي هذا أقوى الطرق لإخراج عفن الكبر من نفسه وعطن العجب من قلبه ومستنقع البطر من فؤاده.

ومما هو جدير بالذكر والملاحظة، أننا نجد كثيرًا من الطلاب والتلاميذ يقبلون على الصلوات والطاعات في أيام الامتحانات وأوقات الاختبارات، حتى لتجد بعض المساجد مليئة بهم بعد أن كانت تشكو من هجرانهم لها، ويلفت هذا المشهد نظر المصلين والمداومين على الصلاة والمحافظين عليها، وتجدهم ينقسمون إلى قسمين: قسم معجب بذلك يتمنى لو استمروا وأخذوا العبرة والعظة من ذلك، وفريق لائم ساخط عليهم مقرع لهم ولأفعالهم، يرون أنهم بالصلاة لاعبون وبالعبادات مستهزئون وأنهم

مجترئون على مقام العبودية، فهم لا يصلون إلا هذا الوقت القليل ولأجل مصلحة دنيوية فإذا تحققت لهم عادوا إلى سيرتهم الأولى من ترك الصلوات وهجران المساجد.

والحق أن كلا الفريقين له وجهة من النظر مقبولة، ولكننا نميل إلى الفريق الأول، الذي يحزنه بالطبع أن هؤلاء حرموا أنفسهم من خير كثير بابتعادهم عن الصلوات وعن المساجد فترات طويلة، وأنهم ما دخلوا المساجد وأقاموا الصلوات إلا هذه اللحيظات من حياتهم، لكن هذا الحزن لا يدفعهم إلى مقاطعتهم وإعلان الخصام واللوم لهم، بل إلى فتح قلوبهم وأذرعتهم لهم لاحتضانهم وبيان الواجب عليهم، فإذا كانوا قد لجأوا إلى الله وقت الشدة فإن الإنسان لا يخلو يوم من أيامه من شدائد وصعاب، فلماذا يحرمون أنفسهم من اللجوء إلى المعين والمناصر، وإذا كانوا لجأوا إليه سبحانه لقضاء حوائجهم ولو كانت دنيوية، فمن يقضي الحاجات غير الله، ومن منجزها غير الله تعالى؟ والإنسان لا تنقضي حاجاته ولا طلباته في هذه الدنيا، فهي مستمرة باستمرار حياته. فلماذا يحرم نفسه من طرق باب قاضي الحاجات ومحقق المرغوبات؟ وإذا كان لجأ إليه في حاجة دنيوية فقضاها عز وجل، فمن يقضي له الحاجات الأخروية في الدار الآخرة إلا الله تعالى؟ فضلاً عن أن الدنيا إذا قورنت بالآخرة فلا مجال للمقارنة ولا مجال للمناسبة بينهما، وآخرة الإنسان هي حياته التي يجب عليه أن يسعى لتكون في الجنة وليس ذلك بيد أحد إلا الله تعالى.

وإذا لِيمَ هؤلاء أنهم يلجؤون إلى الله من أجل مصلحة دنيوية ينقضي بانقضائها أجيب عليهم: ما المانع من الالتجاء إلى الله تعالى في قضاء الأمور الدنيوية فهو سبحانه الذي يقضي الحاجات في الدنيا والآخرة؟ فلا ضير على العبد إن لجأ إليه في قضاء حاجات الدنيا، فهو النافع والضار في الدنيا والآخرة سبحانه.

إننا إذا تعاملنا معهم من هذا المنطلق لجذبنا عددًا غير قليل منهم إلى حظيرة الاستمرار على الطاعة والمداومة عليها وعدم الانقطاع، وهذا أفضل من اللوم والتقريع الذي ربما لا يتأثر بهما إلا عدد قليل منهم.

عاشرًا - مشاركة الصبيان في استقبال الجيوش والغازين والمجاهدين:

تداعب الأماني والأحلام خيال الصبيان، وهم في هذه المرحلة الخصبة من العمر، فتجدهم يتعلقون بالبطولة والإقدام والشجاعة والتضحية، لذا يتمنى كثير منهم أن يكونوا في صفٍّ الجندية والعسكرية، فيحلمون بأن يلبسوا الملابس العسكرية تزيّنها النجوم والسيوف والأنواط، ولهذا نجد أكثر الهدايا التي تفرحهم ملابس الضباط وكذلك المدافع والبنادق والأسلحة، ولذا كان الصحابة الصغار - وطبائعهم طبائع الأطفال - يفرحون ويسعدون ويُسرون باستقبال المجاهدين الفاتحين المظفرين وفي مقدمتهم النبي ﷺ، عيونهم معلقة به ينظرون إليه نظرة الانبهار والإعجاب والتقدير، فهذا السائب بن يزيد رضي الله عنه قال: لما قدم النبي ﷺ من غزوة تبوك تلقاه الناس، فلقيته مع الصبيان على ثنية الوداع. وفي رواية البخاري: ذهبنا نتلقّى رسول الله ﷺ مع الصبيان إلى ثنية الوداع.

إننا نرى في هذا الحديث توجيهًا إلى أهل التربية والتعليم، لأن يشركوا الناشئة في استقبال الجيوش المجاهدة، والسرايا المقاتلة، كلما أمكن ذلك، نظرًا لما في ذلك من فوائد تربوية مهمة، من ذلك:

أ - تعليق أنظارهم وأفئدتهم وقلوبهم بالمثل العليا في التضحية والفداء والنماذج الطيبة في البذل والعطاء، ودفعهم إلى الاقتداء بهم وتمثل أفعالهم أو على الأقل التحلي بسجاياهم الطيبة وخصالهم الحميدة.

ب - تقدير أهل البطولة والشجاعة والإقدام، وأصحاب البطولات العجيبة، وإعطاؤهم ما يستحقونه من منزلة ومكانة استحقوها بأعمالهم النبيلة وأفعالهم السامية.

ج - تربيتهم على الاهتمام بتاريخ أوطانهم وبطولاته وأمجاده وعلى الاعتزاز بها والفخر المحمود المرغوب فيه، ولاشك أن هذا يدفعهم إلى أن يزيدوا هذه الأمجاد أو على الأقل المحافظة عليها.

د - غرس حب الجهاد في نفوسهم وأفئدتهم. وبالجهاد تتحقق العزة والكرامة للأمّة، ويكون أفرادها من ذوي الهمم العالية والنفوس الكبيرة التي تتعلق بمعالي الأمور وأخطر الشؤون، وتطمع إلى أن تكون في مقدمة الصفوف في هذا العالم.

❁ ❁ ❁

٢٣٥- باب بيان جماعة من الشهداء في ثواب الآخرة يغسلون ويصلى عليهم بخلاف القتيل في حرب الكفار

الحديث رقم (١٣٥٥)

١٣٥٥- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: المَطْعُونُ، وَالمَبْطُونُ، وَالغَرِيقُ، وَصَاحِبُ الهَدْمِ، وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللهِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

المطعون: من مات بمرض الطاعون وهو داء ورمي وبائي سببه ميكروب يصيب الفئران وتنقله البراغيث إلى فئران أخرى وإلى الإنسان[٢].

المبطون: الذي يموت بمرض بطنه كالاستسقاء ونحوه[٣].

صاحب الهدم: الهدم: البناء المهدوم وصاحب الهدم أي من مات تحته[٤].

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف. . نجد أسلوبه دالا واضحا. . وهو أسلوب تقريري. . قدم للإخبار عن حقائق واقعية تحدث في بلاد الإسلام بل وفي العالم كله. ولكن وقوعها في الوسط الإسلامي له تصور خاص، وتفسير مرتبط بآفاق التفكير الإسلامي، والحديث يبدأ بالإجمال ثم التفصيل: والجملة الاسمية الدالة علي الثبات وعدم التغير من زمن إلي زمن هي الصيغة التي صبت في

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٢٩)، ومسلم (١٩١٤/١٦٤) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (١/٢٠٧٣).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ط ع ن).

(٣) المرجع السابق في (ب ط ن).

(٤) المرجع السابق في (هـ د م)، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٤٣٥.

قالبها هذا الحديث: حيث يقول رسول الله الشهداء خمسة: ثم يفصل القول في بيان هذه الأنواع الخمسة، وتحديد العدد للتنويع وليس للتحديد، وقال العلماء: إن قوله: خمسة لا ينافي الزائد عليه الوارد في إخبار آخر، إما لعدم اعتبار مفهوم العدو أو أنه أُخْبِر بالأقل فأخبر به، ثم زيد في عددهم فأخبر به ثانيا.

وقوله: الشهداء: جمع: الشهيد: ولفظ: شهيد من خصوصية اللغة في ظل الإسلام. . وسمي بذلك لعدة معايير وتأويلات: منها: أن الله ورسوله شهدا له بالجنة، ومنها أنه يبعث وله شاهد بقتله ودليل علي ذلك: فاللون لون الدم، والريح ريح المسك، ومنها أن ملائكة الرحمة يشهدون فيقبضون روحه، ومن أنواع هؤلاء الشهداء. ، والمطعون: وهو اسم مفعول: أي الذي أصابه الطاعون، وسألت عائشة رضي الله عنها رسول الله، ما الطاعون، قال غدة كغدة الإبل: المقيم فيها كالشهيد، والفار منها كالفار من الزحف، والمبطون: وهو الذي أصابه مرض البطن، وأمراض البطن متعددة. . ولكن كلها يتضمنها هذا التعبير البليغ الذي جاءت بصيغة اسم المفعول: "المبطون "أي الذي وقع عليه المرض فأصبح فريسة له، والإيقاع الصوتي والتشابه في الصياغة اللغوية بين: المطعون والمبطون، وكذلك التجانس بينهما في كثير من الحروف يقرب ما بينهما في الخطر والعذر المحيط بالمريض. . وهو ما يجعلهما في عداد الشهداء إذا صبرا واحتسبا أجرها عند الله عز وجل، وكذلك "الغريق "الذي جرفه الموج وغيبه في ظلمات البحار، وصاحب الهدم. .. أي من مات تحت الأنقاض وهو آمن في بيته أو كان يعمل في البناء. . وغير ذلك، ثم الشهيد في سبيل الله: وهو المقاتل إيمانا واحتسابا. . وخصه بلفظ الشهيد للتأكيد علي ثبات هذه الصفة في كل مجاهد صابر محتسب خاض القتال. . وقاتل وقتل في سبيل الله. ووعد رسول الله الشهداء المصابين بعيدا عن ميدان القتال بأنهم شهداء أعظم مواساة لهم علي ما أصابهم في حياتهم من كوارث وأمراض أو نهايات مفجعة وهم مؤمنون قلوبهم تنبض بالتصديق، ولسانهم يقر بالتوحيد وجوارحهم تقوم بالعمل الصالح النافع المفيد.

المضامين الدعوية[١]

أولاً: من مهام الداعية: البيان والإيضاح.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: أصناف الشهداء.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الله ورحمته بعباده المؤمنين.

رابعًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

خامسًا: من واجبات الداعية: تصحيح المفاهيم الخاطئة المستقرة في أذهان المدعوين.

أولاً - من مهام الداعية: البيان والإيضاح:

حيث جاء في الحديث: (الشهداء خمسة)، ومن أولى مهام الداعية البيان والإيضاح حتى تقوم على المدعوين الحجة، وفي الحديث بيّن النبي ﷺ ووضح للمدعوين أصناف الشهداء وأنواعهم حتى يكون المدعو على دراية ومعرفة بأحكام الشريعة وأحكام الشهداء، وقد أمر الله نبيه ﷺ بالبلاغ والبيان فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٣].

قال ابن كثير: "وأنزلنا إليك القرآن لتبين للناس ما نزل إليهم من ربهم لعلمك بما أنزل عليك وحرصك عليه، واتباعك له لعلمنا بأنك أفضل الخلائق، وسيد ولد آدم فتفصل لهم ما أجمل وتبين لهم ما أشكل لعلهم ينظرون لأنفسهم فيهتدون فيفوزون بالنجاة في الدارين"[٤].

قال د. عبدالكريم زيدان: "القول هو الأصل في تبليغ الدعوة إلى الله ولذا فيجب أن يكون القول واضحًا بينًا لا غموض فيه ولا إبهام مفهومًا عند السامع لأن الغرض من

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٣٥٥- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٣٥٦، ١٣٥٧).

(٢) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٣) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥٧٤/٤.

الكلام إيصال المعاني المطلوبة إلى من يكلمه الداعي فيجب أن يكون الكلام واضحًا غاية الوضوح، وقد جعل الله تعالى وظيفة الرسل الكرام عليهم السلام التبليغ المبين الواضح لتقوم الحجة على المخاطبين"[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: أصناف الشهداء:

حيث جاء في الحديث: (الشهداء خمسة: المطعون والمبطون والغريق وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله)، وفي الحديث أيضًا: (من قتل في سبيل الله فهو شهيد ومن مات في سبيل الله فهو شهيد ومن مات في الطاعون فهو شهيد ومن مات في البطن فهو شهيد والغريق شهيد)، وهذا بيان لأصناف الشهداء.

وقال القرطبي: "وقوله: (الشهداء خمسة: المطعون، والمبطون، والغرق وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله) قال مالك من حديث جابر بن عتيك: أن رسول الله ﷺ قال: ((الشُّهَدَاءُ سَبْعَةٌ، والْقَتِيلِ فِي سَبِيلِ اللّهِ))[٢]، وذكر نحو ما تقدم، وزاد: (وصاحب ذات الجَنْب، والحريق، والمرأة تموت بجُمْعٍ) ولا يظن: أن بين قوله: (الشهداء خمسة) و(الشهداء سبعة) تناقضًا؛ لأنهما حديثان مختلفان، أخبر بهما في وقتين مختلفين. ففي وقت أوحي إليه أنهم خمسة، وفي وقت آخر أوحي إليه أنهم أكثر. والله تعالى أعلم.

فأما (المطعون) فهو الذي يموت بالطاعون، وهو: الوباء. وقد فسره في الحديث الآخر، إذ قال فيه: (الطاعون شهادة لكل مسلم) ولم يُرِدِ المطعونَ بالسِّنان، لأنه هو المقتول في سبيل الله، المذكور من جملة الخمسة.

و(المبطون): هو الذي يموت من علّة البطن، كالاستسقاء، والحَقْن -وهو: انتفاخ الجوف- والإسهال.

و(الغَرِق) يروى بغير ياء، كحَذِر. ويروى بالياء - وهو للمبالغة - كعليم.

و(صاحب الهدم): هو الذي يموت تحت الهدم. و(الحريق): هو الذي يموت بحرق النار.

---

(١) أصول الدعوة ص ٤٧١.

(٢) أخرجه أبو داود ٣١١١، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٢٦٦٨).

وهؤلاء الثلاثة إنما حصلت لهم مرتبة الشهادة لأجل تلك الأسباب؛ لأنهم لم يغرِّروا بنفوسهم، ولا فرّطوا في التّحرُّز، ولكن أصابتهم تلك الأسباب بقضاء الله وقدره. فأما من غرّر، أو فرَط في التحرُّز حتى أصابه شيء من ذلك، فمات، فهو عاصٍ، وأمره إلى الله؛ إن شاء عذب، وإن شاء عفا.

وأمَّا صاحبُ ذات الجَنْب: فهي قرحةٌ في الجَنْب، وورم شديد، وتسمى: الشّوصة.

وأما المرأة تموت بجُمْع: ويقال: بضم الجيم وكسرها - فهي المرأة تموت حاملاً، وقد جمعت ولدها في بطنها. وقيل: هي التي تموت في نفاسه وبسببه. وقيل: هي التي تموت بكرًا لم تفتضّ. وقيل: بكرًا لم تظهر لأحد. والأول أولى وأظهر. والله أعلم.

وقوله: (ومن مات في سبيل الله فهو شهيد) يعني: أنه يموت شهيدًا وإن لم يباشر الحرب، ولم يشاهده"[1].

قال النووي: "والمطعون هو من مات بالطاعون والمبطون هو صاحب داء البطن وهو الإسهال، قال القاضي: وقيل: هو الذي به الاستسقاء وانتفاخ البطن وقيل: الذي يموت بداء بطنه مطلقًا، وأما الغرق فهو الذي يموت غريقًا في الماء وصاحب الهدم من يموت تحته والحريق الذي يموت بحريق النار"[2].

وقال ابن حجر: "ويتحصل مما ذكر في الأحاديث أن الشهداء قسمان: شهيد الدنيا، وشهيد الآخرة، وهو من يقتل في حرب الكفار مقبلاً غير مدبر مخلصًا، وشهيد الآخرة وهو من ذكر، بمعنى أنهم يعطون من جنس أجر الشهداء ولا تجري عليهم أحكامهم في الدنيا"[3].

وقال ابن علان: "وهؤلاء المذكرون شهداء في الآخرة، أي: في الثواب المعد للشهيد ويغسلون ويصلى عليهم كغيرهم من أموات المسلمين بخلاف القتيل في حرب الكفار

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣/٧٥٦ - ٧٥٨.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٢٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٥٢.

سواء كان بسلاح الكفار أو بسلاح نفسه أو سقط عن فرسه أو نحوه فلا يغسل ولا يصلى عليه ثم إن قصد بجهاده وجه الله تعالى ونصر دينه كان من شهداء الآخرة أيضًا، وإلا فهو شهيد الدنيا ولا ثواب له في الآخرة"[١].

وقال الطيبي: "ومن مات بالطاعون أو بوجع في البطن ملحق بمن قتل في سبيل الله لمشاركته إياه في بعض ما ينال من الكرامة بسبب ما كابد من الشدة لا في جملة الأحكام والفضائل"[٢].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل الله ورحمته بعباده المؤمنين:

حيث جاء في الحديث: (الشهداء خمسة)، وقوله: (إن شهداء أمتي إذًا لقليل)، ولا شك أن هذا من فضل الله ورحمته بعباده حيث ألحق المطعون والمبطون والغريق والحريق والهدم بمن قتل في سبيل الله في الثواب، قال النووي: "والمراد بشهادة هؤلاء كلهم غير المقتول في سبيل الله أنهم يكون لهم في الآخرة ثواب الشهداء وأما في الدنيا فيغسلون ويصلى عليهم والشهداء ثلاثة أقسام: شهيد في الدنيا والآخرة وهو المقتول في حرب الكفار، وشهيد في الآخرة دون أحكام الدنيا وهم هؤلاء المذكورون هنا وشهيد في الدنيا دون الآخرة وهو من غل في الغنيمة أو قتل مدبرًا"[٣]، والشهيد سمي شهيدًا لفضل كبير يلحق به ويناله.

هذا وقد ساق الإمام البدر العيني روايات كثيرة تبين أصناف الشهداء ومن يلحق بهم، وهذا يدل على فضل الله ورحمته بعباده، ولهذا علق الإمام البدر العيني على هذه الروايات فقال: "وهذا كما رأيت ترتقي الشهداء إلى قريب من أربعين. فإن قلت: كيف التوفيق بين الأحاديث التي فيها العدد المختلف صريحًا، والأحاديث الأخر أيضًا. قلت: أما ذكر العدد المختلف فليس على معنى التحديد، بل كل واحد من ذلك بحسب الحال وبحسب السؤال وبحسب ما تجدد العلم في ذلك من النبي ﷺ، على أن

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٤٣٥.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٧/٢٨٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٢٤.

التنصيص على العدد المعين لا ينافي الزيادة، ومع هذا: الشهيد الحقيقي هو قتيل المعركة وبه أثر. أو قتله أهل الحرب أو أهل البغي أو قطاع الطريق، سواء كان القتل مباشرة أو تسببًا أو قتله المسلمون ظلمًا ولم يجب بقتله دية، فالحكم فيه أن يكفن ويصلى عليه، ولا يغسل ويدفن بدمه وثيابه إلاَّ ما ليس من جنس الكفن: كالفرو والحشو والسلاح المعلق عليه، ويزاد وينقص، هذا كله عند أصحابنا الحنفية. وعند الشافعي: من مات في قتال أهل الحرب فهو شهيد، سواء كان به أثر أو لا، ومن قتل ظلمًا في غير قتال الكفار أو خرج في قتالهم ومات بعد انفصال القتال، وكان بحيث يقطع بموته ففيه قولان: في قول: لم يكن شهيدًا، وبه قال مالك وأحمد، وفي (المغنى): إذا مات في المعترك فإنه لا يغسل، رواية واحدة، وهو قول أكثر أهل العلم، ولا نعلم فيه خلافًا إلا عن الحسن وابن المسيب فإنهما قالا: يغسل الشهيد ولا يعمل به، وأما ما عدا ما ذكرناهم الآن فهم شهداء حكمًا لا حقيقة، وهذا فضل من الله تعالى لهذه الأمة بأن جعل ما جرى عليهم تمحيصًا لذنوبهم وزيادة في أجرهم بلغهم بها درجات الشهداء الحقيقية ومراتبهم، فلهذا يغسلون ويعمل بهم ما يعمل بسائر أموات المسلمين. وفي(التوضيح): الشهداء ثلاثة أقسام: شهيد في الدنيا والآخرة، وهو المقتول في حرب الكفار بسبب من الأسباب، وشهيد في الآخرة دون أحكام الدنيا، وهم من ذكروا آنفًا. وشهيد في الدنيا دون الآخرة، وهو من غل في الغنيمة ومن قتل مدبرًا أو ما في معناه"[1].

قال ابن حجر: "واختلف في تسمية الشهيد شهيدًا فقال النضر بن شميل: لأنه حي فكأن أرواحهم شاهدة أي حاضرة، وقال ابن الأنباري: لأن الله وملائكته يشهدون له بالجنة، وقيل: لأنه يشهد عند خروج روحه ما أعد له من الكرامة، وقيل: لأنه يشهد له بالأمان من النار، وقيل: لأن عليه شاهدًا بكونه شهيد، وقيل: لأنه لا يشهده عند موته إلا ملائكة الرحمة، وقيل: لأنه الذي يشهد يوم القيامة بإبلاغ الرسل، وقيل: لأن الملائكة تشهد له بحسن الخاتمة، وقيل: لأن الأنبياء عليهم السلام تشهد له بحسن الاتباع،

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ١٤/١٢٧ - ١٢٨.

وقيل: لأن الله سبحانه وتعالى يشهد بحسن نيته وإخلاصه، وقيل: لأنه يشاهد الملائكة عند احتضاره، وقيل: لأنه يشاهد الملكوت من دار الدنيا ودار الآخرة، وقيل: لأنه مشهود له بالأمان من النار، وقيل: لأن عليه علامة شاهدة بأنه قد نجا، وبعض هذه يختص بمن قتل في سبيل الله وبعضها يعم غيره، وبعضها قد ينازع فيه.

قال ابن التين: هذه كلها ميتات فيها شدة تفضل الله على أمة محمد ﷺ بأن جعلها تمحيصًا لذنوبهم وزيادة في أجورهم يبلغهم بها مراتب الشهداء، قلت: والذي يظهر أن المذكورين ليسوا في المرتبة سواء"[1].

وقال القاضي عياض: "وإنما كانت هذه الموتات شهادة بتفضيل الله على أربابها لشدتها وعظيم الألم فيها، فجازاهم الله على ذلك، بأن جعل لهم أجر الشهداء، أو يحتمل أنهم سموا بذلك لمشاهدتهم فيما قاسوا من الألم عند الموت وشدته، ما أعد لهم كما أعد للشهداء، أو سموا بذلك على أحد التأويلات. وقد ألحق النبي ﷺ بذلك من مات في سبيل الله بغير القتل كما تقدم"[2].

رابعًا - من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

حيث جاء في الحديث: (ما تعدون الشهداء فيكم؟ قالوا: يا رسول الله من قتل في سبيل الله فهو شهيد)، وأسلوب السؤال والجواب من أساليب الدعوة الهامة حيث تفتح حوارًا بين الداعية والمدعو، وتشجع المدعو على الاستفسار عما يجهل والداعية الحصيف هو الذي يجعل من أسلوب السؤال والجواب سبيلاً موصلاً لعرض دعوته وبيان ما يريد.

قال الطيبي: "قال التوربشتي: (ما) استفهامية ويسأل بكلمة (ما) عن جنس ذات الشيء ونوعه، وقد يسأل بها عن الأشخاص الناطقين، ولما كانت حقيقة الاستفهام هنا السؤال عن الحالة التي ينال بها المؤمن رتبة الشهادة استفهم عنها بكلمة (ما) لتكون أدل على وصفها وعلى المعنى المراد منها، ثم إنها مع ذلك تُسدّ مسد (من) ولهذا أجابوا عنها بقولهم: (من قتل في سبيل الله)، أقول - أي الطيبي -: (ما) هنا للسؤال عن وصف

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٥١/٦ - ٥٢.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣٤٤/٦.

من له كرامة وقرب عند الله ولما لم يطابق جوابهم سؤاله ﷺ رد عليهم بقوله: (إن شهداء أمتي إذن لقليل)، وكان يكفي أن يقولوا: من قتل في سبيل الله"[1]، ومن صور استعمال القرآن لأسلوب السؤال والجواب قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ﴾[2]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[3]".

خامسًا - من واجبات الداعية: تصحيح المفاهيم لخاطئة المستقرة في أذهان المدعوين:

حيث جاء في الحديث: (ما تعدون الشهداء فيكم؟ ...) ومما لا شك فيه أن من أهم واجبات الداعي تصحيح المفاهيم لدى المدعوين، وبيان التصور الإسلامي الصحيح لها، وفي هذا الحديث بيّن لهم النبي ﷺ أن مفهوم الشهيد لا يقتصر على القتل في سبيل الله، وإنما يمتد ليشمل الأصناف المذكورين فالداعية الناجح هو الذي يبصر أحوال المجتمع وما فيه من مفاهيم خاطئة يصوبها ويصححها في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة.

ولقد كان تصحيح المفاهيم من هدي النبي ﷺ حيث كان يحرص على تغيير المعتقدات الخاطئة، وبيان التصور الإسلامي الصحيح لها ويتضح هذا مما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((ليس المسكينُ الذي تَرُدُّهُ الأكلةُ والأكلتانِ، ولكنِ المسكينُ الذي ليس له غِنىً ويَستَحيي أو لا يَسألُ الناسَ إلحافًا))[4].

ومن صور تصحيح المفاهيم أيضًا ما جاء عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَا تَعُدُّونَ الرَّقُوبَ فِيكُمْ؟)) قَالَ قُلْنَا: الَّذِي لاَ يُولَدُ لَهُ. قَالَ: ((لَيْسَ ذَاكَ بِالرَّقُوبِ. وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ الَّذِي لَمْ يُقَدِّمْ مِنْ وَلَدِهِ شَيْئًا)) قَالَ: ((فَمَا تَعُدُّونَ الصُّرَعَةَ

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٧/٢٨١ - ٢٨٢.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٢٢.

(٣) سورة الأنفال، آية: ١.

(٤) أخرجه البخاري ١٤٧٦.

فِيكُمْ؟)) قَالَ: قُلْنَا: الَّذِي لاَ يَصْرَعُهُ الرِّجَالُ. قَالَ: ((لَيْسَ بِذَلِكَ. وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ))[1].

وهذا يدل على حرص النبي ﷺ على تصحيح المفاهيم الخاطئة، وينبغي على الدعاة الهداة الاهتداء بهدي النبي ﷺ والاقتداء به في ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري ٦١١٤، ومسلم ٢٦٠٨ واللفظ له.

الحديث رقم (١٣٥٦)

١٣٥٦- وعنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَا تَعُدُّونَ الشُّهَدَاءَ[١] فِيكُمْ؟)) قالوا: يَا رسولَ اللهِ، مَنْ قُتِلَ فِي سَبيلِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ. قَالَ: ((إنَّ شهَدَاءَ أُمَّتِي إذًا لَقَليلٌ!)) قالوا: فَمَنْ هُمْ يَا رسول الله؟ قَالَ: ((مَنْ قُتِلَ فِي سَبيلِ الله فَهُوَ شَهيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي سَبيلِ الله فَهُوَ شَهيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُونِ فَهُوَ شَهيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي البَطْنِ فَهُوَ شَهيدٌ، وَالغَرِيقُ شَهيدٌ)) رواه مسلم[٢].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

ما أجمل هذا الحوار بين رسول الله والصحابة الأخيار. ومنبع الجمال يكمن في أن الحديث يحمل بشريات الشهادة: لكل من أصيب في بدنه أو وقع فريسة لوباء أو دهمه السيل أو جرفه الطوفان، أو تواري تحت الأنقاض، أو غيبته ظلمات البحار، أو تفجرت به طائرة في أجواء الفضاء، أو علي ظهر الأرض، فالمصطفي يواسي كل هؤلاء ويبشرهم بأجر الشهداء ولذلك يبدأ بالسؤال المثير للدهشة وطلب المعرفة: ما تعدون الشهداء فيكم؟، ويتصاعد الحوار الجميل حين يحدد الصحابة نوعية الشهيد، وقد صدروا إجابتهم بالنداء الذين يقرون فيه بالرسالة: يا رسول الله "وكأن هذا النداء إيذان بمعرفة الموقف الصحيح. وكلامهم مؤطر بحدود معرفتهم. ولدى رسول الله المعرفة الأوفى. لأنه علمه شديد القوي، وإجابتهم لم تكن شافية كافية، حيث حددوا الشهيد وحصروه بأنه من قتل في سبيل الله فهو شهيد.

ومن جمال أدب النبوة وبلاغة الرسول أنه لم يخطِّئهم، وإنما حفَّزهم لمواصلة الحوار

---

(١) لفظ مسلم: (الشهيد) بالإفراد، والمثبت لفظ المنذري في ترغيبه.

(٢) برقم (١٩١٥/١٦٥). أورده المنذري في ترغيبه (٢٠٧٣).

والتساؤل حيث قال مصدرا كلامه بالتأكيد: إن شهداء أمتي إذا لقليل، وتساءل الصحابة في فرح ودهشة وشعور بالبشريات التي سيتوهج بها كلام سيد المرسلين: وقالوا: فمن يا رسول الله؟،وتكرار النداء: يا رسول الله للإيحاء بأنهم يتشوقون إلي معرفة الرأي الصادق الصحيح، ومن غير رسول الله يتفوه بالصدق. والحق واليقين؟ وحدد رسول الله آفاق الشهادة تحديدا لا يمنع غيرها من صور الاستشهاد، وجاءت الصياغة في الأنواع الأربع الأولي في قالب الشرط والجزاء للتدليل علي الثواب الذي يعده الله للشهداء، وتكرار الجواب بالصيغة نفسها أربع مرات، فهو شهيد لتأكيد ثواب الشهادة، وحصول الجزاء، وتكرر فعل الشرط مع أداة الشرط "من مات "ثلاث مرات: للإيحاء بأن الموت وإن تعددت صوره، . واختلفت مسبباته ومواقعه فإن دائرة الشهادة تجمع الجميع، وإن ثواب الشهيد المعد للكل لن يضيع، ولنتأمل قوله: من قتل في سبيل فهو شهيد "ولم يقل من مات "لأن قوله من قتل "بيان لتوضيح ظروف الاستشهاد وأسبابه. . ومنها لقاء العدو، والقتال في ساحة المعركة، وهذا ملحظ دقيق لأن من مات في سبيل الله بعيدا عن ميدان القتال: هو شهيد ولكنه لم يقتل وهو يصارع الأعداء وغنمها بسبب غير القتال: كأن يسقط عن فرسه أو مات حتف أنفه أو هو يقوم بإنجاز عمل فيه خدمة للإسلام، والتعبير "بفي "يدل علي الظرفية وتمكن المرض من الإنسان: وقيل في: سببية وهي للتعليل، والجملة الأخيرة خالية من الشرط، والغريق شهيد: لأن الغريق يلقي حتفه في الحال، والأمر لا يحتاج إلي أسلوب شرط فالغريق ليست لديه فرصة للاختيار أو الفرار حين يداهمه التيار وتحدق به الأخطار.

فقه الحديث

تشير الأحاديث إلى عدة أحكام منها:

١-حكم المدافعة عن النفس: اتفق الفقهاء على جواز المدافعة عن النفس ولو بالقتل إذا كان طريقًا للدفع، ولا ضمان عليه بقصاص ولا دية ولا كفارة ولا قيمة، ولا إثم

عليه لأنه مأمور بدفعه، وفي الأمر بالقتال والضمان منافاة[1].

٢-حكم قتل القاصد لأخذ المال بغير حق: اتفق الفقهاء على جواز قتل القاصد لأخذ المال بغير حق سواء أكان المال قليلاً أم كثيرًا إذا كان القتل طريقًا متعينًا لدفعه[2].

٣-حكم المدافعة عن الحريم: لا خلاف بين الفقهاء في أن المدافعة عن الحريم واجبة[3].

المضامين الدعوية[4]

(١) غمز عيون البصائر للحموي ٢٧٦/١، تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، برهان الدين بن فرحون المالكي ٣٤٧/٢، القواعد لابن رجب ٣٧، القاعدة السابعة والعشرون، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٥٢٦/٥، ٥٢٧، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ١٦٧/٤، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٥٤/٦-١٥٥.

(٢) غمز عيون البصائر ٢٦٧/١، تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، برهان الدين بن فرحون المالكي ٢٣٧/٢، شرح مختصر خليل للخرشي ١١٢/٨، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٥٢٦/٥-٥٢٧، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ١٦٧/٤، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٥٤/٦-١٥٥، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٥/٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٥/٢.

(٤) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٣٥٧)

١٣٥٧- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث قبس من توهجات الحديث السابق. . فهذا النوع من الشهادة لم يرد في الحديثين السابقين ولكنه يعد شرياناً جارياً في دائرة الشهادة. . فالدفاع عن النفس والعرض والدين والمال والوطن يعد استشهادا في سبيل الله، والحديث جملة واحدة صيغت في قالب الشرط والجواب وفعل الشرط "قتل "مبنى للمجهول. . إشارة إلى أن أسباب القتل وبواعثه أثرها منكور وفعلها أمر محظور والإقدام عليه شر مستطير، ودائماً القاتل يتخفى وإن ظهرت ملامحه وذاع أمره وفشا خبره وقوله"دون ماله "يصور حرص صاحب المال على حمايته: لأن دون في دلالتها اللغوية ونوعيتها ظرف مكان بمعنى تحت، وتستعمل للتنبيه مجازا، ودقة الأسلوب المصور للحركة والحرص على المال تتمثل في أن الذي يقاتل عن ماله غالباً إنما يجعله خلفه أو تحته ثم يقاتل عليه: وهو حريص على أن يمنع سارق المال أو مغتصبه من الوصول إليه بشتى وسائل المقاومة وفى بعض الروايات: من قتل دون ماله مظلوماً فله الجنة "والشهيد صيغة لغوية تدل على المبالغة والحضور والشهيد لا يقضى حتى يبذل كل ما في وسعة في سبيل إعلاء كلمة الحق والعلاقة قوية بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي فالشهيد في الإسلام هو الذي يقضى في سبيل الله. ويدافع عن حقه وممتلكاته بدافع من إيمانه وإقراره بشهادة

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٨٠)، ومسلم (١٤١/٢٢٦) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٢٠٩٣) وعزاه إلى البخاري والترمذي.

التوحيد، والقرآن عندما يسمى ذلك شهيداً وكذلك رسول الله ﷺ في ضوء التعاليم القرآنية فكأنه يقول: انظروا إلى رجل لم تغب عن قلبه شهادة أن لا إله إلا الله، عاش عمره في ظلالها يدافع عنها ويعلن عن وجودها (١). وحينما يدافع عن دينه وعرضه وماله ونفسه ويقتل يموت والشهادة في قلبه عالية، وهو يموت لتظل كلمة الله هي العليا.. وكلمة الذين كفروا هي السفلى، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون.

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٣٥٥).

الحديث رقم (١٣٥٨)

١٣٥٨- وعن أَبي الأعْوَر سعيد بن زيد بن عَمْرو بن نُفَيْل، أحَد العَشَرَةِ المَشْهُودِ لَهُمْ بالجنَّةِ ﵁، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: ((**مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهيدٌ**[1]**، وَمَنْ قتِلَ دُونَ دِينهِ فَهُوَ شَهيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أهْلِهِ فَهُوَ شَهيدٌ**)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[2]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

سعيد بن زيد بن عمرو: وهو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبدالعزى العدوي، ولد بمكة صحابي مشهور، من فضلاء الصحابة، وعلَم من أعلامهم، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وهو ابن عم عمر بن الخطاب وصهره على أخته فاطمة بنت الخطاب، له في كتب الحديث ثمانية وأربعون حديثًا.

وكان إسلامهُ مبكرًا فأسلم قبل دخول الرسول ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم، وكان من المهاجرين الأولين، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ بدءً من أحد، ولم يشهد بدرًا لأنه كان بالشام بعثه النبي ﷺ هو وطلحة بن عبيدالله يتحسّبان له أمر غير قريش قبل أن يخرج من المدينة فلم يحضر بدرًا، وضرب لهما رسول الله ﷺ بسهمهما وأجرهما.

كما كان حريصًا على ملازمة رسول الله ﷺ فكان دائمًا ممن يكونون أمام رسول الله ﷺ في الجهاد، وخلفه في الصلاة، وكان ﵁ له كثير من المناقب منها: أنه كان ممن نزل فيه قول الله تبارك وتعالى ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾[3] وكان مجاب الدعوة ومن بين الوقائع الدالة على ذلك أنه دعا على امرأة تسمى أروى بنت أويس ظلمته في أرض له فقال: اللهم إن كانت أروى

---

(١) لفظ الترمذي: بتقديم الدين على الدين. تبع المؤلف فيه المنذريَّ في ترغيبه، وهذا لفظه.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٧٢)، والترمذي (١٤٢١). أورده المنذري في ترغيبه (٢٠٩٢).

(٣) سورة الزمر، آية: ١٧.

ظلمتني فأعم بصرها، واجعل قبرها في بئرها، واستجاب الله دعائه فعميت، وذات يوم خرجت في بعض حاجتها فوقعت في بئر أرضها فماتت وكان ذلك بعد أن أظهر الله براءته.

طلب من النبي أن يستغفر لأبيه قائلاً: ((يا رسول الله إن أبي زيد بن عمرو بن نفيل كان كما رأيت وكما بلغك، ولو أدركك آمن بك فاستغفر له، قال: نعم فاستغفر له وقال أنه يجيء يوم القيامة أمة وحده))[1].

وكان أيضًا مما سطره له التاريخ ماروى عن أسماء بنت أبي بكر قالت: لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائمًا مسندًا ظهره إلى الكعبة يقول: يا معشر قريش ما منكم اليوم أحد على دين إبراهيم غيري، وكان يحيى الموءودة يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته: مهلاً لا تقتلها، أنا أكفيك مؤنتها، فيأخذها فإذا ترعرعت قال لأبيها: إن شئت دفعتها إليك وإن شئت كفيتك مؤنتها[2].

كما كان رضي الله عنه من ذوي الرأي والبسالة، شهد اليرموك وحصار دمشق، وولاه أبو عبيدة عليها.

توفي رضي الله عنه بالعقيق وحمل على رقاب الرجال فدفن بالمدينة، وقيل مات بالكوفة وصلى عليه المغيرة بن شعبة، مات سنة خمسين وقيل إحدى وخمسين وقيل اثنتين وخمسين.

عاش بضعًا وسبعين سنة، وذكر البعض عمره على وجه التحديد فقال ثلاثًا وسبعين سنة وقيل أربعًا وسبعين[3].

---

(١) المستدرك (٤٣٩/٣، ٤٤٠)، سيرة ابن هشام (٢٤٤/٢)، الطبقات الكبرى، ابن سعد، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا (٢٨٠/٣، ٢٨١).

(٢) المستدرك (٤٤٠/٣)، السيرة لابن هشام (٢٤٤/١)، الطبقات الكبرى، ابن سعد، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا (٢٨٠/٣، ٢٨١).

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا (٣٧٩/٣-٣٨٥)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٢٦٩-٢٧١)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل احمد عبد الموجود (٤٧٦/٢-٤٧٨)، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (٥٠٤)، سير اعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (١٢٤/١-١٤٣)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد امين (١٦١/٣-١٦٣)، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٢٠/٢)، الأعلام، خير الدين الزركلي (٩٤/٣)، موسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (٣٧٥/١-٤٧٩)، (٩٠٥/٢).

غريب الألفاظ:

من قتل دون ماله: أي من قاتل الصائل [أي المعتدى] على ماله حيوانًا كان أو غيره فقتل في المدافعة[1].

من قتل دون دمه: بأن صال عليه صائل فقاتله فقتل[2].

من قتل دون دينه: من قتل في نصرة دين الله تعالى والذب عنه وفي قتال المرتدين عن الدين[3].

دون أهله: في الدفع عن بُضْع حليلته أو قريبته[4].

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف ندرك أنه يتصل اتصالاً وثيقاً بآفاق الصياغة والمضامين في الأحاديث السابقة في "باب بيان جماعة الشهداء "والراوي الأعلى لهذا الحديث.. نموذج للمجاهد الفارس المحتسب فقد شهد مع رسول الله المشاهد كلها - بدر - وشهد اليرموك - وحصار دمشق - وكان مجاب الدعوة والحديث يضيف إلى قافلة الشهداء نماذج جديدة والمكونات اللغوية للحديث تتضمن أربع جمل وكلها تتفق في الرؤية والشكل، حيث تتكون كلها من جمل شرطية وفعل الشرط والأداة فيها كلها متحدة في الصياغة والمعنى: حيث يتكرر قوله: من قتل أربع مرات ولم يقل من مات: للدلالة على الدفاع وخوض القتال في سبيل حماية الدين - والدم - والمال - والعرض - وجواب الشرط متحد في الجمل الأربع كلها وهو الحكم بالفوز بالشهادة لكل هؤلاء النماذج المدافعة عن كرامتها ووجودها "فهو شهيد

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٠٧١، ومعجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٢٤٠.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٤٣٧.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٠٧١.

(٤) المرجع السابق ٢٠٧١.

"وقوله: دون "كما في الحديث السابق يصور حركة كل من هؤلاء في حماية ما يدافع عنه حتى يجود بنفسه مرفوع الهامة موفور الكرامة وهو يفوه بكلمة التوحيد (أشهد لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله) وقوله: دون دمه "كناية عن الدفاع عن نفسه حين يصول علية صائل فيقاتله فيقتل فيموت كريماً عزيزاً ولا يعيش مهاناً ذليلاً وقوله: دون دينه كناية عن حركة المدافع عن دينه حين يطلب منه في عصر الفتنة والقهر - الارتداد والنطق بالكفر أو السير في ركاب الملحدين فيأبى فيقتل "ودون أهلة "كناية عن حماية الرجل لزوجه وأهل بيته جميعاً حين يغير عليهم لص أو معتد على الأعراض أو خاطف للأطفال أو غير ذلك من أنواع الاعتداءات والبلاءات واتفاق جمل الحديث في الصياغة والدلالات يوحى بأن الأجر يتماثل في كل الحالات وبأن صفة الشهيد هي منحة إلهية وعطاء رباني: والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم.

المضامين الدعوية

أولاً: من أهداف الدعوة: الحفاظ على الضرورات الخمس.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرمة الاعتداء على المال والنفس والدين والعرض.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل سعيد بن زيد بن عمرو رضي الله عنه.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من أهداف الدعوة: الحفاظ على الضرورات الخمس:

يتضح هذا من سياق الحديث حيث بيّن الحديث أن كل من يدافع عن هذه الضرورات الخمس وتشمل: (الدين والنفس والعرض والمال والعقل)، فهو شهيد ولا شك أن الحفاظ على هذه الأشياء هدف رئيس من أهداف الدعوة الإسلامية.

"إن الدعوة الإسلامية تهدف إلى خمسة مقاصد هي: حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ النسب، وحفظ المال وكل ما جاء في الشريعة من مبادئ وأحكام وأوامر ونواهٍ وزواجر وعقوبات.. كلها تهدف إلى حفظ هذه المقاصد الخمسة، وإن هذه الأمور الخمسة هي الضرورات التي تتعلق بها مصالح الدنيا والآخرة وبالمحافظة

عليها تتحقق السعادة وينتشر السلام"[١].

قال الشاطبي: "ومجموع الضرورات خمسة، وهي: حفظ الدين والنفس والنسل والمال والعقل، وهذه الضرورات إن فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة بل على فساد وتهارج وفوت حياة وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين"[٢].

وإذا كانت هذه الضروريات الخمس قد أمر الشارع بالمحافظة عليها وذلك لأن قيام مصالح الدين والدنيا عليها.

فقد قال الشاطبي أيضًا: "والحفاظ عليها يكون بأمرين:

أحدهما: ما يقيم أركانها ويثبت قواعدها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب الوجود.

والثاني: ما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع فيها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب العدم.

فأصول العبادات راجعة إلى حفظ الدين من جانب الوجود، كالإيمان والنطق بالشهادتين، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وما أشبه ذلك.

والعادات راجعة إلى حفظ النفس والعقل من جانب الوجود - أيضًا - كتناول المأكولات، والمشروبات، والملبوسات، والمسكونات، وما أشبه ذلك.

والمعاملات راجعة إلى حفظ النسل والمال من جانب الوجود، وإلى حفظ النفس والعقل -أيضًا- لكن بواسطة العادات.

والجنايات ترجع إلى حفظ الجميع من جانب العدم.

وأما المعاملات: فما كان راجعًا إلى مصلحة الإنسان مع غيره كانتقال الأملاك بعوض أو بغير عوض، بالعقد على الرقاب أو المنافع أو الأبضاع.

والجنايات ما كان عائدًا على ما تقدم بالإبطال، فشرع فيها ما يدرأ ذلك الإبطال ويتلافى تلك المصالح كالقصاص والديات للنفس، والحد للعقل والنسل، والقطع

---

(١) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، الشيخ علي صالح الراشد ص ٦٠.

(٢) الموافقات ٢/٨ - ١٠.

والتضمين للمال"[١].

جاء في الموسوعة الفقهية: "الضروريات أقوى مراتب المصلحة فقد قسم الغزالي المصلحة باعتبار قوتها في ذاتها إلى ثلاثة أقسام:

أ/ رتبة الضروريات.

ب/ رتبة الحاجيات.

ج/ رتب التحسينيات.

ثم قال: والمقصود بالمصلحة: المحافظة على مقصود الشرع، ومقصود الشرع من الخلق خمسة - وهو أن يحفظ عليهم دينهم، ونفسهم، وعقلهم، ونسلهم، ومالهم.

هذه الأصول الخمسة حفظها واقع في رتبة الضروريات فهي أقوى المراتب في المصالح.

ويلي الضروريات في الرتبة الحاجيات ثم التحسينات.

والمقاصد الضرورية في الشريعة أصل للحاجية. والتحسينية، فلو فرض اختلال الضروري بإطلاق لاختل الحاجي والتحسيني بإطلاق، ولا يلزم من اختلال الحاجي والتحسيني اختلال الضروري بإطلاق - ومع ذلك فقد يلزم من اختلال الحاجي بإطلاق اختلال الضروري بوجه من الوجوه - فالحاجي يخدم الضروري، والضروري هو المطلوب لأنه الأصل.

وبيان ذلك أن مصالح الدين والدنيا مبنية على المحافظة على الأمور الخمسة المعروفة، فإذا اعتبر قيام هذا الوجود الدنيوي مبنيًا عليها حتى إذا انخرمت لم يبق للدنيا وجود، (أي ما هو خاص بالمكلفين والتكليف).

وكذلك الأمور الأخروية لا قيام لها إلا بذلك، فلو عُدم الدين عُدم ترتب الجزاء المرتجى، ولو عدم المكلف لعدم من يتدين، ولو عدم العقل لارتفع التدين، ولو عدم النسل لم يكن في العادة بقاء، ولو عدم المال لم يبق عيش، فلو ارتفع ذلك لم يكن بقاء، وهذا كله معلوم لا يرتاب فيه من عرف ترتيب أحوال الدنيا وأنها زاد للآخرة"[٢].

---

(١) المرجع السابق نفسه، والجزء والصفحة نفسها.

(٢) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ومصادرها ٢٨/٢٠٩ - ٢١١.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: حرمة الاعتداء على المال والنفس والدين والعرض:

يتضح هذا من الحديث: (ومن قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد)، ومما لا شك فيه أن الإسلام حرم الاعتداء على هذه الأمور، ومن أجل ذلك شرع العقوبات.

"إن العقوبات الشرعية هي جملة ما وضع من حدود وتعازير لمعالجة مشاكل الانحراف والاعتداء والجناية، والحدود هي جملة العقوبات التي نص عليها في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ والعقوبات الشرعية في الإسلام ليست تشريعًا أصيلاً وابتدائيًا، إنما هي لاستبقاء سلامة الأمة ومعافاتها وأمنها في النفوس والعقول والأعراض والأموال وتمكين دينها وعقيدتها وتقرير فضائلها وأخلاقها وقيمها"[1].

قال شرف الحق العظيم آبادي: "من أريد أخذ ماله فقاتل في الدفع عنه فهو شهيد، أي: من شهداء الآخرة بمعنى أن له أجر شهيد، وقوله: (من قتل دون ماله)، أي: من قاتل الصائل على ماله حيوان كان أو غيره فقتل في المدافعة عنه فهو شهيد، ومن قتل في الدفع عن بُضع حليلته أو قريبته أو دون ماله أي في نصرة دين الله تعالى والذب عنه وفي قتال المرتدين عن الدين"[2].

فالإسلام يضع العقوبات الرادعة لصيانة النفس الإنسانية واعتبرت من يدافع عن نفسه شهيدًا عند الله تعالى، "إن الإسلام يحترم الحياة الإنسانية ويحترم حق الإنسان على الإطلاق في الحياة، وأنه قد وضع عقوبة القصاص لحماية هذه الحياة بقطع النظر عن جنس القتيل وسنه ومنزلته ودينه وتقرير الشريعة الإسلامية بجانب عقوبة القصاص في القتل العمد عقوبات دنيوية أخرى منها حرمان القاتل من ميراث القتيل ومن وصيته إن كان مستحقًا لأحدهما ولا يكتفي الإسلام بهذه العقوبات الدنيوية جميعها بل يتوعد كذلك القاتل بغضب من الله ولعنته وأشد عذاب مقيم في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَن

(١) المقاصد الشرعية، د. نور الدين بن مختار الخادمي ص ٥٧.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٢٠٧١.

يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾[1]، ولم يتوعد القرآن في آية جريمة بمثل ما توعد به جريمة القتل في هذه الآية، فقد جعل عذابها في الآخرة مساويًا لعذاب الشرك بالله"[2].

قال: السيد سابق: "إن الله سبحانه كرم الإنسان، خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وسخر له ما في السماوات والأرض جميعًا منه، وجعله خليفة عنه، وزوده بالقوى والمواهب ليسود الأرض، وليصل إلى أقصى ما قدر له من كمال مادي، وارتقاء روحي.

ولا يمكن أن يحقق الإنسان أهدافه ويبلغ غايته، إلا إذا توفرت له جميع عناصر النمو، وأخذ حقوقه كاملة.

وفي طليعة هذه الحقوق التي ضمنها الإسلام حق الحياة، وحق التملك، وحق صيانة العرض.

وهذه الحقوق واجبة للإنسان من حيث هو إنسان، بقطع النظر عن لونه أو دينه، أو جنسه، أو وطنه"[3].

وفي تكريم الإنسان وضمانه حقوقه قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[4].

وجاء عن أبي بكرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ((إنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبٌ، شَهْرُ مُضَرَ، الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ))، ثُمَّ قَالَ: (أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟)) قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا

(١) سورة النساء، آية: ٩٣.

(٢) حماية الإسلام للأنفس والأعراض، د. علي عبدالواحد وافي، دون ذكر لرقم وتاريخ الطبعة، دار الشعب، القاهرة، ص ٩ – ١٠.

(٣) إسلامنا ص ٢٦٧.

(٤) سورة الإسراء، آية: ٧٠.

سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: ((أَلَيْسَ ذَا الْحِجَّةِ؟)) قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: ((فَأَيُّ بَلَدٍ هذَا؟)) قُلْنَا: اللّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ، سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ إِسْمِهِ. قَالَ: ((أَلَيْسَ الْبَلْدَةَ؟)) قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: ((فَأَيُّ يَوْمٍ هذَا؟)) قُلْنَا: اللّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: ((أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟)) قُلْنَا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللّهِ.

قَالَ: ((فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ (قَالَ مُحَمَّدٌ: وَأَحْسِبُهُ قَالَ) وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هذَا، فِي بَلَدِكُمْ هذَا، فِي شَهْرِكُمْ هذَا، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، فَلاَ تَرْجِعُنَّ بَعْدِي كُفَّارًا أَوْ ضُلاَّلاً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، أَلاَ لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يُبَلَّغُهُ يَكُونُ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ))، ثُمَّ قَالَ: ((أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ؟))[1].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل سعيد بن زيد بن عمرو رضي الله عنه:

حيث جاء في الحديث: (عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أحد العشرة المشهود لهم بالجنة)، ولا شك أن هذا يدل على فضله ومنزلته، قال ابن عبدالبر: "وهو ابن عم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وصهره يكنى أبا الأعور، وأمه فاطمة بنت بعجة بن مليح الخزاعية، وكان سعيد بن زيد من المهاجرين الأولين وكان إسلامه قديمًا قبل عمر وكان إسلام عمر بسبب زوجته فاطمة بنت الخطاب أخت عمر وخبرهما في ذلك خبر حسن وهاجر هو وامرأته فاطمة بنت الخطاب ولم يشهد بدرًا لأنه كان غائبًا بالشام قدم منها بعقبه غزوة بدر فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه وأجره فقصته أشبه القصص بقصة طلحة ابن عبيد الله وهو أحد العشرة الذين يشهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة"[2].

وقال ابن حجر: "هو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأسلم قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم وهاجر وشهد أحدًا والمشاهد بعدها ولم يكن بالمدينة زمان بدر فلذلك لم يشهدها، وكان سعيد رضي الله عنه من فضلاء الصحابة وروي عنه أنه قال: (لقد رأيتني، وإن عمر لموثقي على الإسلام)، قال الواقدي: توفي بالعقيق فحمل إلى المدينة

(١) أخرجه البخاري ١٠٥، ومسلم ١٦٧٩ واللفظ له.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ص ٢٦٩.

وذلك سنة خمسين وقيل: إحدى وخمسين وعاش بضعًا وسبعين سنة وكان طوالاً آدم أشعر"[١].

ومن مناقبه ﷺ أنه مستجاب الدعوة فعن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، أن أروى خاصمته في بعض داره، فقال: دعوها وإياها، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الأَرْضِ بِغَيْرِ حَقِّهِ، طُوِّقَهُ فِي سَبْعِ أَرَضِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))، اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً، فَأَعْمِ بَصَرَهَا، وَاجْعَلْ قَبْرَهَا فِي دَارِهَا. قَالَ: فَرَأَيْتُهَا عَمْيَاءَ تَلْتَمِسُ الْجُدُرَ، تَقُولُ: أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ، فَبَيْنَمَا هِيَ تَمْشِي فِي الدَّارِ مَرَّتْ عَلَى بِئْرٍ فِي الدَّارِ، فَوَقَعَتْ فِيهَا، فَكَانَتْ قَبْرَهَا"[٢].

وعن هشام بن عروة عن أبيه. أَنَّ أَرْوَى بِنْتَ أُوَيْسٍ ادَّعَتْ عَلَى سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ أَنَّهُ أَخَذَ شَيْئًا مِنْ أَرْضِهَا، فَخَاصَمَتْهُ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، فَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا كُنْتُ آخُذُ مِنْ أَرْضِهَا شَيْئًا بَعْدَ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: وَمَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ((مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الأَرْضِ ظُلْمًا طُوِّقَهُ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ))، فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ: لاَ أَسْأَلُكَ بَيِّنَةً بَعْدَ هَذَا فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً فَعَمِّ بَصَرَهَا وَاقْتُلْهَا فِي أَرْضِهَا. قَالَ: فَمَا مَاتَتْ حَتَّى ذَهَبَ بَصَرُهَا، ثُمَّ بَيْنَا هِيَ تَمْشِي فِي أَرْضِهَا إِذْ وَقَعَتْ فِي حُفْرَةٍ فَمَاتَتْ"[٣].

قال النووي: "وفي حديث سعيد بن زيد ﷺ منقبة له وقبول دعائه وجواز الدعاء على الظالم ومستدل أهل الفضل والله أعلم"[٤].

ومما يدل على زهده وتقواه ﷺ ما جاء: "أن عمر ﷺ أرسل إلى أبي عبيدة ﷺ يقول له: أخبرني عن حال الناس وأخبرني عن حال خالد بن الوليد أي رجل هو؟ وأخبرني عن يزيد بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وأخبرني عن سعيد بن زيد ومعاذ بن جبل

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ص ٥٠٤.

(٢) أخرجه مسلم ١٦١٠ (١٣٨)

(٣) أخرجه مسلم ١٦١٠ (١٣٩).

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٠٢٢.

كيف حالهما؟ فكتب أبو عبيدة إلى عمر رضي الله عنه عن حال أصحابه وكان مما قال عن سعيد ومعاذ رضي الله عنهما: (كما عهدت إلا أن السواد زادهما في الدنيا زهدًا وفي الآخرة رغبة) وقد تولى سعيد ولاية دمشق ولما وجد أن ذلك شغله عن الجهاد كتب في ذلك إلى أبي عبيدة: (فإني ما كنت لأوثرك وأصحابك بالجهاد على نفسي وعلى ما يدنيني من مرضاة ربي فإذا أتاك كتابك هذا فابعث إلى عملك وهو أرغب إليه مني"[١].

رابعًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

حيث جاء في الحديث الترغيب في الشهادة لمن يقاتل عن دينه وماله عرضه وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي تحبب المدعو في فعل الخير لأن النفس البشرية بطبيعتها تميل إلى الثواب والأجر، "إن النفوس البشرية مختلفة الطباع منها ما يجلبه الترغيب ومنها ما يخيفه الترهيب، ولهذا جاء القرآن الكريم والسنة المطهرة بالأسلوبين، والدعاة مطالبون بانتهاج الأسلوبين مع الناس كل حسب ما يناسبه على أن يقدموا الترغيب لأنه فعل إيجابي ومطلوب من المسلمين أن يكونوا إيجابيين"[٢].

ومن صور استعمال القرآن لأسلوب الترغيب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[٣]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ۝ هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾[٤].

---

(١) العشرة المبشرون بالجنة، الشيخ: محمد أحمد عيسى، ط١، دار الغد الجديد، المنصورة، مصر: ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص ١٩٤.

(٢) فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٨٦.

(٣) سورة الحج، آية: ١٤.

(٤) سورة يس، الآيتان: ٥٥ - ٥٦.

الحديث رقم (١٣٥٩)

١٣٥٩- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رسول الله ﷺ فَقَالَ: يَا رسولَ اللهِ، أَرَأَيتَ إنْ جَاءَ رجلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي؟ قَالَ: ((فَلاَ تُعْطِهِ مَالَكَ)) قَالَ: أَرَأَيْتَ إنْ قَاتَلَنِي؟ قَالَ: ((قَاتِلْهُ)) قَالَ: أرَأَيْتَ إنْ قَتَلَنِي؟ قَالَ: ((فَأنْتَ شَهِيدٌ)) قَالَ: أَرَأَيْتَ إنْ قَتَلْتُهُ؟ قَالَ: ((هُوَ فِي النَّارِ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

هذا هو الحديث الذي ختم به "النووي "باب بيان جماعة من الشهداء وقد صيغ في قالب حواري مقنع ممتع بين أحد الصحابة وهو رجل: لم يحدد الراوي شخصيته؛ لأن المقصود هو معرفة الحكم في مثل هذه المواقف التي سأل عنها ذلك السائل وهى يمكن أن تتكرر في كل زمان وكل مكان في البيئة الإسلامية وغيرها من البيئات المتعددة.

ويبدأ الحوار بالنداء والاستفهام: يا رسول الله أرأيت: أي أخبرني: لأن رأى هنا خبرية - علمية وليست رأى - البصرية: ومضمون السؤال صيغ في قالب الشرط والجواب ولكن حذف جواب الشرط. . حيث دل علية مضمون الشرط وسياق الموقف: يقول - إن جاء رجل يريد أخذ مالي ؟ والمحذوف تقديره: فماذا أفعل وأداة الشرط "إن "وهى للشك لأن مثل هذا التعرض مشين ولا يليق من الإنسان وأخيه الإنسان فهو من المنكرات والمحرمات وقوله: يريد أخذ مالي. . أبلغ من قوله "أخذ مالي "لأنه لا يليق بالمسلم أن يترك ماله نهباً للضياع والسرقة والأخذ بدون مقاومة: فقوله "يريد "يعطى فرصة للدفاع والمقاومة والتصدي لحماية المال ولذلك قال رسول الله: فلا تعطه مالك "وهنا بلاغة

---

(١) برقم (٢٢٥/١٤٠). أورده المنذري في ترغيبه (٢٠٩٥).

الحذف والتقدير إن جاء يريد أخذ مالك فلا تعطه "والأخذ "يوحى باستيلائه على المال بالقوة وهو غير الطلب أو القرض أو الهبة. ويتكرر السؤال مع تصاعد الحوار إلى أفق آخر وهو مرحلة -القتال- مع حذف الجواب لأنه معلوم ولابد منه: والتقدير: إن قاتلني فماذا أفعل: ويجيء جواب رسول الله ﷺ في صيغة الأمر الحاسم الجازم "قاتله "ويبلغ الحوار ذروته حين يسأل الرجل: أرأيت إن قتلني: والجواب محذوف والتقدير فما مصيري. . فقال له رسول الله تكملة للجواب: فأنت شهيد، وعبر أسلوبي المقابلة والتضاد في المواقف يأتي السؤال الأخير في هذه المحاورة العميقة الدالة الدقيقة المتزنة: فيقول الرجل مستحضراً الواقع الذي يمكن أن يحدث لكليهما: أرأيت إن قتلته وتأتى إجابة المصطفى ﷺ مبشرة لهذا المؤمن العزيز القوى ومنذرة كل من يعتدي على حقوق المسلم وممتلكاته وحياته: قال: هو في النار وما أبشع هذا المصير الذي حدده البشير النذير محمد ﷺ.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على السؤال عما أشكل عليهم.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب والنهي.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: حق الإنسان في الدفاع عن ماله.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من الاعتداء على أموال الناس.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على السؤال عما أشكل عليهم:

إن الصحابة رضي الله عنهم كانوا شديدي الحرص على الرجوع إلى رسول الله ﷺ وسؤاله عما أشكل عليهم من أمور، ومما يدل على ذلك ما جاء في الحديث: (جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي) وهذا يدل على مدى حرص الصحابة رضي الله عنهم على السؤال عما أشكل عليهم وبهذا أمرهم الله تعالى فقال سبحانه: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]، وتعلموا من القرآن أن

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٧.

يردوا جميع أمورهم إلى الله والرسول ﷺ، قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾(١).

ولتشجيع الصحابة رضي الله عنهم على السؤال كان الله سبحانه وتعالى يتولى الإجابة عن تساؤلاتهم ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى﴾(٢)، وقوله: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾(٣).

وقد استنكر النبي ﷺ على من لم يسأل فيما أشكل عليه حيث قال لما بلغه أمر المجروح الذي اغتسل بالماء فمات فقال: ((قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللهُ ألاَّ سَأَلُوا إذْ لَمْ يَعْلَمُوا فإنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ))(٤).

ومما يدل على حرص الصحابة رضي الله عنهم على سؤال النبي ﷺ ما جاء أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ كانت لا تسمع شيئًا لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه، وأن النبي ﷺ قال: ((مَنْ حُوسِبَ عُذِّبَ)) قالتْ عائشةُ رضي الله عنها فقلتُ: أوَلَيسَ يَقولُ اللهُ تعالى: ﴿فسَوْفَ يُحاسَبُ حِسابًا يَسيرًا﴾(٥) قالت: فقال: ((إنَّما ذلك العَرضُ، ولكنْ مَنْ نُوقِشَ الحِسابَ يَهلِكْ))(٦).

ومما يدل على ذلك أيضًا حديث المقداد بن عمرو الكندي وكان شهد بدرًا مع النبي ﷺ أنه قال: يارسولَ الله إنْ لقيتُ كافرًا فاقتَتَلْنا فضرَب يدي بالسيف فقطعَها ثم لاذَ بشجرةٍ وقال: أسلمتُ لله، آقتلهُ بعدَ أن قالها؟ قال رسولُ الله ﷺ: لا تقتُله. قال: يارسولَ الله فإنه طرَحَ إحدَى يديَّ ثم قال ذلك بعدَ ما قطعها آقتلهُ؟ قال: ((لا تقتله فإن

---

(١) سورة النساء، آية: ٥٩.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٢٢.

(٣) سورة الأنفال، آية: ١.

(٤) أخرجه أبو داود ٣٣٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٣٢٥).

(٥) سورة الانشقاق، آية: ٨.

(٦) أخرجه البخاري ١٠٣.

قتلْتَه، فإنه بمنزلتكَ قبلَ أن تقتله، وأنتَ بمنزلتهِ قبلَ أن يقولَ كلمتَهُ التي قال))[١].

ومن خلال هذه النصوص يتبين حرص الصحابة رضي الله عنهم على سؤال النبي ﷺ عما أشكل عليهم من أمور.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب والنهي:

١/ السؤال والجواب: حيث جاء في الحديث: (أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟) قال: فلا تعطه مالك، وأسلوب السؤال والجواب من أساليب الدعوة النافعة التي تفتح حوارًا بين الداعية والمدعو، وعلى الداعية أن يتميز بسعة الصدر ليشجع المدعو على السؤال ويستحثه عليه (ولقد كان ﷺ ينتهج الأسلوب الحواري الاستجوابي مع من يلتق بهم ويدعوهم ليثير انتباههم ويحرك فطنتهم وذكاءهم وسآمتهم ويصب في مشاعر أحاسيسهم معين المعرفة وسلسبيل الهدى"[٢].

٢/ النهي: حيث جاء في الحديث: (فلا تعطه مالك)، وأسلوب النهي من أساليب الدعوة التي تشعر المدعو بأهمية المنهي عنه ضرورة اجتنابه، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾[٣].

وفي الحديث نهى النبي ﷺ عن إعطاء المال لمن جاء يريد أخذه جاء في البلاغة الواضحة: "النهي طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء، وللنهي صيغة واحدة هي المضارع مع لا الناهية، وقد تخرج صيغة النهي عن معناها الحقيقي إلى معانٍ أخرى تستفاد من السياق وقرائن الأحوال كالدعاء والالتماس والتمني والإرشاد والتوبيخ والتيئيس والتهديد والتحقير"[٤].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: حق الإنسان في الدفاع عن ماله:

إن الإسلام أعطى الإنسان حق ملكية المال، وأعطاه حق المحافظة على هذا المال

---

(١) أخرجه البخاري ٦٨٦٥.

(٢) صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار ص ٩٧.

(٣) سورة الحشر، آية: ٧.

(٤) البلاغة الواضحة، د. علي الجارم، أ. مصطفى أمين ص ٢٢٣.

وقتال من جاء ليأخذه ويتضح هذا مما جاء في الحديث: (أرأيت إن قاتلني؟ قال: قاتله، قال: أرأيت إن قتلني؟ قال: فأنت شهيد)، قال الشيخ ابن عثيمين: "وقد دلّ الحديث على أن الإنسان يدافع عن ماله إذا جاء أحد يريد أخذ المال، فإنك تدافع فإن لم يندفع إلا بالقتل فاقتله، وإن اندفع بدون ذلك فلا تقتله، يعني: لو أمكن أن تكون أنت أقوى منه وتشد يديه ورجليه وتأسره فلا تقتله، لأنه لا حاجة لقتله، وإذا كان لا يمكن فقاتلك فقاتله، ولو قتلته وإن خفت أن يبادرك بالقتل فاقتله، ولا حاجة للمقاتلة، يعني: لو جاء إليك يسعى ويشتد ومعه سلاح قد شهره فاقتله، لأنك إن لم تبادره قتلك فإذا قتلته فإنه في النار، وإن قتلك هو فأنت شهيد، ولهذا قال العلماء: إن دفع الصائل ولو أدى إلى قتله جائز لأنه إذا صال عليك فلا حرمة له لكن إذا اندفع بما دون القتل فلا تقتله"[١].

قال النووي: "قوله ﷺ: (فلا تعطه) فمعناه لا يلزمك أن تعطيه وليس المراد تحريم الإعطاء. وأما قوله ﷺ في الصائل إذا قتل هو في النار فمعناه أنه يستحق ذلك وقد يجازى وقد يعفى عنه، إلا أن يكون مستحلاً لذلك بغير تأويل فإنه يكفر ولا يعفى عنه، والله أعلم"[٢].

وقال القرطبي: "وقوله: (لا تعطه مالك وقاتله)، دليل على أن المحارب لا يجوز أن يُعطي شيئًا له بالٌ من المال إذا طلبه على وجه الحرابة ما أمكن، لا قليلاً ولا كثيرًا، وأن المحارب يجب قتاله، ولذلك قال مالك: قتال المحاربين جهاد. وقال ابن المنذر: عوام العلماء[٣] على قتال المحارب على كل وجه ومدافعته عن المال والأهل والنفس"[٤].

وقال القاضي عياض: "وفي الحديث دليل على أنه لا دية في قتل المحاربين ولا قود؛ لأنه إذا كان مقتوله شهيدًا وأمر بقتاله، وأخبر النبي ﷺ أنه إن قُتل في النار، فما

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١٤٥٩ - ١٤٦٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٨١.

(٣) المراد: جمهور وجماعة انظر: محققي كتاب المفهم: ١/٣٢٥.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١/٣٥٢.

يأمر الشرع به لا يُعقّبُ على فاعله بعد ولا تباعة في دنيا ولا آخرة"[١].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: الترهيب من الاعتداء على أموال الناس:

إن الشرع الحنيف وضع الضمانات اللازمة للحفاظ على المال، ولذا رهّب من الاعتداء على مال الغير، ويستنبط هذا مما جاء في الحديث: (أرأيت إن قتلته؟ قال: هو في النار)، لقد جاء الإسلام يحذر من الاعتداء على أموال الناس بالباطل، ولذا كان حد السرقة فيمن يعتدي ويأخذ مال غيره سرقة، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾[٢].

وقد جاء في الحديث أن الذي يعتدي على مال الغير إن قتل فهو في النار، "إن الإسلام لا يقل حرصه على حماية مال الفرد وما يملكه عن حرصه على حماية نفسه، ذلك أن مال الفرد هو عماد حياته فلا تتحقق حماية الحياة على وجه كامل بدون حماية المال ويبدو حرص الإسلام على حماية المال أوضح ما يكون في تحريمه تحريمًا باتًا جميع أنواع الاعتداء على الملك والعقوبات الصارمة الدنيوية والأخروية التي يقررها في جميع هذه الأنواع[٣].

إن الإسلام يحفظ ملكية الإنسان، ويرهّب من الاعتداء عليها بأي صورة من الصور، وبأي وسيلة من الوسائل. "فمن قتل في الدفاع عن نفسه أو ماله أو أهله كان من الشهداء، وقدم المال لأن الطمع فيه أكثر، ولئلا يظن أحد أن التفريط فيه مطلوب أو الاعتداء عليه مباح، وفي الحديث تحريم الظلم واغتصاب الأموال بالإكراه والتهديد، والمنع من التفريط فيه، ولو أدى الأمر إلى قتل الإنسان في سبيلها، إلا أن يكون سلطانًا أو نحوه، وفي الحديث موقف الإسلام الحازم من الظلم، وتربية المسلمين على الشجاعة والاستهانة بالموت في سبيل تحقيق العدل والحق والسلام"[٤].

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٤٤٤/١.

(٢) سورة المائدة، آية: ٣٨.

(٣) حماية الإسلام للأنفس الأعراض، د. علي عبدالواحد وافي ص ٣٩.

(٤) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٦٥٥ - ٦٥٦.

قال الشيخ السيد سابق: "وكما أن الإسلام احترم حق الحياة، فإنه كذلك احترم حق الملكية، واعتبره حقًا مقدسًا، لا يحل لأحد أن يعتدي عليه بأي وجه من الوجوه.

ولهذا حرم السرقة، والغصب، والربا، والغش، وتطفيف الكيل والوزن، والرشوة، واعتبر كل مال أخذ بغير سبب مشروع أكلاً للمال بالباطل.

وقد قضى الإسلام بقطع يد السارق، التي من شأنها أن تباشر السرقة وفي ذلك حكمة بينة، إذ أن اليد الخائنة بمثابة عضو مريض يجب بتره ليسلم الجسم. والتضحية بالبعض من أجل الكل، مما اتفقت عليه الشرائع والعقول.

كما أن في قطع يد السارق عبرة لمن تحدثه نفسه بالسطو على أموال الناس فلا يجرؤ أن يمد يده إليها.

وبهذا تحفظ الأموال وتصان، يقول الله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1].

فإذا تقوى اللصوص بقوة السلاح، وأفسدوا في الأرض، وأخافوا الآمنين، وخرجوا على النظام العام، وسطوا على أموال الناس وجبت مطاردتهم، والتنكيل بهم، سدًا لذرائع الفساد، ومنعًا للعدوان، يقول الله تعالى في ذلك: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

كما حرّم الإسلام الرشوة، فالراشي والمرتشي لا حظ لهما من رحمة الله، إذ أن الرشوة من شأنها أن تفسد أداة الحكم، وتجعل الحكام يتلاعبون بالأحكام، وينقادون للهوى، ويميلون حيث يحلو لهم الميل، فيضلون عن الحق، ولا يعرفون السبيل

---

(١) سورة المائدة، آية: ٣٨.

(٢) سورة المائدة، الآيتان: ٣٣ - ٣٤.

إليه. وإذا وصل الحكام إلى هذا الانحطاط ولم يجدوا من يقوم انحرافهم فعلى الأمة العفاء ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾[1].

والله سبحانه وتعالى ينهى عن أكل أموال الناس بالباطل، وتقديمها إلى الحكام، للإستعانة بذلك على أكل فريق من أموال الناس بالإثم، أو أخذ ما ليس بحق، فيقول سبحانه: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[2]، وكل هذا يؤكد حرص الإسلام على المحافظة على أموال الناس"[3].

---

(١) سورة ص، آية: ٢٦.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٨٨.

(٣) إسلامنا ص ٢٧٣ - ٢٧٤.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

تهدف التربية الإسلامية إلى بيان الحقائق وإيضاحها، حتى تكون مستقرة في النفوس، ليكون المسلم على معرفة بها، إن من أبرز المضامين التربوية في هذا الباب ما يلي:

أولاً- من الأساليب التربية: البيان والإيضاح:

إن البيان والإيضاح من أبرز أساليب التربية الإسلامية، حتى يكون المتربي على معرفة وعلم بالحقائق التي ينبغي له معرفتها، ومن هنا فقد عُني النبي ﷺ في تربيته لأصحابه بالبيان والإيضاح، وقد ورد ذلك في عدد من أحاديث هذا الباب، حيث قال النبي ﷺ: الشهداء خمسة: المطعون والمبطون والغريق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله". وقال ﷺ: "من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قُتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قُتل دون أهله فهو شهيد".

ثانيًا- من أهداف التربية الإسلامية: الحث على الدفاع عن المال والنفس والدين والأهل:

إن من أبرز ما تهدف إليه التربية الإسلامية: إعلاء قيمة الدفاع عن المال والنفس والدين والأهل، حتى يعيش المسلم كريمًا عزيزًا شجاعًا، يدافع عن ماله من أن يعتدي عليه أحد، ويعلم قيمة الدفاع عن هذه الأمور، إنه في سبيل الدفاع عن هذه الأمور سالفة الذكر قد يُقتل، وتنتهي حياته، ولكنه يكون قد حاز فضل شرف الشهادة، حيث قُتِلَ شهيدًا، إنها المبادئ والقيم الإسلامية العظيمة التي بيَّنها النبي ﷺ، وربّى عليها أصحابه رضي الله عنهم حيث بيّن لهم أنّ من قتل في سبيل الدفاع عن ماله فهو شهيد، وكذلك من قتل في سبيل الدفاع عن نفسه أو دينه أو أهله فهو شهيد.

كل ذلك حتى يتربى المسلم على العزة والكرامة والشهامة، وعدم الخوف وعدم الجبن، حتى يعيش كريمًا، وإن قتل كان شهيدًا، إنها القيم التربوية التي تحقق العزة والكرامة، وتجعل المسلم مرفوع الرأس، كريمًا عزيزًا.

۞ ۞ ۞

٢٣٦- باب فضل العتق

الحديث رقم (١٣٦٠)

١٣٦٠- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لي رسول الله ﷺ: ((مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً أعتَقَ اللهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ، عُضْوًا (مِنْهُ) [١] مِنَ النَّارِ، حَتَّى فَرْجَهُ بِفَرْجِهِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

رَقَبة: وهي في أصل العنق فجعلت كناية عن جميع ذات الإنسان تسمية للشيء ببعضه[٣].

الشرح الأدبي

إن الحرية في الإسلام من دلائل عزة المسلم ومعالم كرامته فهو لا يدين بالعبودية إلا لله عز وجل وهو لا يحني رأسه ولا يسجد إلا للحى القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم وفى ضوء هذه الحقيقة الباهرة والمزية السافرة تتحرك دلالات هذا الحديث الشريف من خلال نظمه الفريد ونسقه العجيب فالحديث يتكون في بنائه اللغوي من جمله واحدة - صيغت في قالب "الشرط والجواب "وهو يعد "قاعدة شرعية "وحكما نافذاً ووعداً صادقاً ببشرية رسول الله ﷺ تعتق كل من أعاد للمسلم عزته وأعطاه حريته وأعتق رقبته والعتق في مصطلح الفقهاء: هو إزالة الرق عن الآدمي، ومادة: عتق "في اللغة لها دلالات كثيرة وكلها تشع بأصداء القوة والأصل والسبق والتفرد، ولا تتحقق هذه

---

(١) هذه الزيادة لا توجد عندهما، وهي من المنذري في ترغيبه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٧١٥) واللفظ له، ومسلم (١٥٠٩/٢٢). أورده المنذري في ترغيبه (٢٨٢٥).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر ق ب).

المعانى إلا لدى من يملك قراره ويعرف مصيره ومسيره فالعتق خلاف الرق وهو الحرية وعتاق الطير: الجوارح منها والعتيق: الكريم الرائع من كل شيء والخيار من كل شيء، والعتق: الكرم، يقال: ما أبين العتق في وجه فلان: يعنى الكرم وقيل: العتق: الجمال، وسمي أبو بكر الصديق "عتيقاً "لأن الله تبارك وتعالى أعتقه من النار كما بشره بذلك رسول الله ﷺ - وقيل سمي عتيقاً: لجماله فالعتق من معانيه الجمال، وفى ضوء هذه الدلالات ندرك سر هذه البشرى العظيمة التي بشر بها رسول الله كل من أعتق رقبة مسلمة وهل مثل العتق من النار فوز وثواب ؟ وجواب الشرط "أعتق "جاء في صيغة الماضي للإيحاء بضرورة تحقق العتق في الواقع ولذلك كان الصحابة يستكثرون منه - وقيل: إن عبد الرحمن بن عوف أعتق "ثلاثين ألف نسمة "- والتكبير في قوله: رقبة. . للتعميم وللشمول: الذكر والأنثى - الكبير والصغير - العرب والعجم. . فالكل سواء والتخصيص بالوصف في قوله مسلمة "إيحاء وإشارة إلى أنه يجب أن لا يظل المسلم "مملوكاً مستعبداً "ولذلك كثرت المواقف التي يكون العتق فيها كفارة وسبيلاً من سبل التوبة والخلاص من الذنوب والآثام وجواب الشرط. . جاء في صيغة الماضي كذلك لتحقيق وقوع الجزاء لأنه وعد من الله والله لا يخلف الميعاد والتماثل في قوله (بكل عضو منه عضواً منه) يوحى بالمساواة التامة بين الخلق أجمعين.

فقه الحديث

يشير الحديثان إلى عدة أحكام منها:

١- فضل العتق: اتفق الفقهاء على أن العتق من أفضل الأعمال، ومما يحصل به العتق من النار ودخول الجنة[١].

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٤٥/٤، حاشية رد المحتار ٦٤٠/٣، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن عرفة الدسوقي ٣٥٩/٤، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٤٤٥/٦-٤٤٦، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٦٩١/٤-٦٩٢، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٧٨/١٠، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥١/١٠.

٢- ما يستحب اعتاقه: اتفق الفقهاء على استحباب عتق كامل الأعضاء، فلا يكون خصيًا ولا فاقد غيره من الأعضاء[١].

المضامين الدعوية[٢]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على عتق الرقاب المسلمة.

ثانيًا: من فقه الداعية: بيان الثواب المترتب على العمل.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الحث على عتق الرقاب المسلمة

حيث جاء في الحديث: (من أعتق رقبة مسلمة أعتق الله بكل عضو منه عضوًا من النار)، ولا شك أن هذا يدل على فضل عتق الرقاب قال النووي: "وفي هذا الحديث بيان فضل العتق وأنه من أفضل الأعمال ومما يحصل به العتق من النار ودخول الجنة، وفيه استحباب عتق كامل الأعضاء فلا يكون خصيًا ولا فاقد غيره من الأعضاء، وفي الخصى وغيره أيضًا الفضل العظيم لكن الكامل أولى وأفضله أعلاه ثمنًا وأنفسه وأما التقيد في الرقبة بكونها مؤمنة فيدل على أن هذا الفضل الخاص إنما هو في عتق المؤمنة وأما غير المؤمنة ففيه أيضًا فضل بلا خلاف ولكن دون فضل المؤمنة"[٣].

وقال ابن حجر: "وفي قوله: أعتق الله بكل عضو منه عضوًا)، إشارة إلى أنه لا ينبغي أن يكون في الرقبة نقصان ليحصل الاستيعاب، وقال ابن المنير: وفي الحديث: إشارة إلى أنه ينبغي في الرقبة التي تكون للكفارة أن تكون مؤمنة لأن الكفارة منقذة

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٠٨/٥، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن عرفة الدسوقي ٤٤٨/٢، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٤٢/٥، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٨/٨، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٥١٩/٥-٥٢٠، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥١/١٠، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٩/٥.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٣٦٠- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٣٦١).

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٩٦١.

من النار فينبغي أن لا تقع إلا بمنقذة من النار"[١].

ومن الشواهد على الحث على عتق الرقاب المسلمة قوله ﷺ عندما سئل: أي الرقاب أفضل؟ قال: أنفسها عند أهلها وأكثرها ثمنًا.

ومما يدل على حث الإسلام على عتق الرقاب أنه:

١- أمر الله بعتق الرقاب وجعلها بابًا من أبواب التوبة لعباده وكفارة لذنوب عباده، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[٢].

وقال جل شأنه: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ ۖ فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّـٰرَةُ أَيْمَـٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَـٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٣].

وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَـٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[٤].

٢- كذلك أمر رسول الله ﷺ بالعتق كفارة عن بعض التصرفات، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بَينما نحنُ جُلوسٌ عندَ النبيِّ ﷺ إذ جاءه رجلٌ فقال: يارسولَ الله

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٧٦/٥.

(٢) سورة النساء، آية: ٩٢.

(٣) سورة المائدة، آية: ٨٩.

(٤) سورة المجادلة، آية: ٣.

هلَكتُ، قال: ما لكَ؟ قال: وَقَعتُ على امرأتي وأنا صائمٌ. فقال رسولُ الله ﷺ: ((هل تَجِدُ رَقبةً تُعْتِقُها؟ قال: لا. قال: فهل تَستطيع أن تَصومَ شَهرَيْنِ مُتتابعَينِ؟ قال: لا. قال: فهل تَجدُ إطعام سِتينَ مِسْكِينًا؟)) قال: لا. قال: فمكَثَ النبيُّ ﷺ، فبَينا نحنُ على ذلكَ أُتِيَ النبيُّ ﷺ بعَرَقٍ فيها تَمْرٌ - والعَرَقُ: المِكْتَل - قال: أينَ السَّائلُ؟ فقال أنا. قال: خُذ هذا فتصدَّقْ بهِ. فقال الرجلُ: أَعَلَى أفقرَ مني يا رسولَ الله؟ فوالله مابَينَ لابَتَيْهَا - يُرِيدُ الحَرَّتَينِ - أهلُ بيتٍ أفقرُ من أهلِ بيتي. فضَحِكَ النبيُّ ﷺ حتى بَدَتْ أنيابهُ ثم قال: ((أطْعِمْهُ أهلَكَ))[1].

٣/ فتح الإسلام باب تحرير العبد نفسه بالمكاتبة قال تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

٤/ جعل العتق هو العقبة التي من تجاوزها نجا: قال تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾[3].

٥/ جعل الرسول ﷺ من أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله عتق الرقاب: فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألتُ النَّبيَّ ﷺ: أيُّ العمل أفضلُ؟ قال: ((إيمانٌ باللهِ وجِهادٌ في سبيلهِ)). قلتُ: فأيُّ الرِّقابِ أفضلُ؟ قال: ((أغلاها ثَمنًا، وأنفَسُها عندَ أهلِها)). قلتُ: فإنْ لم أفعَلْ؟ قال: ((تُعِينُ صانعًا، أو تَصنَعُ لأخْرَقَ)). قال: فإن لم أفعلْ؟ قال: ((تَدَعُ الناسَ منَ الشرِّ، فإنّها صدَقةٌ تَصَدَّقُ بها على نفسِك))[4].

---

(١) أخرجه البخاري ١٩٣٦.

(٢) سورة النور، آية: ٣٣.

(٣) سورة البلد، الآيات: ١١ - ١٥.

(٤) أخرجه البخاري ٢٥١٨.

٦/ وجعل الرسول ﷺ من ضرب عبده كفارته عتقه: فعن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ الله فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ. فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ! مَا شَأْنُكُمْ؟ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ. فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي، لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللَّهِ مَا كَهَرَنِي وَلاَ ضَرَبَنِي وَلاَ شَتَمَنِي. قَالَ: ((إِنَّ هَذِهِ الصَّلاَةَ لاَ يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلاَمِ النَّاسِ. إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ)).

((أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قُلْتُ[1]: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ، وَقَدْ جَاءَ اللَّهُ بِالإِسْلاَمِ، وَإِنَّ مِنَّا رِجَالاً يَأْتُونَ الْكُهَّانَ، قَالَ: فَلاَ تَأْتِهِمْ، قَالَ: وَمِنَّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ، قَالَ: ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ، فَلاَ يَصُدَّنَّهُمْ "قَالَ ابْنُ الْمَصَبَّاحِ: فَلاَ يَصُدَّنَّكُمْ" قَالَ: قُلْتُ: وَمِنَّا رِجَالٌ يَخُطُّونَ، قَالَ: كَانَ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ يَخُطُّ، فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ فَذَاكَ، قَالَ: وَكَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَمًا لِي قِبَلَ أُحُدٍ وَالْجَوَّانِيَّةِ، فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ، فَإِذَا الذِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدم، آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ، لَكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلاَ أُعْتِقُهَا؟ قَالَ: ائْتِنِي بِهَا، فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فَقَالَ لَهَا: أَيْنَ اللَّهُ؟ قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: مَنْ أَنَا؟ قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ))[2]. وكل هذا يدل على حث الإسلام على عتق الرقاب.

ثانيًا - من فقه الداعية: بيان الثواب المترتب على العمل:

حيث جاء في الحديث: (أعتق الله بكل عضو منه عضوًا منه من النار حتى فرجه بفرجه)، ولا شك أن من فقه الداعية أن يبين الثواب المترتب على الفعل ليحفز المدعو إلى الطاعة، قال الشيخ محمد الغزالي: "الحث على فعل الخير وأداء الطاعات والاستقامة على أمر الله جاء في الكتاب السنة مقرونًا ببشريات كثيرة وحكم مذكورة والدعاة

---

(١) القائل هو معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه راوي الحديث.

(٢) أخرجه مسلم ٥٣٧.

عندما يغرون العامة والخاصة باتباع الدين لا يسأمون من تكرار هذه الجوائز المضروبة والعلل الباعثة"[١].

والإنسان دائمًا يتطلع إلى الثواب والأجر وتذكير الإنسان بثواب الله له على الفعل يمثل قوة دافعة على الاستجابة لأمر الله ورسوله، "إن ما وعد الله به عباده المؤمنين من أنواع النعيم المادي والمعنوي في دار الخلود إنما يمثل تلبية مكتملة لتطلعات الإنسان وأشواقه ولحاجاته وأمنياته وهو بهذا يستجيب استجابة شاملة وهذا يجعل بيان الثواب من أعظم الحوافز وأبلغها جذبًا وتأثيرًا في حياة المؤمنين"[٢].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

حيث جاء في الحديث: (أعتق الله بكل عضو منه عضوًا من النار حتى فرجه بفرجه)، وفي الحديث حث النبي ﷺ على عتق الرقاب، ورغّب في ذلك من خلال بيان أن من يعتق عبدًا يعتقه الله من النار ويعتق بكل عضو منه عضوًا من النار حتى فرجه بفرجه، وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي تؤثر في نفس المدعو إيجابًا وترغبه في الخير ولذا وجب على الداعي أن يستخدم هذا الأسلوب في دعوته، (والترغيب هو كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول أحق والثبات عليه)[٣].

---

(١) مع الله "دراسات في الدعوة والدعاة" ص ٣١٢.

(٢) علم النفس الدعوي، د. عبدالعزيز النغيمشي ص ١٥١ - ١٥٢.

(٣) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

الحديث رقم (١٣٦١)

١٣٦١- وعن أَبي ذرٍ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رسول الله، أيُّ الأعمَالِ أفْضَلُ؟ قَالَ: ((**الإيمَانُ باللهِ، وَالجِهَادُ في سَبيلِ اللهِ**)) قَالَ: قُلْتُ: أيُّ الرِّقَابِ أفْضَلُ؟ قَالَ: ((**أنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا، وَأكْثَرُهَا ثَمَنًا**)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

غريب الألفاظ:

الرِّقاب: جمع رقبة: وهي في الأصل العنق، فجُعلت كناية عن جميع ذات الإنسان، تسمية للشيء ببعضه [2].

أنفسُها: أعظمها قيمةً [3].

الشرح الأدبي

هذا مشهد حواري من مشاهد تعليم النبي ﷺ لأصحابه الكرام الأخيار والحوار من أساليب ومعالم البيان النبوي. . وهو من وسائل التعليم والإقناع وهو من أحدث الوسائل التربوية في العصر الحديث ويأتي الحوار في قالب - الحكاية والسرد - حيث يكرر "أبو ذر "قال: وقلت "وذلك لمزيد من التشويق ولمزيد من توصيل ما أخبر به رسول الله في إجابته من خلال وسيلة مشوقة، وهي -الحوار- عن طريق السؤال والجواب.

ويبدأ بالنداء والاستفهام: يا رسول الله: أي الأعمال أفضل، وقوله: أفضل يوحى بأن

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥١٨)، ومسلم (١٣٦/٨٤) واللفظ له، وتقدم برقم (١٢٨٩). أورده المنذري في ترغيبه (١٩٥١).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر ق ب).

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ن ف س).

الأعمال الصالحة يجمع بينها الفضل. ولكن هناك عمل فاضل وهناك عمل أفضل وصيغة "الجمع "في قوله الأعمال "توحي بأن الفضل لا يقتصر على عمل واحد محدد. ولكن الأفضلية تشمل أعمالاً كثيرة متنوعة والتعريف "في قوله: الأعمال "للعهد ولم يقل: الصالحات "لأن وصفها بالأفضلية يغنى عن وصفها بالصالحات والجمع بين الإيمان والجهاد في كلام رسول الله. . إرشاد إلى قيمة الجهاد وفضله وحث لكل مسلم أن يكون نضاله وكفاحه وقتاله محصناً بقوة الإيمان والدفاع عن رايه الإسلام. وقيل "العطف للاشتراك في أصل الأفضلية وإن تفاوتا فيها.

والسؤال الثاني: أي الرقاب أفضل، فيه إشارة وتوجيه لكل مسلم حيث يختار أفضل ما عنده في مجال الصدقة، والعتق، والهبة وغير ذلك وحدد رسول الله ﷺ: معيار الأفضلية فقال "أنفسها عند أهلها وأكثرها ثمناً: أي أجودها شكلاً. . وقوة. . وأعلاها ثمناً ومجيء هذين الوصافين في صيغة التفضيل يوحى بضرورة الانتقاء. . والاختيار بعد التأني والفحص وصولاً لمعرفة الأجود والأبهى والأحسن والأغلى كما قال سبحانه وتعالى "لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ".

فقه الحديث

يشير الحديثان إلى عدة أحكام منها:

١- النهي عن التعيير وتنقيص الآباء والأمهات وأنه من أخلاق الجاهلية[١].

٢- أجمع المسلمون على استحباب إطعام السيد مملوكه مما يطعم وإلباسه مما يلبس[٢].

٣-أجمع العلماء على أنه لا يجوز أن يكلف السيد عبده من العمل ما لا يطيقه فإن كلفه لزمه إعانته بنفسه أو بغيره[٣].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١/١٣٢-١٣٣.

(٢) المرجع السابق ١١/١٣٢.

(٣) المرجع السابق ١١/١٣٣.

٤- حكم نفقة المملوك على سيده: أجمع الفقهاء على أن نفقة المملوك تجب على سيده وكذا كسوته وأنها تكون من غالب قوت البلد، وأنها مقدرة بالكفاية لأن وجوبها للكفاية فتقد بقدر الكفاية كنفقة الأقارب[1].

المضامين الدعوية[2]

(١) حاشية رد المحتار ٢٣٦/٣، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٣٩/٤، ٤٠، الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٧٠/٢، حاشية الصاوي ٧٤٩/٢-٧٥٠، مغني المحتاج إلى معرفة معاني الفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٠٣/٥، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ٤٥٣/٣، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٨٨/٥، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٦٥٣/٥.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على إكرام الإنسان وتكريمه:

تتباهى الدول وتتفاخر الشعوب بما حققته وتحققه فيما يتعلق بإكرام الإنسان وتكريمه وتشريفه، وتجدها تدعو غيرها إلى أن تحترم الكرامة الإنسانية وتعامل الإنسان بما يليق به ويجدر أن يعامل به، وتجد بعض الكُتَّاب يقسم العالم حسب احترامه لهذه الكرامة وتقديرها، فيصف الدول التي تعتني بذلك بأنها دول حضارية مدنية راقية، على حين تنال الأخرى وصف البدائية الجافية غير الراقية والمتخلفة.

والحق الذي لا مراء فيه ولا جدال، أن الإسلام أولى إكرام الإنسان عناية فائقة واهتم بذلك اهتمامًا بالغًا، وسن من التشريعات ما يعمل على تحقيق ذلك على أرض الوجود، ويحفظه من كل صور الاعتداء والتعدي والمحو والإزالة، ومن أصدق الأدلة على ذلك ما رغَّب الشرع فيه، من عتق العبيد والإماء وإعطائهم حريتهم وجعلهم أحرارًا يعيشون كما يعيش الأحرار ويحيون كما يحيون، ويكون أولادهم أحرارًا لا عبيدًا ملاكًا لا مملوكين متصرفين لا متصرفًا فيهم، حاكمين لا محكومين، يملكون إرادتهم لا يُملكون هم وإرادتهم، كما أن الشرع الحنيف ليُحَقِّق هذه الغاية النبيلة قد ضيق من طرق الاسترقاق ووسع من دائرة العتق، لأنه يتشوف ويتطلع إلى إعطاء الناس حرياتهم، ولذا فتح المجال واسعًا لعتق العبيد والإماء، فجعل الإمام والحاكم يتصرف في ذلك بحسب ما يراه من مصلحة ونفع، وجعل قسمًا من الكفارات يقوم على عتق الرقاب، فضلاً عن ترغيبه في العتق المطلق، ولم يكتف بذلك فحسب بل أنزل كذلك من أُعتق منزلته وأعطاه ما يستحقه من كرامة ومكانة، كأنه لم يكن قبل ذلك عبدًا ومملوكًا، إن بعض من كان مملوكًا أصبح له مكانة لا تخفى في تاريخ الإسلام، إن الصحابي الجليل بلالاً رضي الله عنه كان عبدًا لأمية بن خلف، فاشتراه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأعتقه، وأبلى بلال رضي الله عنه في الإسلام بلاءً حسنًا وأنزله رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة كبيرة فجعله مؤذنه، حتى عُرف بأنه مؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم، وكذلك أنزله الصحابة منزلة عالية، فهذا الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: (أبو بكر سيدنا

وأعتق سيدنا يعني بلالاً)[1]، هذا على مستوى الأفراد، أما على مستوى الجماعات والدول فإن المماليك قد حكموا مصر والشام مدة طويلة من الزمن فيما يعرف بدولة المماليك، وأصبحوا هم يحكمون الأحرار والسادة، وقد أبلوا في الدفاع عن الإسلام والمسلمين بلاءً حسنًا.

إن دولة تكرم مماليكها، فتجعلهم حكامها وقادتها، لدولة حريصة على إكرام الإنسان والعمل على تكريمه.

والسؤال هنا: إذا كان الرِّق قد أُلْغِي الآن واتفقت دول العالم على منعه وإلغائه، فكيف نفعّل ما رغّب فيه الإسلام من العتق وإعطاء الحرية؟

لعلّ الجواب في ذلك يتمثل في أنه إذا كانت الدول المعاصرة اتفقت على إلغاء الرق ومنعه، إلا أن هناك صورًا قد ظهرت أشدّ وأقسى منه، بل لا يكاد يقارن بها في بشاعتها وإجرامها، من تلك الصور: المتاجرة بالفتيات الصغيرات والشابات، وإدخالهن إلى عالم المتعة الحرام، وإكراههن على امتهان البغاء وتسخيرهن في الترفيه الحرام، وجعل أجسادهن وشرفهن سلعة تدر بلايين الدولارات، وتدريبهن على فنون إغواء الرجال وإسقاطهن في حبائلهن، فيما يعرف ذلك كلّه بالرقيق الأبيض. والذي أصبح له مؤسساته الضخمة وشبكاته المعقدة التي تتعمد سرقة أعمار الصغيرات وسرقتهن أنفسهن، وقذفهن في دائرة هذه التجارة القذرة.

ومن الصور التي لا تقلّ بشاعة عن سابقتها: شراء الأطفال من الدول الفقيرة المدقعة الفقر، ونقلهم إلى الدول الغنية، لكي تؤخذ أعضاؤهم الجسدية وتزرع في أجساد المرضى الأغنياء بدون أدنى إحساس من شفقة ورحمة، فإنهم يميتون الزهور البريئة من أجل إحياء هؤلاء المرضى، وهم في الأغلب الأعم كبار من السن، من أجل إحيائهم بضع سنوات قليلات معدودات.

أليس في هاتين الصورتين من البشاعة والإجرام، ما لم يكن في الرق؟ من تقييد وحرمان للحرية؟

---

(١) أخرجه البخاري ٢٧٥٤.

إنا نظن أنه لا مجال للمقارنة والسؤال هنا: ما الذي نستفيده من تربية الناشئة وغيرهم على إكرام الإنسان وتكريمه أمام هاتين الصورتين البشعتين وغيرهما؟

إننا نستفيد ما يلي:

أ. أن ينفروا من ذلك أشد النفور ويَغْضَبُوا لله عز وجل، ويمنعوا ذلك أشد المنع بكل طريقة ووسيلة ممكنة، من سن التشريعات وملاحقة المجرمين وإلحاق الجزاء الذي يستحقونه بهم، وإنقاذ هذه الأزهار البريئة من هذا الوحل وهذا المستنقع الآسن.

ب. أن يكونوا نماذج حيّة لإكرام الإنسان وعمل ما يستطاع لإكرامه وتشريفه، وجعله يعيش الحياة الكريمة التي تليق بهذا المخلوق الذي كرمه الله وفضله على كثير من خلقه.

جـ. أن يهتموا بالكرامة الإنسانية ويقدموها على غيرها وما سواها، ولا يفعلوا كما يفعل بعضُ أهل الغرب الذين يثورون ثورة عارمة على المسلمين بسبب أنهم يذبحون الأنعام من البقر والإبل والأغنام والماعز في عيدهم الأضحى، وتقربًا لله عز وجل، ويتهمون المسلمين بأنهم همجيون بربريون متخلفون لا يعرفون للحضارة معنىً ولا للمدنية مفهومًا، على حين أن هؤلاء الثائرين يسكتون سكوت المقبورين حينما يقتل الآلاف من المسلمين ظلمًا وعدوانًا وبدون وجه حق، بل تجد بعضهم يلتمس الأعذار لمن قام بهذه المذابح تحت دعوى حماية نفسه وقومه ووطنه.

إن هذا هو الخلل بعينه أن يقدم ما يتوهمه من مصلحة الحيوان على كرامة الإنسان وحياته، وعلاج هذا الخلل هو التربية على إكرام الإنسان وتكريمه.



٢٣٧- باب فضل الإحسان إلَى المملوك

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾[النساء: ٣٦].

الحديث رقم (١٣٦٢)

١٣٦٢- وعنِ المَعْرُورِ بن سُوَيْدٍ، قَالَ: رَأيْتُ أَبَا ذَرٍ ﷺ، وَعَلَيهِ حُلَّةٌ وَعَلَى غُلاَمِهِ مِثْلُهَا، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَذَكَرَ أنَّهُ قَدْ سَابَّ رَجُلاً عَلَى عَهْدِ رسول الله ﷺ، فَعَيَّرَهُ بِأُمِّهِ[١]، فَقَالَ النبيُّ ﷺ: **((إنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ هُمْ إخْوَانُكُمْ وَخَوَلُكُمْ جَعَلَهُمُ الله تَحْتَ ايديكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ[٢]))** متفقٌ عَلَيْهِ[٣].

ترجمة الراوي:

ابو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

غريب الألفاظ:

الحلة: واحدة الحُلَل، وهي برود اليمن، ولا تسمى حُلّة إلا أن تكون ثوبين من جنس واحد[٤].

خولكم: جمع خول وهو: حشم الرجل وأتباعه ويقع على العبد والأمة[٥].

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث يأتي في سياق حدث واقعي ومشهد حقيقي يترجم حرص الصحابة

---

(١) عند مسلم زيادة: (فأتى الرجل فذكر ذلك له).

(٢) عند مسلم زيادة: (عليه).

(٣) أخرجه البخاري (٣٠)، ومسلم (٤٠/١٦٦١) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٣٣٦٨).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ل ل).

(٥) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ و ل).

على إعلان المساواة في الحقوق والواجبات والحياة الكريمة بين السيد والمملوك، ويبدأ الحديث بالفعل "رأى "وهى بصرية وذلك ليدلل: المعرور بن سويد على أن الحدث حقيقي وليس مشهداً افتراضياً أو من محض الخيال القصصي والمساواة بين أبى ذر وغلامه من آثار توجيه النبي ﷺ ولومه لأبى ذر حين سابّ رجلاً وعيره بأمه السوداء، وتنكير قوله: رجلاً لعدم تحديد الشخص المقصود وهو معروف فهو "بلال - الصحابي الجليل "والتنكير هنا ليس للتقليل من مكانة بلال ولكنه مراعاة لمكانة هذا الصحابي الجليل وعدم إقحام اسمه في هذا الموقف "المشين "ولأن العبرة بعمومية الحكم وليس لخصوصية السبب والتأكيد في بداية كلام رسول الله ﷺ لشدة التقريع وشدة النكير على هذا الصنيع وكلمة: جاهلية "تخفى في طياتها معالم وأوصاف وتصورات عديدة كلها ترفض القيم الفاسدة في المجتمع الجاهلي، وقوله: "هم إخوانكم وخولكم "يتضمن الجناس والتشابه بين هاتين الصفتين في اللفظ. وهذا التشابه اللفظي هو ترجمة للتشابه في الحقيقة فهم إخوة ينسبون لأب واحد هو آدم، وأم واحدة هي حواء.

ومعنى قوله: خولكم: أي بيدهم إصلاح الأمر والقيام بالأعمال لأنهم يخولونهم في ذلك أي يكلفونهم به وهذا التجانس اللفظي: يتسق مع جو الحديث: فالناس كلهم سواسية لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى وضمير الخطاب المتصل في الكلمتين "كم "فيه إيحاء كذلك بضرورة المساواة والتواصل وعدم الانفصال والتمايز بدافع من الإحساس بالتفوق القبلي أو اللوني أو الشعور بالسيادة والحرية في مقابل الملكية والعبودية، وقوله: جعلهم الله تحت أيديكم، فيه إشعار بأن هذا قدر الله في هذا المملوك وليس للسيد الحر أفضلية في هذا الفضل والواجب عليه أن يفوز بالفضل وأن يعتق أنفس ما عنده وأغلاها ثمناً من الرقاب: ابتغاء مرضاه الله عز وجل وتمم الحديث بثلاث جمل - تمثل توجيهات نبوية وتعاليم إسلامية لترشيد السلوك الأمثل في هذا الباب الجملة الأولى شرطية وجوابها جاء في صيغة الأمر الواجب تنفيذه وقوله: كان "أخوه" ولم يقل كان "غلامه أو مملوكه" إشارة إلى أن المؤمنين جميعاً إخوة متساوون

(فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس) ثم جاء النهي والتحذير في قوله "ولا تكلفوهم ما يغلبهم، للحث على الرحمة والشفقة والعطف على هؤلاء الذين جعلهم الله تحت أيدي سادتهم والشرط في قوله: فإن كلفتموهم فأعينوهم "للحث على الرفق بهؤلاء وإعانتهم، وأداة الشرط "إن "لتعطى مساحة للاختيار والتخفيف في التكليف من آن لآخر لأنها ليست لليقين، وصدق رسول الله حين قال: للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف و لا يكلف من العمل ما لا يطيق "رواة أبو هريرة.

فقه الحديث

يشير الحديث إلى عدة أحكام منها:

١- فضيلة ظاهرة للملوك المصلح وهو الناصح لسيده القائم بعبادة ربه المتوجهة عليه والقائم بحقوق سيده وأن له أجرين لقيامه بالحقين ولانكساره بالرق[1].

٢- فضيلة من آمن من أهل الكتاب بنبينا ﷺ، وأن له أجرين لإيمانه بنبيه قبل النسخ، ولإيمانه بنبينا ﷺ[2].

٣- فضيلة من أعتق مملوكه وتزوجها وليس هذا من الرجوع في الصدقة في شيء بل هو إحسان إليها بعد إحسان[3].

٤- أن المملوك لا جهاد عليه ولا حج لأنه غير مستطيع[4].

٥- حكم وجوب الحج على العبد: اتفق الفقهاء على عدم وجوب الحج على المملوك، لأن من شروط وجوب الحج الاستطاعة ولا استطاعة بدون ملك الزاد والراحلة، ولا ملك للعبد لأنه مملوك[5].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٨٩/٢، ١٣٥/٢-١٣٦.

(٢) المرجع السابق ١٨٩/٢.

(٣) المرجع السابق ١٨٩/٢.

(٤) المرجع السابق ١٣٦/١١، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢١٥/٥.

(٥) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٢٠/٢، الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٣٥٠/١، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ٤٤٤/١، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٢٦٧/٢.

٦- حكم وجوب الجهاد على المملوك: اتفق الفقهاء على عدم وجوب الجهاد على المملوك لأنه مشغول بحق سيده، وحق السيد مقدم على حق الله تعالى[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل أبي ذر رضي الله عنه.

ثانيًا: من واجبات الداعية: بيان أخطاء المدعو وتوجيهه.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحث على الإحسان إلى الخدم والعمال.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل أبي ذر رضي الله عنه:

حيث جاء في الحديث: (رأيت أبا ذر رضي الله عنه وعليه حلة وعلى غلامه مثلها)، وأبو ذر رضي الله عنه له فضل عظيم، قال ابن عبدالبر: "وأبو ذر الغفاري رضي الله عنه اختلف في اسمه والأكثر والأصح أنه جندب بن جنادة هو من كبار الصحابة رضي الله عنهم قديم الإسلام يقال: أسلم بعد أربعة فكان خامسًا ثم انصرف إلى بلاد قومه أقام بها حتى قدم على النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، قال علي رضي الله عنه: وعى أبو ذر علمًا عجز الناس عنه، ثم أوكأ عليه فلم يخرج شيئًا منه، وقال أبو ذر رضي الله عنه: لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكرنا منه علمًا"[٢].

قال الذهبي: "وأبو ذري الغفاري أحدُ السابقين الأولين، من نُجباء أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم. قيل: كان خامسَ خمسة في الإسلام. ثم إنه رُدَّ إلى بلاد قومه، فأقام بها بأمر النبي صلى الله عليه وسلم له بذلك، فلما أن هاجر النبيُّ صلى الله عليه وسلم، هاجر إليه أبو ذر رضي الله عنه، ولازمه، وجاهد معه. وكان يُفتي في خلافة أبي بكر، وعمر، وعثمان. وكان رأسًا في الزهد، والصدق ، والعلم والعمل، قوالاً بالحق، لا تأخذُه في الله لومةُ لائم، على حِدَّة

---

(١) حاشية رد المحتار ١٢٥/٤، الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٣٩٥/١، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ١٧٦/٤، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٥٠٠/٢.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ص ٨٠٠.

فيه. وقد شهد فتحَ بيت المقدس مع عُمر. وعن أبي معشر السِّندي: كان أبو ذر يتألّهُ في الجاهلية، ويوحِّدُ، ولا يعبدُ الأصنام. قال الواقدي: كان حاملَ راية غِفار يومَ حُنين أبوذر. وكان يقولُ: أبطأتُ في غزوة تبوك، من عَجَف بعيري. عن أبي سلمة، مرسلاً: أن النبيَّ ﷺ قال: ((اللهم اغْفِر لأبي ذَرَ وتُب عَلَيهِ)). وعن هانئ بن هانئ أنه سمع عليًا يقول: أبو ذر وعاء مُلئ علمًا أوكى عليه، فلم يخرج منه شيئ حتى قبض، ويروى عن النبي ﷺ: إنه لم يكن نبي إلا وقد أعطي سبعة رفقاء ووزراء وإني أعطيت أربعة عشر فسمى فيهم أبا ذر. وعن ثعلبة بن الحكم عن علي قال: لم يبق أحد لا يبالي في الله لومة لائم غير أبي ذر ولا نفسي ثم ضرب بيده على صدره"[1].

وقال ابن حجر: "كان من السابقين إلى الإسلام، وكان طويلاً أسمر اللون نحيفًا، وقال أبو قلابة عن رجل من بني عامر: دخلت مسجد منى فإذا شيخ معروق آدم عليه حلة قطري فعرفت أنه أبو ذر بالنعت وكانت وفاته بالربذة سنة إحدى وثلاثين وقيل: في التي بعدها وعليه الأكثر ويقال إنه صلى عليه عبدالله بن مسعود رضي الله عنه"[2].

ثانيًا- من واجبات الداعية: بيان أخطاء المدعو وتوجيهه:

حيث جاء في الحديث: (فذكر أنه سابّ رجلاً على عهد رسول الله ﷺ فعيره بأمه فقال النبي ﷺ إنك امرؤ فيك جاهلية هم إخوانكم)، ولا شك أن من أهم واجبات الداعية تنبيه المدعو إلى أخطائه وبيانها له حتى لا يكررها ويوجهه إلى الأفضل والأحسن والأكمل، وهذا ما حدث من إمام الدعاة ﷺ.

قال النووي: "وقوله: (فيك جاهلية)، أي: هذا التعبير من أخلاق الجاهلية ففيك خلق من أخلاقهم وينبغي للمسلم أن لا يكون فيه شيء من أخلاقهم ففيه النهي عن التعيير وتنقيص الآباء والأمهات وأنه من أخلاق الجاهلية"[3].

ولقد كان هذا هدي النبي ﷺ دائمًا ومما يدل على ذلك ما جاء عن جابر رضي الله عنه

---

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ١/١٣٢٨ – ١٣٣٤ بتصرف.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ص ١٤٦٦.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٠٥٨.

قال: خَرَجْنَا في سفَرٍ فأصابَ رَجُلاً مِنَّا حَجَرٌ فَشَجَّهُ في رَأْسِهِ ثُمَّ احْتَلَمَ فَسَأَلَ أصْحَابَهُ، فقال: هَلْ تَجِدُونَ لِي رُخْصَةً في التَّيَمُّمِ؟ فقالوا: مَا نَجِدُ لَكَ رُخْصَةً وَأَنْتَ تَقْدِرُ عَلَى المَاءِ، فَاغْتَسَلَ فَمَاتَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أُخْبِرَ بِذَلِكَ فقال: ((قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ الله ألاَّ سَأَلُوا إذْ لَمْ يَعْلَمُوا فإنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ، إنَّمَا كَانَ يَكْفِيهِ أنْ يَتَيَمَّمَ وَيَعْصِرَ أَوْ يَعْصِبَ - شَكَّ مُوسَى - عَلَى جُرْحِهِ خِرْقَةً ثُمَّ يَمْسَحُ عَلَيْهَا وَيَغْسِلُ سَائِرَ جَسَدِهِ))[1].

ومما يدل على ذلك أيضًا ما جاء عن أبي قلابة، عن رجل من بني عامر قال: دَخَلْتُ في الإسْلاَمِ فأهَمَّنِي دِينِي، فأتَيْتُ أبَا ذَرٍ، فقالَ أبُو ذَرٍّ: إنِّي اجْتَوَيْتُ المَدِينَةَ، فأمَرَ لي رسولُ الله ﷺ بِذَوْدٍ وَبِغَنَمٍ فقال لِي اشْرَبْ مِنْ أَلْبَانِهَا (قال حَمَّادٌ: وَأَشُكُّ في أبْوَالِها هذا قول حماد) فقال أبُو ذَرٍّ: فَكُنْتُ أعْزُبُ[2] عن المَاءِ وَمَعِي أهْلِي فَتُصِيبُنِي الْجَنَابَةُ فأُصَلِّي بِغَيْرِ طُهُورٍ، فأتَيْتُ رسولُ الله ﷺ بِنِصْفِ النَّهَارِ وَهُوَ في رَهْطٍ مِنْ أصْحَابِهِ وَهُوَ في ظِلِّ المَسْجِدِ، فقال ﷺ: أبُو ذَرٍّ؟ فقلت: نَعَمْ هَلَكْتُ يا رسولَ الله. قال: وَمَا أهْلَكَكَ؟ قُلْتُ: إنِّي كُنْتُ أعْزُبُ عن الْمَاءِ وَمَعِي أهْلِي فَتُصِيبُنِي الْجَنَابَةُ فأُصَلِّي بِغَيْرِ طُهُورٍ، فأمَرَ لي رسولُ الله ﷺ بماءٍ، فَجَاءَت بِهِ جَارِيَةٌ سَوْدَاءُ بِعُسٍّ[3] يَتَخَضْخَضُ مَا هُوَ بِمَلآنٍ فَتَسَتَّرْتُ إلَى بَعِيرِي فَاغْتَسَلْتُ ثُمَّ جِئْتُ، فقال رسولُ الله ﷺ: ((يَا أبَا ذَرَ إنَّ الصَّعِيدَ الطَّيِّبَ طَهُورٌ وَإنْ لَمْ تَجِدِ الْمَاءَ إلَى عَشْرِ سِنِينَ، فَإِذَا وَجَدْتَ الْمَاءَ فأَمِسَّهُ جِلْدَكَ))[4].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الحث على الإحسان إلى الخدم والعمال:

حيث جاء في الحديث: (فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس)، وفي هذا حث على الإحسان، قال أبو البقاء الكفوي: "الإحسان هو فعل الإنسان ما ينفع غيره بحيث يصير الغير حسنًا به كإطعام الجائع أو يصير الفاعل حسنًا

---

(١) أخرجه ابو داود ٣٣٦، وحسنه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٣٢٥).

(٢) أعزُبُ: ابعد، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ز ب).

(٣) عس: المراد القدح الكبير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع س س).

(٤) أخرجه ابو داود ٣٣٣، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٣٢٢).

بنفسه"[١]، والإحسان من خلق النبي ﷺ، فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال في خطبة له: (إِنَّا وَاللَّهِ قَدْ صَحِبْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، وَكَانَ يَعُودُ مَرْضَانَا، وَيُشَيِّعُ جَنَائِزَنَا، وَيَغْزُو مَعَنَا، وَيُوَاسِينَا بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ)[٢]، قال ابن حجر: "وكان أبو ذر رضي الله عنه بعد ذلك يساوي غلامه في الملبوس وغيره أخذًا بالأحوط وإن كان لفظ الحديث يقتضي اشتراط المواساة لا المساواة وقد أخرج الطبراني أنه كان لأبي ذر ثوب فشقه نصفين فأعطى الغلام نصفه فرآه النبي ﷺ فسأله، فقال: قلت يا رسول الله: أطعموهم مما تأكلون وألبسوهم مما تلبسون، قال: نعم"[٣].

قال القاضي عياض: "وفي الحديث النهي عن التعيير بنقص الآباء، كما نهى عن الفخر بذلك وأن الكل من فعل الجاهلية، وقوله: (فأطعموهم مما تأكلون، ألبسوهم مما تلبسون) حمله أبو ذر على ظاهره فكان يلبس غلامه مثل لباسه كما جاء في الحديث وهذا على الاستحباب قال بعضهم: وليس إطعامه من طعامه، ولباسه من لباسه على الإيجاب عند أحد من أهل العلم، ولا أنه يلزمه أن يطعمه من كل ما يأكل على العموم من الأدم وطيبات العيش، بل إن أطعمه من الخبز وما يقتاته كان قد أطعمه مما يأكل، لأن (من) للتبعيض وإن كان مستحبًا أن يستأثر على عياله بشيء دونهم، ويفضل نفسه في العيش عليهم. وقوله: (ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون فإن كلفتوهم فأعينوهم)، فيه الرفق بالمماليك، وألا يكلفوهم ما يفدحهم، فإن كلفوه أعينوا فيه حتى لا يفدح، قال الجمهور: هذا فرضه وحقه اللازم من طعام يكفيه، وكسوة تستره وتقيه الحر والبرد ولا يكلف ما يفدحه ويعنته"[٤].

وقال القرطبي: "وفي هذا الحديث حض على مكارم الأخلاق وإرشاد إلى الإحسان

---

(١) الكليات معجم المصطلحات والفروق الفردية، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري ص ٥٣.

(٢) أخرجه أحمد ٧٠/١، رقم ٥٠٤، وقال محققو المسند: إسناده حسن، ٥٣٢/١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ١٠٩/١.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٤٣٤/٥.

وإلى سلوك طريق التواضع حتى لا يرى لنفسه مزية على عبده إذ الكل عبيد الله، والمال مال الله، ولكن سخر بعضهم لبعض وملّك بعضهم بعضًا، إتمامًا للنعمة، وتقعيدًا للحكمة. وقوله: (فإن كلفتموهم فأعينوهم) أي إن أخطأتم فوقع ذلك منكم فارفعوا عنهم ذلك بأن تعينوهم على ذلك العمل، فإن لم يمكنكم ذلك فبيعوهم"[١].

وقوله ﷺ في الحديث: (ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم)، يدل على أهمية الرحمة والشفقة بالخدم والعمال، وقال الله تعالى عن نبيه ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾[٢]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[٣].

وأمر الله بالتواصي بالرحمة فقال: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾[٤].

ومن الرحمة ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَّخِذُ عِنْدَكَ عَهْدًا لَنْ تُخْلِفَنِيهِ. فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ. فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ آذَيْتُهُ، شَتَمْتُهُ، لَعَنْتُهُ، جَلَدْتُهُ. فَاجْعَلْهَا لَهُ صَلاَةً وَزَكَاةً وَقُرْبَةً، تُقَرِّبُهُ بِهَا إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[٥]، وجاء في الحديث عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ. ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ))[٦].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣٥٢/٤.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٣) سورة الفتح، آية: ٢٩.

(٤) سورة البلد، آية: ١٧.

(٥) أخرجه البخاري ٦٣٦١، ومسلم ٢٦٠١، واللفظ له.

(٦) أخرجه الترمذي ١٩٢٤، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ١٥٦٩).

الحديث رقم (١٣٦٣)

١٣٦٣ - وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قَالَ: ((إذَا أَتَى أحَدَكُمْ خَادِمُهُ بِطَعَامِهِ، فَإنْ لَمْ يُجْلِسْهُ مَعَهُ، فَلْيُنَاوِلْهُ لُقْمَةً أَوْ لُقْمَتَيْنِ أَوْ أُكْلَةً أَوْ أُكْلَتَيْنِ؛ فَإنَّهُ وَلِيَ عِلاَجَهُ)) رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الأُكْلَةُ: اللُّقمة[2].

الشرح الأدبي

ما أعظم هذا التوجيه النبوي الإنساني الراشد وما أجل أثره في تقريب المسافات بين بنى البشر، فلا تمايز إلا بالعمل الصالح ولا تفاضل إلا بالتقوى، وحين نتأمل معالم الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف نجد أسلوب الشرط ينتظم الحديث كله ما عدا الجملة الأخيرة ويبدأ الحديث بأداة الشرط إذا.. إعلانا عن تحقيق طاعة هذا الخادم (المملوك أو الأجير.) ففعل الإتيان متحقق وقدم المفعول هنا وهو "لفظ "أحدكم "على الفاعل وهو "خادمه "للإرشاد بأن "السيد "أو صاحب العمل أو صاحب الدار قد تحقق له ما يريد.. وعلية "حينئذ "أن يقوم بواجبه تجاه ذلك الخادم وإضافة لفظ "خادم "إلى "ضمير "الغيبة العائد إلى أحدكم "للإشعار بان هذا الخادم من رعية "المخدوم "فهو منتسب إليه.. فلا بد أن يحسن رعايته ومعاملته وقوله: فإن لم يجلسه معه "جمله شرطية أخرى "وأداة الشرط فيها "إن "وهى تتسق مع دلالة الحديث والغرض منه لأنها احتمالية وكأن عدم جلوس الخادم مع "سيده "سلوك غير مرغوب، وخلق غير محمود، والأولى جلوسه معه لما فيه من التواضع وعدم الترفع على المسلم وحين نتأمل "جواب

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٥٧) واللفظ له، ومسلم (١٦٦٣/٤٢).

(٢) رياض الصالحين ٤٣٧.

الشرط "فليناوله لقمة أو لقمتين أو أكلة أو أكلتين. نرى أنه مشترك بين الجملتين السابقتين حيث وردت أداة الشرط مرتين وورد فعل الشرط مرتين. وذلك لتأكيد السلوك الذي يجب أن يُتَّبع أو أن التقدير في الحديث "إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه. . فليجلسه معه، . . وحينئذ يكون جواب الشرط محذوفاً من باب بلاغة الحذف. . ولإعطاء الحرية للمخدوم في مزيد من العطاء والعطف على هذا الخادم، ولذلك يرد التأكيد الذي يعلل ذلك السلوك ويعطى للخادم قدره ودوره في إنجاز ما كلف به، حيث يقول: فإنه ولى علاجه: أي مزاوله العمل المكلف به بلا تقصير. وقيل: إن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا كان يذهب إلى العوالي في كل يوم سبت: فإذا وجد عبداً في عمل لا يطيقه وضع عنه منه. والله اعلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على الإحسان إلى الخدم والعمال.

ثانيًا: من أهداف الدعوة: الحض على التواضع وعدم التعالي.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الشرط.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الحث على الإحسان إلى الخدم والعمال:

حيث جاء في الحديث: (إذا جاء أحدكم خادمه بطعامه فإن لم يجلسه معه فليناوله لقمة أو لقمتين..)، ومما لا شك فيه أن هذا يدل على ضرورة الإحسان إلى الخدم والعمال.

قال ابن حجر: "وقوله: (فليناوله أكلة أو أكلتين)، أو للتقسيم بحسب حال الطعام وحال الخادم، ومقتضى ذلك أن الطعام إذا كان كثيرًا فإما أن يقعده مقعده وإما أن يجعل حظه منه كثيرًا.

وقوله: "فإنه ولي علاجه"، أي: عند تحصيل آلاته وقبل وضع القدر على النار ويؤخذ من هذا أن معنى الطباخ في حامل الطعام لوجود المعنى فيه وهو تعلق نفسه به بل يؤخذ منه الاستحباب في مطلق خَدَم المرء ممن يعاني ذلك، وفي هذا إشارة إلى أن للعين حظًا في المأكول فينبغي صرفها بإطعام صاحبها من ذلك الطعام لتسكن نفسه فيكون أكف لشره.

وقد نقل ابن المنذر عن جميع أهل العلم أن الواجب إطعام الخادم من غالب القوت الذي يأكل منه مثله في تلك البلد، وكذلك القول في الأدم والكسوة وأن للسيد أن يستأثر بالنفيس من ذلك وإن كان الأفضل أن يشرك معه الخادم في ذلك والله أعلم"[١].

وفي معنى الإحسان قال الإمام الراغب: "الإحسان فعل ما ينبغي فعله من المعروف وهو ضربان أحدهما: "الإنعام على الغير، والثاني: الإحسان في فعله، وذلك إذا علم علمًا محمودًا، وعمل عملاً حسنًا ومنه قول علي ﷺ: (الناس أبناء ما يحسنون). أي: منسوبون إلى ما يعلمون ويعملون"[٢].

وقال الكفوي: "الإحسان هو فعل الإنسان ما ينفع غيره بحيث يصير الغير حسنًا به كإطعام الجائع أو يصير الفاعل به حسنًا بنفسه"[٣].

قال محمد الغزالي: "ومن مواطن الرحمة أن نحسن معاملة الخدم، وأن نرفق معهم فيما نكلفهم من أعمال، وأن نتجاوز عن هفواتهم. وألا تُحَسَّ سطوة التصرف فيهم فنعبث بتسخيرهم فإن الله إذا ملّك أحدًا شيئًا فاستبد به وأساء، سلبه ما ملك وأعد له سوء المنقلب.

فعن أبي مسعود البدري: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلامًا لِي، فَسَمِعْتُ مِنْ خَلْفِي صَوْتًا ((اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ! لَلّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ)) فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هُوَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللّهِ، فَقَالَ: ((أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ، لَلَفَحَتْكَ النَّارُ، أَوْ لَمَسَّتْكَ النَّارُ))[٤].

وجاءه ﷺ رجل يسأله: كَمْ أَعْفُو عن الْخَادِمِ؟ فَصَمَتَ عَنْهُ النبيُّ ﷺ، ثم قالَ: يا رسولَ الله كَمْ أَعْفُو عن الْخَادِمِ؟ قالَ: ((كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً))[٥].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٩٥/٩.

(٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني في (ح س ن).

(٣) الكليات معجم المصطلحات والفروق الفردية، ابو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري ص ٥٣.

(٤) أخرجه مسلم ١٦٥٩.

(٥) أخرجه ابو داود ٥١٦٤، وصححه الألباني، (صحيح سنن ابي داود ٤٣٠١).

إن هناك رجالاً ونساءً ينتهزون فرصة ضعف الخدم فيوقعون بهم ألوان الأذى وقد رهب الإسلام من هذه الفظاظة وتوعد عليها[1].

إن الإسلام الحنيف جعل الخدم إخوان في الدين، ولذا حثّ على حسن معاملة الخدم والإحسان إليهم والرحمة بهم، "إن المدار في معاملة الخدم على المواساة والغرض أن تكون نفوسهم قانعة، وبحالهم راضية، وقد نهانا الرسول ﷺ أن نكلفهم من الأعمال ما يشق عليهم، ويَهدُّ من قوتهم، أو يستفرغ جهدهم، بل التكليف بالسهل المستطاع الذي لا يسأمه الخادم، فإن كلفناهم بالشاق وجب علينا أن نعينهم بنفوسنا أو بخدم إلى خدمنا والحديث نصر للعمال، وأخذ بيد الخادم والغلمان؛ ورفع لمستواهم وتنبيه لهم إلى حقوقهم قبل ساداتهم؛ وإرشاد لأرباب البيوت أن يقفوا منهم موقف العدالة. ولا يتناسوا رابطة الأخوة. ولا تبادل المنافع، وفيه النهي عن سباب الخدم وعدم التعرض لآبائهم وأمهاتهم بما يسوؤهم. أو يحط من قدرهم.

وبالجملة فهذا موقف الإسلام تجاه الأرقاء. وهذا حرصه على مصلحة العمال. فهل بعد هذا رقيٌّ في دين"[2].

ثانيًا- من أهداف الدعوة: الحض على التواضع وعدم التعالي:

حيث جاء في الحديث: (إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فإن لم يجلسه معه فليناوله).

قال القرطبي: "وفي الحديث أمر بتعليم التواضع، وترك الكبر على العبد، وهذا كان خلقه ﷺ فإنه كان يأكل مع العبد، ويطحن مع الخادم، ويشاركه في عمله ويقول: ((إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ، وأجلس كما يجلس العبد))[3]، وهذا كله أمر بمكارم الأخلاق، واستدراج للإيثار ونقيض ذلك: أخلاق البخلاء أهل

---

(١) خلق المسلم ٢١٠ - ٢١١.

(٢) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ٧٦.

(٣) أخرجه البغوي في شرح السنة ٢٤٨/١٣، وقال محققه: للحديث شاهد يتقوى به والهيثمي في المجمع ١٩/٩ وقال: رواه أبو يعلى وإسناده حسن، وهو في الصحيحة للألباني برقم ٥٤٤.

النهم والجشع"[١].

والحث على التواضع هدف رئيس من أهداف الدعوة الإسلامية، وقد أمر الله بالتواضع وخفض الجناح، فقال: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[٢]، وكان التواضع من وصايا لقمان الحكيم لابنه: ﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ﴾[٣]، وقال النبي ﷺ: ((وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللَّهُ))[٤]، وجاء في الحديث أيضًا أن رسول الله ﷺ قال: ((وَإِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لاَ يَفْخَرَ أَحَدٌ على أَحَدٍ، وَلاَ يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ))[٥]، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: أَحِبُّوا الْمَسَاكِينَ. فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: ((اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا، وَأَمِتْنِي مِسْكِينًا، وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[٦]. وعن أنس رضي الله عنه أنه مرّ على صبيان فسلم عليهم وقال:كان النبي ﷺ يفعله) [٧].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الشرط:

حيث جاء في الحديث: (إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فإن لم يجلسه معه فليناوله لقمة)، وأسلوب الشرط من أساليب الدعوة التي تلفت انتباه المدعو وتشده إلى معرفة جواب الشرط وتبين له ارتباط الشرط بالجزاء، ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الشرط قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣٥٣/٤ - ٣٥٤.

(٢) سورة الحجر، آية: ٨٨.

(٣) سورة لقمان، آية: ١٨.

(٤) أخرجه مسلم ٢٥٨٨.

(٥) أخرجه مسلم ٢٨٦٥.

(٦) أخرجه الترمذي ٢٣٥٢، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ١٩١٧).

(٧) أخرجه البخاري ٦٢٤٧ واللفظ له ومسلم ٢١٦٨.

ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴾[1].

وفي الحديث اشترط النبي ﷺ أن الخادم إذا أتى بطعام لسيده فإما أن يجلسه معه، وإما أن يناوله لقمة.

(١) سورة النصر، الآيات: ١ - ٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على تنفيذ ما جاء به الشرع:

لقد بعث الله تعالى رسوله ﷺ ليطاع ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ﴾[1]، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم أسرع الناس طاعة لرسولهم وأخلص امتثالاً لذلك، بل إن بعضهم كان يزيد في الامتثال والطاعة، فهذا أبو ذر رضي الله عنه تأخذه الطبيعة البشرية ويسبّ رجلاً [2] فعيّره بأمه، فيلومه النبي ﷺ على ذلك ويقوم له: (إنك امرؤ فيك جاهلية) ثم يبين له كيف تكون معاملة الرقيق والخدم، فوصفهم ﷺ بأنهم إخوانكم وخولكم، ومنّ الله عليكم بأن جعلهم تحت أيديكم، لذا "فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم".

فماذا فعل أبو ذر رضي الله عنه بعد هذا التوجيه النبوي الشريف؟ كان يُلبس رقيقه مثل ما يلبس، مع أن "المراد - كما يقول ابن حجر- المواساة من كل جهة، لكن من أخذ بالأكمل كأبي ذر فعل المساواة وهو الأفضل"[3]، أي إن أبا ذر نفذ ما أرشده إليه النبي ﷺ وعمل به، بل عمل أفضل مما هو مراد ومطلوب، ليضرب المثل في حبّ التنفيذ والمسارعة إليه والطاعة وفعلها على الوجه الأفضل وعدم الاكتفاء بالوجه المطلوب والوقوف عنده، ويبدو أن هذه سمة أبي ذر رضي الله عنه فيما يتعلق بالرقيق، فعن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ أعطى أبا ذر قنا [أي عبدًا] فقال: ((ما لِي أَرَى ثَوْبَكَ هَكَذَا؟» قال: يا رسول الله، قلت: «أَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأكلونَ وَألبسوهم مما تلبَسُونَ» قال: «نَعَمْ» قلت: أعتقته، قال: آجَرَكَ الله يا أبا ذرٍ))[4].

---

(١) سورة النساء، آية: ٦٤.

(٢) قال ابن حجر في فتح الباري ٣/٢٦٥٩ : الرجل المذكور هو بلال المؤذن وكان اسمه حمامة.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/١٢٨٤، شروح الحديث ٢٥٤٥.

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٨/٨١٠٤، وقال الهيثمي في المجمع ٤/٢٣٧: مداره على أبي غالب وهو ثقة وقد ضعّف.

إن أبا ذر ﵁ يقدّم صورة مشرّفة لتنفيذ ما جاء به النبي ﷺ وأرشد إليه، وعلى ذلك ينبغي أن يربَّى الناشئة وغيرهم، فإن الشرع ما نزل إلا ليعمل به، وما جاء إلا ليطبق في دنيا الناس، والإيمان تختلف درجته ورتبته حسب سرعة الامتثال ودرجتها، إنه يمكن القول: إن الإسلام ما هو إلا تربية عملية، فلا هو بالتربية المجردة التي تعيش في عقول أصحابها ومعتنقيها، ولا تكاد ترى النور في أرض الواقع، ولا هو بالتربية المتغيرة التي تتغير ثوابتها بتغير الزمان والمكان والأحوال، ولا بالتربية الوقتية التي تصلح لوقت دون وقت، بل هي تربية مستمرة ومتواصلة إلى قيام الساعة، والذي يميز هذه التربية عن غيرها من التربيات أنها تربية طبقت في أرض الواقع، وحملها أصحابها في قلوبهم وتترجمها أعمالهم وأفعالهم ومعاملاتهم، وما ذلك إلا لأن أصحابها كانوا مطبقين لها منفذين، أَفْعَالُهم تطابق أقوالَهم، إذا أمرهم الشارع بأمر سارعوا إلى تنفيذه وبادروا وإذا نهاهم كانوا أسرع ما يكون إلى الاجتناب والابتعاد.

إن في تربية الناشئة على تنفيذ ما جاء به الشرع فيه من الفوائد التربوية الكثير التي منها:

أ- تحقيق مصلحتهم في الدنيا والآخرة، فالشرع ما جاء إلا تحقيق مصلحتهم ورفع المفسدة والضرر عنهم، فما أمر به الشرع فهو المصلحة وما نهى عنه هو المفسدة.

إن العالم الغربي الآن يستنكف أن يرى في العلاقات غير المشروعة بين الرجل والمرأة خروجًا على الفطرة السليمة، وخروجًا على الأعراف الطبيعية، بل يرى أن ذلك لا إثم فيه ولا حرج، فالأمر يحدده كل رجل وكل امرأة وأنه لا يجوز أن يعاقبا على فعلهما هذا، وأن هذا هو السبيل للتخلص من الكبت الذي تعاني منه الدول التي تحرم شعوبها مثل هذه العلاقات، فكان ماذا بعد إطلاق المجال للشهوات دونما رادع: انتشرت الأمراض الفتاكة التي تقتل الآلاف كالايدز ونحوه، واختفت الأسرة بمفهومها الطبيعي أو كادت تختفي، وعانت أوروبا من قلة المواليد إلى رجة مخيفة، حتى قدروا أنهم إن استمروا على ذلك لن تكون هناك شعوب أوروبية أصيلة على المدى الطويل، وغير ذلك من المفاسد التي نشأت عن الخروج على المنهج الإلهي الذي ينبغي إصلاح

البشر في الدنيا والآخرة، وعلى ذلك مشيى بقية المآسي التي تعاني منها المدنية الغربية.

ب- خلق التنافس فيما بينهم -أي الناشئة- في المبادرة إلى الامتثال وتنفيذ ما جاء به الشرع وشغلهم بهذه المنافسة وجعلهم يعيشون فيها ومعها في مختلف أوقاتهم بالليل والنهار، إن مجتمعًا ثقافته المنافسة والمبادرة إلى الخيرات، يختلف قطعًا عن مجتمع المبادرة فيه إلى تحصيل الأموال، وتجميع أقصى ما تصل إليه يد الإنسان، وبكل وسيلة ممكنة سواء كانت مشروعة أو غير مشروعة. إن المجتمع الأول لمجتمع سعيد طيب على حين أن المجتمع الآخر لمجتمع شقي خبيث. والطيب لا ينتج إلا طيبًا أما الخبيث فلا ينتج إلا أخبث منه.

ثانياً- التربية بالتوبيخ:

إذا كان أبو ذر ﷺ أساء إلى الرجل وعيّره بأمه، قال ابن حجر: (أي نسبه إلى العار، زاد [البخاري] في [كتاب الأدب]: وكانت أمه أعجمية فنِلْتُ منها[1]، وفي رواية: قلت له: يا ابن السوداء) [2]، فبين له النبي ﷺ أن ما قاله لا يجوز شرعًا، وأنه مذموم من قبل الشريعة فقال له: "إنك امرؤ فيك جاهلية"، قال ابن حجر: (أي خصلة من خصال الجاهلية، ويظهر لي أن ذلك كان من أبي ذر قبل أن يعرف تحريمه، فكانت تلك الخَصْلة من خِصَال الجاهلية باقية عنده، فلهذا قال -كما عند المؤلف [البخاري] في الأدب-: قلت: على ساعتي هذه من كبر السن؟ قال نعم[3]، كأنه تعجب من خفاء ذلك عليه مع كبر سنه، فبيّن له كون هذه الخصلة مذمومة شرعًا)[4].

وقال ابن حجر في موضع آخر: (والجاهلية ما كان قبل الإسلام، ويحتمل أن يراد بها هنا الجهل: أي أن فيك جهلاً)[5]. وايًا كان المعنى فإن فيه توبيخًا تربويًا من قبل النبي ﷺ - وهو المربي البصير- قصد به الإصلاح وعلاج الخطأ وتقويم السلوك لا

---

(١) صحيح البخاري الحديث ٦٠٥٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٩١/١.

(٣) صحيح البخاري الحديث ٦٠٥٠.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٩١/١.

(٥) المرجع السابق ٢٦٥٩/٣.

التشهير ولا الفضيحة، لذا أتى بثماره التربوية المبتغاة، وفهم أبو ذر ﷺ الرسالة التربوية حق الفهم وغيّر من سلوكه وأفعاله إلى الأحسن والأفضل "فكان بعد ذلك يساوي غلامه في الملبوس وغيره أخذًا بالأحوط، وإن كان لفظ الحديث يقتضي اشتراط المواساة لا المساواة"[١].

وفي هذا الحديث إرشاد لأهل التربية أن يستخدموا في تربيتهم التوبيخ إذا كان الموقف يتقضي ذلك وكان مناسبًا وملائمًا أن يُستخدم فيه، ولعل المربي يجني من وراء ذلك عدة فوائد تربوية مهمة، منها:

أ- تقويم سلوك الناشئة وغيرهم وعلاج ما يظهر من أخطاء في الممارسة والتعامل.

ب- تربيتهم على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو صمام أمن المجتمع وحمايته من الانحرافات والزيغ والضلالات والابتداعات والخرافات.

ج- التربية على الرجوع إلى الحق مهما كان الأمر، والتزامه والقيام بتبعاته ولوازمه من إصلاح السلوك والاعتذار إلى من يستحق أن يعتذر إليه وردّ الحقوق إلى أهلها والمسارعة إلى ذلك.

ثالثًا- التربية على تذكر قدرة الله:

عندما حضّ النبي ﷺ أبا ذر ﷺ على التعامل الحسن مع الخدم والرقيق، ذكّره بقدرة الله ونعمته عليه، وأنه سبحانه - لحكم يعلمها - جعلهم تحت أيدي من يخدمونهم وذلك بقدرته لا بقدرة أحد سواه سبحانه، وهذا لا يمنع أن يبدل الله عز وجل الأدوار فيجعل الخادم مخدومًا والمخدوم خادمًا، فإنه سبحانه يقدر على كل شيء، ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ ﴾[٢].

لذا كان على السادة والمخدومين أن يتذكروا فضل الله ونعمته عليهم أن سخر لهم من يكون تحت أيديهم ويخدمهم ويقضي لهم حاجاتهم ويقوم على شؤونهم من غير حول منهم ولا قوة، وإذا رسخ في أذهانهم ذلك عاملوا من كان تحت أيديهم من خدم وأعوان

---

(١) السابق ١/٢٩١.

(٢) سورة غافر، آية: ٦٨.

بما يستحقونه من رحمة وشفقة وعطف وحسن أدب، فلا يتطاولون عليهم ولا يعتدون عليهم سواء بالقول أم بالفعل أم بالإيماءات والإيحاءات والإشارات، لأن كل واحد من هؤلاء نفس كرمها الله وفضلها، ولكنه سبحانه إن مما هو شائع الآن أن يسيء أرباب البيوت إلى الخدم إساءات كبيرة ومتكررة تصل في بعض الأحيان إلى إحداث عاهات مستديمة أو إزهاق الأرواح، ولا يكتفون بذلك فحسب بل يغرسون أيضاً في نفوس أولادهم النظرة الدونية إليهم حتى يعتقدوا أنهم لا يستحقون إلا هذا من سوء معاملة وامتهان واحتقار.

وهذه صورة -وإن كانت شائعة- إلا أنها صورة سيئة جدًّا لا يرضى عنها الله ولا رسوله، "فقد جاء الشرع بالتسوية بين المسلمين في معظم الأحكام، وأن التفاضل الحقيقي بينهم إنما هو بالتقوى، فلا يفيد الشريف النسب نسبه إذا لم يكن من أهل التقوى، وينتفع الوضيع النسب بالتقوى كما قال تعالى: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}[1]"[2].

إن مما يجدى في التربية التذكير بقدرة الله على العبد وإن من العبارات ذات التأثير الكبير في الارتداع عن الظلم والطغيان العبارة المشهورة: إذا دعتك قدرتك إلى ظلم الناس فتذكر قدرة الله عليك، وتخطت هذه العبارة نطاق القول إلى الكتابة، فتجدها مكتوبة على كثير من سيارات النقل.

وهكذا يكون الإنسان: إذا كان صاحب مال فلا يضنّ به ويبخل على الفقراء لأن الله يقدر أن يسلبه منه ويعطيه إلى من يضن به عليهم، فيذوق مرارة الحاجة والفقر والعوز وذل السؤال والطلب.

ومن أعطاه الله قوة أو سلطانًا فلا يتجبر على الضعفاء والمساكين ويذيقهم الظلم والعدوان، لأنه سبحانه قادر على أن يجعله أضعف منهم وأقل شأنًا.

وقُلْ مثل ذلك في سائر النعم، لذا كان على الإنسان أن يحافظ عليها، وأول طريق لذلك هو تذكر فضل الله عليه وقدرته سبحانه في الإعطاء والمنع والإعزاز والإذلال ثم

---

(١) سورة الحجرات، آية: ١٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٢٦٥٩/٢..

يتلوه القيام بواجب الشكر، وهو استعمال هذه النعم فيما يرضي الله ولا يستعملها فيما يغضبه. وعلى ذلك ينبغي أن يربى الناشئة وغيرهم.



٢٣٨- باب فضل المملوك الذي يؤدي حق الله وحق مواليه

الحديث رقم (١٣٦٤)

١٣٦٤- عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: ((إنَّ العَبْدَ إِذَا نَصَحَ لِسَيِّدِهِ، وَأَحْسَنَ عِبَادَةَ اللهِ، فَلَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

في ظلال هذا الحديث تتحرك أشعة المسؤولية وشهب التكليف وأطياف الأمانة والعبد هنا هو صاحب المسؤولية، وهو الذي يحمل الأمانة فإذا قام بواجبة وهو يحسن العبادة ويطيع ربة. . فله الأجر مضاعفاً، ونظم الحديث وبعض كلماته وأسلوبه. . كل هذه المعالم تفيض بالمعاني المتسقة مع الأداء الأسلوبي فالحديث يبدأ بالتأكيد بإن "للإشعار بأهمية الأمر - واللام "في قوله: العبد "للجنس وللتعميم: فأي مملوك: كان ذكراً أو أنثى يصدق عليه ذلك - وأسلوب الشرط إذا نصح لسيده. .. الخ. يفيد أن الجزاء من جنس العمل والجزاء مؤكد محقق لأن هذا الوعد صادق من رسول الله، ولأن الذي يعطى الأجر ويضاعفه هو الله عز وجل - والله يضاعف لمن يشاء والعطف بالواو "في قوله: وأحسن عبادة الله.. لا يعنى ترتيب الأولويات ولكن يفيد مطلق الجمع -فالجمع بين إحسان العبادة والنصح للسيد هو المنهج الصحيح الذي يحكم العلاقة بين المملوك وسيده في الإسلام. وللألفاظ في اللغة العربية دلالتها وإشعاعها والفعل نصح "يتضمن الدلالة العميقة التي يرشد إليها الحديث الشريف "فالناصح في اللغة: هو الخالص من العلل وغيره- وكل شيء خلص فقد نصح، والنصح كذلك: نقيض الغش

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٤٦)، ومسلم (١٦٦٤/٤٣) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٢٨٠٧)..

ويقولون: رجل ناصح الجيب أي نقي الصدر ناصح القلب لا غش فيه، والأرض المنصوحة: الأرض المتصلة النبات بعضه ببعض، وقيل: نصح الغيث البلاد نصحاً: إذا اتصل نبتها فلم يكن فيه فضاء ولا خلل، وهذه الدلالات كلها تشع في أجواء الحديث ومقاصده: فقوله: نصح لسيده: أي قام منه قدر طاقته وحسب استطاعته وكان مخلصاً وصادقاً في المشورة والعمل وهذا السلوك ثماره كالعسل الصافي الخالص حيث يعم الخير - وينتشر الرخاء. . كالسحاب الذي يجود بالمطر. فتصبح الأرض مخضرة وينعم بخيراته البلاد والعباد. والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل المملوك الذي يؤدي حق الله وحق مواليه.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

رابعًا: من حكمة المدعو: الموازنة بين الأعمال.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: فضل أبي هريرة ﷺ.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

حيث جاء في الحديث: (إن العبد إذا نصح لسيده)، وأسلوب التوكيد من أساليب الدعوة التي تقنع المدعو ببيان مدى صدق الداعي فيما يقول وتأكيده لكلامه، ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب التوكيد قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا﴾[2]. وقوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾[3].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل المملوك الذي يؤدي حق الله وحق مواليه:

حيث جاء في الحديث: (فله أجره مرتين)، (للعبد المملوك المصلح أجران)، (المملوك

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٣٦٤- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٣٦٥، ١٣٦٦).

(٢) سورة الكهف، آية: ١٠٧.

(٣) سورة النبأ، آية: ٣١.

الذي يحسن عبادة ربه ويؤدي إلى سيده الذي عليه من الحق والنصيحة والطاعة له أجران)، ولا شك أن هذا يدل على فضل العبد المملوك الذي يؤدي حق الله تعالى وحق مواليه.

قال القاضي عياض: "وقوله: (العبد إذا نصح لسيده وأحسن عبادة الله فله أجره مرتين)، وذلك أن جميع تصرف العبد غالبًا في امتثال الأوامر، إما لله وإما لمالكه، بخلاف الحر الذي يتصرف باختياره، فالعبد طائع لمولاه بما ملكه الله من منافعه، وطاعته له طاعة لله، فأجره أبدًا متصل، فإما أن يكون التضعيف المراد به كثرة الأجور وزيادتها على أجر الحر، أو يكون على وجه التضعيف المعروف في أجر العمل الواحد من طاعة الله تعالى، بما امتحن به من الرق وربقة العبودية، تفضلاً من الله تعالى عليه كما ضعف ذلك لأسباب أخر من المرض، والمقام بالمدينة وغير ذلك.

وقول أبي هريرة رضي الله عنه في هذا الحديث: (لولا الجهاد في سبيل الله وبر أمي، لأحببت أن أموت وأنا مملوك) ودليل على أنه لا يلزم العبد جهاد ولا حج حال عبوديته؛ لأنه غير مالك لنفسه، ولا له خروج عن مصالح سيده وهو غير مستطيع بالملك الذي لزمه ولا للجهاد، إلا أن ينزل العدو ببلد فيتعين الجهاد على كل من فيه بقدر طاقته من عبد وحر.

وقوله: (وبر أمي): فيه حجة أنه لا يلزم العبد النفقة على والديه ولا شيء من مؤنتهما لاستحقاق سيده رقبته وماله، وأما ما يلزمه لها من البر بالقول والملاطفة وخفض الجناح فيستوي فيه الحر والعبد، فأبو هريرة -والله أعلم- أراد ما يلزمه من السعي عليها والإلطاف لها والإحسان الذي لا يتفق مع العبودية.

وقد يكون مراد أبي هريرة بهذا كله تعظيم أجر الحج والجهاد وبر الوالدين وأن الأجر فيها ذلك أعظم من أجر العبودية، وأن بالعبودية لا يصل إلى شيء من ذلك، لمنعه من الحج والجهاد، وتغريبه عن والدته، فلا يصل إلى شيء من برها، ألا تراه كيف قال في الحديث: (وبلغنا أن أبا هريرة لم يكن يحج حتى ماتت أمه لصحبتها)؛ لأن بر الأم، وصحبتها والقيام بها فرض متعين، وأبو هريرة قد كان قضى حجة، وحجه بعد ذلك إنما كان نافلة، فقدم الفرض من بر أمه على فضل الحج، وقد قال مالك: (لا يحج

أحد إلا بإذن أبويه إلا الفريضة فيخرج ويدعهما. وقال أيضًا لا يعجل عليهما في غير الفريضة وليستأذنهما العام والعامين.

وقول كعب في هذا الحديث: (ليس عليه حساب ولا على مؤمن مزهد)، قال الإمام: يعني بالمزهد: القليل المال، يقال: أزهد الرجل يزهد إزهادًا: إذا قل ماله، قال الأعشى:

فلن يطلبوا سرها للغنى ولن يسلموها لإزهادها

فالإزهاد قلة المال. والسر في هذا البيت يعنى به النكاح، والشيء الزهيد هو القليل.

معنى قول كعب: (ليس عليه حساب): أي ليس على عبد أدى حق الله وحق سيده حساب؛ لكثرة أجره، فإما أن يقولها كعب عن توقيف عنده، وأن هذا مما خص بذلك كما خص به السبعون ألفًا المذكورون في الحديث ومن خص بذلك من غيرهم، أو يكون اجتهادًا منه لتخفيف حسابه، فكان كمن لم يحاسب لغلبة حسناته وكثرتها، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾[1][2].

هذا وقد مدح النبي ﷺ العبد الذي يتمكن من أداء حق الله وحق سيده، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: ((نِعِمَّا لِلْمَمْلُوكِ أَنْ يُتَوَفَّى، يُحْسِنُ عِبَادَةَ اللَّهِ وَصَحَابَةَ سَيِّدِهِ، نِعِمَّا لَهُ))[3].

وقال القرطبي: "وقول أبي هريرة: (لولا الجهاد، والحج، وبر أمي لأحببت أن أموت وأنا مملوك) تصريح: بأن العبد لا يجب عليه جهاد، ولا حج. وهو المعلوم من الشرع؛ لأن الحج، والجهاد لا يخاطب بهما إلا المستطيع لهما. والعبد غير مستطيع. إذ لا استقلال له بنفسه، ولا مال؛ إذ لا يملك عند كثير من العلماء، وإن ملك عندنا فليس مستقلاً بالتصرف فيه. ويظهر من تمني أبي هريرة رضي الله عنه كونه مملوكًا: أنه فضَّل العبودية على

---

(١) سورة الانشقاق الآيات: ٧ - ٩.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٥/٤٣٦ - ٤٣٨.

(٣) أخرجه مسلم ١٦٦٧.

الحرية. وكأنه فهم هذا من مضاعفة أجر العبد الصالح. وهذا لا يصح مطلقًا؛ فإن المعلوم من الشرع خلافه، إذ الاستقلال بأمور الدين والدنيا إنما حصل بالأحرار. والعبد كالمفقود لعدم استقلاله، وكالآلة المصرّفة بالقهر، والبهيمة المسخّرة بالجبر. ولذلك سُلب مناصب الشهادات، ومعظم الولايات، ونقصت حدوده عن حدود الأحرار، إشعارًا بخسة المقدار.

وكونه: له أجره مرتين؛ إنما ذلك لتعدد الجهتين، لأنه مطالب من جهة الله تعالى بعبادته، ومن جهة سيده بطاعته، ومع ذلك فالحر وإن طولب من جهة واحدة؛ فوظائفه فيها أكثر، وغناؤه أعظم، فثوابه أكثر. وقد أشار إلى هذا أبو هريرة رضي الله عنه بقوله: (لولا الجهاد والحج وبر أمي لأحببت أن أموت عبدًا). أي: لولا النقص الذي يلحق العبد لفوات هذه الأمور"[1].

قال النووي: "وفيه فضيلة ظاهرة للمملوك المصلح وهو الناصح لسيده والقائم بعبادة ربه المتوجهة عليه، وأن له أجرين لقيامه بالحقين ولانكساره بالرق هذا وقد قال كعب رضي الله عنه: ليس عليه حساب ولا على مؤمن مزهد والمراد بهذا الكلام: أن العبد إذا أدى حق الله تعالى وحق مواليه فليس عليه حساب لكثرة أجره وعدم معصيته، وهذا الذي قاله كعب رضي الله عنه يحتمل أنه أخذه بتوقيف ويحتمل أنه بالاجتهاد لأن من رجحت حسناته وأوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا وينقلب إلى أهله مسرورًا"[2].

وقال ابن حجر: "والذي يظهر أن مزيد الفضل للعبد الموصوف بالصفة لما يدخل عليه من مشقة الرق، وإلا فلو كان التضعيف بسبب اختلاف جهة العمل لم يختص العبد بذلك، وقال ابن التين: المراد أن كل عمل يعمله يضاعف له، قال: وقيل: سبب التضعيف أنه زاد لسيده نصحًا وفي عبادة ربه إحسانًا فكان له أجر الواجبين وأجر الزيادة عليهما ولا يلزم من ذلك أن يكون أجر المماليك ضعف أجر السادات، وقد أجاب

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣٥٥/٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٠٦٠.

الكرماني عن ذلك فقال: لا محذور في ذلك فقد يكون أجره مضاعفًا من هذه الجهة وقد يكون للسيد جهات أخرى يستحق بها أضعاف أجر العبد أو المراد ترجيح العبد المؤدي للحقين على العبد المؤدي لأحدهما"[١].

إن الإسلام دين العدالة ولذا فهو يَعِد العبد المملوك بالأجر مرتين لقيامه بحق الله سبحانه، وحق سيده، (وهذا التكرار في الأجر للعبد لقيامه بعبادة ربه وخدمة سيده ولقيامه بواجب العبادة مع مشقات الرق ومتطلباته، وفي الحديث مواساة للعبيد وأصحاب المهن الحقيرة والخدم وغيرهم ممن يضيقون بأعمالهم وتبشيرهم بحسن الجزاء وتضعيف الأجر إن قاموا بواجبهم ولم ينحرفوا عما يجب أن يكونوا عليه، وفي هذه الأحاديث ما يدل على أن الإسلام لا يعرف الطبقية والتفريق بين الناس، وقد عالج الأوضاع السائدة في العالم حين وجد منها الرق، فحث على العتق وأزال من الرق مضمونه من التسخير والتحقير)[٢].

وقال ابن عثيمين: "إن المملوك إذا قام بحق الله وحق سيده كان له الأجر مرتين، الأجر الأول: لقيامه بحق الله، والثاني: لقيامه بحق سيده، لأن لله عليه حقًا كالصلوات والصيام وغيرهما من العبادات التي ليست مبنية على أمر مالي، وللسيد عليه حق وهو القيام بخدمته، وما إلى ذلك، فإذا قام بالحقين صار له أجران"[٣].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

حيث جاء في الحديث: (فله أجره مرتين)، (له أجران)، للعبد المملوك المصلح أجران)، وأسلوب الترغيب من الأساليب النافعة في حث المدعوين على الطاعة، وترغيبهم في الخير، "والترغيب هو التشويق للحمل على فعل أو اعتقاد أو تصور أو ترك خلافه، والترغيب يقوم على وعد بتحقيق منفعة، مقابل الالتزام بأداء أمر، أو اجتناب نهي، ويبرز أثر الترغيب بحسب درجة المنفعة التي سوف تحقق للملتزم، والإنسان مفطور

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٠٩/٥.

(٢) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٦٥٧ - ٦٥٨.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٤٦٣/٢.

على الإحساس باللذة والألم، وهو بذلك ميال إلى كل ما يحقق له اللذة، وعازف عن كل ما يسبب له الألم، ولهذا العامل تأثير كبير في تربية الإنسان وتوجيه سلوكه من خلال الترغيب والترهيب"[١].

ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الترغيب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[٢]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾[٣].

رابعًا- من حكمة المدعو: الموازنة بين الأعمال:

حيث جاء في الحديث: (إذا نصح لسيده وأحسن عبادة الله)، وقوله: (لولا الجهاد في سبيل الله والحج وبر أمي لأحببت أن أموت وأنا مملوك)، وهذا يدل على فضل الموازنة بين الأعمال ومراعاة الفروض والتطوع.

قال النووي: "وفي الحديث أن المملوك لا جهاد عليه ولا حج لأنه غير مستطيع، وأراد ببر أمه القيام بمصلحتها في النفقة والمؤن والخدمة ونحو ذلك مما لا يمكن فعله من الرقيق، وقد جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه لم يكن يحج حتى ماتت أمه لصحبتها، والمراد به حج التطوع لأنه قد كان حج حجة الإسلام في زمن النبي ﷺ فقدم بر الأم على حج التطوع لأن برها فرض فقدم على التطوع"[٤].

وفي بيان فضل الموازنة بين الأعمال قال ابن حجر: "قال ابن عبدالبر: ومعنى الحديث: أن العبد لما اجتمع عليه أمران واجبان طاعة ربه في العبادات، وطاعة سيده في المعروف فقام بهما جميعًا كان له ضعف أجر الحر المطيع لطاعته، لأنه قد ساواه في طاعة الله وفضل عليه بطاعة من أمره الله بطاعته، قال: ومن هنا أقول: إن من اجتمع

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي ص ٣٩٣.

(٢) سورة فصلت، آية: ٣٠.

(٣) سورة النبأ، آية: ٣١.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٠٦٠.

عليه فرضان فأداهما أفضل ممن ليس عليه إلا فرض واحد فأداه، كمن وجب عليه صلاة وزكاة فقام بهما فهو أفضل ممن وجبت عليه صلاة فقط، ومقتضاه أن من اجتمعت عليه فروض فلم يؤد منها شيئًا كان عصيانه أكثر من عصيان من لم يجب عليه إلا بعضها"[١].

جاء في فتح الملهم: "قوله: (فله أجره مرتين) قال ابن عبدالبر: معنى هذا الحديث عندي أن العبد لما اجتمع عليه أمران واجبان طاعة ربه في العبادات وطاعة سيده في المعروف فقام بهما جميعا كان له ضعف أجر الحر المطيع لطاعته، لأنه قد ساواه في طاعة الله وفضل عليه بطاعة من أمره الله لطاعته... ومن هنا أقول: إن من اجتمع عليه فرضان فأداهما أفضل ممن ليس له عليه إلا فرض واحد فأداه كمن وجب عليه صلاة وزكاة فقام بهما فهو أفضل ممن وجبت عليه صلاة فقط، ومقتضاه أن من اجتمعت عليه فروض فلم يؤد منها شيئا كان عصيانه أكثر من عصيان من لم يجب عليه إلا بعضها.

قوله: (للعبد المملوك المصلح) بضم الميم، اسم فاعل من الإصلاح، ووقع في رواية البخاري: (للعبد المملوك الصالح) وكأنه تفسير لهذا، والمراد العبد الذي يصلح عمله بالنصح لسيده، والقيام بعبادة ربه.

قوله: (والذي نفس أبي هريرة بيده) هذا صريح في أن هذه القطعة من الحديث مدرجة من أبي هريرة ﷺ، وأخرجه البخاري من طريق بشر بن محمد، فلم يميز المرفوع من المدرج، فزعمها الخطابي مرفوعة، وقال: (لله أن يمتحن أنبيائه، وأصفيائه بالرق، كما امتحن يوسف)، والحق أنها ليست مرفوعة، كما دلت رواية مسلم هذه، وقد جاء الحافظ في الفتح بعدة روايات أخرى قد صرح فيها بأنها مدرجة.

قوله: (لولا الجهاد في سبيل الله) إلخ: وإنما استثنى أبو هريرة ﷺ هذه الأشياء لأن الجهاد والحج يشترط فيهما إذن السيد، وكذلك بر الأم، فقد يحتاج فيه إلى إذن السيد في بعض وجوهه، بخلاف بقية العبادات البدنية، ولم يتعرض للعبادات المالية إما

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٠٩/٥.

لكونه إذ ذاك لم يكن له ما يزيد على قدر حاجياته، فيمكنه صرفه في القربات بدون إذن السيد، وإما لأنه كان يرى أن للعبد أن يتصرف في ماله بغير إذن السيد، كذا في فتح الباري.

ودل الحديث على أن المملوك لا تجب عليه هذه الأشياء الثلاثة، أما الأولان فلعدم الاستطاعة، لأن منافعه مملوكة لسيده، وأما الثالث فلأن المال الذي ينفق منه عليها للسيد، وإنما يريد أبو هريرة رضي الله عنه ببرها النفقة عليها، وأما البر الذي يرجع إلى خفض الجناح والملاطفة فيستوي في الحر والعبد. كذا في شرح الأبي حكاية عن القاضي عياض -رحمهما الله تعالى-.

قوله: (وبر أمي) اسمها أميمة، أو ميمونة، وهي صحابية.

قوله: (لأحببت أن أموت وأنا مملوك) لما له من الأجر المضاعف. وإن قول أبي هريرة هذا يترقرق منه مدى سماحة المجتمع الإسلامي للعبيد والمماليك، وحسن معاملته بهم، ومعرفة فضلهم في الأجر، حتى إنهم يغتبطهم الأحرار، وهذا من أدل دليل على ما أسلفنا في أول كتاب العتق من أن الإسلام جعل الرق إخاء، ولم يترك على العبد إلا اسم الرقيق.

قوله: (لم يكن يحج حتى ماتت أمه) يعني: حج التطوع، وإلا فقد ثبتت حجته المفروضة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ودل عمله هذا على أن بر الأم فرض، فلا يترك للعبادات النافلة، ومن هنا أجمع العلماء على أن حج التطوع لا يجوز بغير إذن الوالدين، وفي الحج المفروض خلاف، فقال مالك والشافعي -رحمهما الله-: ولا يجوز للوالدين المنع منه، ولا يمتنع الولد منه إن منعا، وقيل: لا يجوز الحج، حتى يأذن له الوالدان.

قال العبد الضعيف عفا الله عنه: مذهب الحنفية في الحج المفروض أنه إن كان أحد الوالدين بحال يحتاج فيه إلى خدمة الولد، ولا يطيق القيام بمصالحه لكبر أو مرض، وليس عنده خادم يقوم بأمره، فحينئذ لا يجب الحج على ابنه، حتى يجد من يقوم بأمره"[1].

ومن هذا يتبين أن من حكمة المدعو أن يوازن بين الأعمال ويقدم الفروض على النوافل والواجبات على المستحبات.

---

(١) تكملة فتح الملهم، الشيخ: محمد تقي العثماني ٨/٢٠٩ - ٢١١.

خامسًا- من موضوعات الدعوة: فضل أبي هريرة رضي الله عنه:

حيث جاء في الحديث: (والذي نفس أبي هريرة بيده لولا الجهاد في سبيل الله والحج وبر أمي لأحببت أن أموت وأنا مملوك)، ولا شك أن هذا يدل على فضل أبي هريرة رضي الله عنه.

قال ابن عبدالبر: "هو صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عن نفسه: كان اسمي في الجاهلية عبد شمس، فسميت في الإسلام عبدالرحمن وإنما كنيت بأبي هريرة لأني وجدت هرة فحملتها في كُمي فقيل لي: ما هذه؟ قلت: هرة، قيل: فأنت أبو هريرة أسلم أبو هريرة عام الخيبر، وشهدها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لزمه وواظب عليه رغبة في العلم راضيًا بشبع بطنه فكانت يده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يدور معه حيث دار وكان من أحفظ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم"(١).

وقال ابن الجوزي: "وقدم أبو هريرة رضي الله عنه المدينة سنة سبع ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر فسار إلى خيبر حتى قدم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، جاء عنه أنه قال: نشأت يتيمًا وهاجرت مسكينًا وكنت أجيرًا لبرّة بنت غزوان بطعام بطني وعُقبة رحلي فكنت أخدم إذا نزلوا وأحدوا إذا ركبوا فزوجنيها الله عز وجل فالحمد لله الذي جعل الدين قوامًا وجعل أبا هريرة رضي الله عنه إمامًا وعن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لقد رأيتني أصرع بين منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين حجرة عائشة رضي الله عنها فيقول الناس: إنه لمجنون، وما بي جنون، ما بي إلا الجوع وعن أبي عثمان النهدي قال: تضيفت أبا هريرة سبعًا، فكان هو وامرأته وخادمه يتعقبون الليل أثلاثًا، يصلي هذا ثم يوقظ هذا، ويصلي هذا ثم يوقظ هذا، وعن ابن شوذب قال: لما حضرت أبا هريرة الوفاة بكى فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: بعد المفازة وقلة الزاد وعقبة كؤود المهبط منها إلى الجنة أو النار"(٢).

وقال ابن حجر: "قال أبو نعيم: كان أحفظ الصحابة رضي الله عنهم لأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا له بأن يحببه إلى المؤمنين، وكان إسلامه بين الحديبية وخيبر، قدم المدينة مهاجرًا

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ص ٨٦٢ - ٨٦٣.

(٢) صفة الصفوة ٣٠٤/١ - ٣٠٥.

وسكن الصفة، ذكر أبو محمد بن حزم أن مسند بقى بن مخلد احتوى من حديث أبي هريرة على خمسة آلاف وثلاثمائة حديث وكسر، وقد أجمع أهل الحديث على أنه أكثر الصحابة رضي الله عنهم حديثًا، وعاش أبو هريرة رضي الله عنه ثمانيًا وسبعين سنة وكانت وفاته بقصره بالعقيق فحمل إلى المدينة وتوفي سنة سبعة وخمسين هجرية"[١].

(١) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ص ١٥٧٠- ١٥٧١.

الحديث رقم (١٣٦٥)

١٣٦٥- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((لِلْعَبْدِ المَمْلُوكِ المُصْلِحِ أجْرَانِ))، وَالَّذي نَفْسُ أَبي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ لَوْلاَ الجِهَادُ في سَبيلِ اللهِ وَالحَجُّ، وَبِرُّ أُمِّي، لأَحْبَبْتُ أنْ أَمُوتَ وَأنَا مَمْلُوكٌ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

المصلح: من الصلاح وهو إحسان العبادة والنصح للسيد، ونصيحة السيد تشمل أداء حقه من الخدمة وغيرها[2].

الشرح الأدبي

هذا الحديث فيه وعد صادق للمملوك بمضاعفة الأجر كما جاء في الحديث السابق، ولكن هذا الحديث فيه ما يلفت النظر ويستحق التأمل وهو أن أبا هريرة أحب أن يموت وهو مملوك ليفوز بالأجر المضاعف. . وجعل هذه الأمنية متعلقة بالشرط. . حيث العوائق والمسؤوليات الشرعية التي تحول دون تحقيق هذه الرغبة المحببة، ومن أسرار الحديث البلاغية: التقديم والتأخير في الجملة الأولى حيث قدم الخبر على المبتدأ وقال للعبد المملوك أجران، وهذا التقديم يعطى الأهمية والقيمة للمملوك. . ولكن صفه هذا المملوك هي التي تؤهله لهذه القيمة وذلك الأجر وهى صفة "المصلح "اسم فاعل: أي أن العبد يقوم بالإصلاح، وكلمة "مصلح "من الكلمات الموجزة التي تشع بما ورد في الحديث السابق من سلوكيات يقوم بها العبد في ظل طاعة سيده وخدمته: قال الحافظ: اسم الصلاح يشمل ما نقدم من إحسان العبادة والنصح للسيد يشمل أداء حقه من

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٤٨)، ومسلم (١٦٦٥/٤٤) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٢٨١٠).

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٠٨/٥.

الخدمة وغيرها. والقسم في كلام أبى هريرة "والذي نفس أبى هريرة بيده "يرشد إلى أهمية الرغبة التي يتمناها أبو هريرة وقيل أن هذا القسم ورد على لسان رسول الله ﷺ "حيث لفظ "أبى هريرة عند البخاري "- وأسلوب الشرط : في الحديث ينبيء عن التضاد الموجود بين المأمول والواقع: فالمأمول هو جواب الشرط الممتنع وهو "الموت مملوكاً وذلك لوجود ما يحول دون ذلك وهو "الجهاد - والحج - وبر الأم "ولولا "أداة امتناع لوجود - حيث امتنع وقوع الجواب لوجود الشرط وزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى "فالمصدر المؤول "أن أموت "تقديره "الموت "ولكن صياغته في الحديث تبتعد بالمتحدث عن تمنى الموت "الصريح "وقوله "وأنا مملوك "لأن ضمير الرفع المنفصل للمتكلم "أنا "يفيد الاختصاص بهذه الصفة وليس سواه والجملة "حالية "ترصد حال المتحدث ورغبته في أن يموت وهو في حالة "الرق "ليس طلباً للرق - ولكن طلباً للأجر المضاعف.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٣٦٦)

١٣٦٦- عن أَبي موسى الأشعري رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((**المَمْلُوكُ الَّذِي يُحْسِنُ عِبَادَةَ رَبِّهِ، وَيُؤَدِّي إِلَى سَيِّدِهِ الَّذِي عَلَيْهِ مِنَ الحَقِّ، وَالنَّصِيحَةِ، وَالطَّاعَةِ، لَهُ أَجْرَانِ**)) رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث ينوه بفضل المملوك الذي يؤدى حق الله تعالى وحق مواليه وهو هاله في قلب مجموعة من الأحاديث يتضوأ بها باب "فضل المملوك "وأحاديث الباب كلها تقر بأن له أجرين ولكن تختلف الصياغة من حديث لآخر وهذا الحديث كله جمله اسمية واحدة تتكون من مبتدأ - والمملوك وما يتبعه من متعلقات وصفات ثم الخبر وهو قوله: له أجران فالحديث كتلة أسلوبية ومعنوية متماسكة ويتسم بوحدة عضوية وموضوعية على الرغم من إيجازه وصفات المملوك التي تؤهله للفوز بأجرين "تبدأ باسم الموصول "الذي "وهو لتمييز المسند إليه أكمل تمييز، واسم الموصول من أنواع المعارف التي لها أثرها في تحسين الكلام وترابطه وتماسكه والتعبير بالمضارع في قوله: يحسن ويؤدى - يصور نشاط هذا المملوك وتجدد حركته وعدم إنشغاله عن ربه، وعدم تقصيره في حق سيده، ولكنه يحسن العبادة ويؤدى إلى سيده الذي عليه من الحق والطاعة والنصيحة، وفى قوله: الذي عليه "إشارة إلى أن العبد لا بد أن يلتزم بذلك فهي حقوق عليه لسيده، و"من "للبيان وتوضيح الإبهام الذي يتضمنه اسم الموصول: الذي - وتكرار اسم الموصول يوحى بأهمية المملوك، وبأهمية ما علية من حقوق، حتى يفوز بما وعده به رسول الله ﷺ حيث ختم الحديث الشريف بقوله: له أجران "ﷺ.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم (٢٥٥١). أورده المنذري في ترغيبه (٢٨٠٨).

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٣٦٤).

الحديث رقم (١٣٦٧)

١٣٦٧- وعنه، قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((ثَلاثَةٌ لَهُمْ أجْرَانِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ، وَآمَنَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَالعَبْدُ المَمْلُوكُ إِذَا أدَّى حَقَّ الله، وَحَقَّ مَوَالِيهِ، وَرَجُلٌ كَانَتْ لَهُ[1] أَمَةٌ فَأدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأدِيبَهَا، وَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا، ثُمَّ أعْتَقَهَا فَتَزَوَّجَهَا؛ فَلَهُ أَجْرَانِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

مواليه: جمع مولى وهو اسم يقع على جماعة كثيرة منها المالك والسيد[3].

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف نجد المباني متلبسة فيه بالمعاني وهذه ميزة البيان النبوي حيث يتسم بالقصد والخلوص والاستيفاء ومن جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث "التفصيل بعد الأجمال "حيث أجمل أولاً في قوله: ثلاثة لهم أجران، ثم فصل بعد ذلك في بيان معالم هؤلاء الثلاثة وفى مفتتح الحديث مظهران من مظاهر الأسلوب الفني. . هما: التقديم، والتأخير في قوله: لهم أجران فتقديم "الجار والمجرور لإشعارهم بأن حقهم لا يضيع واللام للملكية لزيادة الاطمئنان والترغيب في الجودة والإتقان وفى قوله: ثلاثة "حذف "وهو من سمات البلاغة الأسلوبية والتقدير: ثلاثة أشخاص أو طوائف والمفهوم يغنى عن المنطوق والحذف أبلغ وأولى حين يكون الذكر إسهاباً وزيادة لفظية، وقوله: رجل للتغليب والمراد: الرجل

---

(١) عند البخاري بدل: (له)، (عنده أمة يطؤها). والمثبت لفظ المنذري في ترغيبه.

(٢) أخرجه البخاري (٩٧)، ومسلم (١٥٤/٢٤١). أورده المنذري في ترغيبه (٢٨٠٩).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ل ي).

والمرأة - والذكر والأنثى، وتكرار الفعل آمن. لتأكيد الإيمان بالأنبياء السابقين والنبي محمد ﷺ ويوحي هذا التكرار بتعدد الأجر لأنه لم يعاند كما عاند غيره ممن أضله الله على علم وأسلوب الشرط في قوله "إذا أدى حق الله وحق مواليه.. يشير إلى أن تحقق فعل الشرط - يمهد ويفتح الطريق لتحقيق جواب الشرط وهو هنا محذوف للعلم به سابقاً وتقديره "فله أجران "وحين نتأمل دلالة أدوات الربط في الحديث وخاصة حروف العطف نجد أنها تتسق مع مراعى الحديث ومقاصده فالواو لمطلق الجمع في قوله: آمن بنبيه وآمن بمحمد، والمراد الجمع بينهما بلا أي تسويف والعطف بالفاء في قوله: فأدبها فأحسن تأديبها يناسب المقام: لأن تعليم الآداب الشرعية أولاً ثم التأديب والتعليم وهو "ما تحتاجه الأمة من توجيهات وإرشادات في معاشها ومعادها وطرق خدمتها وفى مجال العتق يأتي العطف بثم "لأن ذلك يكون بعد التأديب والتعليم والإعداد الجيد وثم تفيد التراخي ولكن بعد العتق يكون الزواج على الفور ولذلك جاء العطف بالفاء وهى تفيد الترتيب والتعقيب والإسراع (ثم اعتقها فتزوجها) وتكرار "فله أجران "في ختام الحديث: لتذكير هؤلاء الذين ضوعف لهم الأجر. ولكي يزيدوا اطمئناناً بأن حقهم لن يضيع مصداقاً لقول الله عز وجل "إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا "سورة الكهف ٣٠.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإجمال والتفصيل.

ثانيًا: من أصناف المدعوين: أهل الكتاب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: بيان فضل من آمن من أهل الكتاب بنبيه وبمحمد ﷺ والعبد المملوك المؤدي لحق الله وحق مواليه والمحسن إلى أمته.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإجمال والتفصيل:

حيث جاء في الحديث: (ثلاثة لهم أجران: رجل من أهل الكتاب..)، وأسلوب الإجمال والتفصيل من أساليب الدعوة التي تثبت المعلومة لدى المدعو وتدل على بلاغة الداعية وتمكنه مما يقول، وتشد انتباه المدعو إلى معرفة التفصيل بعد الإجمال، ومن

صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الإجمال والتفصيل قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ۝ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾[1].

وفي الحديث أجمل النبي ﷺ عدد الثلاثة الذين لهم أجران ثم فصل ذكرهم واحدًا بعد الآخر والواجب على الداعية استعمال هذا الأسلوب لزيادة إفهام السامع.

ثانيًا- من أصناف المدعوين: أهل الكتاب::

يتضح هذا من الحديث: (رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد ﷺ)، "ولما كان الإسلام دين الله تعالى إلى الناس جميعًا وليس مقصورًا على العرب وحدهم توجه الرسول ﷺ بدعوته إلى أهل الكتاب لإقامة الحجة عليهم من خلال تنبيههم إلى ما يجدونه في كتبهم من صفة النبي ﷺ وأن علماءهم يعرفون أمره معرفة تامة، وقد أقام الرسول ﷺ الحجة عليهم عن طريق الاستشهاد بمؤمني أهل الكتاب وتصديقهم ما جاء به الرسول ﷺ وشهاداتهم أن ما أنزل عليه هو الحق"[2]، والحكمة في جعل أهل الكتاب صنفًا خاصًا من أصناف المدعوين: "أن أهل الكتاب وإن كانوا يشتركون مع غيرهم من المشركين في الكفر والشرك إلا أنهم يتميزون عنهم بأنهم أهل كتاب سماوي ولذلك جاءت آيات القرآن تخاطبهم باسمهم وتبين لهم طريقًا في الدعوة يختص بهم دون غيرهم"[3].

وإذا كان من أصناف المدعوين أهل الكتاب فإن الواجب على الدعاة إلى الله التزام منهج القرآن في خطاب أهل الكتاب، وطريقة دعوته لهم.

"إن الخطاب القرآني لغير المسلمين اتسم بالحكمة التي من أبرز معانيها: وضع

---

(١) سورة السجدة، الآيات: ١٨ - ٢٠.

(٢) أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود الرحيلي ص ٣٧ - ٣٨.

(٣) دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، د. عبدالله اللحيدان ص ٤٥.

الشيء في موضعه، ففي مواطن الحسم والحزم يكون الخطاب حاسمًا، لكن السمة الغالبة على الخطاب هي عدم تجريح أو إيذاء مشاعر غير المسلمين، وهذا لا يمنع بالطبع من إقامة الحجة والبرهان عليهم وكشف أفعالهم ومواقفهم فتلك حقائق ينبغي أن تكون واضحة، فليس هناك مجال للمداهنة ولا التملق أو النفاق، أو ما يتردد الآن من دعاوى غربية تطالب المسلمين بضرورة "تغيير الخطاب الديني"، هذه العبارة مطاطة والمعاني المقصودة منها أو التي يقصدها الغرب غير المعاني التي نطالب بها.

فالمراد من تغيير الخطاب الديني من وجهة نظر الغرب، هو عملية مسخ على الطريقة الغربية إسلام غربي، يغيب المسلم عن واقعه، تضيع فيه الهوية الإسلامية للمجتمعات لا يتحدث عن الآيات القرآنية التي وردت في شأن اليهود، كما يراد في مناهج التعليم في العالم الإسلامي، إنهم يريدون خطابًا يكرس التبعية للغرب.

ويا للأسف فقد استنبتوا نابتة لهم في العالم الإسلامي من أبنائه، ممن ينادون بضرورة تغيير الخطاب الديني، إنها دعوة ماكرة فاسدة ترمي إلى تضييع معالم الخطاب الديني وسلخ الأمة من تاريخها وحضارتها، وتغييب وعي الأمة الإسلامية.

ومما ينبغي التأكيد عليه أن الخطاب الديني الذي يحتاج إلى تطوير وتغيير لا يتعلق بأصول الخطاب ومادته المستمدة من الكتاب والسنة.

وإنما يتعلق بتطوير الأفكار في عرض موضوعات الخطاب، وتطوير الأساليب، ودراسة عقلية وفكر من نخاطب من غير المسلمين، إنه لا بد أن يصدر الخطاب الديني لغير المسلمين عن فهم ودراسة وفقه للواقع وللجغرافيا بأنواعها، وفهم للزمان والمكان.

إننا بحاجة إلى مراجعة مستمرة لتقويم وسائلنا وأساليبنا في الخطاب، إنه لا بد من إعادة النظر باستمرار في لغة الخطاب سواء من ناحية اللهجة التي تحتاج إلى إتقان، أم من ناحية الأسلوب، فالخطاب مع غير المسلمين لا بد وأن يكون راقيًا وليس مستهجنًا، لا بد وأن يكون لائقًا بعيدًا عن الاستفزاز.

إنه لا بد من إبراز الجوانب الفكرية في الخطاب الديني، وكيف أن الإسلام احترم العقل، لأنه من مصادر المعرفة بعد الوحي، ومن ثمّ حث الإسلام على إعمال العقل، وذم التقليد.

إن الخطاب الإسلامي بحاجة إلى إبراز التكامل بين الروح والمادة، والعلاقة الوثيقة بين عمل الإنسان في الدنيا، وجزائه في الآخرة"[١].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: بيان فضل من آمن من أهل الكتاب بنبيه وبمحمد ﷺ والعبد المملوك المؤدي لحق الله وحق مواليه والمحسن إلى أمته:

يتضح هذا من الحديث: (ثلاثة لهم أجران: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد ﷺ... إلخ الحديث)، وهذا يدل على فضل من آمن من أهل الكتاب بنبيه وبالرسول ﷺ وكذلك العبد المملوك المؤدي لحق الله وحق مواليه، والمحسن لجاريته "أمته" وأنهم يأخذوا حر أجرهم مرتين وقد نص الله على هذا في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[٢].

قال أبو عبدالله القرطبي: (قال علماؤنا: لما كان كل واحد من هؤلاء مخاطبًا بأمرين من جهتين استحق كل واحد منهم أجرين؛ فالكتابي كان مخاطبًا من جهة نبيِّه، ثم إنه خوطب من جهة نبيِّنا فأجابه واتبعه فله أجر الملتين، وكذلك العبد هو مأمور من جهة الله تعالى ومن جهة سيده، ورب الأمة لما قام بما خوطب به من تربيته أمته وأدبها فقد أحياها إحياء التربية، ثم إنه لما أعتقها وتزوّجها أحياها إحياء الحرّية التي ألحقها فيه بمنصبه، فقد قام بما أمر فيها، فأجر كل واحد منهما أجرين. ثم إن كل واحد من الأجرين مضاعف في نفسه، الحسنة بعشر أمثالها فتتضاعف الأجور. ولذلك قيل: إن العبد الذي يقوم بحق سيده وحق الله تعالى أفضل من الحرّ)[٣].

قال ابن كثير: "يخبر تعالى عن العلماء الأولياء من أهل الكتاب أنهم يؤمنون بالقرآن، قال سعيد بن جبير رضي الله عنه: نزلت في سبعين من القسيسين بعثهم النجاشي فلما

---

(١) خطاب القرآن الكريم لغير المسلمين د. محيي الدين عفيفي أحمد ص ١٥٢ - ١٥٣.

(٢) سورة القصص، آية: ٥٤.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٩٥/١٦.

قدموا على النبي ﷺ قرأ عليهم: ﴿يس ۞ وَالْقُرْءَانِ الْحَكِيمِ﴾[١]، حتى ختمها فجعلوا يبكون وأسلموا وقوله تعالى: (أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا)، أي: هؤلاء المتصفون بهذه الصفة الذين آمنوا بالكتاب الأول ثم بالثاني يؤتون أجرهم مرتين بإيمانهم بالرسول الأول ثم بالثاني ولهذا قال: (بما صبروا)، أي: على اتباع الحق، فإن تجشم مثل هذا شديد على النفوس"[٢]، وعن أبي أمامة قال: إني لتحت راحلة رسول الله ﷺ يوم الفتح، فقال قولاً حسنًا جميلاً وكان فيما قال: ((مَنْ أَسْلَمَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ، فَلَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ، وَلَهُ مَا لَنَا، وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْنَا، وَمَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَلَهُ أَجْرُهُ، وَلَهُ مَا لَنَا، وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْنَا))[٣].

جاء في فتح الملهم: "قوله: (يؤتون أجرهم مرتين) إلخ: قلت الذي يظهر لي -والله أعلم- أن كل واحد من هذه الأمور الثلاثة مركب من جزئين متزاحمين، يمنع الاشتغال بأحدهما توفية حق الآخر.

فمن آمن بنبي هو مسلم الصدق عند نبينا ﷺ صحيحًا كان هذا الإيمان عند الشرع أم لا، ثم لم يستغن بما عنده عن الإيمان بنبينا ﷺ، فلا ريب أنه أشد مجاهدة لنفسه في ترك حظوظها، ودفع شهواتها، وإيثار ما عند الله تعالى على ما يحكم به هواه، فهو أعظم درجة عند الله من هذه الجهة بالنسبة إلى سائر المؤمنين الذي ليسوا بهذه المثابة، فلا بعد في تضعيف أجره. وفي قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ﴾[٤]، إيماء إلى أن تضعيف أجورهم إنما هو بالصبر على مكاره النفس، والحاصل: أن من عمل حسنة مع وجود ما يقاومها ويزاحمها، أو ما يمنع من استيفاء حقها أحق بإعطاء الأجر مرتين، ونظيره قوله ﷺ عند الشيخين: ((الْمَاهِرُ بِالْقُرآنِ مَعَ

---

(١) سورة يس، الآيتان: ١ - ٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٤٤/٦.

(٣) اخرجه أحمد في مسنده ٢٥٩/٥، رقم ٢٢٢٣٤، وقال محققو المسند: حديث صحيح ٥٧٠/٣٦.

(٤) سورة القصص، آية: ٥٤.

السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ. وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ))(١).

وقس على هذا: العبد الذي يؤدي حق الله سبحانه وتعالى مع أداء حق سيده، فإن الجمع بينهما متعذر غاية التعذر، فالمحبوس في الرق إذا وفق للجمع بين الأمرين، ولم ينقص من حق أحدهما شيئًا، فهو حقيق بأن يضاعف أجره، وهكذا الرجل الذي غذا جاريته، فأحسن غذاءها، وأدبها فأحسن تأديبها، وعلمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها ثم تزوجها، فإن تزويجه الأمة المملوكة التي شأنها كذا موجب لتعيير الناس عرفًا كما يفهم من تشبيهه بالراكب بدنته في قول الخراساني للشعبي، وأصرح منه ما نقلنا عن أنس وغيره من السلف.

فحديث الباب دلّ على أن للمتزوج أمته بعد إعتاقها أجرين، وليس هذا من باب العود في الصدقة في شيء بل هو إحسان عظيم إليها بعد إحسان عظيم، لأن في الإعتاق تخليصًا من قهر الرق وأسره، والتزوج فيه الترقي إلى إلحاق المقهور بقاهره، قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾(٢).

وقوله: (رجل من أهل الكتاب)، قال الحافظ: لفظ الكتاب عام ومعناه خاص أي: المنزل من عند الله، والمراد به التوراة والإنجيل - كما تظاهرت به نصوص الكتاب والسنة - حيث يطلق أهل الكتاب. وقيل: المراد به هنا الإنجيل خاصة، إن قلنا: إن النصرانية ناسخة لليهودية، كذا قرره جماعة، ولا يحتاج إلى اشتراط النسخ، لأن عيسى عليه الصلاة والسلام كان قد أرسل إلى بني إسرائيل بلا خلاف، فمن أجابه منهم نسب إليه، ومن كذبه منهم واستمر على يهوديته لم يكن مؤمنًا، فلا يتناوله الخبر، لأن شرطه أن يكون مؤمنًا بنبيه، نعم! من دخل في اليهودية من غير بني إسرائيل، أو لم يكن بحضرة عيسى عليه السلام فلم تبلغه دعوته يصدق عليه أنه يهودي مؤمن، إذ هو مؤمن بنبيه موسى عليه السلام، ولم يكذب نبيًا آخر بعده، فمن أدرك بعثة محمد ﷺ ممن كان بهذه المثابة وآمن به: لا يشكل أنه يدخل في الخبر المذكور.

---

(١) أخرجه البخاري ٤٩٣٧، ومسلم ٧٩٧.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٢٨.

ومن هذا القبيل العرب الذين كانوا باليمن وغيرها ممن دخل منهم في اليهودية، ولم تبلغهم دعوة عيسى عليه السلام، لكونه أرسل إلى بني إسرائيل خاصة. نعم! الإشكال في اليهود الذين كانوا بحضرة النبي ﷺ، وقد ثبت أن الآية الموافقة لهذا الحديث - وهي قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ﴾[1]، نزلت في طائفة آمنوا منهم كعبدالله بن سلام وغيره، ففي الطبراني من حديث رفاعة القرظي قال: (نزلت هذه الآية في وفيمن آمن معي)، وروى الطبراني بإسناد صحيح عن علي بن رفاعة القرظي، قال: (خرج عشرة من أهل الكتاب، منهم أبو رفاعة إلى النبي ﷺ، فآمنوا به فأوذوا فنزلت: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ﴾[2][3]، فهؤلاء من بني إسرائيل، ولم يؤمنوا بعيسى، بل استمروا على اليهودية، إلى أن آمنوا بمحمد ﷺ، وقد ثبت أنهم يؤتون أجرهم مرتين.

قال الطيبي[4]: "فيحتمل إجراء الحديث على عمومه، إذ لا يبعد أن يكون طريان الإيمان بمحمد ﷺ سببًا لقبول تلك الأديان، وإن كانت منسوخة" انتهى.

ويمكن أن يقال في حق هؤلاء الذين كانوا بالمدينة إنه لم تبلغهم دعوة عيسى عليه السلام، لأنها لم تنتشر في أكثر البلاد فاستمروا على يهوديتهم، مؤمنين بنبيهم موسى عليه السلام إلى أن جاء الإسلام، فآمنوا بمحمد ﷺ فبهذا يرتفع الإشكال إن شاء الله تعالى. كذا في الفتح. وقد سبق منا ما يزيل هذا الإشكال.

قوله: (آمن بنبيه) إلخ: فيه إشعار بعلية الأجر، أي: أن سبب الأجرين الإيمان بالنبيين، والكفار ليسوا كذلك، ويمكن أن يقال: الفرق بين أهل الكتاب وغيرهم من الكفار أن أهل الكتاب يعرفون محمدًا ﷺ كما قال الله تعالى: ﴿يَجِدُونَهُۥ

---

(١) سورة القصص، آية: ٥٤.

(٢) سورة القصص، آية: ٥٢.

(٣) انظر: ما أخرجه الطبراني ٥/٥٣، رقم ٤٥٦٣، ٤٥٦٤.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١/١٢٦.

﴿مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ﴾[١]، فمن آمن به واتبعه منهم كان له فضل على غيره، وكذا من كذبه منهم كان وزره أشد من وزر غيره، وقد ورد مثل ذلك في حق نساء النبي ﷺ، لكون الوحي كان ينزل في بيوتهن. فإن قيل فلم لم يذكرن في هذا الحديث، فيكون العدد أربعة، فأجاب شيخنا شيخ الإسلام بأن قضيتهن خاصة بهن، مقصورة عليهن، والثلاثة المذكورة في الحديث مستمرة إلى يوم القيامة، قاله الحافظ.

قوله: (فآمن به واتبعه وصدقه) إلخ: قال ابن المنير: مؤمن أهل الكتاب لا بد أن يكون مؤمنًا بنبينا ﷺ، لما أخذ عليهم من العهد والميثاق، فإذا بعث فإيمانه مستمر، فكيف يتعدد إيمانه حتى يتعدد أجره؟ ثم أجاب بأن إيمانه الأول بأن الموصوف بكذا رسول، والثاني بأن محمدًا هو الموصوف، فظهر التغاير فثبت التعدد. انتهى.

ويحتمل أن يكون تعدد أجره لكونه لم يعاند كما عاند غيره ممن أضله الله على علم فحصل له الأجر الثاني بمجاهدته نفسه، وعلى مخالفة نظرائه، كذا قيل.

والحق أن الكتابي قد آمن بكل من النبيين مرتين، مرة بنبيه السابق تفصيلاً، وبمحمد ﷺ إجمالاً، وأخرى بمحمد ﷺ مفصلاً وبالأنبياء السابقين مجملاً، فإن محمدًا ﷺ مصدق لسائر الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، وهم قد بشروا به وأخذ منهم العهد والميثاق على الإيمان به ونصره، فانطوى الإيمان بنبي سابق على الإيمان بنبي لاحق، وبالعكس، ولعل لهذه النكتة قال في القرآن: ﴿يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ﴾[٢]، دون (يؤتون أجرين) والله أعلم"[٣].

قال القرطبي: "وفيه دليل على أن من لم تبلغه دعوة رسول الله ﷺ ولا أمره لا عقاب عليه، ولا مؤاخذة، وهذا كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولاً﴾[٤]،

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٥٧.

(٢) سورة القصص، آية: ٥٤.

(٣) فتح الملهم، الشيخ: شبير أحمد العثماني ٢/١٩٧ – ٢٠٠ بتصرف.

(٤) سورة الإسراء، آية: ١٥.

ومن لم تبلغه دعوة الرسول ولا معجزته فكأنه لم يُبعث إليه رسول. وهذا الكتابي الذي يُضاعف أجره هو الذي كان على الحق في شرعه عقدًا وفعلاً، ثم لم يزل مُتمسكًا بذلك إلى أن جاء نبينا ﷺ فآمن به، واتبع شريعته، فهذا هو الذي يؤجر على اتباع الحق الأول والحق الثاني، وأما من اعتقد الإلهية لغير الله تعالى كما تعتقده النصارى اليوم، أو من لم يكن على حق في ذلك الشرع الذي ينتمي إليه، فإذا أسلم جبّ الإسلام ما كان عليه من الفساد والغلط، ولم يكن له حق يؤجر عليه إلا الإسلام خاصة، والله أعلم[1].

وأما فضل العبد المملوك فقد جاء في الحديث: (العبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه)، وهذا يدل على فضله لأنه يأخذ أجره مرتين.

قال النووي: "وفي الحديث فضيلة العبد المملوك القائم بحقوق الله تعالى وحقوق سيده"[2].

وأما فضل من أعتق جارية فتزوجها فقد قال ابن حجر: "وفي الحديث دليل على فضل من أعتق أمته ثم تزوجها سواءً أعتقها ابتداء لله أو لسبب وقد بين الحديث أن من يحصل لهم تضعيف الأجر مرتين ثلاثة أصناف: متزوج الأمة بعد عتقها، ومؤمن أهل الكتاب، والمملوك الذي يؤدي حق الله وحق مواليه"[3].

جاء في الموسوعة الفقهية: "شُرع العتق بالكتاب والسنة والإجماع، أما الكتاب فقول الله تعالى: ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾[4]، وقوله جل شأنه: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾[5]، وقوله: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾[6].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١/٣٦٨.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٩٠.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩/٣٠.

(٤) سورة المائدة، آية: ٨٩.

(٥) سورة المجادلة، آية: ٣.

(٦) سورة البلد، آية: ١٣.

وأما السنة فقد ورد عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: ((من أعتَقَ رقَبةً مُسلمةً أَعتقَ اللّهُ بكل عُضو منه عضوًا من النار حتَّى فَرجَهُ بِفَرجِهِ))[1]، وقد أعتق النبي ﷺ الكثير من الرقاب، وأعتق ابو بكر وعمر ﷺ الكثير من الرقاب.

وقد أجمعت الأمة على صحة العتق وحصول القربة به.

وأما حكمة مشروعية العتق فإن العتق من أفضل القرب إلى الله تعالى، فقد جعله كفارة لجنايات كثيرة منها: القتل، والظهار، والوطء في شهر الصيام، والحنث في الأيمان، وجعله الرسول ﷺ فكاكًا لمعتقه من النار - لأن فيه تخليصًا للآدمي المعصوم من ضرر الرق وملك نفسه ومنافعه وتكميل أحكامه وتمكنه من التصرف في نفسه على حسب إرادته واختياره.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٧٥١، ومسلم ١٥٠٩ واللفظ له.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على الجمع بين أداء الحقوق:

العبدُ المملوك يعمل طوع أمر سيده فيقضي حاجاته، ويقوم على شؤونه، ويكون وقته وجهده لسيده، فهو واجب عليه أن يطيعه فيما هو حق ومباح، ولا يجوز له أن يتخلف عن ذلك، فهذا هو واجبه الذي عليه أن يؤديه ويقوم به، ولذا كان في شغل من أمره، وهو من ناحية أخرى عبد لله رب العالمين، يجب أن يعبد رب بما طلبه، من صلاة وصيام ونحو ذلك ويكون في ذلك محسنًا في عبادته لا يكتفي بمجرد الأداء والصورة فحسب بل يجمع إلى ذلك، حضور قلبه وخشوعه وخضوعه لله رب العالمين أيضًا.

إذن اجتمع على العبد واجبان: أحدهما ديني والآخر دنيوي وهذا التفصيل من أجل بيان الجهة التي يتوجه بها إلى عمله، وإلا فإنه في الإسلام ليس هناك فصل بين الديني والدنيوي، فالدنيوي ديني بالنية والإخلاص لله عز وجل، إذن اجتمع على هذا العبد حقان ديني ودنيوي، وقد يكون في أدائه الحق الدنيوي متعبًا منهكمًا نظرًا لكثرة العمل، فيدفعه هذا إلى التقصير في عبادته والإحسان فيها.

ومن ناحية أخرى ربما يدفعه رغبته في إحسان عبادته وتجميلها إلى التقصير في حق سيده، فيقوم بأعماله بوجه فيه قصور أو إهمال أو تسيب قد لا يلحظه سيده، ولا يكون ناصحًا له فلا يؤدي إليه حقه الذي له عليه كما ينبغي.

إذن ربما أدى هذا أو ذاك إلى التقصير في أحد الواجبين أو كليهما معًا، لذا كان للعبد فضل كبير وثواب جزيل إذا أدّى هذين الواجبين على خير ما ينبغي: فعبد ربه وأحسن عبادته ونصح لسيده فخدمه وأحسن خدمته وأطاعه، لذا أشاد النبي ﷺ بهذا العبد الذي قام بما يجب عليه خير قيام وأداه خير أداء وأحسن في ذلك وأجاد، فقال: (إن العبد إذا نصح لسيده، وأحسن عبادة الله، فله أجره مرتين)، وقد تكرر هذا المعنى في أحاديث الباب الأخرى.

قال ابن حجر: (اسم الصلاح يشمل شرفين، وهما إحسان العبادة والنصح للسيد،

ونصيحة السيد تشمل أداء حقه من الخدمة وغيرها)[1].

إذن هذه الاحاديث صورة من صور الحض والترغيب في أداء الحقوق جميعها وعدم الاهتمام بجانب وترك جانب آخر، لكننا في حياتنا المعاصرة نرى صورًا من الإخلال في أداء الحقوق جميعها، من ذلك:

أ- تجد بعض الأزواج يقدمون واجبات على أخرى، فيهتمون بالأولى ويهملون الأخرى، تجدهم إما أن يؤدوا حقوق الأم والأب والأخوة ولا يلتفتون إلى حقوق الزوجة إلا نادرًا، وإما أن يؤدوا حقوق الزوجة كاملة، ولا يؤدون حقوق الآباء والأمهات إلا في الأعياد والمناسبات على قلتها وندرتها.

ب- تجد بعض الموظفين والعاملين يهمل في أداء واجبات وظيفته الحكومية، فتجده كثير الغياب وإذا حضر سخر وقته وجهده لعمله الخاص وإلا أخلد إلى الراحة والكسل وأهمل أداء ما يجب عليه، أما في عمله الخاص به فتجده شعلة نشاط لا يكاد يهدأ ولا يكاد ينال قسطًا كافيًا من النوم، وتجده شديد اللوم لمن يعملون معه إذا قصروا أو أهملوا إهمالاً بسيطًا غير مقصود.

ج- تجد بعض المكثرين من الحج والعمرة مقصرين في أداء الواجبات أو المندوبات المالية، فربما يكون بعضهم لا يخرج زكاة ماله، وكثير منهم قد يخرج إلى الحج والعمرة وقد ترك له جيرانًا لا يجدون ما يسدون جوعهم ولا ما يسترون به أبدانهم، ولا ما يقيهم حرّ الصيف وبرد الشتاء.

وغير ذلك من مظاهر الخلل في الجمع بين الواجبات جميعها، وعلى ذلك تكون أهمية التربية على عدم الإخلال بالواجبات قدر الجهد والطاقة، وتأدية كل واحد ما يجب عليه.

ثانيًا- التربية على الموازنة بين الأمور:

لما عرف أبو هريرة ﷺ فضل العبد المملوك الصالح وما له من أجر كبير، لما عَرَف ذلك أحب أن يكون مملوكًا يعيش مملوكًا ويموت مملوكًا، لكنه قلّب الأمر

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢٨٥/٢.

على وجوهه المختلفة فوجد أن كونه مملوكًا -على فضله وأجره- يمنعه من فعل أشياء أفضل وأعظم، إنه يمنعه من أن يجاهد في سبيل الله، ويمنعه من أن يؤدي الحج، فضلاً عن أنه يمنعه من بر أمه البرّ التام، قال ابن حجر: (إنما استثنى أبو هريرة ﷺ هذه الأشياء لأن الجهاد والحج يشترك فيهما إذن السيد، وكذلك بر الأم، فقد يحتاج فيه إلى إذن السيد في بعض الوجوه، بخلاف بقية العبادات البدنية، ولم يتعرض للعبادات المالية إما لكونه كان إذ ذاك لم يكن له مال يزيد على قدر حاجته فيمكنه صرفه في القربات بدون إذن سيده، وإما لأنه كان يرى أن للعبد أن يتصرف في ماله بغير إذن سيده)[1].

إننا أمام موازنة أقامها أبو هريرة ﷺ بين فضل كونه مملوكًا وفضل الأعمال التي قد لا يستطيع أن يفعلها إن هو أصبح مملوكًا، فقارن ووازن بين الفضلين والثوابين فاختار أعلاهما، وأحسنهما وأفضلهما، وترك أدناهما وأقلهما.

وفي ذلك تربية على الموازنة بين الأمور واختيار أفضلها وأحسنها، ونحن أحوج ما نكون إلى هذه التربية الموازنة، نظرًا لشيوع بعض مظاهر الخلل في حياتنا المعاصرة، والتي ظهرت بسبب غياب الموازنة والترجيح بين الأمور المتعارضة أو المتزاحمة، ونستطيع أن نرصد بعض هذه المظاهر:

أ - ترك ذوي التعليم المهني الممتاز أعمالهم وطلبهم للعلم الشرعي والرغبة في التفوق فيه والبروز، فتجد الطبيب والمهندس والصيدلي ونحوهم ممن قطعوا شوطًا كبيرًا في التعليم التخصصي وممارسة العمل والتفوق فيه، تجد بعضهم يترك عمله هذا أو يتوقف عن الإطلاع على المزيد ومواصلة التطور والتعمق فيه، ويكتفي بما حصّله، ويتجه بكليته إلى طلب العلم الشرعي التخصصي من فقه وحديث وتفسير وعلوم قرآن، ويجد في ذلك ويجتهد.

وهو في هذا صاحب نية صادقة وتوجه مشكور، ولكن لنوازن بين ما هو فيه وما يريد أن يكون: إنه قد ترك مهنته التي يعرفها ويتقنها أو توقف عن مواصلة التعلم فيها،

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢٨٥/٢.

ومهنته هذه يحتاجها الناس أشد الاحتياج، ويبحثون عن كل أمين صادق قنوع في هذه المهن الخطيرة، فإذا ترك مهنته فربما أحوج الناس إلى الذهاب إلى غيره ممن لا يُعرف بصدق وأمانة أو قناعة، كما أنه إذا ترك الصادقون المخلصون الأمناء هذه المهن الخطيرة فإلى أين يذهب الناس وبمن يثقون؟ هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن مجال العلم الشرعي التخصصي فيه علماء مبرزون صادقون مخلصون ربانيون، يمكن أن يسألهم ويثق بعلمهم.

إننا نرى أن أصحاب هذه المهن الحيوية التي يحتاجها الناس عندهم من الفرص الثمينة ما يستطيعون أن يخدموا به الإسلام خير خدمة، دون أن يتركوا مهنهم تلك، إن عملهم يقوم على الاحتكاك بالناس ومخالطتهم ومعرفة الكثير عنهم، وهم إذا أخلصوا النية لله، وعاملوهم بصدق وأمانة وقناعة، كما هي آداب الإسلام وأخلاقه، لضربوا أمامهم أمثلة رائعة على كيف يكون الالتزام بالإسلام مفيدًا للناس قبل الملتزم، كما أنهم بسلوكهم هذا معهم يدعونهم بالممارسة والعمل إلى التحلي بآداب الإسلام وأخلاقه، ولا شك أن الدعوة بالممارسة والفعل أقوى من الدعوة بالقول.

ب - انشغال كثير من الناس ببناء المساجد وتعميرها، دون أن يلتفتوا إلى أهمية توفير مكتبة إسلامية تحتوي على أمهات الكتب الإسلامية في القديم والحديث، وتحتوي كذلك على النافع من العلوم، إنه من النادر أن تجد المكتبات الأهلية، وإذا وجدتها كانت قليلة الكتب محدودة المصادر، أما المساجد فتجدها كثيرة جدًّا، لا يكاد يخلو شارع أو عدة شوارع من مسجد، بل قد تجد في بعض المدن أن الشارع الواحد فيه بضعة مساجد، لكن قد تخلو مدينة كبيرة من وجود مكتبة أهلية ذات وزن مقبول، ألَيْست هذه المساجد تحتاج إلى من يعمرها ويرشد الناس فيها إلى الحق ويبصرهم بأمر دينهم ووجود مكتبة شرعية كثيرة المراجع والمصادر تسهل هذه المهمة تسهيلاً كبيرًا؟.

إن الإكثار من بناء المساجد عمل مشكور وجهد طيب لكن في نفس الوقت إهمال السبل لتيسير العلم والتعلم والاطلاع ومعرفة الصحيح والخطأ -أي التفقه في دين الله-

إهمال ذلك فيه إخلال كبير وخلل في الموازنة، لذا كان الأمر يحتاج إلى علاج هذا الخلل بالموازنة بين بناء المساجد وإقامة المكتبات الإسلامية الأهلية الكبرى حتى نجمع بين مكان العبادة وتصحيح العبادة التي تقام في المساجد وغيرها.

ثالثًا- من أهداف التربية الإسلامية: تعليم البنات:

حضّ النبي ﷺ على تأديب الإماء وإحسان تعليمهن ثم عتقهن وتزويجهن، أي الإحسان إليهن بكل ما تحمله كلمة الإحسان من معانٍ ودلالات، حضّ على ذلك بأن ذكر أن من فعل ذلك كان له أجران، قال النووي: (وليس هذا من الرجوع في الصدقة في شيء، بل هو إحسان إليها بعد إحسان) [1].

والذي يلفت نظرنا في هذا الحديث الشريف أنه ﷺ حضّ على تعليم الإماء في بيئة كانت لا تقيم لهن ولا للحرائر كبير وزن أو مزيد اهتمام أو كثير عناية، بل كانت بعض القبائل تنظر إلى المرأة أنها من سقط المتاع فلا تستحق تعليمًا أو تأديبًا أو إحسانًا أو مراعاة، ولم يكن المجتمع العالمي وقت البعثة بأحسن حالاً في نظرته الإجمالية إلى المرأة، فكون النبي ﷺ يحضّ على تعليم الإماء -وهن أقل من الحرائر بكثير- دليل واضح وجلي على أن التربية الإسلامية من أهدافها الأصيلة تعليم البنات حرائر وإماء كما كان من أهدافها تعليم البنين والرجال، إنها باختصار تهدف إلى تعليم المجتمع كله بجميع فئاته وأعماره، وقد بوّب البخاري على هذا الحديث في كتاب العلم من صحيحه: باب: تعليم الرجل أَمَتَه وأهله[2].

قال ابن حجر: (باب تعليم الرجل أَمَتَه وأهله مطابقة الحديث للترجمة في الأمة بالنص وفي الأهل بالقياس، إذا الاعتناء بالأهل الحرائر في تعلم فرائض الله وسنن رسوله ﷺ آكد من الاعتناء بالأمة)[3].

إننا أمام توجيه نبوي شريف لتعليم البنات والنساء وتيسير السبل والطرق لذلك، لأن

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١/١٩٠.

(٢) الحديث ٩٧.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/٢٣٦.

الاهتمام بتعليم البنات تعليم لأمهات المستقبل، ولا يخفى أن تأثير الأم على أولادها قد يعادل أو يفوق تأثير الأب عليهم، نظرًا لتفرغها ومعايشتها لأولادها في كل صغيرة وكبيرة، فتعليمها يتعدى إلى غيرها يتعدى إلى أولادها وأهلها فتساهم بدور فعال في إصلاح المجتمع والعمل على ترقيته وصدق حافظ إبراهيم إذ قال:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبًا طيب الأعراق

ولكي يأتي تعليم البنات بآثاره المرجوة من ورائه، نرى أنه لا بد أن يقوم على مبادئ وركائز هي:

أ - لا بدّ من تعليم البنات أن دورهن في الحياة لا يكون التصارع مع الرجال واعتبارهم مغتصبين لفرصهن ومناصبهن وحقوقهن، وإنما يكون التكامل مع الرجال والتعاون، فلا شك أن للرجال دورًا لا تستطيع النساء أن يقمن به، كما أن للنساء دورًا لا يستطيع الرجال أن يقوموا به.

ب - لا بدّ من غرس في نفوس البنات وأفئدتهن أن مهمتهن الأولى في هذه الحياة هي الحفاظ على بيوتهن وجعلها حدائق للتربية والتوجيه، ومساعدة الزوج، فكل عمل يتعارض مع هذه المهمة الجليلة يجب تجنبه وعدم الاشتغال به.

ج - لا بدّ من بيان أن الحضارة الإسلامية حضارة أصيلة، لا هي شرقية ولا غربية، هي فكر مستقل عن غيره من الأفكار، وهي حضارة لها من الأسس المتينة والمبادئ الراسخة ما يحفظ عليها خصائصها ومقوماتها، ولا يجعلها تذوب في غيرها وعلى ذلك يجب أن يكون للمرأة موقف مما هو حادث في عالم المرأة على مستوى العالم، فلا تتبع كل ناعق أو ناعقة، ولا تميل مع كل دعوى زائفة أو كل فكرة براقة، بل ترد ذلك إلى دينها فما أقرّه تمسكت به وعضت عليه بالنواجذ، وما رفضه رفضته ولم تنشغل به، بل كانت على حذر وحيطة منه.

۞ ۞ ۞

٢٣٩- باب فضل العبادة في الهرج وَهُوَ: الاختلاط والفتن ونحوها

الحديث رقم (١٣٦٨)

١٣٦٨- عن مَعْقِلِ بن يسار ﷺ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((العبَادَةُ في الهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إليَّ)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

معقل بن يسار: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦٥٤).

غريب الألفاظ:

الهرج: الفتنة واختلاط أمور الناس، والقتال. وأصل الهرج: الكثرة في الشيء والاتساع[٢].

الشرح الأدبي

حين نتأمل آفاق المعنى في هذا الحديث الذي اتسم بالدقة والإيجاز نجد الحديث مؤطرا بصورة تشبيهية تجمع بين طرفي الحديث، والجملة الأولى تمثل الطرف الأول من هذا التشبيه "وهو حال المسلم في عبادته التي يقوم بها في أجواء غير مناسبة حيث الاختلاط والفتن وهوشات الأسواق وحركة الناس في مثل هذه التجمعات التي تعج بالضجيج والصخب والأغاني واللعب، وغير ذلك من مظاهر اللهو والفن والتعبير بفي يدل على الظرفية والتمكن من الشيء وعلى الرغم من ذلك ينتصر العابد على هذه المغريات وتلك الإرجافات ويخلص العبادة لله والطرف الثاني من الصورة التشبيهية هو هذه العبادة المحاطه بالفتن تشبه في قوة الإرادة وصدق النوايا وصمود الإيمان في وجه مغريات الشيطان تشبه: الهجرة والفرار بالدين من دار الشرك إلى دار الإيمان، يقول

---

(١) برقم (١٣٠/٢٩٤٨).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (هـ ر ج).

القرطبي في تفسير هذه الصورة في ذلك (والمنقطع إليها المنعزل عن الناس أجره كأجر المهاجر إلى النبي ﷺ ، وللهجرة دلالات متعددة وموحية تفجرها هذه الدلالات ومن ذلك: الدلالات اللغوية والدلالة الإصلاحية فالدلالة اللغوية تقودنا إلى عدة منابع تتجمع كلها لتعطى معنى الشدة والقوة والطول والعظيم والجيد من كل شيء، والفائق الفاضل على غيره ومادة "هجره "في القاموس المحيط: تتدرج تحتها هذه المعاني الإيجابية فالهجرة في ظل هذه الدلالات تعنى المكابدة والقوة. . والتضحية - وكل هذه الصفات لانتصار الإرادة وانتصار العقيدة والعبادة في، "الهرج"وقلب الفتن هي المظهر الأسمى للقابض على دينه وهو مثل من يقبض على الجمر. .. وفى مقدمه هؤلاء القابضين على الجمر الفارون بدينهم إلى ربهم، والمهاجرون إلى رسول الله ﷺ وفى تصوير "هجرة الحبيب المصطفى ﷺ يقول: صاحب هذه السطور

الله يعلم كم كابدت من كمد ... وأنت ترحل عن أهل وعن ولد

فكم خطرت حبيبا في مرا بعها ... والكف تجهل كم تحوى من العدد

وكم سجدت مع الإلهام منفرداً ... وفى حراء تلاشت حيرة الخلد

ما كنت تقرأ شيئاً من ضلالتهم ... وعدت تقرأ باسم البارىء الصمد

أشرقت في يثرب بدراً ومرحمة ... فأنقذ الكون من تيه ومن بدد

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان فضل العبادة في الهرج.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: الحث على التمسك بالكتاب والسنة والابتعاد عن الفتن.

أولاً - من أساليب الدعوة: الترغيب:

حيث جاء في الحديث: (العبادة في الهرج كهجرة إليّ)، حيث رغّب رسول الله ﷺ في عبادة الله وقت الفتن وانشغال الناس، بأن ثواب هذه العبادة كهجرة إليه ﷺ ، وهذا ترغيب عظيم خاصة مع معرفة فضل الهجرة إليه، وثوابها العظيم عند الله تعالى.

وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي توجه المدعو وتحببه في الطاعة، قال الشيخ محمد الغزالي: "الحث على فعل الخير وأداء الطاعات والاستقامة على أمر الله جاء في الكتاب والسنة مقرونًا ببشريات كثيرة وحكم مذكورة، والدعاة عندما يغرون العامة والخاصة باتباع الدين لا يسأمون من تكرار هذه الجوائز المفروضة العلل الباعثة"[١]، ومما لا شك فيه أن النفوس البشرية مختلفة الطباع منها ما يجلبه الترغيب ومنها ما يخيفه الترهيب والدعاة مطالبون بانتهاج الأسلوبين مع الناس كل حسب ما يناسبه على أن يقدموا الترغيب لأنه فعل إيجابي ومطلوب من المسلمين أن يكونوا إيجابيين"[٢].

ومن صور استعمال القرآن لأسلوب الترغيب قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا﴾[٣].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بيان فضل العبادة في الهرج:

حيث جاء في الحديث: (العبادة في الهرج كهجرة إليّ)، قال النووي: "والمراد بالهرج هنا: الفتنة واختلاط أمور الناس وسبب كثرة فضل العبادة فيه أن الناس يغفلون عنها ويشتغلون عنها ولا يتفرغ لها إلا أفراد"[٤]، هذا وقد جاء في مسند الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ قال: ((العِبَادَةُ فِي الفِتْنَةِ كَالهِجْرَةِ إِلَيَّ))[٥]، قال ابن رجب: "والعبادة في غفلة الناس أشق على النفوس، وأفضل الأعمال أشقها على النفوس، وسبب ذلك أن النفوس تتأسى بما تشاهده من أحوال أبناء الجنس، فإذا كثرت يقظة الناس وطاعاتهم كثر أهل الطاعة لكثرة المقتدين بهم فسهلت الطاعات، وإذا كثرت الغفلات وأهلها تأسى بهم عموم الناس فيشق على نفوس المتيقظين طاعاتهم لقلة من يقتدون بهم فيها"[٦].

---

(١) مع الله: دراسات في الدعوة والدعاة ص ٣١٢.

(٢) فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٨٦.

(٣) سورة النبأ، الآيتان: ٣١ - ٣٢.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٧٠٥.

(٥) أخرجه أحمد في مسنده ٢٧/٥، رقم ٢٠٣١١ وقال محققو المسند: حديث صحيح، ٤٢٤/٣٣.

(٦) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٢٥٣.

والسر في التعبير عن العابد في الهرج بالمهاجر إلى رسول الله ﷺ، قال ابن رجب الحنبلي أيضًا: "وسبب ذلك أن الناس في زمن الفتن يتبعون أهواءهم ولا يرجعون إلى دين فيكون حالهم شبيهًا بحال الجاهلية، فإذا انفرد من بينهم من يتمسك بدينه ويعبد ربه ويتبع مراضيه ويجتنب مساخطه كان بمنزلة من هاجر من بين أهل الجاهلية إلى رسول الله ﷺ مؤمنًا به متبعًا لأوامره مجتنبًا لنواهيه"(١).

قال القاضي عياض: "وقوله: (العبادة في الهرج كهجرة إليّ) أي في احتدام الفتنة، واختلاط أمر الناس، فيحمل أنه في آخر الزمان الذي أنذر به في الحديث: ((لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْهَرْجُ)) قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ؟ يَا رَسُولَ اللّهِ! قَالَ: ((الْقَتْلُ. الْقَتْلُ))(٢)، ويحتمل أنه عمومًا في كل وقت وفضل الانعزال حينئذ لعبادة الله"(٣).

وقال القرطبي: "والهرْج: الاختلاط والارتباك، ويراد به هنا الفتن والقتل، واختلاط الناس بعضهم في بعض فالمتمسك بالعبادة في ذلك الوقت والمنقطع إليها المعتزل عن الناس أجره كأجر المهاجرة إلى النبي ﷺ لأنه يناسبه من حيث إن المهاجر قد فرّ بدينه عمن يصده عنه إلى الاعتصام بالنبي ﷺ وكذلك هو المنقطع للعبادة فرّ من الناس بدينه إلى الاعتصام بعبادة ربه، فهو على التحقيق قد هاجر إلى ربه، وفرّ من جميع خلقه"(٤).

وقال محمد تقي العثماني: "وقوله: (العبادة في الهرج) أصله الاختلاط والقتل والمراد منه هنا: الفتنة وقوله: (كهجرة إلي) والهجرة إلى رسول الله ﷺ من أعظم القربات وإنما عظم أجر العبادة في الفتنة لكثرة الشواغل والذواهل وقلة الفراغ فيها"(٥).

---

(١) المرجع السابق نفسه ص ٢٥٤.

(٢) أخرجه مسلم ٢٨٨٨.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٨/٥٠٩.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٧/٣٠٩.

(٥) تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثمان ١٢/٣٢٩.

وتظهر أهمية وفضل العبادة في الهرج لشدة الفتن التي تأخذ بالألباب، فيما ورد عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ فيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا. الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْمَاشِي فيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي فَكَسِّرُوا قِسِيَّكُم وَقَطِّعُوا أَوْتَارَكُم وَاضْرِبُوا سُيُوفَكُم بِالْحِجَارَةِ، فَإِنْ دُخِلَ - يَعني عَلَى أحَدٍ مِنْكُم فلْيَكُنْ كَخَيْرِ ابْنَيْ آدَمَ))[1]. وهذا الحديث يبين شدة الفتن في آخر الزمان.

(والمراد بالفتن هنا: (المصائب والنكبات) والبلايا التي تنزل على الناس في آخر الزمان فتصيبهم في أنفسهم أو في أموالهم أو في أولادهم أو في عقائدهم، قال الشاعر العربي:

إن للّه عبادًا فُطَنَا ... طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نَظَرُوا فِيهَا فَلَمَّا عَلِمُوا ... أنَها لَيستْ لحَيٍّ سكنا
جعَلُوهَا لُجَّةً وَاتَّخَذوا ... صَالِحَ الأعمالِ فيهَا سُفُنَا

وقوله: (كقطع الليل) المراد أن الفتن تأتي متلاحقة متتالية كما يأتي الليل متلاحق الأجزاء، وكلما تقدم الليل اشتد الظلام، والحديث يصور صورة الفتن تتلاحق كتلاحق الجيوش يطارد بعضها بعضًا وتشتد هذه الفتن العصيبة فتحدث انقلابًا في نفوس البشر من الإيمان إلى الكفر، ومن الهدى إلى الضلال ومن النور إلى الظلام، فيصاب الإنسان بأعظم نكسة وأفدح مصيبة!! وهل هنالك من مصيبة تعدل المصيبة في الدين والإيمان، وهل هناك من خسارة توازي هذه الخسارة؟"[2].

ومما يدل أيضًا على خطورة الفتن وفضل العبادة فيها ما جاء عن زينب بنت جحش رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم استيقظ من نومه وهو يقول: ((لاَ إِلهَ إلاَّ اللّهُ. وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرَ قَدِ اقْتَرَبَ. فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هذِهِ)) وَعَقَدَ سُفْيَانُ بِيَدِهِ عَشَرَةً. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: ((نَعَمْ. إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ))[3].

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٢٥٩، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٣٥٨٢).

(٢) من كنوز السنة، الشيخ: محمد علي الصابوني ص ٢٩ - ٢٩.

(٣) أخرجه مسلم ٢٨٨٠.

ثالثًا- من أهداف الدعوة: الحث على التمسك بالكتاب والسنة والابتعاد عن الفتن:

يتضح هذا من سياق الحديث، ولا شك أن مطلوب المسلم الأول أن يتمسك بالكتاب والسنة في كل وقت، وخاصة عند الفتن والهرج الاختلاط، ولما وعظ رسول الله ﷺ الصحابة رضي الله عنهم موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، قالوا: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ قال: ((أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ والطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا مُجَدَّعًا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ، فَسَيَرَى اخْتِلافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ فَتَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ))[١].

إن المسلم عند الفتن لا منجي له إلا التمسك بالكتاب والسنة وأن يبتعد عن الفتن قدر ما يستطيع "إن من آثار الفتنة أنها تُنسي الواقعين فيها حقائق يعرفونها وحدودًا كانوا يلتزمونها، وإن الواقع في الفتنة تخف تقواه، ويرق دينه، ولذلك حين يُبعد أناس عن الحوض كان يظنهم رسول الله ﷺ من أمته يُجاب: (لا تدري مشوا على القهقري)، قال راوي الحديث ابن أبي مليكة: ((اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَرْجِعَ عَلَى أَعْقَابِنَا، أَوْ أَنْ نُفْتَنَ))[٢].

ومن أخطر آثار الوقوع في الفتن انعدام التأثر بالموعظة، روى أحمد: أن أخًا لأبي موسى كان يتسرع في الفتنة فجعل ينهاه ولا ينتهي فقال: إن كنتُ أرى أنه سيكفيك مني اليسير -أو قال من الموعظة- دون ما أرى...، بل ويستصغر الناس المعاصي. يقول عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: في الفتنة لا ترون القتل شيئًا، فما سبيل النجاة من الفتن؟

ومن المنجيات من الفتن: أن تتنازل عن حقك في الدنيا وإن كان الصبر على ذلك شاقًا على النفس، كما جاء في سنن أبي داود: ((إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، وَلَمَنْ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ فَوَاهًا))[٣]، ومن كانت الفتنة تحيط به ولا مُنْجِيَ له منها فليفر بدينه من الفتن أو ليكثر من العبادة

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٦٠٧، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٣٨٥١)، والترمذي ٢٦٧٦، وابن ماجه ٤٣.

(٢) أخرجه البخاري ٧٠٤٨.

(٣) أخرجه أبو داود ٤٢٦٣، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٣٥٨٥)، واهًا: ما أطيب الصبر على البلاء.

كما في الحديث: ((الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ، كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ))[1]، والتزود بالأعمال الصالحة مطلوب للوقاية من الفتنة قبل وقوعها، قال ﷺ: ((بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا))[2].

قال النووي في شرح الحديث: "معنى الحديث الحث على المبادرة إلى الأعمال قبل تعذرها والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتراكمة المتكاثرة"[3].

ومن كان يملك أسباب الفتنة فليتخلص منها حتى إن كعب بن مالك رضي الله عنه يذكر في قصة الثلاثة الذين خُلفوا؛ كيف جاءه كتاب من ملك غسان وفيه: (...قد بلغني أنَّ صاحبَك قد جَفاك، ولم يَجعلْك اللَّهُ بدارِ هَوانٍ ولا مَضْيعَة، فالْحَقْ بنا نُواسِكَ. يقول كعب: فقلتُ لما قرأتُها: وهذا أيضًا مِنَ البَلاء. فتيمَّمْت بها التَّنُّورَ فَسَجَرْتُهُ بها)[4].

والدعاء بالحماية من شرور الفتن سبب من أسباب النجاة، وينجيك عند الله أن تنكر الفتنة، ولا ترضى بها، ولا تعين عليها، وأهم المنجيات أن يفقه المرء دينه، وأن يميز حدود الشرع - دون التباس - فقد نقل ابن حجر عن ابن أبي شيبة حديثًا عن حذيفة رضي الله عنه يقول فيه: (لا تضرّك الفتنة ما عرفت دينك، إنما الفتنة إذا اشتبه عليك الحق والباطل)[5].

ورغم كل هذه الأسباب المنجية وغيرها، لا بد للقلب من أن يبقى معلقًا بالله، وحقًا: إن السعيد لمن جنب الفتن، فاجتناب الفتن حفظ رباني، أكثر من كونه كسبًا بشريًا.

والخلاصة: أن من أسباب الوقوع في الفتنة:

- استعداد القلب لقبولها.
- الخوض بالألسنة واعتقاد الأوهام.
- تقديم الرأي على حكم الشرع.

---

(١) أخرجه مسلم ٢٩٤٨.

(٢) أخرجه مسلم ١١٨.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٦٨.

(٤) أخرجه البخاري ٧٠٩٨.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٩/١٣.

- استلام إمارة لا يعان عليها.
- الانشغال بالقول عن العمل

ومن آثار الفتنة أنها:

- تُنسي الناس حقائق يعرفونها.
- تُرقق الدين.
- تُذهب العقل.
- تعدم التأثر بالموعظة.

ومن المنجيات من الفتن:

- التنازل عن حقك في الدنيا.
- الفقه في الدين.
- التخلص من وسائل الفتنة وأسبابها.
- عدم تولي إمرة في الفتنة.
- الدعاء بالحماية من شرها.
- إنكار القلب للفتنة.
- التزود بالعمل الصالح.
- اجتناب الفتن حفظ رباني أكثر من كونه كسبًا بشريًا"[1].

وقال ابن الجوزي: "ما رأيت فتنة أعظم من مقاربة الفتنة. وقلّ أن يقاربها إلا من يقع فيها، قال بعض المعتبرين: قدرت مرة على لذة ظاهرها التحريم، وتحتمل الإباحة، إذ الأمر فيها مردد، فجاهدت النفس، فقالت: أنت ما تقدر فلهذا تترك، فقارب المقدور عليه، فإذا تمكنت فتركت كنت تاركًا حقيقة. ففعلت وتركت، ثم عاودت مرة أخرى في تأويل، أرتني فيه الجواز، وإن كان الأمر يحتمل. فلما وافقتها أثر ذلك ظلمة في قلبي، لخوف أن يكون الأمر محرمًا. فرأيت أنها تارة تقوى بالترخص والتأويل، وتارة

---

(١) هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقًا، محمود محمد الخزندار ص ٢٧٦ - ٢٧٩ بتصرف.

أقوى عليها بالمجاهدة والامتناع. فإذا ترخصت لم آمن أن يكون ذلك الأمر محظورًا، ثم أرى عاجلاً تأثير ذلك الفعل في القلب.

فلما لم آمن عليها بالتأويل تفكرت في قطع طمعها من ذلك الأمر المؤثر، فلم أر ذلك إلا بأن قلت لها: قدري أن هذا الأمر مباح قطعًا، فوالله الذي لا إله إلا هو لا عُدت إليه. فانقطع طمعها باليمين والمعاهدة. وهذا ابلغ دواء وجدته في امتناعها؛ لأن تأويلها لا يبلغ إلى أن تأمر بالحنث والتكفير.

فأجود الأشياء قطع أسباب الفتن، وترك الترخص فيما يجوز إذا كان حاملاً ومؤديًا إلى ما لا يجوز[1].

---

(١) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا ٢٨٨ - ٢٨٩.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

الثبات على مبادئ الإسلام كل وقت وكل حين وفي كل مكان:

إذا كانت الهجرة في أول ظهور الإسلام من الأعمال التي تدل على صدق الإيمان وعلى حبِّ الله ورسوله وحب شرعه، فإن المهاجر ترك كل شيء دنيوي من أجل الهجرة إلى النبي ﷺ، فقد ترك ماله وأهله وولده وزوجته وقبيلته وعزّه ومجده وحَسَبَه ومكانته وما شابه ذلك، ابتغاء مرضاة الله ونيل رضاه، لذا كان المهاجر له من المكانة ما ليس لغيره ومن الفضل ما ليس لأحد سواه، فقد هاجر والخوف يحيط بالمسلمين من كل مكان يخافون أن يتخطفهم الناس، والجزيرة كلها أو معظمها تعلن العداء لدولة الإسلام الناشئة في المدينة المنورة، ومن أقدم على الهجرة نبذه أهله وأولاده وعادات قومه وقبيلته وربما تبرأوا منه ومن هجرته، لذلك كان أمر الهجرة إلى رسول الله ﷺ أمرًا عظيمًا وشأنًا خطيرًا، يتمنى المسلمون في كل زمان وعصر لو نالوا هذا الشرف العظيم والخير الوفير.

لكن النبي ﷺ قد بيّن أن هناك من الأفعال ما إن فعلت كانت تعادل الهجرة إليه ﷺ، فكأنها هجرة إليه.

إن ذلك يتحقق بالعبادة في الهرج وقت الفتن واختلاط أمور الناس، فهذا وقت الثبات، ووقت الإمساك بمبادئ الشرع وعدم التزحزح عنها والالتزام بها وعدم الحيد عنها مهما كانت المغريات والمؤثرات والضغوط، ومهما قلّ المتمسكون والملتزمون، ومهما كثر السقوط والتخلي عن الأصول والمبادئ والأساسيات، إنه رغم كل ذلك متمسك بالعبادة وملازمتها والقيام بها خير قيام حتى يأتيه اليقين، إن من فعل ذلك استحق أن يكون كمن هاجر إلى النبي ﷺ وقت ظهور الإسلام وبدايته.

ولنا أن نسأل: لماذا كان هذا التشبيه بوجه خاص؟ لماذا ذكرت الهجرة مع العبادة وقت الهرج؟

إننا نستطيع أن نجيب بما يلي:

أ- الهجرة في أصلها هجرة ما يغضب الله تعالى، والعبادة من لوازمها ومقتضياتها هجر ما يغضبه سبحانه وتعالى، فلا يتصور صاحب عبادة حقة يعبد الله وهو مصرّ على ارتكاب الفواحش والكبائر والذنوب والسيئات، إنه بعبادته يلازم طريق الاستقامة فلا يفعل إلا طيبًا، ولا يهجر إلا خبيثًا.

ب- كانت الهجرة في أول الإسلام لا يفعلها إلا الأقوياء في الإيمان الأشداء في العقيدة، وكذلك العبادة وقت الهرج لا يفعلها إلا المؤمنون الأقوياء المخلصون العابدون العاملون، وهؤلاء أفراد قلة وقت الهرج.

ج- الهجرة إلى رسول الله ﷺ هجرة إلى أحب محبوب وأشرف مخلوق، كذلك الالتزام بالعبادة وقت الهرج هجرة لما عليه الناس إلى أحب الأعمال وأشرفها، فهل هناك أحب أو أشرف من عبادة الله وحده؟

د- كان المهاجرون الأوائل شامات بين الناس وعلامات مضيئة، وكذلك العابدون وقت الهرج أعلام بين الناس ونجوم لامعة في سماء الناس، وذلك لقلتهم كما أن أعمالهم الطيبة إلى أعمال الناس الآخرين كالنقطة البيضاء في سواد قاتم بغيض.

والسؤال الذي يطرح نفسه: أليس للالتزام بالعبادة وقت الهرج ضريبة تدفع إن صح هذا التعبير؟

لا شك أن هذا مقرر وواقع ومعروف لا يحتاج إلى دليل، لكن على صاحب المبدأ أن يظلّ على مبدئه لا يحيد عنه ولا يميل، "فلقد كانت دعوة النبي ﷺ واضحة جلية منذ أيامها الأولى، فحينما رأى المشركون قوة دعوة النبي ﷺ والتفاف الناس حوله، أرادوا أن يجروه إلى التفاوض على المبدأ وسياسة الترقيع والقبول بالحلول الوسط والمنافع المشتركة، أنزل الله تعالى قوله: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾[1]، ولهذا فمن مبادئ الدخول في دين الإسلام: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ

---

(١) سورة الكافرون، الآيات: ١ - ٦.

﴿ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ﴾[١].

ويتربى الصحابة رضي الله عنهم على هذه الحقيقة أعزة شامخين بإيمانهم فها هم أولاء يخرجون من غزوة أحد وقد ثقلتهم الجراح، وفقدوا جمعًا كريماً من جلّة الصحابة، ومع ذلك يتنزل عليهم قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[٢].

صحيح أن ذلك قد يجرّ مزيدًا من التسلط والتضييق والملاحقة لأولياء الله الصالحين، ولكن هذه هي طبيعة هذا الدين، فما من نبي من الأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام إلا وقد تسلط عليه قومه بالسخرية والإيذاء، بل بالضرب والقتل أحيانًا، قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾[٣]، ولما سمع ورقة ابن نوفل ما حصل للنبي صلى الله عليه وسلم في غار حراء قال له: هذا الناموس الذي نزّل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعًا، ليتني أكون حيًا إذ يخرجك قومك، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أوَ مُخرِجيَّ هُمْ؟ قال: نعم، لمْ يَأتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ ماجئتَ بهِ إلا عُودِي))[٤].

وقال قيصر الروم في حواره مع أبي سفيان بن حرب: (سألتُكَ كيفَ كان قتالُكم إيّاهُ، فزَعمتَ أنَّ الحربَ سِجالٌ ودُوَلٌ، فكذلك الرُّسُلُ تُبْتَلى ثم تكونُ لهمُ العاقبةُ)[٥][٦].



(١) سورة البقرة، آية: ٢٥٦.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٣٩.

(٣) سورة الفرقان، آية: ٣١.

(٤) أخرجه البخاري ٣ من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٥) أخرجه البخاري ٧ من حديث ابن عباس عن أبي سفيان رضي الله عنهم.

(٦) لكم دينكم ولي دين: دعوة إلى الثبات على المبادئ الصحيحة. افتتاحية مجلة البيان العدد ١٠٦، ص ٥ - ٦.

٢٤٠- باب فضل السماحة في البيع والشراء

والأخذ والعطاء وحسن القضاء والتقاضي وإرجاح المكيال والميزان والنهي عن التطفيف وفضل إنظار الموسِر المُعْسِرَ والوضع عَنْهُ

قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[البقرة: ٢١٥]، وقال تَعَالَى: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُم﴾[هود: ٨٥]، وقال تَعَالَى: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[المطففين: ١ - ٦].

الحديث رقم (١٣٦٩)

١٣٦٩ - وعن أبي هريرة ﷺ: أنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبيَّ ﷺ يَتَقَاضَاهُ فَأغْلَظَ لَهُ[1]، فَهَمَّ بِهِ أصْحَابُهُ، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: ((دَعُوهُ، فَإنَّ لِصَاحِبِ الحَقِّ مَقَالاً)) ثُمَّ قَالَ: ((أعْطُوهُ سِنًّا مِثْلَ سِنِّهِ)) قالوا: يَا رسولَ اللهِ، لا نَجِدُ إلاَّ أمْثَلَ مِنْ سِنِّهِ، قَالَ: ((أعْطُوهُ، فإنَّ خَيْرَكُمْ أحْسَنُكُمْ قَضَاءً)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

يتقاضاه: يطلب منه قضاء الدين[3].

---

(١) (له) لا توجد عند البخاري، وهو لفظ مسلم، وكذا عند المنذري في ترغيبه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٣٠٦) واللفظ له، ومسلم (١٦٠١/١٢٠). أورده المنذري في ترغيبه (٢٦١١).

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٩/٥.

فهمَّ به أصحابه: أرادوا أن يؤذوه بالقول أو الفعل لكن لم يفعلوا أدبًا مع النبي ﷺ[١].

مقالاً: المقال: صولة الطلب وقوة الحجة لكن مع مراعاة الأدب المشروع[٢].

سنا: جملاً ذا سن[٣].

أمثل: أعلى[٤].

الشرح الأدبي

هذا مشهد مضيء بالقدوة الحسنة من مشاهد السيرة النبوية.. يؤكد عدالة الإسلام، وسماحة نبي الإسلام ﷺ والتعامل بالفضل والحسنى ويموج هذا الحديث الحواري بعدة ظواهر فنية وأسلوبية تشع بدقة البيان النبوي وروعته، وجماله، ونصاعته منها: التأكيد بأن في بداية الحديث.. يرشد إلى أهمية الواقعة وإلى ضرورة اتخاذها نموذجاً للتعامل بالحسنى التعبير بقوله: يتقاضاه: ومعناه: يطلب منه قضاء ماله عنده والصيغة تدل على التفاعل، والمفاعلة: فالمال بين الاثنين: صاحب الدين وهو له حق الملكية ورسول الله وهو له حق الانتفاع إلى حين قضاء الدين، ثم العطف بالفاء الذي ينبيء عن تتابع الحدث وسرعة الحركة.. والأفعال تصور المشهد كأنه وقع أمامنا على هذا النسق المتوالي (فأغلظ له) فهم به أصحابه، فقال رسول الله.. والأفعال كلها ماضية لأنها تسرد مشهدا وقع.. ويساق للعبرة والقدوة والموعظة وقد شارك في صنع هذا الحدث ثلاثة أطراف، صاحب الدين وقيل هو "زيد بن شعبة الكناني "وكان حينئذ مشركاً وأسلم بعد، والطرف الثاني يتمثل في صحابه رسول الله الذين ساءهم ما عليه الرجل من غلظه وجفوه والطرف الثالث رسول الله ﷺ، ثم الأمر في قوله ﷺ "دعوه "يدل على سماحة رسول الله وعلى خلقه العالي لأنه بحكمته وسماحته راعى العامل

---

(١) المرجع السابق ٥/٦٩.

(٢) المرجع السابق ٥/٦٩.

(٣) المفصح المفهم لمعاني صحيح مسلم، ابن هبيرة ٣٨٩.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٤٤٨.

النفسي والاجتماعي في تصرفات الرجل وأعقب الأمر بتعليل وتفسير هذا التعريف وجاء التعليل مقروناً بالتوكيد ليبرر غلظة الرجل وسوء طبعه. . فقال إن لصاحب الحق مقالاً: أي طريقة في القول تخالف المألوف المعهود، وتكرار الأمر في قوله علية الصلاة والسلام (أعطوه سناً مثل سنه) يدل على إصرار الرسول ﷺ على أن يأخذ الرجل حقه متماثلاً وأسلوب القصر في قول الصحابة "لا نجد إلا أمثل من سنه "يؤكد على وجود الأفضل وهو مستحسن في أداء الحقوق "ثم إن التأكيد في ختام الحديث يتناسب مع التأكيد في بدايته - حيث ختم الحديث بقاعدة إسلامية يجب أن يتحلى بها كل مسلم وهي قاعدة شرعية عامة وليست خاصة بشخص ولا بحادثة محددة ولا زمن معين "فإن خيركم أحسنكم قضاء"والله أعلم.

فقه الحديث

يشير الحديث إلى عدة أحكام منها:

١ - حكم الاقتراض والاستدانة: أجمع الفقهاء على جواز الاقتراض والاستدانة[1].

٢ - حكم اقتراض الحيوان: ذهب المالكية، والشافعية، والحنابلة، وجماهير أهل العلم من السلف والخلف إلى جواز قرض جميع الحيوانات إلا الجارية لمن يملك وطأها فإنه لا يجوز ويجوز إقراضها لمن لا يملك وطأها كمحارمها[2]. واستدلوا على ذلك بما

(١) الإجماع ٩٤/١٤، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني ٧٠/٧ - ٧١، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن عرفة الدسوقي ٢٢٢/٣، ٢٢٣، حاشية الصاوي ٢٩٢/٣، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٩/٣، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٠٧/٤، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٢٣٧/٣، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٢/٥.

(٢) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن عرفة الدسوقي ٢٢٣/٥، حاشية الصاوي ٢٩٢/٣ - ٢٩٣، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣١/٣، المغني ٢٠٩/٤، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٢٣٩/٣ - ٢٣٠، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٢/٥، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٢٣١/٥.

روي عن النبي ﷺ "أنه استسلف بكرًا" ولأن ما ثبت سلمًا يملك بالبيع ويضبط بالوصف فجاز قرضه كالمكيل والموزون[١].

وذهب المزني، وابن جرير، وداود إلى جواز قرض الجارية وسائر الحيوان لكل واحد[٢].

وذهب الحنفية، والكوفيون، والثوري إلى عدم جواز قرض شيء من الحيوان[٣]. واستدلوا على ذلك بأن الحيوان لا مثل له أشبه الجواهر[٤].

والراجح هو رأي جمهور الفقهاء، لأن الحديث يرد على مخالفيهم.

٣ - ما الحكم لو رد القرض أجود مما أخذ بدون شرط؟ اتفق الفقهاء على أنه يستحب لمن عليه دين من قرض وغيره أن يرد أجود من الذي عليه، وأن هذا من السنة ومكارم الأخلاق، وليس هو من قرض جر منفعة فإنه منهي عنه، لأن المنهي عنه ما كان مشروطًا في عقد القرض[٥].

٤ - حكم المطالبة بالدين إذا حل: تجوز المطالبة بالدين إذا حل[٦].

---

(١) المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٠٩/٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٢/٥، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٢٣٢/٥.

(٣) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٧٢/٥، حاشية رد المحتار ٢٧/٥، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٢/٥، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٢٣٢/٥.

(٤) المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٠٩/٤.

(٥) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٣٦٥/٧، حاشية الصاوي والشرح الصغير ٢٩٦/٣، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٤٠/٣، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٢٤٥/٣، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢١٢/٤، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٢/٥.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٢/٥، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٢٣٢/٥.

٥ - أن الاقتراض في البر والطاعة وكذا الأمور المباحة لا يعاب[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: غيرة الصحابة رضي الله عنهم على النبي ﷺ ونصرته.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: السماحة مع الناس.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: حسن قضاء الدين.

أولاً - من موضوعات الدعوة: غيرة الصحابة رضي الله عنهم على النبي ﷺ ونصرته:

هذا ما يستفاد في الحديث من قول أبي هريرة رضي الله عنه: (إن رجلاً أتى النبي ﷺ يتقاضاه فأغلظ له، فهم به أصحابه).

قال القاضي عياض: "يحتمل أن إغلاظه إياه كان في طلب حقه وتشدده فيه لا في كلام مؤذٍ يسمعه إياه، فإن ذلك يُعدُّ مَغْبَة مع النبي ﷺ وقد يكون الفاعل على هذا غير مسلم من اليهود أو غيرهم"[٢].

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم أغير الناس على رسول الله ﷺ، (فها هو ذا زيد بن الدَّثِنة يقول له أبو سفيان بن حرب حين قُدِّم ليقتل: أنشدك الله يا زيد، أتحب أن محمدًا عندنا الآن مكانك نضرب عنقه وأنك في أهلك؟ قال: والله ما أحب أن محمدًا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأني جالس في أهلي)[٣].

وعن عبدالله بن أوفى رضي الله عنه قال: (لما اعتمر رسول الله ﷺ سترناه من غِلمانِ المشركينَ ومنهم، أن يُؤذُوا رسولَ اللّهِ ﷺ)[٤].

وليس أدلّ على غيرة الصحابة رضي الله عنهم على النبي ﷺ من أن الرجل يقتل أم ولده من أجل سبها للنبي ﷺ.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٢/٥.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣٠٠/٥.

(٣) سيرة ابن هشام ١٧١/٢ - ١٧٢، البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٥٠٥/٥ - ٥٠٦.

(٤) أخرجه البخاري رقم ٤٢٥٥.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ أعمَى كَانتْ لَهُ أُمُّ وَلَدٍ تَشْتِمُ النَّبيَّ ﷺ وَتقَعُ فيهِ، فَيَنْهَاهَا فَلاَ تَنْتَهِي وَيَزْجُرُهَا فَلاَ تَنْزَجِرُ قالَ فَلَمَّا كَانتْ ذَاتَ لَيْلَةٍ جَعَلَتْ تَقَعُ فِي النَّبيِّ ﷺ، وَتَشْتِمُهُ، فَأَخَذَ المِغْوَلَ فَوَضَعَهُ فِي بَطْنِهَا وَاتَّكَأَ عَلَيْهَا فقتَلَهَا فَوَقَعَ بَيْنَ رِجْلَيْهَا طِفْلٌ فَلَطَخَتْ مَا هُنَاكَ بِالدَّمِ فَلَمَّا أصْبَحَ ذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبيِّ ﷺ فَجَمَعَ النَّاسَ فَقَالَ: ((أنْشُدُ الله رَجُلاً فَعَل مَا فَعَلَ لِي عَلَيْهِ حَقٌّ إلاَّ قَامَ)) قالَ: فَقَامَ الأعْمَى يَتَخَطَّى النَّاسَ وَهُوَ يَتَزَلْزَلُ حَتَّى قَعَدَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبيِّ ﷺ، فَقَالَ يَا رَسُولَ الله أنَا صَاحِبُهَا كَانَتْ تَشْتِمُكَ وَتَقَعُ فِيكَ فَأَنْهَاها فَلاَ تَنْتَهِي، وَأَزْجُرُهَا فَلاَ تَنْزَجِرُ وَلِي مِنْهَا ابْنَانِ مِثْلَ اللُّؤْلُؤَتَيْنِ، وَكَانَتْ بِي رَفِيقَةً، فَلَمَّا كَانَ الْبَارِحَةَ جَعَلَتْ تَشْتِمُكَ وَتَقَعُ فِيكَ، فَأَخَذْتُ المِغْوَلَ فَوَضَعْتُهُ فِي بَطْنِهَا وَاتَّكَأْتُ عَلَيْهَا حَتَّى قَتَلْتُهَا، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: ((ألاَ اشْهَدُوا أنَّ دَمَهَا هَدَرٌ))[1].

فإن الغيرة من لوازم الحب، وكلما كان الشيء محبوبًا، لاصقًا بخاصة نفس المرء، عظمت حرمته لديه، وقامت الغيرة تحرس حماه، وتصون محارمه أن تستباح[2].

وصحابة رسول اله ﷺ كان لهم النصيب الأوفى من محبته وتعظيمه مما سبقوا به غيرهم، ولم يدركهم من بعدهم وأوضح ما يستدل عليه، وأجمل من وصف شأنهم في ذلك عروة الثقفي رضي الله عنه حين فاوض النبي ﷺ في صلح الحديبية، فلما رجع إلى قريش قال: (أيْ قَومِ، والله لقَد وفَدْتُ على المُلوكِ، ووفَدتُ على قَيصَرَ وكِسْرَى والنَّجاشيِّ، واللهِ إنْ رأيتُ مَلِكًا قطُّ يُعظِّمهُ أصحابهُ ما يعظم أصحابُ محمدٍ ﷺ محمدًا، واللهِ إنْ يَتنَخَّمُ نُخامةً إلاَّ وَقَعَت في كفِّ رجُلٍ منهم فدَلَكَ بها وَجهَه وجِلدَه، وإذا أمرَهم ابتَدروا أمرَه، وإذا تَوَضَّأَ كادوا يَقتَتِلونَ على وَضوئِه، وإذا تكلموا خَفَضوا أصواتَهم عندَه، وما يُحِدُّونَ إليهِ النَّظرَ تَعظيمًا له)[3].

فقد أحبَّ الصحابة رضي الله عنهم رسول الله ﷺ، وكانوا يغيرون عليه أكثر من

---

(١) اخرجه ابو داود ٤٣٦١، وصححه الألباني (صحيح سنن ابي داود ٣٦٦٥).

(٢) تذكرة الدعاة، البهي الخولي ص ٢٣٣.

(٣) أخرجه البخاري ٢٧٣١، ٢٧٣٢.

أنفسهم وأهليهم، وكانوا في أتم استعداد لنصرته والدفاع عنه بأنفسهم وأموالهم، وكل ما هو عزيز عليهم.

فينبغي على كل مسلم أن يغار على رسول الله ﷺ ويحبه أكثر من نفسه وأهله وماله، وأن يعمل على نصرته ونصرة سنته ﷺ.

"فقد أمر الحق تبارك وتعالى بنصرة نبيه ﷺ وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه"[(١)]، فقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[(٣)].

قال الطبري: "ومعنى التعزير في هذا الموضع: التقوية بالنُّصرة والمعونة، ولا يكون ذلك إلا بالطاعة والتعظيم والإجلال"[(٤)].

"ومن تعظيمه ﷺ نصرته والذب عنه، وقد أوجب الله تعالى على الأمة تعزير نبيه ﷺ وتوقيره...، ومن نصر الرسول ﷺ نصر سنته والذب عن شريعته ودفع كيد الكائدين وطعن الطاعنين في سنته وسيرته، برد شبههم ودحض مفترياتهم، وإظهار ما جاء به الرسول ﷺ من الهدى ودين الحق"[(٥)].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الأمر:

قد ورد هذا الأسلوب في الحديث من قوله ﷺ (دعوه) والأمر من الأساليب الدعوية التي يستعين بها الداعية على حمل المدعو وإرشاده إلى فعل الأمر المدعو إليه وذلك لتحصيل كامل الخير له في الدنيا والآخرة.

---

(١) انظر: مجموعة الفتاوى ابن تيمية ٢١٦/١.

(٢) سورة الفتح، الآيتان: ٨ - ٩.

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٥٧.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٧٥/٢٦.

(٥) محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع عبدالرؤوف محمد عثمان ص ٨٢.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: السماحة مع الناس:

لقد حفل الإسلام بالدعوة إلى التسامح من بزغ فجره، وقد كان النبي ﷺ هو القدوة والأسوة الحسنة في تجسيد التسامح وبيانه للناس قولاً وعملاً، فهو ﷺ القائل: ((اسْمَحْ يُسْمَحْ لَكَ))[١]، والقائل: ((أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ، وَبِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ؟ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ هَيِّنٍ سَهْلٍ))[٢].

أما عمله ﷺ فقد طابق قوله فكان تسامحه أروع مثالاً للبشرية، وأعظم نبراسًا يهتدى به في ذلك، وهذا ما بينه نص الحديث من قول أبي هريرة رضي الله عنه: (إن رجلاً أتى النبي ﷺ يتقاضاه فأغلظ له، فهمّ به أصحابه، فقال رسول الله ﷺ: (دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً)، وقد جسدت سيرة النبي ﷺ السماحة كمثال تطبيقي يراه كل مسلم فيقتدى به.

فعن البراء رضي الله عنه: ((أنَّ النبيَّ ﷺ لما أراد أن يَعتَمِرَ أرسلَ إلى أهلِ مكةَ يَستأذنهم ليَدخُلَ مكةَ، فاشتَرَطوا عليهِ أن لا يُقيم بها إلا ثَلاثَ ليالٍ، ولا يَدْخُلها إلا بجُلُبّانِ السلاح[٣]، ولا يَدْعُوَ منهم أحَدًا. قال: فأخَذَ يكتب الشرطَ بينهم عليُّ بن أبي طالبٍ، فكتَبَ: هذا ما قاضى عليهِ محمدٌ رسولُ اللهِ. فقالوا: لو علمنا أنكَ رسولُ اللهِ لم نمنَعْكَ ولتابَعْناك، ولكنِ اكتُبْ: هذا ما قاضى عليهِ محمدُ بن عبدِ الله. فقال: أنا واللهِ محمدُ بن عبد الله، وأنا واللهِ رسولُ الله. قال وكان لا يكتُبُ، قال فقال لعليّ امحُ رسولَ الله. فقال عليٌّ: واللهِ لا أمحاهُ أبدًا. قال: فأرِنيهِ، قال: فأراه إياهُ، فمحاه النبيُّ ﷺ بيده. فلما دخَلَ ومَضَتِ الأيامُ أتَوْا عليًا فقالوا: مُرْ صاحبَكَ فلْيَرْتَحِلْ. فذكرَ ذلكَ عليٌّ رضي الله عنه لرسولِ اللهِ ﷺ، فقال: نعم. ثم ارتحَل))[٤].

---

(١) أخرجه أحمد ٢٤٨/١، رقم ٢٢٣٣، وقال محققو المسند: حديث صحيح ١٠٣/٤.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٤٨٨، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٠٢٢).

(٣) جلبان السلاح هو ألطف من الجراب يكون من الأدم، يوضع فيه السيف مغمدًا، ويطرح فيه الراكب سوطه وأداته ويعلقه في الرّحل، شرح صحيح مسلم، النووي ص ١١٥٤.

(٤) أخرجه البخاري ٣١٨٤ واللفظ له، ومسلم ١٧٨٣.

وفي غزوة بدر، أرسى النبي ﷺ قواعد السماحة في معاملة الأسرى معاملة حسنة، فقد أمر أصحابه رضي الله عنهم بذلك قائلاً: ((اسْتَوْصُوا بِالأُسَارَى خَيْرًا))[(١)]، ولما أظهر الله دينه ونصر نبيه ﷺ في فتح مكة قال ﷺ لقريش: ((مَا تَرَوْنَ أَنِّي صانعٌ بِكُمْ))، قالُوا: خيرًا، أَخٌ كريمٌ وابنُ أخٍ كريمٍ، قالَ: ((اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ، لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ اليَوْمَ، يَغْفِرُ اللهُ لي ولَكُمْ))[(٢)].

وقد كانت السماحة في التعامل مع أصحاب الديانات الأخرى تجلب لهم الطمأنينة والأمن فيؤدي ذلك إلى حبهم للمتسامحين معهم ومعاونتهم ثم الدخول في هذا الدين الذي يقر مبدأ التسامح مع الآخرين وقد حدث ذلك عقب الفتوح الإسلامية"[(٣)].

وهذا ما بينه الشيخ محمد الصادق عرجون تحت عنوان (سماحة المعاملة في تصرفات القادة والأمراء في فتوح الشام) فقال: "والناظر في تصرفات قادة الفتوحات الإسلامية من أصحاب رسول الله ﷺ وأمرائه وولاته وتلاميذهم من التابعين وتابعيهم يرى أنهم كانوا أحرص على الرفق والسماحة في تنفيذ العهود والمصالحات مما جعل المعاهدين والمصالحين يتعاونون مع المسلمين في صدق وإخلاص، نتيجة لما رأوه من العدالة الرحيمة في معاملة المسلمين لهم.

وقال الشيخ: تطبيق سماحة الإسلام من أعظم أسباب سرعة انتشاره. وفي هذه السياسة الحكيمة الرحيمة أوضح إجابة عن تساؤل المتسائلين عن أسباب السرعة الهائلة التي طوى فيها الإسلام أكثر المعمور من الأرض تحت ظله الظليل.

ويتجلى إبراز هذه المبادئ في أمور:

أولاً: أن هذه المبادئ السمحة الراشدة تنقض الفكرة المتعنتة الجاحدة التي يرددها أعداء الإنسانية، بتصوير فتوحاته غزوًا ماديًا لنهب ثروات الأمم، واغتصاب خيراتها وحرمانها من نعم الله عليها فيما أنعم به من مصادر الثروة الاقتصادية.

---

(١) اخرجه ابن إسحاق في السيرة النبوية ٢٨٧/٢، تاريخ الطبري، الطبري ٤٦٠/٢.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد ابو مسلم وآخرون ٣٠٠/٤ - ٣٠١.

(٣) نضرة النعيم ٢٣٠٠/٦.

وتصوير هذه الفتوحات بأنها إكراه للناس بقوة السلاح على الدخول في دين الإسلام. لأن النظرة العابرة، بل الناقدة الفاحصة، في فتوحات الإسلام، ترد ذلك وتدفع في صدر زاعميه؛ لأن هذه الفتوحات كما دونها التاريخ الصادق بأقلام جهابذته من أبناء الإسلام، أو غيرهم من طلاب الحقائق الذين ينشدونها في مقارها من واقع الأحداث، مهما كلفهم ذلك من تعب ومشقة، أصدق شاهد على عدالة الإسلام وسامحته.

فها هوذا أبو عبيد بن الجراح رضي الله عنه أمين هذه الأمة الإسلامية، وعظيم فتوح المصالحات. نقرأ في مصالحاته لأهل الشام أنه صالحهم على الإبقاء على معابدهم من البيع والكنائس داخل المدن وخارجها مصونة، لا يهدم منها شيء، ولا يغير من معالمها شيء. وصالحهم على حقن دمائهم وحفظ حياتهم. وصالحهم على الدفاع عنهم وحمايتهم من اعتداء من يهم بالاعتداء عليهم. وصالحهم على أن من قاتلهم أو ناوأهم وجب على المسلمين أن يقاتلوه دونهم، ويدفعوه عنهم بقوة السلاح. فهل هذه المبادئ التي تلزم المسلمين أن يحافظوا على معابد أهل الذمة والمعاهدين داخل المدن وخارجها، وتلزمهم بحماية دمائهم أن تسفك والدفاع عنهم. يمكن أن يُشتمَّ منها رائحة غزو مادي لنهب ثروات أو جمع أموال؟ أو يتصور فيها اعتداء على حرية الأديان؟

ثانيًا: إن هذه المصالحات التي تعتمد على العدل والرحمة. والتي قامت على الرفق بأهل الذمة كان لها أثرها الخطير الذي استهدفه الإسلام من فتوحاته.

فقد رأى أهل الذمة وفاء المسلمين لهم بشروطهم، وشاهدوا حسن سيرتهم فيهم، وجربوا معاملتهم، فوقفوا معهم مخلصين، وصاروا عونًا للمسلمين على أعدائهم، فكانوا يخبرونهم بأحوال أعدائهم، ليكونوا منهم على حذر واستعداد لملاقاتهم.

بهذه المعاملة السمحة، وبهذه السماحة في المعاملة فتحت بلاد الشام، ولم تكن هذه السياسة الحكيمة الرحيمة في معاملة أهل الذمة هي منهج أبي عبيدة وحده، بل كانت المنهج الذي أقام الإسلام دعائمه، وثبت في شريعته أعلامه. وأعلى في آفاقها منائره، فهو ليس منهجًا خاصًا لأمير فتح المصالحة أبي عبيدة توصل إليه باجتهاده، وفرضه على

ولاته الذين عملوا تحت إمرته؛ وإنما هو منهج عام في شريعة الإسلام؛ ينبع من مصدريها الأصليين: القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة"[١].

ولكن سماحة الإسلام لا تعني غض الطرف عن الانتهاكات الدينية، وإهدار القيم الإسلامية، فكم من جريمة ترتكب باسم التسامح في الدين، فأي تسامح يُبتغى عند الإساءة إلى أكرم خلق الله محمد بن عبدالله عليه أفضل الصلاة والسلام!!، وأي تسامح يكون عند إهدار قيم الإسلام وفرائضه كالصلاة والحجاب!!، بل الواجب على الأمة الإسلامية جمعاء أن تنتفض لنصرة دين ربها إذا انتهكت محارمه، مقتدية في ذلك بنبيها محمد ﷺ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلاَّ أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا. فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ. ومَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللّهِ لِنَفْسِهِ، إِلاَّ أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ))[٢]، وفي رواية: ((إِلاَّ أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللّهِ. فَيَنْتَقِمَ لِلّهِ عَزَّ وَجَلَّ))[٣].

فعلى الأمة الإسلامية أفرادًا وشعوبا وحكامًا أن تضع التسامح مع الآخرين في موضعه الذي يتفق والشرع، لا الذي يخل بفروض الإسلام وأحكامه.

رابعًا - من موضوعات الدعوة: حسن قضاء الدين:

هذا ما اشار إليه الحديث في قوله ﷺ: (أعطوه سنًا مثل سنه، قالوا: يا رسول الله لا نجد إلا أمثل من سنه، قال: أعطوه فإن خيركم أحسنكم قضاءً) قال النووي: "وفي الحديث أنه يستحب لمن عليه دين من قرض وغيره أن يرد أجود من الذي عليه وهذا من السنة ومكارم الأخلاق"[٤]، فعن أبي رافع، أن رسول الله ﷺ استسلف من رجل بكرًا، فقدمت عليه إبل من إبل الصدقة، فأمر أبا رافع أن يقضي الرجل بكره،

---

(١) الموسوعة في سماحة الإسلامية، محمد الصادق عرجون ٤٢٥/١ - ٤٤٢ باختصار، ولقد استفدناه من موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٢٢٨٩/٦.

(٢) أخرجه البخاري ٣٥٦٠، ومسلم ٢٣٢٧.

(٣) أخرجه مسلم ٢٣٢٨.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٠١٧.

فرجع إليه أبو رافع فقال: لم أجد فيها إلا خيارًا رباعيًا فقال ﷺ: ((أَعْطِهِ إِيَّاهُ، إنَّ خِيَارَ النَّاسِ أَحْسَنُهُمْ قَضَاءً))[1].

قال النووي: "أما البكر من الإبل فبفتح الباء وهو الصغيرة كالغلام من الآدميين والأنثى بكرة..، فإذا استكمل ست سنين ودخل في السابعة وألقى رباعية بتخفيف الياء فهو رباع والأنثى رباعية...، والمعنى أنه ﷺ اقترض لنفسه فلما جاءت إبل الصدقة اشترى منها بعيرًا رباعيًا ممن استحقه فملكه النبي ﷺ بثمنه وأوفاه متبرعًا بالزيادة من ماله"[2]، وفي ذلك قال ابن عثيمين: "فينبغي للإنسان أن يقتدي برسول الله ﷺ في حسن القضاء"[3].

---

(١) أخرجه مسلم ١٦٠٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٠١٧.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١٤٦٧.

الحديث رقم (١٣٧٠)

١٣٧٠- وعن جابر رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: ((رَحِمَ اللهُ رَجُلاً سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى)) رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

سمحًا: أي سهلاً جَوادًا سخيًا[2].

اقتضى: طلب سداد دين له عند غيره[3].

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث النبوي الشريف الذي يتسم بالدقة والإيجاز - نجده يبدأ بقوله: رحم الله رجلاً سمحاً "وهذه الجملة تحمل في طياتها معنى في احتمالين لنوعين من الأساليب: الأسلوب الخبري إذا كان المقصود الإخبار عن رجل بعينة كان سمحاً. والأسلوب الإنشائى "الطلبي "حيث قيل أن الجملة خبرية لفظاً دعائية معنى كما جزم به ابن حبيب المالكي وابن بطال، ورجحه الداوري، وصيغة الدعاء هي الأقرب لأنها تتسق مع دلالة أسلوب الشرط بعد ذلك. . حيث وردت أداة الشرط "إذا "وهى للاستقبال والتحقق فهي عند النحاة ظرف لما يستقبل من الزمان خافض لشرطة منصوب بجوابه "والدعاء هنا عام وهو توجيه نبوي لكل مسلم بأن يكون سمحاً في البيع والشراء وطلب الحاجة. والتعبير بقوله: سمحاً يشع بدلالات متعددة وكلها تكون مجموعة من صفات المسلم الذي يدعو له الرسول ﷺ بالرحمة

(١) برقم (٢٠٧٦). أورده المنذري في ترغيبه (٢٦٠٠).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (س م ح).

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ق ض ى).

في كل زمان وكل مكان: فالفعل سمح: معناه جاد وأعطى، فالسمح: هو الجواد المعطاء الذي يفيض بأخلاقه ومعاملاته الحسنة على كل من يعامله ومن أمارات السماح أنه يوافقه على ما يريد في إطار تعاليم الشرع الحنيف والمسامحة: المساهلة وتسامحوا: أي تساهلوا ومن الدلالات التي تشع بالمساهلة الأثر الوارد "السماح رباح "أى المساهلة في الأشياء تريح صاحبها ومن الدلالات التي توحي بذلك وتعضده: قولهم: عود سمح بين السماحة: أي لا عقده فيه، والسمح: هو المستوى الذي لا عرج فيه "فكل ما استوت بنيته حتى يكون ما بين طرفيه منه ليس بأدق من طرفيه أو أحدهما، فهو من السمح، وهذه الدلالات يمكن أن نستضيء بها في رصد ما يجب أن يكون عليه المسلم في بيعه وشرائه وطلبه حاجته وفى كل معاملاته وتكرار إذا. . في الجمل الثلاث يرشد إلى ضرورة تحقق هذه الصفات في كل الحالات: وحذف الجواب في الجمل الثلاث من أمارات بلاغة النبوة فالإيحاء والإيجاز من معالم البلاغة والحذف حين يقتضيه المقام والسياق من دلائل البلاغة والفصاحة، وقوله: سمحاً: قيل ذلك يوحى بأن السماحة والمساهلة لا بد أن تكون طبعاً راسخاً في النفوس يسبق حركة البيع والشراء ولذلك لم يذكر جواب الشرط وظل كامناً إشارة إلى أنه معلوم من طبائع النفس السوية التي نشأت في ظل القيم الإسلامية واقتدت بالشمائل المحمدية. والله أعلم.

فقه الحديث

تشير الأحاديث إلى عدة أحكام منها:

١ - الحث على السماحة في المعاملة، واستعمال معالي الأخلاق، وترك المشاحة، والحض على ترك التضييق على الناس في المطالبة وأخذ العفو منهم[1].

٢ - فضل إنظار المعسر، وفضل الوضع من الدين، وأنه لا يُحتقر شيء من أفعال الخير فلعله سبب السعادة والبركة[2].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٧٦/٤، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٢٤/١١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٢٤/١١.

٣- أن الكثير من الحسنات إذا كان خالصًا لله كفر كثيرًا من السيئات[1].

٤- أن الأجر يحصل لمن يأمر به وإن لم يتول ذلك بنفسه[2].

٥- حكم توكيل العبيد: اتفق الفقهاء على جواز توكيل العبيد والإذن لهم في التصرف[3].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: السماحة في المعاملات.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل السماحة في المعاملات.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: السماحة في المعاملات:

المعاملات هي ما يجري بين الناس من أمور الدنيا، وتتشكل في صور مختلفة كالبيع والشراء ونحوهما، وهي قائمة على أساس من المشاحة والمشادة، ذلك أن القصد منها الوصول إلى مطمع دنيوي، أو ربح مادي، ومن أجل ذلك تجد المتبايعين يحرص كل واحد منهما على مماكسة صاحبه كي يظفر منه بالتنازل على شيء قد يحصل له، وحينما يتم العقد بينهما تأتي مشكلة أخرى، وهي ما قد يحصل من مماطلة أحدهما للآخر وعدم تسليمه لصاحبه ما يستحق...، وكل ذلك شح في النفوس، وبخل ضارب بجذوره في سويداء القلوب، وهذا من شأنه أن يورث الشحناء بين

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٧٨/٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٧٨/٤.

(٣) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٠/٦، الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٢٢٩/٢، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٣٢/٣، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٦٣/٣، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥١/٥ - ٥٢، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٢٤/١١.

الطرفين، والحقد الذي يستمر مدة، الله أعلم بوقت انتهائها، بل قد يتعدى ذلك إلى الأسرة نفسها، فينتج عن ذلك تفكك بين الأسر، وتنازع بين القبائل، وكل ذلك ينتهي في آخر المطاف إلى المجتمع بالتفكك والاضطراب والضعف والهوان، لذلك حثّ الشارع الحكيم على التسامح في البيع والشراء، ورغب في حسن الاقتضاء، والتسامح فيه"[1].

وهذا ما اشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ: (رحم الله رجلاً سمحًا إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى) قال ابن عثيمين: "وهذا خبر بمعنى الدعاء، يعني: يدعو له - أي النبي ﷺ - بالرحمة إذ كان سمحًا في هذه المواضع"[2]، وقال ابن حجر: "وسمحًا، أي: سهلاً...، والسمح هو الجواد والمراد هنا المساهلة، وقوله: (وإذا اقتضى)، أي: طلب قضاء حقه بسهولة وعدم إلحاف، وفي الحديث الحض على السماحة في المعاملة واستعمال معالي الأخلاق وترك المشاحة والحض على ترك التضييق على الناس في المطالبة وأخذ العفو منهم"[3].

"أما المشاحة في البيع والشرى أمارة على البخل، ودليل على الشح ولا سيما مع الإخوان من المسلمين؛ الذين ينبغي إيثارهم بالشيء، وتقتضي المروءة إعطاءهم بلا ثمن، فإذا باعهم بثمن فلا أيسر من أن يقف على أنه سيكون سمحًا بائعًا، وسمحًا مشتريًا، وسمحًا مقتضيًا، فإنه إذا استبدل السماحة العسر في كل ذلك دالاً من شيمه على أنه ليس تناله دعوة الرسول ﷺ"[4].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل السماحة في المعاملات:

لقد دعا الإسلام إلى المسامحة في المعاملات، ورغّب في القيام بها أشد الترغيب، لما في ذلك من تحقيق معنى الأخوة الإسلامية وتقوية أواصر المحبة بين المسلمين، وكان من الترغيب في ذلك ما ورد في نص الحديث من قوله ﷺ: (رحم الله رجلاً سمحًا.. إلخ).

---

(١) صور من سماحة الإسلام، د. عبدالعزيز عبدالرحمن علي ربيعة ص ٧٩.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/١٤٦٧.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤/٣٥٩.

(٤) المرجع السابق ٨/١٢٨١.

فالسماحة في المعاملات سبب لنيل دعوة النبي ﷺ بالرحمة، وقد استفاضت النصوص النبوية في بيان فضل المسامحة في المعاملات والترغيب فيها وذلك بجعلها سببًا لحب الله ومغفرته ودخول جنته.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: ((إن الله يُحِبُّ سَمْحَ الْبَيْعِ، سَمْحَ الشِّرَاءِ. سَمْحَ الْقَضَاءِ))[1]، قال المباركفوري: "قوله ﷺ: (إن الله يحب سمح البيع) بفتح السين وسكون الميم، أي: سهلاً في البيع وجوادًا يتجاوز عن بعض حقه إذا باع. قال الحافظ: السمح الجواد، يقال: سمح بكذا إذا جاد والمراد هنا المساهلة (سمح الشراء سمح القضاء) أي: التقاضي لشرف نفسه وحسن خلقه بما ظهر من قطع علاقة قلبه بالمال"[2]. فكان ذلك سببًا لحب الله له.

وكان من فضل المسامحة في المعاملات أنها سبب في غفران الذنوب وإقالة العثرات يوم القيامة؛ فعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((غَفَرَ اللهُ لِرَجُلٍ كان قَبْلَكُمْ. كَانَ سَهْلاً إِذَا بَاعَ. سَهْلاً إِذَا اشْتَرَى. سَهْلاً إِذَا اقْتَضَى))[3]، قال المباركفوري: "قال المناوي: فيه حث لنا على التأسي بذلك لعل الله أن يغفر لنا"[4].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ أَقَالَ مُسْلِمًا أَقَالَهُ اللهُ عَثْرَتَهُ))[5].

قال صاحب عون المعبود: (وقوله ﷺ "من أقال مسلمًا" أي بيعه (أقاله الله عثرته) أي غفر زلته وخطيئته. قال في إنجاح الحاجة: صورة إقالة البيع إذا اشترى أحد شيئًا من رجل ثم ندم على اشترائه إما لظهور الغبن فيه أو لزوال حاجته إليه أو لانعدام الثمن فرد المبيع على البائع وقبل البائع رده أزال الله مشقته وعثرته يوم القيامة لأنه إحسان منه

---

(١) أخرجه الترمذي ١٣١٩، صححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ١٠٦٤).

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٢٨١/١.

(٣) أخرجه الترمذي ١٣٢٠، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ١٠٦٥)..

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٢٨/١.

(٥) أخرجه ابو داود ٣٤٦٠، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٢٩٥٤).

على المشتري، لأن البيع كان قد بت فلا يستطيع المشتري فسخه. انتهى"[١].

وقد عظم الحق تبارك وتعالى أجر المسامحة في المعاملات، بأن جعلها سببًا لدخول الجنة، فعن أبي مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ . فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ شَيْءٌ. إلاَّ أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ، وَكَانَ مُوسِرًا، فَكَانَ يَأْمُرُ غِلْمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُعْسِرِ، قَالَ: قَالَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ: نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ. تَجَاوَزُوا عَنْهُ))[٢]، وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: ((كان رجل سمحًا بائعًا ومبتاعًا، وقاضيًا ومقتضيًا، فدخل الجنة))[٣]، وفي ذلك بيان على فضل المسامحة في المعاملات.

ثالثًا – من أساليب الدعوة: الترغيب:

"الترغيب من أهم الطرق التي ينبغي للداعية أن يسلكها في إرشاد الناس، وحملهم على التشمير عن ساعد الجد في طاعة الله تعالى لنيل السعادة في الدنيا والآخرة"[٤]، وقد رغّب الحق تبارك وتعالى في جنس الطاعات فقال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[٥]، وقال: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٦]، والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضا الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة، وهذا ما ورد في الحديث من ترغيبه ﷺ في أن يكون المرء سمحًا في المعاملات حتى ينال رحمة الله، وذلك في قوله ﷺ: (رحم الله رجلاً سمحًا).

---

(١) عون المعبود، محمد شرف الحق بن أمير العظيم آبادي ص ١٤٨٤.

(٢) أخرجه مسلم ١٥٦١.

(٣) أخرجه أحمد ١/٥٨، رقم ٤١٤، وقال محققو المسند: حسن لغيره ١/٤٧٣ – ٤٧٤.

(٤) انظر: هداية المرشدين، على محفوظ ص ١٩٢.

(٥) سورة النحل، آية: ٣٠.

(٦) سورة النحل، آية: ٩٧.

الحديث رقم (١٣٧١)

١٣٧١- وعن أَبي قتادة ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: ((مَنْ سَرَّهُ أنْ يُنَجِّيَهُ اللهُ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ، فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرٍ أَوْ يَضَعْ عَنْهُ)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أبو قتادة الأنصاريّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١٧).

غريب الألفاظ:

الكرب: كرب جمع كُربةٍ، وهي غمٌّ يأخذ بالنفس لشدته[٢].

فلينفس عن معسر: أي يمد ويؤخر في المطالبة، وقيل معناه: يفرج عنه[٣].

المعسِرُ: المفتقر ضيِّق الحال[٤].

يضع عنه: يحط عنه شيئًا من أصل الدين[٥].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يقدم له الراوي الأعلى بما يفيد أنه سمع هذا الحديث منه. وهذا تمهيد لأهمية مضمون الحديث وصدقة وفى ذلك استجابة لدعوة رسول الله ﷺ ودعائه حيث يقول فيما معناه "نضر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها وأداها كما سمعها، والحديث الشريف يبشر الذين يتعاملون بالحسنى في البيع والشراء والاستدانة ، وبناء الحديث اللغوي يتسق مع دلالته ومقصده، فهو يتكون من جمله واحده صيغت في قالب الشرط والجواب، وهذا القالب يتوافق مع وعد الرسول بالثواب والنجاة لكل من ينفس عن معسر أو يضع عنه، وفعل الشرط "سره "أى فرَّحه. والتعبير بما يتضمن مادة

---

(١) برقم (١٥٦٣/٣٢). أورده المنذري في ترغيبه (١٣٢٤).

(٢) لسان العرب، ابن منظور والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ك ر ب).

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٦٤.

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ع س ر).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ض ع).

"السرور والفرح "يوحى بأن الذي يقدم على تفريج الكربة عن معسر أو يسقط الدين عن المدين لا يقوم بذلك وهو ضيق الصدر ولكن لابد أن يكون فعله متلبساً بمشاعر الرضا والسرور وصيغة "الجمع "في قوله "كرب "يوم القيامة: تشير إلى شدة العذاب والكربة: غم يأخذ بالنفس لشدته، وإنها ليست كربة واحدة ولكنها كرب وهى ليست من كرب الدنيا ولكنها كرب "يوم القارعة - والطامة - والصاخة - والحاقة - ويوم الفصل - يوم القيامة، وجواب الشرط جاء مقترناً بلام الأمر. التي تقتضى وجوب تنفيذ الشرط لأنه أمر صادر من رسول الله حتى يستحق ذلك المحسن النجاة يوم القيامة، والتعبير بقوله "نفس "فيه تصوير لحالة الفقير المعسر، فهو "مختنق "يكاد لا يجد هواء الحياة ولا نسمات السعادة ومشاركة الغنى له في محنته تنقذه من قبضة الفقر، وذل الإعسار، وصيغة النكرة في "معسر "تصبغ الصفة بصبغة العموم، والمراد أي معسر وليس معسراً معيناً، أو معسراً واحداً، وقوله: (أو يضع عنه) معطوف على جواب الشرط، وهو مرحلة أخرى من مراحل التكافل والتضامن مع "المعسر "فهو إما أن يؤخر مطالبة الدين عن المدين، أو يحط عنه الدين، ويتنازل عنه أو يجد له. حسب الاتفاق الذي يريح الطرفين، وهذا هو السلوك الإسلامي الأمثل - حيث التعاطف والتراحم. والمناصرة والمؤازرة في كل الأحوال.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على التجاوز والتنفيس عن المعسرين وبيان فضل ذلك.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الإخبار.

رابعًا: من واجبات الداعية: بيان الحكمة من الحث على التجاوز والتنفيس عن المعسرين.

خامسًا: من أهداف الدعوة: نشر التعاون والتلاحم والتكافل بين المسلمين.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: بيان كرم الله تعالى وعفوه عن عباده.

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٣٧١- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٣٧٢، ١٣٧٣).

أولاً - من موضوعات الدعوة: الحث على التجاوز والتنفيس عن المعسرين وبيان فضل ذلك:

لقد راعى التشريع الإسلامي حاجة البشر بعضهم إلى بعض ولم يتوقف عند حدّ الحث على السماحة في المعاملات، بل وجه المسلمين وحضّهم على مراعاة ما يكون بهم من كروب وشدائد، فرغّب في التنفيس عنهم، وأجزل الثواب في ذلك.

وهذا ما أشارت إليه نصوص الأحاديث الواردة، وفي بيان ذلك قال ابن علان في قوله ﷺ: (من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة، فلينفس عن معسر أو يضع عنه، أي: من أفرحه (أن ينجيه الله)، أي: يجعله ذا نجاة (من كرب يوم القيامة)، وهو غم يأخذ بالنفس لشدته (فلينفس عن معسر)"[1].

قال القاضي عياض: "أي يؤخر ويملي له في الأجل، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾[2]، أي إذا امتد حتى يصير نهارًا بينًا، ومنه، نفس الله في أجله، وقد يكون معنى (ينفس عن معسر)، أي: يُفَرّج"[3].

وقوله ﷺ: (كان رجلا يداين الناس وكان يقول لفتاه إذا أتيت معسرًا فتجاوز عنه لعل الله أن يتجاوز عنا فلقى الله فتجاوز عنه)، قال القاضي عياض: "والتجاوز والتجوز: المسامحة في الاقتضاء..، وأن الله قد تجوز عنه بذلك، وغفر ذنوبه، وأنه لا يُستحقر شيء من فعل الخير، أو لأمرهم بالحض عليه، وأن الله قد يفسح لعبده ويتجاوز عنه، وينجيه من عذابه بالقليل من عمل الخير، كمثل هذا الذي قد اعترف أنه لم يعمل من الخير شيئًا إلا هذه المسامحة"[4].

قال ابن عثيمين: "وذلك لأن الجزاء من جنس العمل، فقد جازاه الله بمثل ما يجازي به الناس، يعني بمثل ما يفعل هذا الرجل في الناس عامله الله عز وجل فتجاوز عنه؛

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ص ١٤٤٩.

(٢) سورة التكوير، آية: ١٨.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٢٩/٥.

(٤) المرجع السابق.

وذلك لأن الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه"[١].

قال القرطبي: "وقوله: (حوسب ممن كان قبلكم فلم يوجد له شيء من الخير)، هذا العموم مخصص قطعًا بأنه كان مؤمنًا، ولولا ذلك لما تجاوز عنه فـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾[٢]، وهل كان قائمًا بفرائض دينه من الصلاة، والزكاة، وما أشبهها؟ هذا هو الأليقُ بحاله. فإن هذا الحديث يشهد بأنه كان ممن وقى شح نفسه، وعلى هذا: فيكون معنى هذا العموم: أنه لم يوجد له شيء من النوافل إلا هذا. ويحتمل أن يكون له نوافل أخر، غير أن هذا كان الأغلب عليه، فنودي به، وجوزي عليه، ولم يذكر غيره اكتفاء بهذا. والله تعالى أعلم. ويحتمل أن يكون المراد بالخير: المال، فيكون معناه: أنه لم يوجد له فعل بر في المال إلا ما ذكر من إنظار المعسر. والله تعالى أعلم. والتنفيس عن المعسر: تأخيره إلى الإمكان. والوضع: الإسقاط"[٣].

وقد أكد النبي ﷺ على عظم فضل تنفيس الكروب عن المعسرين فقال: ((مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ))[٤].

قال ابن حجر: "والكرب - بفتح الكاف وسكون الراء بعدها موحدة - هو ما يدْهَمُ المرء مما يأخذ بنفسه فيغمه ويحزنه"[٥]، وقال النووي: "في معنى من نفس كربة: أي: أزالها وفي الحديث فضل قضاء حوائج المسلمين ونفعهم بما تيسر من علم أو مال...،

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين ١٤٦٨/٢.

(٢) سورة النساء، آية: ٤٨.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٤٣٧/٤.

(٤) أخرجه مسلم٢٦٩٩.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٥٠/١١

وفضل الستر على المسلمين وفضل إنظار المعسر..."[١].

وقال الماوردي في فضل المسامحة والتجاوز والتنفيس عن المعسر: "وأما المسامحة في الأموال، فتتنوع ثلاثة أنواع: مسامحة إسقاط لعدم، ومسامحة تخفيف لعجز، ومسامحة إنكار لعسرة، وهي مع اختلاف أسبابها تفضُّلٌ مأثور، وتألف مشكور.

وإذا كان الكريم قد يجود بما تحويه يده، وينفذ فيه تصرفه، كان أولى أن يجود بما خرج عن يده، فطاب نفسًا بفراقه، وقد تصل المسامحة في الحقوق إلى من لا يقبل البر، ويأبى الصلة، فيكون أحسن موقعًا، وأزكى محلاً، وربما كانت المسامحة فيها آمن من ردّ السائل، ومنع المجتدى، لأن السائل كما اجترأ على سؤالك، فيستجرئ على سؤال غيرك إن رددته، وليس كل من صار أسير حقك، ورهين دينك، يجدُ بدًا من مسامحتك ومياسرتك ثم لك مع ذلك حسن الثناء، وجزيل الأجر وقال محمود الوراق:

المـــرء بعـــد المـــوت أُحدوثـــةٌ يفنـــى وتبقـــى منـــه آثـــارهُ

فأحـــسنُ الحـــالات امـــرئ تطيـــب بعـــد المـــوت أخبـــارهُ [٢]

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

قد ورد هذا الأسلوب الدعوي المهم في الحديث من قوله ﷺ: (من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة)، وأيضًا في قوله ﷺ: (فلقي الله فتجاوز عنه)، وقوله ﷺ: (قال الله عز وجل: نحن أحق بذلك منه، تجاوزوا عنه)، "والترغيب بالوعد بالخير في العاجل والآجل من الأساليب الدعوية المهمة في حمل المدعو عل القيام بما رغب فيه على الوجه المطلوب والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضا الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة"[٣]، وهذا ما ورد في الأحاديث من ترغيبه ﷺ وحثه على التجاوز والتنفيس عن المعسرين.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٩١.

(٢) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ٢٣٢.

(٣) انظر: قواعد الدعوة الإسلامية، الهجاري ص ٥١٣، وأصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الإخبار:

قد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الأحاديث الثلاثة من إخباره ﷺ عن فضل من تجاوز عن المعسر وذلك في قوله ﷺ: "من سره أن ينجيه الله.. إلخ الحديث"، وفي قوله ﷺ: (كان رجل يداين الناس... إلخ)، وقوله ﷺ: (حوسب رجل ممن كان قبلكم... إلخ)، والإخبار من الأساليب الدعوية الهامة التي يستعين بها الداعية في تبليغ دعوته للمدعوين بما يحقق إرشادهم إلى ما فيه خير الدنيا والآخرة لهم.

رابعًا - من واجبات الداعية: بيان الحكمة من الحث على التجاوز والتنفيس عن المعسرين:

وفي بيان الحكمة من ذلك فضل عظيم لما فيه من حمل المدعوين على الامتثال لحث النبي ﷺ في التجاوز عن المعسرين والتنفيس عن المكروبين.

وفي بيان الحكمة من التنفيس عن المعسر قال د. عبدالعزيز علي الربيعة: "إن الإنسان في هذه الحياة لا يستطيع أن يعيش وحده، كما لا يستطيع أن يقوم على شؤون نفسه ومتطلبات حياته، دون مد اليد إلى غيره من بني البشر لمساعدته على تحقيقها له، والإنسان في غالب أحواله لا يعطي غيره شيئًا إلا بمقابل يكون عوضًا عما قدمه له، وقد لا يكون عند ذلك المحتاج ما يعطيه مقابلاً له، ومن هنا نشأت فكرة البيع إلى أجل يأخذ المشتري بموجبه السلعة، ويكون ثمنها دينًا في ذمته تحت قيود يلتزم بها الطرفان وإلى مدة يتفقان على تحديدها.

وقد يكون ذلك المدين حال حلول الدين عليه غير مستطيع للوفاء بما عليه، وحينئذ ينتابه الهم، ويدخل عليه الضيق والحرج، لانتهائه إلى ذلك الواقع المرير، وكيف لا يكون مريرًا وهو يخاف في كل لحظة من تطاول غريمه عليه، وإلحاحه في طلب دينه، ورفع أمره إلى السلطة الحاكمة، والتشهير بحاله، فيعرف الناس فيه ذلك فيظنونه مماطلاً، وغير كفؤ للتعامل معه، أو إنهم يعرفون أن ذلك ناشيء عن عجزه عن تسديد ما وجب عليه وإعساره، وهذه كأختها في جلب الضيق والحرج، إذ أن الناس حينئذ يتباعدون عنه، ويجتنبون التعامل معه، وإهماله حتى في أحقر الأشياء وأقلها قيمة، فيصل إليه من الضرر بذلك الشيء الكثير.

وقد كان موقف شريعة الغاب أيام الجاهلية الوثنية التي لا تعرف من الأهداف سوى الطمع في الدنيا موقفاً يجعل من المدين فريسة سهلة تأكل لحمه وعظامه وتشرب دمه وعروقه وذلك بما كان متعارفاً لديها بأن من حل عليه دين فإنه لا بد له من أحد أمرين لا ثالث لهما، إما أن يقضيه أو يزيد صاحب الدين مقابل تأجيله له مدة من الزمن في وضع لا يسمح له بذلك، وإما أن يزيد صاحب الدين مقابل تأجيله له مدة من الزمن، وهذا معروف عندهم في نظامهم الاقتصادي الجشع بمبدأ (إما أن تقضي وإما أن تربي).

ثم جاء الإسلام يحمل السماحة الندية للبشرية، ويضع الظل الظليل الذي تأوي إليه البشرية المتعبة في هجير الأثرة والشح والطمع والتكالب والسعار، جاء يحمل الرحمة للدائن والمدين وللمجتمع الذي يظل الجميع، فمنع مطاردة المعسر من صاحب الدين ومن المحاكم، وشرع أن ينظر حتى يوسر، وبالغ في الرحمة به والشفقة عليه، فحث على التصدق عليه ووضع ذلك الدين عنه، ورغب في ذلك، فوصفه بأنه خير، وبأنه سبب لتفريج الكربة يوم القيامة، وسبب لانشراح الصدر في ذلك اليوم الهائل جزاء ما نفّس عن مدينه من كربة، وما أدخل عليه من فرح وسرور، كما بيّن الإسلام أن ذلك سبباً لتجاوز الذنوب عن الدائن والفوز بالجنة.

قال الله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1]"[2].

خامساً- من أهداف الدعوة: نشر التعاون والتلاحم والتكافل بين المسلمين:

إن التعاون بين المسلمين والتكافل الاجتماعي هو قاعدة المجتمع الإسلامي، والجماعة المسلمة مكلفة أن تراعي مصالح الضعفاء فيها، والمعسرين، ومن أجل ذلك حثت نصوص الشريعة الإسلامية على نشر التعاون والتلاحم والتكافل بين المسلمين باعتباره هدف من أهداف الدعوة، وهذا ما يستفاد من نص الأحاديث.

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٨٠.

(٢) صور من سماحة الإسلام، د. عبدالعزيز بن عبدالرحمن علي الربيعة ص ٨٢ - ٨٤.

وهذا ما أمر به الحق تبارك وتعالى في قوله: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٣].

قال ابن كثير في قوله تعالى (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة): "يعني: حاجة، أي: يقدمون المحاويج على حاجة أنفسهم، ويبدؤون بالناس قبلهم في حال احتياجهم إلى ذلك"[٤]، وقال ﷺ: ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ. إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّىٰ))[٥]، وقال ﷺ: ((المؤْمِنَ للمؤْمِنِ كالبنيانِ يَشُدُّ بَعضُهُ بَعضًا))[٦]، قال النووي: "هذه الأحاديث صريحة في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض وحثهم على التراحم والملاطفة والتعاضد في غير إثم ولا مكروه"[٧].

"وقد رفع الإسلام هذا اللون من التكافل ليجعله تعاملاً مع الله"[٨]، ويظهر ذلك في قوله ﷺ: ((إِنَّ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي. قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلاَنًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ.

---

(١) سورة التوبة، آية: ٧١.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٧٢.

(٣) سورة الحشر، آية: ٩.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٧٠/٨.

(٥) أخرجه مسلم ٢٥٨٦.

(٦) أخرجه البخاري ٤٨١، ومسلم ٢٥٨٥.

(٧) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٤٥.

(٨) التكافل الاجتماعي في الشريعة الإسلامية ودوره في حماية المال العام والخاص، د. محمد أحمد الصالح ص ١١٨.

أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي. قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي. قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ. أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي))[1]، وفي ذلك بيان على أهمية نشر التعاون والتلاحم والتكافل بين المسلمين كهدف من أهداف الدعوة وذلك بالحث على التجاوز عن المعسرين وتنفيس كرب المكروبين.

سادسًا- من موضوعات الدعوة: بيان كرم الله تعالى وعفوه عن عباده:

(إن من كرم الله سبحانه وتعالى أنه يبتدئ بالنعمة من غير استحقاق ويتبرع بالإحسان من غير استثابة، ويغفر الذنب ويعفو عن المسيء)[2]، فكرم الله تعالى وعفوه عن عباده أمر عظيم، فهو الرحمن الرحيم الذي يجازي عن الحسنات إحسانًا، وعن السيئات عفوًا وغفرانًا.

ومن كرمه تعالى وعفوه عن عباده أنه يجازي من يتجاوز عن المعسر؛ بأن يعفو عنه، ويتجاوز عن سيئاته إكرامًا له على حسن فعله، وعظيم كرمه، وهو العلام القدير الذي لا تضيع عنده حسنة... أو عمل صالح فإنه يجازي عنه بأفضل منه.

وهذا ما ظهر جليًا في الحديث من قوله ﷺ: (حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء إلا أنه كان يخالط الناس وكان موسرًا، وكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر، قال الله عز وجل: نحن أحق بذلك منه؛ تجاوزوا عنه) وأيضًا في قوله ﷺ: (... فلقي الله فتجاوز عنه).

قال ابن حجر: "وفي الحديث أن اليسير من الحسنات إذا كان خالصًا لله كفر كثيرًا من السيئات"[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٧٥٠٧.

(٢) الأسماء والصفات، البيهقي، ١٠١/١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٦٢/٤.

وما ذلك إلا لكرم الله تعالى وعفوه على عباده، فعن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ فيما يبلغه عن ربه عز وجل قال: ((أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا. فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي. فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ. ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ. فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي. فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا. فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ. ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي. فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا. فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ. اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ))[1]، وعن أبي موسى ﵁، عن النبي ﷺ قال: ((إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ، لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ. وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ، لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ. حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا))[2].

قال النووي: "وهذه الأحاديث ظاهرة في الدلالة على قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب مائة مرة أو ألف مرة أو أكثر وتاب في كل مرة قبلت توبته وسقط ذنوبه، ولو تاب عن الجميع توبة واحدة بعد جمعها صحت توبته"[3]، وفي ذلك بيان لعظم كرم الله تعالى وعفوه عن عباده.

---

(١) أخرجه مسلم ٢٧٥٨.

(٢) أخرجه مسلم ٢٧٥٩.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٦١٥.

الحديث رقم (١٣٧٢)

١٣٧٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: ((**كَانَ رَجُلٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، وَكَانَ يَقُولُ لِفَتَاهُ: إِذَا أَتَيْتَ مُعْسِرًا فَتَجَاوَزْ عَنْهُ، لَعَلَّ اللهَ أنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَلَقِيَ اللهَ فَتَجَاوَزَ عَنْهُ**)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

يداين: يعطي ويقرض من استقرضه[2].

لفتاه: وهو الخادم حرًّا كان أو مملوكًا[3].

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف نجده قد صيغ في قالب "الحكاية "حيث بدأ بالفعل كان ورسول الله يسرد موقفاً من مواقف السابقين حتى يكون عبره يقتدي بها اللاحقون ولذلك: قال: كان رجل "ولم يحدد من هو "لأن العبرة بالموقف والسلوك وليس بتحديد الشخص، وقوله: يداين الناس "صفة للرجل "والتعبير يدل على أن الرجل كان لديه مال كثير فهو كثيراً ما يعطى الناس على سبيل الدين "وصيغة "الفاعل وهى "المداينة "للمبالغة أي أنه كثير المداينة للناس وهى ليست للمغالية أو للجاج والعناد لأن الرجل من طبيعته السماحة والمساهلة، وتكرار الفعل كان "يوميء إلى الكثرة. . وإلى أنه كان لديه من يقوم بتحصيل الديون وكان يأمرهم بالرفق في المطالبة، وأسلوب الشرط في قوله: إذا أتيت معسراً فتجاوز عنه يفسر سلوك

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٨٠)، ومسلم (١٥٦٢/٣١) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (١٣٢٧).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (د ي ن).

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٦١/٤.

الرجل وصدقة في حط الدين عن المدين أو تخفيف المطالبة لأن أداة الشرط "إذا "توحي بذلك فهي للتحقيق ولم يقل الرسول على لسان الرجل "إن "وإنما قال: إذا "للإشعار بصدق النية، وتحقق الفعل، وقوله: فتجاوز عنه "يحمل دلالات سلوكية كثيرة: حيث قال العلماء يدخل في التجاوز "الإنظار، والوصية وحسن التقاضي وأسلوب الرجاء في قوله: لعل الله: إيماء بأن الدافع إلى التجاوز عن المعسر هو "ابتغاء رضوان الله عز وجل وليس بدافع من الرياء وطلب السمعة أو تخفيض الضرائب أو اكتساب الوجاهة الاجتماعية أو التمهيد للدعاية الانتخابية أو التغطية على مصادر هذه الأموال غير المشروعة كما يحدث في المجتمعات المعاصرة "فالله طيب لا يقبل إلا طيباً "والنتيجة المبشرة في الحديث الشريف تأتى في إطار الأسلوب الخبري. ومقترنة بحرف العطف "الفاء "مرتين لمزيد من البشرى وصدق الوعد بالثواب، وصيغة الفعل الماضي إشارة إلى تحقق الوقوع ولنتأمل هذا الختام لذلك المشهد القصصي وهو ختام يريح النفس ويطمئن القلوب ويفتح الباب على مصراعيه للتكافل الاجتماعي والتراحم بين الناس والوقوف مع المعسرين في محنهم وأزماتهم، "فلقي الله فتجاوز عنه" والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٣٧٣)

١٣٧٣- وعن أَبي مسعود البدريِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((**حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنَ الخَيْرِ شَيْءٌ، إلاَّ أنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ وَكَانَ مُوسِرًا، وَكَانَ يَأمُرُ غِلْمَانَهُ أنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ المُعْسِرِ. قَالَ اللهُ ﷻ: نَحْنُ أَحَقُّ بِذلِكَ مِنْهُ؛ تَجَاوَزُوا عَنْهُ**)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أبو مسعود البدري الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١٠).

غريب الألفاظ:

يخالط الناس: يعاملهم بالبيوع والمداينة[٢].

موسرًا: غنيًا[٣].

غلمانه: جمع غلام، ومعناه هنا: الخادم حرًا كان أو مملوكًا[٤].

المعسر: الذي عجز عن قضاء ما عليه من الدّين في الحال[٥].

الشرح الأدبي

الحديث يضرب في عمق الماضي ليستخرج منه عبرة يقرر بها معنى عن طريق القصة، وللقصة في البيان النبوي دور مهم في مجال التقويم، والتربية، وغرس المفاهيم، وتأصيل مكارم الأخلاق، وإيجاد المثل العليا للنماذج البشرية المؤثرة، ولما لها من أثر يواكب فطرتها في مدارج الحياة فقد كثرت في البيان النبوي، وتعتمد قصة هذا

---

(١) برقم (١٥٦١/٣٠). أورده المنذري في ترغيبه (١٣٢٨).

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٤٤٩.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ي س ر).

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٦١/٤.

(٥) معجم لغة الفقهاء، أ.د. محمد رواس قلعة جي ٤١٠.

الحديث أسلوب القص الخبري بذكر بطل القصة صاحب الموقف مرتبطا بالموقف الذي تدور فيه الأحداث (حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ) وتنكير الرجل لعدم تعلق غرض بتعريفه ؛لأن المقصود التعريف بعمله، والتعبير بالحساب يوحي بالشدة، والتضييق، وبناؤه للمفعول ليذهب العقل في تخيل المحاسب كل مذهب لأن كل إنسان يتخيل محاسبه من الملائكة بحسب عمله، وإلا فحساب الله عليه أشد إن كان عاصيا، ويكون عتاب حبيب لحبيب إن كان طائعا، وقوله (فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنَ الخَيْرِ شَيْءٌ) يمثل عقدة القصة التي تشير إلى تأزم موقفه بنفي كل خير يمكن أن يكون سببا لنجاته من هول الموقف، وتنكير كلمة (شيء) يفيد التعميم الذي يشمل قليله، وكثيره، وقوله (إلاَّ أنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ وَكَانَ مُوسِراً ، وَكَانَ يَأمُرُ غِلْمَانَهُ أنْ يَتَجَاوَزُوا عَن المُعْسِرِ) استثناء يشير إلى بارقة أمل تجاه الحل، وقولَ اللهُ - عز وجل -: (نَحْنُ أَحَقُّ بذلِكَ مِنْهُ؛ تَجَاوَزُوا عَنْهُ) يشير إلى الحل، ترتب على تجاوزه عن الناس، والدرس الذي تنقله القصة بطريقة عملية يتمثل في بيان أثر التجاوز عن المعسرين في الموقف العظيم، وجزائه بتجاوز الله عنه، وهو من جنس عمله.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٣٧١).

الحديث رقم (١٣٧٤)

١٣٧٤- وعن حذيفة رضي الله عنه قَالَ: أُتِيَ اللهُ تَعَالَى بِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ آتَاهُ اللهُ مَالاً، فَقَالَ لَهُ: مَاذَا عَمِلْتَ فِي الدُّنْيَا؟ قَالَ: ((وَلا يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثًا)) قَالَ: يَا رَبِّ آتَيْتَنِي مَالَكَ، فَكُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ، وَكَانَ مِنْ خُلُقِي الجَوَازُ، فَكُنْتُ أَتَيَسَّرُ عَلَى المُوسِرِ، وَأُنْظِرُ المُعْسِرَ. فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ((أنا أَحَقُّ بِذا مِنْكَ تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِي)) فَقَالَ عُقْبَةُ بن عامِر، وأبو مسعودٍ الأنصاريُّ رضي الله عنهما: هكَذا سَمِعْنَاهُ مِنْ فِي رسولِ الله ﷺ. رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

حذيفة بن اليمان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠٢).

غريب الألفاظ:

الجواز: أي: الصبر على المعسر وقبول ما جاء به الموسر[٢].

أتيسر على الموسر: آخذ ما تيسر بأن أقبل ما قد يتوقف من نقص يسير أو عيب في المأتي به[٣].

أنظر: أمهل من الإنظار وهو التأخير والإمهال[٤].

المعسر: الذي عجز عن قضاء ما عليه من الدّين في الحال[٥]. وفي النهاية: من ضاق حاله واشتد[٦].

الشرح الأدبي

الحديث عن مواقف الآخرة حديث مشوق يسيطر على سمع المخاطب، وعقله،

---

(١) برقم (٢٩/١٥٦٠). أورده المنذري في ترغيبه (١٣٢٥) من لفظ متفق عليه. أخرجه البخاري (٣٤٥١)، ومسلم (٢٨/١٥٦٠).

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٤٥٠.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٩٩٤، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٤٥٠.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ظ ر)، ومعجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٧٣.

(٥) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٤١٠.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٩٩٤.

والتعبير بالإتيان يشير إلى اصطحاب شيء، ونسبة الفعل لله تعطيه أبعادا إيحائية لارتباط الأثر بالمؤثر، وبين عبد، وعباده جناس يؤكد المعنى ويشير إلى لازم تلك العبودية من الطاعة، وتنكير (مالا) للتعظيم وسؤال الله له (مَاذَا عَمِلْتَ فِي الدُّنْيَا ؟) استفهام للتقرير بغرض إحراج المخاطب، والتضييق عليه، والآية المذكورة تؤكد مسبقا فقدانهم القدرة على تبديل الحقائق أو كتمانها كما كانوا يفعلون في الدنيا، وقول الرجل: (وَكَانَ مِنْ خُلُقِي الجَوَازُ) التعبير بكان يشير إلى أنها كانت عادته في معاملة المعسرين، ويؤكد ذلك التعبير بالخلق، وإضافته إليه يشير إلى ذلك، وأنه طبع فيه، والطباق في قوله الموسر، والمعسر يشير إلى حسن معاملته للجميع بحسب ظروفهم، والجناس بين (أتيسَّر، وموسر) يشير إلى مراعاته حال الناس، وغلبة اليسر، والسماحة على معاملته في قوله: (فَكُنْتُ أَتَيَسَّرُ عَلَى المُوسِرِ، وَأُنْظِرُ المُعْسِرَ) وقول الله تعالى: (أَنَا أَحَقُّ بِذا مِنْكَ تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِي) التعبير بالضمير أنا، وأفعل التفضيل (أحق)، والإشارة المقرية للعمل الفاضل مع تقريره لعظيم فضل الله تعالى يشير إلى أن الجزاء من جنس العمل، ويشيد بعبد تخلق بخلق كريم كان مردُّه عليه في اليوم العصيب.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: سؤال العبد عن عمله يوم القيامة، وتقرير الله تعالى له.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على إنظار المعسرين أو الوضع عنهم.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: سؤال العبد عن عمله يوم القيامة، وتقرير الله تعالى له:

هذا ما أشار إليه الحديث الأول في قوله ﷺ: "أتى الله تعالى بعبد من عباده آتاه الله مالاً، فقال له: ماذا عملت في الدنيا ؟ قال: ولا يكتمون الله حديثًا"، قال القرطبي: (وقوله: ولا يكتمون الله حديثًا، أي: لا يستطيع أحد أن يكتم يوم القيامة شيئًا من

---

(١) تم دمج المضامين لهذا الحديث -١٣٧٤- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٣٧٥).

أعماله. فإن كتم شهدت عليه جوارحه)[١]، وقد بين الحق تبارك وتعالى سؤاله للعبد عن عمله يوم القيامة فقال: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[٢]، وقال: ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾[٣]، وقال: ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾[٤]، أي: قفوهم حتى يُسألوا عن أعمالهم وأقوالهم التي صدرت عنهم في الدار الدنيا)[٥].

وقد أكد النبي ﷺ على ذلك فقال: ((لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسب، وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه))[٦]، وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وماذا عمل فيما علم))[٧].

وفي بيان ذلك قال المباركفوري في قوله ﷺ: (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، أي: عن مدة أجله فيما صرفه)[٨]، وقال الطيبي في قوله ﷺ: ("وعن شبابه فيما أبلاه"، أي: المراد سؤاله عن قوته وزمانه الذي يتمكن فيه على أقوى العبادة)[٩] و (قوله ﷺ: "وعن ماله من أين اكتسبه" قال المباركفوري، أي: من حرام أم حلال؟ "وفيما أنفقه" أي: طاعة أو معصية)[١٠]، وقوله: "عن علمه ماذا

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٤/٤٣٦.

(٢) سورة الأعراف، آية: ٦.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٨.

(٤) سورة الصافات، آية: ٢٤.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٩/٧.

(٦) أخرجه الترمذي ٢٤١٧، صححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ١٩٧٠).

(٧) أخرجه الترمذي ٢٤١٩، صححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ١٩٦٩).

(٨) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٨٩/٢.

(٩) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٢١٤/٩.

(١٠) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٨٩/٢.

عمل به" قال الطيبي: (إنما غير السؤال في الخصلة الخامسة حيث لم يقل:وعن عمله ماذا عمل به، لأنها أهم شيء وأولاه. وفيه إيذان بأن العلم مقدمة العمل وهو لا يعتد به لولا العمل)[1] فإن سؤال العبد عن عمله يوم القيامة وتقرير الله تعالى له أمر معلوم وهو ثابت بالقرآن والسنة كما سبق، فعلى المرء أن يعد الإجابة لذلك بعمل صالح وصدق يبتغى به وجه الله.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الحث على إنظار المعسرين أو الوضع عنهم:

هذا ما يستفاد من نص الحديثين في قوله ﷺ: ((يارب آتيتني مالك، فكنت أبايع الناس، وكان من خلقي الجواز، فكنت أتيسر على الموسر، وأنظر المعسر، فقال الله تعالى: "أنا أحق بذا منك تجاوزا عن عبدي"، وأيضًا في قوله ﷺ: "من أنظر معسرًا أو وضع له، أظله الله يوم القيامة تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله.

قال القرطبي: (الإنظار: التأخير. والمعسر هنا: هو الذي يتعذّر عليه الأداء في الوقت دون وقت. فندب الشرع إلى تأخيره إلى الوقت الذي يمكن له ما يؤدي. وأما المعسر بالإفلاس: فتحرم مطالبته إلى أن يتبين يساره. والمال: يساره. والمال: كل ما يتمول، أو يتملك من عين، وعرض، وحيوان، وغير ذلك. ثم قد يخصه أهل كل مال بما يكون غالب أموالهم. فيقول أصحاب الإبل: المال: الإبل. وأصحاب النخل: النخل. وهكذا.

و(قوله: وكان من خلقي الجواز) أي: التجاوز عن حقوقه، فأما من حلول الأجل فيؤخره، وأما من استيفاء الحق فيسقط بعضه، أو يسامح في الزيف.

و(قول الله تعالى: أنا أحق بذلك) صدق، وحق؛ لأنه تعالى متفضل ببذل ما لا يستحق عليه، ومسقط بعفوه عن عبده ما يجب له من الحقوق عليه. ثم يتلافاه برحمته، فيكرمه، ويقربه منه، وإليه. فله الحمد كفاء إنعامه، وله الشكر على إحسانه)[2].

وقوله ﷺ: "أظله الله يوم القيامة تحت ظله يوم لاظل إلا ظله"، قال ابن القيم:

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٣١٤/٩.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٤٣٦/٤.

((لأنه لما جعله في ظل الإنظار والصبر، ونجاة من حر المطالبة، وحرارة تكلف الأداء مع عسرته وعجزه، نجاه الله من حر الشمس يوم القيامة إلى ظل العرش))[١].

وقال النووي: (وفي هذه الأحاديث فضل إنظار المعسر والوضع عنه إما كل الدين وإما بعضه من كثير أو قليل، وفضل المسامحة في الاقتضاء وفي الاستيفاء، سواء استوفى من موسر أو معسر، وفضل الوضع من الدين وأنه لا يحتقر شيء من أفعال الخير فلعله سبب السعادة والرحمة)[٢]، وقد أمر تعالى: بالصبر على المعسر الذي لا يجد وفاء، فقال: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾[٣]. أى: لا كما كان أهل الجاهلية يقول أحدهم لمدينة إذا حل عليه الدين: إما أن تقض وإما أن تربى. ثم يندب إلى الوضع عنه، ويعد على ذلك الخير والثواب الجزيل، فقال: ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٤]، أى: وأن تتركوا رأس المال بالكلية وتضعوه عن المدين[٥]، (وقد استثنى الفقهاء من أصل أفضلية الفرض على النفل أمورًا، وذكروا صورًا للنوافل التي فضلها الشرع على الواجبات منها إبراء المعسر فإنه أفضل من إنظاره، وإنظاره واجب، وإبراؤه مستحب)[٦].

وقال ابن عثيمين: (ولاشك إن الإبراء أفضل، لأن الإبراء تبرأ به الذمة نهائيًا، والإنظار تبقى الذمة مشغولة لكن صاحب الحق لا يطالب به حتى يستطيع المطلوب أن يوفي)[٧] وفي ذلك دليل على فضل إنظار المعسر أو الوضع عنه والحث على ذلك.

---

(١) نقلاً عن: جامع الفقه، موسوعة الأعمال الكاملة، ابن القيم، جمع: يسري السيد محمد ١٢/٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٩٩٤.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٨٠.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٨٠.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٧١٧.

(٦) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٠٣/٤١.

(٧) شرح رياض الصالحين، ١٤٦٨/٢.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

(مما لاشك فيه أن النفس البشرية مطبوعة على حب الخير وفعله، الأمر الذي يجعل صاحبها، ذكرًا كان أو أنثى صغيرًا كان أم كبيرًا، يتقبل كل ما يحقق له ذلك، والداعية المتمكن الحكيم يكثر من المرغبات كبيان جنس الطاعات...، وأن من قام بما أوجبه جل وعلا، سينال أجر ذلك العمل في الدنيا والآخرة)[1] . وهذا ما ورد في الحديثين من ترغيبه ﷺ في إنظار المعسر أو الوضع عنه وذلك بقوله ﷺ: فقال الله: "أنا أحق بذا منك تجاوزا عن عبدي"، وقوله ﷺ: "أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله".

---

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، شريف الهجاري، ٤٤١.

الحديث رقم (١٣٧٥)

١٣٧٥ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((**مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا، أَوْ وَضَعَ لَهُ، أظَلَّهُ اللهُ يَومَ القِيَامَةِ تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِهِ يَومَ لا ظِلَّ إلاَّ ظِلُّهُ**)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

أنظر: أمهل وأخَّرَ[2].

وَضَعَ لهُ: حط عنه من أصل الدَّيْن شيئًا[3].

الشرح الأدبي

الحديث يشير إلى جانب من الجوانب الإنسانية التي يدعو إليها الإسلام يرغب في سلوك اجتماعي يحقق مزيد تكافل بين المسلمين، ومحبة، والمعنى يقوم على أسلوب الشرط الذي يرغب في العمل عن طريق ربط الجزاء العظيم بالفعل المتاح حتى يسعى كل من تيسر له إلى تحصيله فقد ربط إنظار المعسر بالكون في ظل عرش الله، وإضافة الظل لله إضافة تشريف، وملك، والمراد أنه في ظله من الحر ووهج الموقف، أو كناية عن الراحة، والنعيم يقال هو في عيش ظليل أي طيب، والتعبير بالإعسار يشير إلى لون من العجز في الوفاء يستلزم مزيدا من التساهل معه، ، وتقييد الظل بيوم القيامة يزيد الرغبة فيه لما هو مستقر في وجدان الناس من هول اليوم، والجناس بين أظله، وظله يؤكد حقيقة هذا الظل الأوحد، وتكرار لفظ الظل لتقرير معناه في قلب

---

(١) برقم (١٣٠٦). أورده المنذري في ترغيبه (١٣٣٢).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ظ ر).

(٣) المرجع السابق في (و ض ع).

المخاطب، وسمعه ترغيباً في حسن المعاملة بين المؤمنين في الدنيا، والتي يجمعهم الله بها في الآخرة، وقد صعَّد الترغيب الذي أثاره الشرط بجملة القصر التي تقرر أنه الظل الأوحد في يوم تدنوا فيه الشمس من الرؤوس (يَوْمَ لاَ ظِلَّ إلاَّ ظِلُّهُ).

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٣٧٦)

١٣٧٦- وعن جابر رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ، اشْتَرَى مِنْهُ بَعِيرًا، فَوَزَنَ لَهُ فَأَرْجَحَ. متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

أرجح: أعطاه أكثر من حقّه[٢].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يشير إلى جانب اجتماعي في حياة الرسول ﷺ يعرض لصورة من صور تعاملاته في البيع، والشراء، ويقرر كرمه، وتسامحه، فهو يعرض لسنن فعلية بنقل فعل الرسول ﷺ لها ترغيبا فيها، والخبر مؤكد من راويه جابر رضي الله عنه بعدة مؤكدات منها التوكيد بإن مع اسمية الجملة، والتعبير بالفعل الماضي الدال على التحقق (اشترى)، وقد زاد الخبر توكيدا كونه طرفا في هذه المعاملة دل على ذلك الضمير العائد على جابر في قوله (منه)، وقوله (فوزن) يشير استخدام الفاء إلى سرعة القضاء، وقوله (فأرجح) يشير إلى التفضل بالزيادة على المستحق، وهو من كرم النبي ﷺ في تعامله مع الناس الوفاء، والزيادة.

فقه الحديث

يشير الحديثان[٣] إلى عدة أحكام منها:

١ - جواز أخذ الأجرة على الوزن والكيل وما في معناها[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٠٤)، ومسلم (٧١٥/١١٥).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ر ج ح).

(٣) حديث (١٣٧٦، ١٣٧٧).

(٤) المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٩٠، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٠٤/٤.

٢ - استحباب إرجاح الميزان[1].

٣ - أن أجرة وزن الثمن على البائع[2].

المضامين الدعوية[3]

أولاً: من موضوعات الدعوة: التجارة وفضلها في نشر الإسلام.

ثانيًا: من آداب الداعية: الاقتداء بهدى النبي ﷺ في السماحة وحسن القضاء.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل السماحة في البيع والشراء.

أولاً - من موضوعات الدعوة: التجارة وفضلها في نشر الإسلام:

هذا ما يستفاد من نص الحديثين، "والتجارة هى محاولة الكسب بتنمية المال بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء أيًا ما كانت السلعة"[4]، "وللتجارة عادة يغلب عليها حب الكسب إلى حد الشجع حينًا، والخيانة والظلم أحيانًا فإذا غلب الإيمان هان المال في سبيل المثل الأعلى ومكارم الأخلاق"[5]، وقد كان للإسلام توجيهات خاصة في مجال التجارة أصلحت من تنظيمها وشجعتها وأبعدت الظلم عن البائع والمشتري...، فقد كان لتحريم الربا دور كبير في منع الظلم عن كثير من الناس، وكان للأمر بالتسامح في البيع والشراء دور كبير في صفاء قلوب الناس وتحابهم وهكذا وضع الإسلام الأسس العامة للتجارة وحث عليها مما دفع المسلمين، إلى أن يجوبوا أقطار الأرض تجارًا ودعاة للإسلام في سياق واحد، بل يجعلون التجارة وسيلة لنشر الإسلام"[6].

وفي ذلك قال الإمام أبو زهرة: "كان التجار المؤمنين في اليمن وحضرموت، يسيرون

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣٦/١١.

(٢) العناية على شرح الهداية ٢٩٥/٦، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣٦/١١، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٠٤/٤.

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٣٧٦- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٣٧٧).

(٤) تاريخ ابن خلدون، المقدمة، ابن خلدون ص ١٩٩.

(٥) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، ٢٠٤.

(٦) الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ، د.عبدالعزيز العمري، ١٤٥ - ١٥١.

بمتاجرهم منبعثين من شطر البلاد العربية ميممين شرقى البلاد وغربها ، ومع تجارتهم الدعوة المحمدية يعطون بضائع المال، ويأخذون مثلها ، ومعها بضائع هي النور وهو الإسلام ، وقد جابوا الآفاق على البضاعة المادية والهدى المحمدي، وكان يسهل الطريق أن الوثنية كانت مسيطرة على الشعوب التي يعاملونها فيهدونها ، ثم يتعاملون معها بنور الهداية، فكانت بضاعة النور رائجة، وبضاعة المادة رائجة أيضًا ، وبالتجارة الحضارمة آمن أكثر شرق أفريقيا ، ولا تزال آثارهم باقية في شرق أفريقيا ، فعلى أيديهم أسلمت الحبشة إلا قليلا ، وإن كان المسلمون فيها مضطهدين تحت عين المسلمين وبصرهم. وكذلك الصومال، وسائر شرق أفريقيا ، والتجار المسلمون هم الذين نشروا الإسلام في إندونيسيا ، وغيرها من بلاد الشرق الأقصى"[1]، فعلى التجار أن يقتدوا بسلفهم الصالح في إظهار حسن وجمال الإسلام، في أمره بالسماحة ، وإرجاح المكيال والميزان والنهي عن التطفيف، وأن يدللوا على ذلك باتباعهم لتعاليم الإسلام وامتثالهم لها ، فيكون ذلك أبلغ في نشر الدعوة ونفاذها في قلوب المدعوين.

ثانيًا - من آداب الداعية: الاقتداء بهدى النبي ﷺ في السماحة وحسن القضاء:

هذا ما أشار إليه نص الحديثان الأول في قول جابر رضي الله عنه : "إن النبي ﷺ اشترى منه بعيرًا ، فوزن له فأرجح" ، ووالثاني في قول أبي صفوان سويد بن قيس رضي الله عنه "... فقال النبي ﷺ للوزان "زن وأرجح" وفي بيان ذلك قال النووي: "وفيه استحباب إرجاح الميزان في وفاء الثمن وقضاء الديون"[2].

وقال ابن عثيمين: "في قوله ﷺ : "زن وأرجح" أى زاده أكثر مما يستحق وهكذا ينبغي للإنسان عند الوفاء أن يوفي كاملاً بدون نقص وإذا زاد فهو أفضل"[3]، فعلى الداعية أن يقتدي ويتأسى بالنبي ﷺ في انتهاج الخلق الكريم والسلوك القويم، - ومن ذلك السماحة في البيع والشراء وحسن القضاء - ، فالدعوة أمانة عظيمة ولا تؤدى

---

(١) الدعوة إلى الإسلام، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، بدون طبعة ، ٩١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٩٢٠.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٤٧٠/٢.

على أتم وجهها إلا بعد أن تمرّس النفس على الانضباط بأخلاق الدعاة الصادقين، وصفات المصلحين المخلصين، ويتبوأ إمام الدعاة قدوتنا رسول الله ﷺ مكان الذروة من ذلك، فهو ذو الخلق الكريم، والخلق العظيم بشهادة رب العالمين القائل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(١)، فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: "لم يكن النبي ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا وكان يقول: إن من خياركم أحسنكم أخلاقًا"(٢)،(٣).

"فالنبي ﷺ هو المثل الأعلى للدعاة في حياتهم الخاصة والعامة، يترسمون خطاه ويستضيئون بهديه، ويقتفون أثره، لأن الدعاة يدعون بالأقوال والأفعال بالبيان والقدوة، والناس يرون في أفعال الدعاة وسيرتهم تطبيقًا حيًا لما يدعون إليه، فإذا لم يكونوا مقتفين أثر النبي ﷺ متتبعين منهجه، مقتدين به، مترسمين خطاه فقد ضلوا وأضلوا"(٤).

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل السماحة في البيع والشراء:

هذا ما يستفاد من نص الحديثين، وفي بيان عظم فضل السماحة في البيع والشراء، قال ﷺ: "رحم الله رجلاً سمحًا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى"(٥)، وقال ﷺ "غفر الله لرجل كان قبلكم كان سهلاً إذا باع سهلاً إذا اشترى سهلاً إذا اقتضى"(٦)، وقال ﷺ: "إن الله يحب سمح البيع، سمح الشراء، سمح القضاء"(٧).

قال المباركفوري: "في قوله ﷺ: إن الله يحب سمح البيع"، أي: سهلاً في البيع جوادًا يتجاوز عن بعض حقه إذا باع"(٨)، وقال ابن حجر: "السمح الجواد يقال: سمح

---

(١) سورة القلم، آية : ٤ .
(٢) أخرجه البخاري ٣٣٦٦، مسلم ٢٣٢١.
(٣) صفات الدعاة، د. عبدالرب نواب الدين، ٧٠ - ٧١.
(٤) المرجع السابق ٥٩.
(٥) أخرجه البخاري ٢٠٧٦.
(٦) الترمذي ١٣٢٠، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ١٠٦٥).
(٧) الترمذي ١٣١٩، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ١٠٦٥).
(٨) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٢٨١/١.

بكذا إذا جاد والمراد هنا المساهلة...، وفيه الحض على السماحة في المعاملة واستعمال معالي الأخلاق وترك المشاحة والحض على ترك التضييق على الناس في المطالبة وأخذ العفو منهم"[1].

وقد بين ابن هبيرة في ذلك معنًى بديعًا قال فيه: (إن الله سبحانه وتعالى مكن عبده في حياته الدنيا من أشياء تشابه ما تنتهي إليها أحواله في الآخرة؛ ليكون إذا وجد ما يسوءه من قصور عن مدى لم يبلغه لم يلم غير نفسه؛ فإن أراد أن يتجاوز الله له عن كل شيء تجاوز هو لعباد الله المؤمنين عن كل شيء، وإن أراد أن يجود الله له بكل شيء جاد هو لعباد الله سبحانه بكل شيء في الله سبحانه، وإن أراد أن يؤثره الله على كل مخلوق في وقته آثر هو الله سبحانه على كل مخلوق في وقته، وكذلك إذا أحب ألا يأتيه من الله ما يكرهه لم يأت هو في أمر الله ما يكرهه، ولذلك إذا أراد أن يكون أكرم خلق الله على الله فليكن أشد خلق الله اتقاء لله، وكذلك إذا أراد أن يكون أحب خلق الله إلى الله فليكن ممن لا يحب إلا لله، ولا يبغض إلا لله، وهي العروة الوثقى: الحب في الله والبغض في الله.

وإن مما أخافه على أهل الخير عند هذه العقبة من عقاب النيات أنه إذا رأى الرجل المسلم الرجل المسلم وقد أعجبته خلاله وثبت عنده صلاح علانيته، وهو يشير إليه ضميره فاستحق حبه وأن يمحضه وده، فنظر إلى أنه ليس من قومه؛ أو ليس على مذهبه، أو ليس آخذاً في طريقه المشوبة، فقصر في إمحاضه الود لذلك المعنى الذي ليس بصالح؛ لأنه قد تعرض بذلك لأن يمقته الله عز وجل في أدنى خلة يستحق بها المقت، وإن كان هو لم يمقته في خلة يستحق بها المقت؛ ولكن عدل الله عز وجل يقتضي ألا يكون إلا كذلك)[2].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٥٩/٤.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢٣٠/٦.

الحديث رقم (١٣٧٧)

١٣٧٧- وعن أَبي صَفْوَان سُوَيْدِ بنِ قيسٍ ﷺ قَالَ: جَلَبْتُ أنَا وَمَخْرَمَةُ العَبْدِيُّ بَزًّا مِنْ هَجَرَ، فَجَاءنا النبيُّ ﷺ، فَسَاوَمَنَا بسَرَاوِيلَ، وَعِنْدِي وَزَّانٌ يَزِنُ بالأجْرِ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ لِلْوَزَّانِ: ((زِنْ وَأرْجِحْ)) رواه أَبُو داود، والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

سُوَيْد بن قيس: هو سويد بن قيس العبدي، يكنى، أبو مرحب له صحبة، غير أنه لم يرو إلا حديثًا واحدًا وهو قال سويد بن قيس جلبت أنا ومَخْرفَة العبديُّ ثيابًا من هجر، قال: فأتانا رسول الله ﷺ فساومنا بسراويل، وعندي وزّان يزن بالأجر، فقال للوازن: ((زن وأرجح)). وفي رواية ((جلبت أنا ومخرفة العبدي بزًا من هجر أبو البحرين، فلما كان بمنى أتانا رسول الله ﷺ فاشترى منا سراويل وقباء، ووزّانٌ يزن بالأجرة، فدفع إليه رسول الله ﷺ الثمن، فقال: زن وأرجح)) وهو حديث الباب. وكان ﷺ ممن سكن الكوفة[2].

غريب الألفاظ:

جلبت: جلب يجلبه جلْبًا وجلَبا واجتلبه: ساقه من موضع إلى آخر[3].

بزًا: البز: الثياب، أو متاع البيت من الثياب ونحوها[4].

هجر: مدينة، وهي قاعدة البحرين -قديمًا- وقيل ناحية البحرين كلها هجر، وهي

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٣٣٦)، والترمذي (١٣٠٥) واللفظ له. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٥١٤٧)، وقال الحاكم (٢/٣٠): حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٣١٧)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٥٩٩، ٦٠٠)، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (٥٦١)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٣/٣٤١)، السندي (٣١/٤٤٤ - ٤٤٦).

(٣) القاموس المحيط، الفيروز آبادي في (ج ل ب).

(٤) المرجع السابق في (ب ز ز).

اليوم "الإحساء" والبحرين قديمًا كانت تطلق على ساحل الخليج العربي من عمان جنوبًا حتى الكويت والبصرة شمالاً، أما البحرين حاليًا فكانت تسمى دلمون[1].

فساومنا: من المساومة وهي المجاذبة بين البائع والمشتري على السلعة، وفصل ثمنها[2].

سراويل: جمع سروال: لباس يغطي السرة والركبتين وما بينهما[3].

وزَّان يزن بالأجر: يأخذ على وزنه أجرة[4].

وأرجح: رجح الميزان يرجح أي مال له ورجح وأرجح أي أعطاه راجحًا[5].

الشرح الأدبي

هذا الحديث كسابقه في الدلالة على تعاملات النبي ﷺ في البيوع من جهة، وعلى وفائه مع الزيادة كرما منه، وحسن معاملة، قال ابن القيم: قد باع النبي صلى الله عليه و سلم واشترى وشراؤه أكثر، وآجر، واستأجر وإيجاره أكثر، وضارب، وشارك ووكل وتوكل، وتوكيله أكثر، وأهدى، وأهدي له، ووهب، واتهب، واستدان، واستعار، وضمن عاما، وخاصا، ووقف، وشفع، فقبل تارة، ورد أخرى فلم يغضب، ولا حلف واستحلف، ومضى في يمينه تارة، وكفر أخرى، ومازح، وورى، ولم يقل إلا حقا، وهو القدوة والأسوة)، وقول أَبي صَفْوَان سُوَيْدِ بنِ قيسٍ - رضي الله عنه (جلبت) يشير إلى عناء، ومشقة في الإتيان بالثياب كعادتهم في رحلات التجارة من الشام، أو اليمن، و (هجر) اسم مدينة يمنية مما يؤكد دلالة الفعل (جلبت) والبز نوع من أنواع الثياب، وقوله (فَجَاءنا النبيُّ ﷺ) يشير إلى أنه هو الذي قصدهم للشراء منهم، وقوله

(١) انظر: أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٦٢، ٣٦٥.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (س و م).

(٣) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٢١٧.

(٤) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١/١٢٧٢.

(٥) القاموس المحيط، الفيروز آبادي في (ر ج ح).

(فساومنا) يشير إلى أعلى مستويات التواضع، والعدل، وترك المحاباة، وإن كان التعامل مع رأس الناس، وهو نوع من العدالة، والإنصاف لم تعرفه أكثر المجتمعات عدالة، واستقامة في أي عصر بعد عصر النبوة، وقول الرسول ﷺ (زِنْ وَأرْجِحْ) الأمر الأول يمثل العدالة في أسمى صورها لأهم شخصية في المجتمع بله على وجه الأرض تشتري، وتبيع وتعدل، والأمر الثاني (وأرجح) يشير إلى الكرم في القضاء كما أشار ما قبله إلى العدل في الوفاء.

فقه الحديث

قال ابن قدامة في المغني: (ويجوز استئجار كيال ووزان لعمل معلوم أو في مدة معلومة، وبهذا قال مالك والثوري والشافعي وأصحاب الرأي، ولا نعلم فيه مخالفًا، وذلك لحديث الباب)[1].

المضامين الدعوية[2]

---

(١) المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٨/٤١ بتصرف.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية بالممارسة:

تكون المواقف ذات تأثير كبير على نفوس البشر والناس، وتكون أبلغ في توصيل الرسالة المراد توصيلها إليهم، لأن المواقف هي المحك الفعلي لصدق القول وإخلاص القائل وإيمانه بما يقول، فكم من المواقف كشف زيف القائل وفضحه وكشف عن الهوّة البعيدة بين قوله وبين فعله، فزَهَده الناسُ وانفضوا من حوله، بل كانوا فتنة لبعضهم، فمنعوهم من الاستجابة لما يقولون مع أنه الصدق والحق، فكانوا أشبه بقطاع الطرق، وفي ذلك يقول ابن القيم: (علماء السوء جلسوا على باب الجنة، يدعون إليها الناس بأقوالهم ويدعونهم إلى التأسي بأفعالهم، فكلما قالت أقوالهم للناس: هلموا. قالت أفعالهم: لا تسمعوا منهم. فلو كان ما دَعَوْا إليه حقًّا كانوا أول المستجيبين له، فهم في الصورة أدلاء وفي الحقيقة قطاع طرق)[1].

لذا كانت المواقف التي تقع للمربي ومنه ذات تأثير لا يخفى على أتباعه ومن يقوم بتربيتهم، فعيونهم معلقة به وقلوبهم متجهة إليه، وأفئدتهم مفتوحة لما يفعل وما يقول، إن رأت فعله يصدق قوله ازدادت استجابة له وطاعة وامتثالاً، وإلا نفرت عنه، ولم تلتفت إلى قوله ولم تلق بالاً إلى فعله.

ونبينا محمد ﷺ كان أصدق الناس وأصدق الخلق في قوله وفعله، ففعله مصدق لقوله، وقوله معبر عن فعله، فلا يأمر أصحابه بفعل إلا وكان أول الفاعلين ولا ينهاهم عن فعل إلا كان أسرع المنتهين، إنه ﷺ أفضل من شهدته البشرية مربيًا ومعلمًا وموجهًا وقائدًا وواعظًا، وليس هذا من الكلام الإنشائي أو الكلام الذي يحمل عليه الحب والتوقير له ﷺ، ليس هذا من الكلام الإنشائي في شيء، ولكنه كلام صدر عن كل قلب محبٍّ مبجل له ﷺ مؤمن به، كما أنه كلام يصدقه الواقع ويشهد له التاريخ، فلم يشهد التاريخ رجلاً نجح في تكوين دولة تقوم على ما كان يدعو إليه من

---

(١) الفوائد ص ٩٤.

توحيد وعدل وتسامح ومحبة، وفي تربية أصحاب يحملون ويؤمنون بما يدعو إليه إلاّ محمدًا ﷺ.

وبهذا شهد المنصفون قبل المحبين، فهذا مايكل هارت يؤلف كتابه (العظماء مائة) ويختار مائة شخصية يجمع بينها أنها أكثر الشخصيات تأثيرًا في تاريخ العالم، وبدراسته لسير هؤلاء العظماء يخرج إلى أن أعظم هذه الشخصيات محمد ﷺ، فيجعله الشخصية الأولى، ويكون عنوان الكتاب - مترجمًا - (العظماء مائة أعظمهم محمد ﷺ).

ولا شكّ أن من أسباب نجاح النبي ﷺ تصديق فعله لقوله، وهذا من أهم الشروط الواجب توافرها في كل مصلح ومربٍ وداعية، وبعض أحاديث الباب تشهد بذلك، إنه كان ﷺ يحث أصحابه ويرغبهم في محاسن الأخلاق ومكارم الصفات، منها التسامح والعفو وحسن القضاء، وجاءت المواقف العملية لتبين أن رسول الله ﷺ أكثر المتسامحين وأصدق العافين، وأحسن الناس قضاءً.

فهذا النبي ﷺ يكون عليه دينٌ فيأتيه صاحب الدين يتقاضاه ويغلظ في المطالبة بدينه إغلاظًا، يدفع أصحاب النبي الكرام إلى أن يهموا به ليعاقبوه على إغلاظه هذا، لكن النبي ﷺ يأمر أصحابه بأن يكظموا غيظهم ولا يعاملوه بما يستحق، بل إنه ﷺ ليزيد في أمرهم بالكظم بأن يدعوهم بأن يلتمسوا له عذرًا، فيقول (دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً) وينقل أصحابه من الثورة على هذا الرجل الغليظ إلى الانشغال بأداء دينه، والعمل على قضائه، وهو في هذا نقلَ تفكيرهم واهتمامهم بمعاقبة هذا الرجل وتأديبه إلى مجال آخر وهو تأدية دينه إليه، وهو بذلك خَفّض ثورتهم إلى أدنى حد ممكن بل يدعوهم إلى محوها وعدم الالتفات إلى تبعاتها ولوازمها، إلى ما يعبّر عن التسامح والعفو، إنه يقول لهم: (أعطوه سنًّا مثل سنه) فينشغل الصحابة بهذا الأمر النبوي الكريم ويبحثون عن مثل سنّه فلا يجدون، فيخبرون النبي ﷺ وقد هدأت ثورتهم لما رأوا من عفو صاحب الحق وهو النبي ﷺ عن الرجل وإغلاظه وسوء أدبه فيخبرونه ﷺ: يا رسول الله لا نجد إلا أمثل [أي أعلى] من سنه. فيضرب لهم رسول

الله ﷺ القدوة في حسن القضاء، فيقول لهم (أعطوه فإن خيركم أحسنكم قضاء).

إنه ﷺ لم ينسب حسن القضاء لنفسه، ولم يشر لذلك مع أنه لو فعل لم يكن هناك حرج ولا بأس بذلك، لكنه ﷺ استفاد من الموقف ليغرس في أصحابه هذا الدرس البليغ في العفو وحسن القضاء فجاء بصيغة العموم (فإن خيركم أحسنكم قضاء)، لكي يدفع أصحابه وأتباعه إلى المبادرة إلى القضاء وحسن القضاء.

وإذا كان هذا الموقف بحضرة الناس، فإنه ﷺ كان مع أفراد الناس كذلك، لم يكن يختلف فعله أمام الناس وبحضرتهم عن فعله مع أفرادهم وآحادهم، بل فعله معهم كفعله مع أحدهم، لا يختلف ولا يتباين فهذا جابر بن عبدالله رضي الله عنهما يخبر أن النبي ﷺ اشترى منه بعيرًا، فوزن له الثمن وأعطاه أكثر منه، ليضرب المثل ﷺ في التسامح في أداء ثمن المبيع بالزيادة فيه.

إننا في عالم اليوم أحوج ما نكون إلى هذه الدروس العملية وتفعيلها في أرض الواقع، وخاصة مع موجات الغلاء المعيشية المتصاعدة التي لا تكاد تتوقف عند حد معين، حتى إنها لتأكل معظم الدخول، ولا تجعل لها قيمة كبيرة، فالسلع في ارتفاع وازدياد، والنقود في هبوط وتدنٍ مستمرين، إننا نعاني اليوم من أن بعض التجار قد يرفع الأسعار بدون سبب مبرر ولا سبب مقنع، فإذا أعلنوا أن سبب الارتفاع هو ارتفاع العملات الصعبة أمام العملات المحلية، فتجد أن السلع في ازدياد رغم أن هذه العملات الصعبة قد انخفضت إلى أدنى مستوياتها بعد أن كانت مرتفعة.

كما نعاني أيضًا من بعض صور الاحتكار في بعض السلع الضرورية التي لا يكاد يستغني عنها الناس، وتجد تعاون بعض المؤسسات والتجار على عدم فك هذا الاحتكار وضرب كل محاولة جادة لكسره، وما ذلك إلا ليظلوا هم المحتكرين لهذه السلع فيتحكمون في رفع أسعارها ويحققون من وراء ذلك المكاسب الطائلة.

إننا نستطيع أن نفسر هاتين الصورتين ونحوهما بغياب روح المسامحة في البيع والشراء والمعاملات بوجه عام، مما يجعل مهمة التربويين ملحة وضرورية لتربية الناشئة وغيرهم على هذا التسامح، ذلك الخلق النبيل.

ثانيًا- التربية بالدعاء:

وهذا مستمد من حديث رسول الله ﷺ: ((رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى)) ، قال ابن حجر: (قوله: "رحم الله رجلاً" يحتمل الدعاء ويحتمل الخبر، وبالأول جزم ابن حبيب المالكي وابن بطال ورجحه الداودي، ويؤيد الثاني ما رواه الترمذي[1] في هذا الحديث بلفظ "غفر الله لرجل كان قبلكم كان سهلاً إذا باع" الحديث، وهذا يشعر بأنه قصد رجلاً بعينه في حديث الباب، قال الكرماني: ظاهره الإخبار لكن قرينة الاستقبال المستفادة من "إذا" تجعله دعاء تقديره: رحم الله رجلاً يكون كذلك، وقد يستفاد العموم من تقييده بالشرط) [2].

وبناء على ذلك فإن النبي ﷺ استخدم الدعاء وسيلة تربوية لحض المخاطبين على التخلق بخلق السماحة في البيع والشراء والاقتضاء، وينسحب هذا على بقية المعاملات الأخرى، وإنما خصّ البيع والشراء واقتضاء الدين والحقوق بالذكر نظرًا لكونها مظنة مواطن النزاع والاختلاف، فرغب في السماحة فيها سدًا لذلك.

والخلاصة أن الدعاء استخدم هنا وسيلة تربوية فعالة، فمن منا لا يرغب أن يرحمه الله ويمنّ عليه بعفوه وفضله؟

لذا كان على أهل التربية أن يستخدموا الدعاء مع من يربونهم ويقومون على رعايتهم، وذلك ترغيبًا لهم وحضًا على إتيان الأعمال الطيبة والتحلي بمكارم الأخلاق والشمائل السامية، وكذلك على النفور من الأعمال السيئة واجتنابها والابتعاد عنها.

لنقرأ هذا الحديث التالي: عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((احْضُرُوا الْمِنْبَرَ»، فَحَضَرْنَا، فَلَمَّا ارْتَقَى دَرَجَةً قَالَ: «آمِينَ »، فَلَمَّا ارْتَقَى الدَّرَجَةَ الثَّانِيَةَ قَالَ: «آمِينَ»، فَلَمَّا ارْتَقَى الدَّرَجَةَ الثَّالِثَةَ قَالَ: «آمِينَ»، فَلَمَّا نَزَلَ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ سَمِعْنَا مِنْكَ الْيَوْمَ شَيْئًا مَا كُنَّا نَسْمَعُهُ؟ قَالَ: «إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَرَضَ لِي، فَقَالَ: بَعُدَ مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ قُلْتُ: آمِينَ، فَلَمَّا رَقِيتُ الثَّانِيَةَ قَالَ: بَعُدَ مَنْ

---

(١) سنن الترمذي ١٣٢٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١٣٥/١.

ذُكِرْتَ عِنْدَهُ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ، فَقُلْتُ: آمِينَ، فَلَمَّا رَقِيتُ الثَّالِثَةَ قَالَ: بَعُدَ مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ الْكِبَرُ عِنْدَهُ أَوْ أَحَدَهُمَا فَلَمْ يُدْخِلاَهُ الْجَنَّةَ قُلْتُ: آمِينَ))(١).

إن هذا الحديث الشريف يقوم على الدعاء والتأمين عليه، للتنفير من هذه الأفعال الثلاثة الذميمة، وقد كان هذا التنفير عجيبًا، فقد كان الداعي هو أمين الوحي جبريل عليه السلام، والمؤمن على دعائه أفضل الخلق وخليل الرحمن محمد ﷺ، كما أن مكان الدعاء كان يزيد الأمر رهبة وإجلالاً، فإن النبي ﷺ كان يصعد المنبر، وهو موطن تنزل الرحمات الإلهية، حيث يُذكر الله عليه ويتضرع إليه ويدعى إلى الإيمان به وتقواه ويُحبب إلى خلقه ونحو ذلك من مقاصد خطبة الجمعة، كل ذلك يجعل المخاطبين منتبهين أشد الانتباه إلى تلقي الرسالة التربوية والعمل بمقتضاها.

إننا نستعمل الدعاء في حياتنا اليومية وفي معاملاتنا المعتادة بصورة كبيرة، من ذلك:

أ - جزاك الله خيرًا. لمن أسدى إلينا معروفًا وفي ذلك تربية على الشكر، وحضٌ على فعل المزيد من المعروف.

ب - نفع الله بك. لمن يرجى منه الخير والنفع، وفي ذلك تربية على أن يكون الإنسان مفيدًا لنفسه ولغيره ولمجتمعه.

ج - الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها. في التحذير من بعث الفتن من مرقدها والعمل على إشعالها. وفي ذلك تربية على الاتحاد وعدم الاختلاف وجمع كلمة المسلمين.

ونحو ذلك كثير يشيع في حياتنا اليومية، مما يؤكد الدور التربوي للدعاء.

ثالثًا - التربية على أن الجزاء من جنس العمل:

من الحقائق المذكورة في الأفهام والعقول لكل عمل جزاء، وأن هذا الجزاء يكون من جنس العمل، فمن عمل صالحًا كان جزاؤه صالحًا، ومن عمل طالحًا كان جزاؤه

---

(١) أخرجه الحاكم ١٥٣/٤، وقال: صحيح الإسناد، وانظر: كتاب: الترغيب والترهيب، آخر باب الترغيب في إكثار الصلاة على النبي ﷺ والترهيب من تركها عند ذكره ﷺ كثيرًا دائمًا، من كتاب الذكر والدعاء، الأحاديث ٢٦٠٥ - ٢٦١٣.

طالحًا، إن الأرض خير شاهد على ذلك، فمن رعاها وأحسن رعايتها بالبذر والسقى والحرث أتت بما تشتهي النفوس من نبات طيب وثمرة طيبة، فيحصد جزاء عمله، ومن أهملها وتركها كانت جرداء قبيحة المنظر، لا يحصد منها إلا كل قبح وكل كآبة، وهذه من السنن الإلهية التي قررها الله في كتابه وأكدها رسول الله ﷺ في سننه: قال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾(1). وقال تعالى: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ ﴾(2).

وبعض أحاديث الباب تؤكد هذا، من ذلك: (كان الرجلُ يُداينُ الناس، فكان يقولُ لفتاهُ: إذا أتيتَ مُعسِرًا فتجاوَز عنه، لعلَّ اللهَ أن يَتجاوَزَ عنا. فلَقِيَ اللهَ فتجاوَزَ عنه) إنه تجاوز عن الناس وأبرأهم من ديونه التي له عليهم وأسقطها من على كاهلهم، فأسقط الله عنه ذنوبه وسيئاته وتجاوز عنها ولم يحاسبه عليها.

إنه تجاوز بشري، قابله المولى بفضله وكرمه بتجاوز إلهي، وهو إن كان تماثلاً في الصورة إلا أن الفرق كبير بينهما، ولله المثل الأعلى، فهذا قد تجاوز عن بعض أمواله، وهي إن بلغت حد الكثرة إلا أنها قليلة لما ناله بسببها، إنه سبحانه تجاوز عن السيئات والذنوب والآثام والأعمال غير الصالحة، وما أكثرها وما أثقلها، لكنها رحمة الله وفضله وكرمه، إنه سبحانه يقول له: "نحن أحق بذلك منه، تجاوزوا عنه" وفي رواية: "أنا أحق بذا منك تجاوزوا عن عبدي".

وحث النبي ﷺ على هذا بأسلوب الشرط كما حث عليه بالإخبار عن هذا الرجل المتجاوز عن المعسرين، فقال ﷺ: (من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه). وهذا أيضًا من قبيل مقابلة العمل بمثله من الجزاء، فإنّه لا شك أن المعسر في كربة شديدة، فالدين -كما يقولون- ذل بالنهار وهمٌ بالليل، إنه كربة تلازم صاحبها بالليل والنهار يقظة ومنامًا، فإذا أنظره صاحب

---

(١) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧ - ٨.

(٢) سورة الرحمن، آية: ٦٠.

الدين المعسر أو وضع عنه فإنه قد أزال عنه هذه الكربة الشديدة والمحنة الصعبة، فكافأه الله يوم القيامة بأن أزال عنه ونجاه من كرب يوم القيامة وما أشدها! وما أصعبها وما أقساها!

فيكون في ظل عرش الله إكرامًا له ومعاملة له بما كان يعامل به الناس من التسامح والتجاوز: "من أنظر معسرًا أو وضع له أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله".

وفي هذا الحديث إضاءة قوية وإرشاد مؤكد لأهل التربية أن يربوا من يقومون بتربيتهم على أن جزاءهم يكون من جنس عملهم، فلا يتوقعون الخير والإكرام، وما قدموا إلا الشر والسوء، ولا ينتظرون إحسان الجزاء وما أحسنوا أعمالهم وأتقنوها وأخلصوها لله رب العالمين.

إننا نرى في هذا مبدأ تربويًا مهمًا جدًا ينبغي أن تربى عليه الأجيال، لأن ذلك يفيدهم في مسيرتهم الحياتية أكبر فائدة، وذلك على النحو التالي:

أ - إتاحة الفرصة للمتفوقين والنابهين والمتميزين لأن يحتلوا مكان الصدارة والقيادة والتوجيه، ولا يتسلقها الضعفاء الخاملون الفاقدون لكل صفة نبيلة ومعنى شريف، الجامعون لأسوأ ما في النفس البشرية من التملق والنفاق وانتهاز الفرص ومحاربة الناجحين وإزاحتهم من طريقهم بكل ما استطاعوا من جهد.

ب - تربيتهم على إحسان العمل وإتقانه وإجادته، لأن هذا هو السبيل الطبيعي للإنجاز ونيل ما يستحقون من جزاء وإكرام وفضل، وليس هناك طريق آخر لذلك، فإذا وقع وحدث خلاف ذلك كان علامة خطيرة على مرض المجتمع وعلى اختلال موازينه وإعوجاجها مما يستدعي الخوف عليه وعلى قيمه ومبادئه وعلى مسيرته نحو التقدم والتحضر، فإنه حينئذٍ يكون مشكوكًا في ذلك.

إن ما تعاني منه الدول النامية -أو دول العالم الثالث- انتشار الفساد والرشوة، وانعدام الكفاءة عند كثير ممن يشغلون المناصب العليا والمراكز القيادية، وسبب ذلك ناتج في جزء كبير منه عن الإخلال بمبدأ الجزاء من جنس العمل، ويظهر ذلك جليًا في

أن يفقد الناس المصداقية في العبارة التي يسمعونها ليل نهار: الرجل المناسب في المكان المناسب، ومكان صادف أهله.

ج - إيجاد التنافس بين أفراد المجتمع نحو المبادرة إلى معالي الأمور وأفضلها، وإيجاد ثقافة شائعة تنتشر بين أفراده تحض وتمجد وتعظم من شأن الابتكار والإبداع والإنجاز والمثابرة، والمواصلة والاستمرار في ذلك..

إن مما يحزن أشد الحزن أن قطاعًا كبيرًا من الناشئة الآن إذا سألتهم عما يرغبون أن يكونوا في المستقبل كانت إجاباتهم تتراوح بين أن يكونوا لاعبي كرة أو ممثلين أو ممثلات ومغنين أو مغنيات، ونادرًا منهم من يود أن يكون عالمًا أو ممتهنًا لمهنة من المهن التي تفيد المجتمع إفادة كبيرة، وتحتاج إلى بذل كثير من الجهد ومزيد عناية للقيام بها.

إنه قد شاع بينهم ثقافة الاستسهال، وثقافة النَفَس القصير، وثقافة الإنجاز السريع الهش مع بذل القليل من الجهد، مع أن الأمة الإسلامية تحتاج أشد الاحتياج إلى علماء بارزين ومفكرين مبدعين ومهنيين متفوقين لسدّ كثير من احتياجاتها ومطالبها.

رابعًا- التربية على العمل مع تشجيع العاملين:

خلق الله الخلق ليعملوا وينتجوا فيفيدوا أنفسهم ويفيدوا غيرهم، فإن العامل النافع لا يقتصر نفعه على نفسه وأهله فحسب بل يمتد نفعه كذلك إلى مجتمعه وشعبه ودولته.

إن أصحاب رؤوس الأموال ليستطيعون بما أعطاهم الله من أموال طائلة أن يقيموا المشاريع الحيوية التي تدّر عليهم الربح الوفير والخير العميم ويلزم عن ذلك أنهم يتيحون فرص عمل لغيرهم، الذين يكتسبون من المال -لقاء عملهم- ما يمكنهم من توفير متطلبات الحياة فضلاً عما قد يوفرونه من مال، ليصبحوا بدورهم هم أنفسهم أصحاب مشاريع مهمة، وهكذا يدب في أوصال المجتمع الحيوية والنشاط والحركة، ويقل عدد العاطلين عن العمل إلى درجات دنيا، إن لم يقض على البطالة، فضلاً عن توفير متطلبات المجتمع واحتياجاته التي لا يستغني عنها من مأكل ومشرب وملبس ومسكن وتعليم وعلاج ونحو ذلك.

لذا حثّ الإسلام على العمل وشجّع العاملين وأصحاب الأعمال، ونكتفي في هذا المقام بهذ الحديث الذي رواه كعب بن عجرة ﷺ قال: ((مَرَّ على النبي ﷺ رجل فرأى أصحابُ النبي ﷺ مِنْ جَلَدِهِ ونشاطِهِ، فقالوا: يا رسول الله، لو كان هذا في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى على وُلْدِهِ صِغَارًا فَهُوَ في سبيلِ الله وإنْ كانَ خَرَجَ يَسْعَى على أَبَوينِ شَيْخَيْنِ كَبِيْرَينِ فهوَ في سَبيلِ الله وإنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى على نَفْسِهِ يُعِفُّهَا فَهُوَ في سَبِيلِ الله. وإنْ كانَ خرجَ يَسعى رِياءً ومُفَاخَرَةً فَهُوَ فِي سبِيلِ الشَّيْطَانِ))[1].

فليس هناك أدل على احترام العمل الشريف والاكتساب من ورائه، من هذا الحديث الذي جعل ذلك في سبيل الله.

ومن لوازم العمل النافع -كما ذكر سابقًا- بث الرواج في المجتمع ونفي الكساد الاقتصادي الذي له عواقب وخيمة على الفرد والمجتمع، وبخاصة العمل التجاري الذي يعتمد على جلب السلع من أصحابها ومنتجيها وتيسيرها للمستهلكين والمشترين، وما يلزم عن ذلك من إتاحة كثير من فرص العمل سواء في إنتاج السلع في خدمات البيع والاستهلاك وما بعد البيع، والحديث الذي معنا من هذا القبيل، فعن أبي صفوان سويد ابن قيس ﷺ قال: جلبت أنا ومخرمة العبدي بزًا [أي ثيابًا] من هجر، فجاءنا النبي ﷺ فساومنا سراويل، وعندي وزّان يزن بالأجر، فقال النبي ﷺ للوزّان: زن وأرجح.

إن الرجلين كانا تاجرين أو اشتغلا بالتجارة فجلبا ثيابًا إلى مكة[2]، وذلك تيسيرًا على المشترين والراغبين في الشراء، كما أن هذين الرجلين جعلا معهما وزّانًا يزن الثمن من الدنانير والدراهم، ويأخذ أجرًا على ذلك، فأوجدا معهما فرصة عمل له يتكسب

---

(١) قال الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. والملاحظ أنه قد أورده في موضعين من كتابه: في أول كتاب البيوع وغيرها: الترغيب في الاكتساب بالبيع وغيره، الحديث ٢٦٢٩، وفي كتاب: النكاح، باب: الترغيب في النفقة على الزوجة والعيال والترهيب من إضاعتهم وما جاء في النفقة على البنات وتأديبهن ٣٠٣٩.

(٢) كما في الرواية التي عند أبي داود ٣٣٣٦.

من ورائها، وهذان التاجران الغالب على الظن أنهما ربحا، لأنهما عاملا النبي ﷺ فاشترى منهما وأمر الوزّان أن يرجح في ميزانه للثمن الذي دفعه النبي ﷺ للسراويل التي اشتراها.

والمقصود أن الحديث هدي نبوي للمربين أن يربوا أتباعهم على حب العمل النافع وتشجيع أصحاب الأعمال النافعة، ولا شكّ أن هذا الهدي يفيد في علاج ما ظهر على الساحة المعاصرة من انحرافات يمكن ذكر بعضها فيما يلي:

أ - تسخير رؤوس أموال ضخمة في إنشاء قنوات فضائية ذات توجيه ماجنٍ داعر، فلا تقدم من الفن إلا أفشحه، ولا من البرامج إلا أشدها سقوطًا ولا من الأغاني إلا أكثرها فجورًا لفظًا وصورة، واستغلال كل ذلك في إلهاء شباب الأمة عن قضاياها الحيوية والخطيرة، والتي أصبحت الأمة تهددها في وجودها وكيانها، ولا تهدد في مصالحها فحسب.

ب - توجيه كثير من الأموال إلى ما يعرف بالصناعة الترفيهية، كالإكثار من إنشاء الملاهي وأماكن الترويح، كثرة لا نعتقد أن أمة جادة تريد العزة واسترجاع مجدها بحاجة إلى هذا العدد الضخم منها، إن أمة يغلب لَهْوُها على جدها وترويحها على عملها لأمة لا ينتظر منها خيرٌ كثير ولا تقدم كبير، وخير شاهد على ما نقول انتشار ملاعب الجولف ذات المساحات الشاسعة والتي تحتاج إلى مياه عذبة كثيرة جدًا، مع أن الذين يلعبون هذه اللعبة الغربية في وطننا العربي قليل جدًّا لكنهم من ذوي الثراء العريض.

ج - شغل الناس بكثرة المسابقات الهاتفية التي تجريها القنوات الفضائية والشركات الإعلامية وغيرها، والتي تقوم على الاتصال برقم معين يكون فيه ثمن الدقيقة أغلى من ثمنها المعتاد بكثير، وذلك لنيل جائزة نقدية أو عينية، ولا تكون هذه الجائزة إلا فتات ما تجمع لدى الشركة أو القناة من مبالغ حصدتها من اتصال المتصلين والتي تدخل جيوب أناس قليلة حصدوا من المال الكثير دون جهد يذكر أو عمل يشكر.

إن من العجيب أن ينادي بعض رجال السياسة والاقتصاد بقفل هذا الباب الذي يُستولي بسببه على ما في جيوب الناس دون أدنى تعب أو جهد، ويذهب بعض أهل الفتوى المعاصرين إلى حلّ هذه المعاملات مع ما فيها من قمار وميسر واضحين لا شك فيهما!!

والخلاصة أنه من الأهمية بمكانٍ التربية على حب العمل النافع المفيد للفرد والمجتمع والشعوب والدول، وما يلزم عن ذلك من بغض العمل التافه غير المفيد إلا لقلة من البشر تقتات على جهود الآخرين وتستولي على ما بأيديهم من أموال، بطرق ظاهرها القبول والرضا وحقيقتها الغش والتغرير والخداع والميسر والقمار.



١٢- كتَابُ العِلم

٢٤١- باب فضل العلم تعلمًا وتعليمًا لله

قَالَ اللّهُ تَعَالَى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[طه: ١١٤]، وقال تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[الزمر: ٩]، وقال تَعَالَى: ﴿يَرْفَعِ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[المجادلة: ١١]، وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللّهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ﴾[فاطر: ٢٨].

الحديث رقم (١٣٧٨)

١٣٧٨ - وعن معاوية ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: **((مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ))**. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

معاوية بن أبي سفيان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨١١).

الشرح الأدبي

هذا الحديث من أعظم فضائل العلم، ويقرر أن العلم النافع علامة على سعادة العبد، وأن الله أراد به خيرا، والفقه في الدين يشمل الفقه في أصول الإيمان، وشرائع الإسلام، والأحكام، وحقائق الإحسان. فإن الدين يشمل الثلاثة كلها، وقد ورد الحديث في جملة خبرية قصيرة تقرر هذه الحقيقة، وتقرر ضمنا أن من لم يرد الله به الخير لن يفقهه في الدين، وتنكير (خيرا) للتعظيم ؛لأن المقصود به الفوز بالجنة،والنجاة من النار، وهو حاصل التفقه في الدين الذي يثمر الإيمان، والإحسان، وهما طريق الجنة، والتعبير بالفقه إشارة إلى حسن الفهم، وصوابه، و لأن بعض الناس قد يعلم،

---

(١) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (٩٨/١٠٣٧) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (١٠٠).

ولا يفقه، فيأخذ المسألة من غير وجهها، ولا يوفق إلى الصواب، والأمر في ذلك بيِّن واضح، والتقييد بالدين؛ لأنه الموصل لله، وبه النجاة من المهالك، وغيره من العلوم الدنيوية له فضل بتبعيته له، وقيمته على قدر اتصاله به.

فقه الحديث

قال النووي: (الحاصل أنهم متفقون على أن الاشتغال بالعلم أفضل من الاشتغالات بنوافل الصوم والصلاة والتسبيح ونحو ذلك من نوافل عبادات البدن، ومن دلائله سوى ما سبق أن نفع العلم يعم صاحبه والمسلمين، والنوافل المذكورة مختصة به، ولأن العلم مصحح فغيره من العبادات مفتقر إليه ولا ينعكس، ولأن العلماء ورثة الأنبياء ولا يوصف المتعبدون بذلك، ولأن العابد تابع للعالم مقتد به مقلد له في عبادته وغيرها واجب عليه طاته ولا ينعكس، ولأن العلم تبقى فائدته وأثره بعد صاحبه، والنوافل تنقطع بموت صاحبها، ولأن العلم صفة لله تعالى، ولأن العلم فرض كفاية أعني العلم الذي كلامنا فيه، فكان أفضل من النافلة.

وقد قال إمام الحرمين في كتابه "الغياثي": فرض الكفاية أفضل من فرض العين من حيث أن فاعله يسد مسد الأمة، ويسقط الحرج عن الأمة، وفرض العين قاصر عليه، وبالله التوفيق)[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على العلم والتفقه في أمور الدين.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل العلم والتفقه في الدين.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحث على العلم والتفقه في أمور الدين:

هذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ "من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين"

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١/٥٦ - ٥٧.

قال ابن حجر في قوله ﷺ: ("يفقهه" أي: يفهمه...، ومفهوم الحديث أن من لم يتفقه في الدين - أي يتعلم قواعد الإسلام وما يتصل بها من الفروع - فقد حرم الخير)[1]، وقال ابن عثيمين: (إن العلم جهاد في سبيل الله، وعليه يبنى الجهاد وسائر الإسلام، لأن من لا يعلم لا يمكن أن يعمل على الوجه المطلوب ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[2] يعني لولا نفر بالجهاد من المؤمنين من كل فرقة منهم طائفة، وقعدت طائفة أخرى "ليتفقهوا" أي: الطائفة القاعدون "في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم" أي رجعوا من الغزو "لعلهم يحذرون" فجعل الله تعالى الفقه في دين الله معادلاً للجهاد في سبيل الله، بل أولى منه، لأنه لا يمكن أن يجاهد المجاهد، ولا أن يصلي المصلي، ولا أن يزكي المزكي، ولا أن يصوم الصائم، ولا أن يحج الحاج، ولا أن يعتمر المعتمر، ولا أن يأكل الآكل، ولا أن يشرب الشارب...، إلا بالعلم، فالعلم هو أصل كل شيء ولذلك قال النبي ﷺ "مَنْ يُرِدِ اللّهُ به خَيرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّين")[3]. وفي ذلك حثًا منه ﷺ على تعلم العلم والتفقه في الدين.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل العلم والتفقه في الدين:

هذا ما أشار إليه الحديث في قوله ﷺ "من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين".

قال القاضي عياض: (فيه فضل العلم والفقه في الدين، ولأنه يقود إلى خشية الله تعالى وتقاه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[4] وهذا يقود إلى الخير في الآخرة وعظيم الثواب)[5].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٩٨/١.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢٢.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٤٧٠/٢.

(٤) سورة فاطر، آية: ٢٨.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٥٧٠/٣.

(فالعلم أشرف ما رغب فيه الراغب، وأفضل ماطلب وجد فيه الطالب، وأنفع ما كسبه واقتناه الكاسب)[١]، (وهو تركة الأنبياء وتراثهم، وأهله عصبتهم ووُرَّاثهم، وهو حياة القلوب، ونور البصائر، وشفاء الصدور، ورياض العقول، ولذة الأرواح، وأنس المستوحشين، ودليل المتحيرين، وهو الميزان الذي به توزن الأقوال والأعمال والأحوال.

وهو الحاكم المفرق بين الشك واليقين، والغي والرشاد، والهدى والضلال.

به يعرف الله ويعبد، ويذكر ويوحد، ويحمد ويمجد، وبه اهتدى إليه السالكون، ومن طريقه وصل إليه الواصلون، ومن بابه دخل عليه القاصدون.

به تعرف الشرائع والأحكام، ويتميز الحلال من الحرام، وبه توصل الأرحام وبه تعرف مراضي الحبيب، وبمعرفتها ومتابعتها يوصل إليه من قريب.

وهو إمام، والعلم مأموم. وهو قائد، والعمل تابع. وهو الصاحب في الغربة والمحدث في الخلوة، والأنيس في الوحشة، والكاشف عن الشبهة، والغنى الذي لا فقر على من ظفر بكنزه، والكَنَف الذي لا ضيعة على من آوى إلى حرزه.

مذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وطلبه قربة، وبذله صدقة، ومدارسته تعدل بالصيام والقيام، والحاجة إليه أعظم منها إلى الشراب والطعام.

قال الإمام أحمد: الناس إلى العلم أحوج منهم إلى الطعام والشراب، لأن الرجل يحتاج إلى الطعام والشراب في اليوم مرة أو مرتين وحاجته إلى العلم بعدد أنفاسه.

وروينا عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال: (طلب العلم أفضل من صلاة النافلة)[٢].

ونص على ذلك أبو حنيفة رضي الله عنه. وقال ابن وهب: (كنت بين يدي مالك رضي الله عنه، فوضعت ألواحي وقمت أصلي، فقال: ما الذي قمت إليه بأفضل مما قمت عنه)[٣].

واستشهد الله عز وجل بأهل العلم على أجَلِّ مشهود به وهو "التوحيد" وقرن شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته، وفي ضمن ذلك تعديلهم؛ فإنه سبحانه وتعالى لا

---

(١) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ٤٠.

(٢) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبدالبر ١١٨، وقال محقق الجامع: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

(٣) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبدالبر ١١٦، وقال محقق الجامع: إسناده صحيح.

يستشهد بمجروح...، والعلم هو حجة الله في أرضه، ونوره بين عباده، وقائدهم ودليلهم إلى جنته)[١].

كما قال ﷺ: ((مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمسُ فِيه عِلْمًا سَهَّلَ الله لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ))[٢]، (ولم يرغب النبي ﷺ أحدًا في أن يغبط أحدًا على شيء من النعم التي أنعم الله بها إلا على نعمتين هما: طلب العلم والعمل به، والتاجر الذي جعل ماله خدمة للإسلام)[٣]، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا حسَدَ إلاّ في اثنَتينِ: رجُلٍ آتاهُ اللهُ مالاً فسلَّطهُ على هلَكتهِ في الحقّ، ورجُلٍ آتاهُ اللهُ حِكْمَةً فهو يَقضِي بها ويُعلِّمها))[٤]، قال ابن حجر: (... وأما الحسد المذكور في الحديث فهو الغبطة وأطلق الحسد عليها مجازًا، وهي أن يتمنى أن يكون له مثل ما لغيره من غير أن يزول عنه، والحرص على هذا يسمى منافسة، فإن كان في الطاعة فهو محمود، ومنه ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾[٥]...، وقوله ﷺ "الحكمة" ... قيل: كل ما منع من الجهل وزجر عن القبيح)[٦]. وما ترغيب النبي ﷺ في ذلك إلا لعظم فضل العلم والتفقه في الدين.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

(إن الترغيب من الأساليب الدعوية التي يكون بها تشويق المدعو إلى الاستجابة وفعل الأمر المدعو إليه، والثبات عليه، والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضى الله ورحمته وجزيل ثوابه في الدنيا والآخرة)[٧]، وهذا ما ورد في الحديث من ترغيبه ﷺ في العلم والتفقه في الدين بقوله "من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين.

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢٣٥/٢ - ٢٣٨.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٩٩.

(٣) كتاب العلم، ابن عثيمين، ٢٠.

(٤) البخاري، ٧٣.

(٥) سورة المطففين، آية: ٢٦.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٠١/١.

(٧) انظر: أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان، ٤٣٧.

الحديث رقم (١٣٧٩)

١٣٧٩- وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: **((لا حَسَدَ إلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الحِكْمَةَ، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا))**. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

والمراد بالحسدِ: الغِبْطَةُ، وَهُوَ أنْ يَتَمَنَّى مِثْله[2].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

الشرح الأدبي

الحديث يبدأ بأسلوب القصر بطريق النفي، والاستثناء، وهو من الأساليب الخبرية التي تتضمن نوعا من توكيد الخبر عن طريق إثبات المعنى لمعنى آخر، ونفيه عن كل ما عداه، والذي يتضمن تأكيد الإثبات الأول بالمفهوم، وقوله (لا حسد إلا في اثنتين) المقصود بالحسد هنا الغبطة، وهي تمني مثل ما للغير، وليس هو بعينه بحيث يتمنى زوال النعمة عنه، وحصوله عليها، وأسلوب القصر نفى استحقاق الحسد عن كل شيء، وأثبته للاثنين دون غيرهم فقد تضمن إثباتاً ونفياً مما يؤكد المعنى، ثم إن ذكر العدد اثنين فيه نوع من التشويق؛ لأنه عدد مبهم بالنسبة للمخاطبين، وقد فسَّره بما بعده، وهو ما يحقق ترقب المخاطب وتنكير لفظ (رجل) يفيد التعميم، ونسبة فعل الإتيان لله يشير إلى أن الأمر ليس بمحض كسب الإنسان، وإنما هو سعي من العبد وتذلل للرب، وفضل من الله عليه بالتوفيق، والتعبير بالقيام يشير إلى الصلاة، والتلاوة، والتعلم، والتعليم، وحفظ الحدود، والعمل به، والطباق بين الليل، والنهار يشير إلى دوام

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣)، ومسلم (٨١٦/٢٦٨) ولفظهما سواء. تقدم برقم (٥٤٣). أورده المنذري في ترغيبه (١٢١).

(٢) الترغيب للمنذري (١٢٦/١).

العمل به تلاوة، وتحكيماً، وشيوع لفظ (آناء) في الحديث يشير إلى دوام العمل، وعدم الانقطاع في التلاوة، والتحكيم والعمل، وفي المال تشير إلى الإنفاق في كل سبيل للخير ينفتح له كما دل على ذلك استخدام صيغة المضارع الدال على التجدد، والاستمرار.

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٥٤٣).

الحديث رقم (١٣٨٠)

١٣٨٠ - وعن أَبي موسى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النبيُّ ﷺ: ((مَثَلُ مَا بَعَثَنِي الله بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أصَابَ أرْضًا؛ فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتِ المَاءَ فَأَنْبَتَتِ الكَلأَ، وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أجَادِبُ أمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا[١]، وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى إنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ؛ لا تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلأً، فَذلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذلِكَ رَأسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ)). متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

أجادب: جمع جَدْبٍ: وهو الأرضُ الصلبة التي لا ينضب منها الماء[٣].

قيعان: جمع قاعٍ: الأرض المستوية التي لا تُنبتُ[٤].

فقُه: صار فقيهًا[٥].

لم يرفع بذلك رأسًا: أعرض عنه فلم ينتفع به ولا نفع[٦].

الشرح الأدبي

المتأمل للصورة النبوية في هذا التشبيه التمثيلي يجد أنها من صميم البيئة التي يلابس المخاطب كل دقائقها، وبالتالي تنعكس على فهمه للمعنى، وثرائه مما يسهم

---

(١) لفظ مسلم: (ورعوا)، والمثبت لفظ البخاري، وكذا عند المنذري في ترغيبه.

(٢) أخرجه البخاري (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢/١٦)، وتقدم برقم (١٦٢). أورده المنذري في ترغيبه (١٢٢).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ج د ب).

(٤) المرجع السابق في (ق ي ع).

(٥) رياضا الصالحين ١١٤.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢١٣/١.

في اتساع دلالة التشبيه، قال النووي: (معنى هذا التمثيل أن الأرض ثلاثة أنواع فكذلك الناس؛ فالنوع الأول... المنتفع النافع والثاني: النافع غير المنتفع، والثالث : غير النافع، وغير المنتفع، فالأول إشارة إلى العلماء، والثاني إلى النقلة، والثالث إلى من لا علم له، ولا عقل)[1]. وبتحليل الحديث نستطيع أن نقف على كثير من خصوصيات البيئة التي أثرت المعنى، وألقت بظلالها على مدلول النص.

١- من عادة العربي أن يسمي المطر في الخير بالغيث وفي غيره بالمطر فالغيث يستعمل في الخير، وفيه إشارة إلى أن كل ما جاء به الرسول ﷺ خير، وذكر الإمام العيني وجهاً آخر قال: (فإن قلت لم اختير الغيث من بين سائر أسماء المطر قلت ليؤذن باضطرار الخلق إليه حينئذ قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيّ الْحَمِيدُ) (الشورى: ٢٨) وقد كان الناس قبل المبعث قد امتحنوا بموت القلوب، ونضوب العلم حتى أصابهم الله برحمة من عنده، وفي الحديث تشبيه ما جاء به النبي ﷺ من الدين بالغيث العام الذي يأتي الناس في حال حاجتهم إليه وتشبيه السامعين له بالأرض المختلفة فالأول تشبيه المعقول بالمحسوس، والثاني تشبيه المحسوس بالمحسوس، وعلى قول من يقول بتثليث القسمة يكون ثلاث تشبيهات على ما لا يخفى، ويحتمل أن يكون تشبيها واحدا من باب التمثيل أي تشبيه صفة العلم الواصل إلى أنواع الناس من جهة اعتبار النفع، وعدمه بصفة المطر المصيب إلى أنواع الأرض من تلك الجهة قوله فذلك مثل من فقه تشبيه آخر ذكر كالنتيجة للأول، ولبيان المقصود منه..وأما وجه الشبه فهو الجهة الجامعة بين العلم والغيث فإن الغيث يحيي البلد الميت، والعلم يحيي القلب الميت)

٢- في التشبيه بالغيث إشارة إلى عموم الرسالة، لأن المعهود عن الغيث في البيئة أنه يسقي الجميع ولا يسقي شخصا ويترك شخصا بل يعم.

٣- وصف الغيث بالكثير فيه إشارة إلى امتداد العطاء عبر الأجيال لما هو معلوم من أن الماء الكثير يبقى أكثر لاسيما إذا وجدت الأرض التي تحفظه كما تشير بقية الحديث.

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي ١٥/٤٦ .

٤- تعبير الرسول ﷺ بقوله (أصاب) إشارة إلى تحقق التبليغ، لأن الإصابة ضد الخطاء يقال أَصاب فلانٌ في قوله وفِعْلِه وأَصابَ السهمُ القِرْطاسَ إِذا لم يُخْطِئ[1] مما يعني تحقق الوصول بالرسالة للمرسل إليهم.

٥- تقسيم الرسول ﷺ لأنواع الأرض في استقبالها للغيث يستوعبها في البيئة إذ أن الأرض إما أن تكون صلبة تمسك الماء، وإما أن تكون خصبة تنبت، وإما أن تكون قيعان لا تمسك الماء ولا تنبت الكلاء وهو من حسن التقسيم كما أنه يشير إلى الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي (عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الْأَرْضِ فَجَاءَ مِنْهُمْ الْأَحْمَرُ وَالْأَبْيَضُ وَالْأَسْوَدُ وَبَيْنَ ذَلِكَ وَالسَّهْلُ وَالْحَزْنُ وَالْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ)[2].

شخَّص الرسول ﷺ من خلال البيئة الطبيعية أصناف الناس في استقبالهم لما جاء به من الوحي بأصناف الأرض الثلاثة وقابلها بنوعين من الناس نوع علم وتعلم ونوع أَبَىَ وتكبَّر وسكت عن النوع الناقل وإذا نظرنا إلى مقابله في البيئة من أنواع الأرض نجد أنها لا تذكر لأنها تكون مغطاة بالمياه ونفعها قاصر على إمساك الماء. قال العيني: (ذكر في تقسيم الأرض ثلاثة أقسام وفي تقسيم الناس باعتبار قبول العلم قسمين أحدهما من فقه ونفع الغير والثاني من لم يرفع به رأسا وإنما ذكره كذلك لأن القسم الأول والثاني من أقسام الأرض كقسم واحد من حيث إنه ينتفع به والثاني هو ما لا ينتفع به وكذلك الناس قسمان من يقبل ومن لا يقبل وهذا يوجب جعل الناس في الحديث على قسمين من ينتفع به ومن لا ينتفع وأما في الحقيقة فالناس على ثلاثة أقسام فمنهم من يقبل من العلم بقدر ما يعمل به، ولم يبلغ درجة الإفادة ومنهم من يقبل ويبلغ، ومنهم من لا يقبل...)[3][4].

المضامين الدعوية[5]

---

(١) لسان العرب، ابن منظور ص: ٢٠٤.

(٢) سنن الترمذي ٥/ ٢٠٤ / كتاب تفسير القرآن/ باب ٣ ومن سورة البقرة / حديث : ٢٩٥٥ .

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ٢ / ٧٩

(٤) ينظر أثر البيئة في اتساع مدلول التشبيه النبوي د. ناصر راضي الزهري إبراهيم / بحث منشور في كلية الآداب جامعة سوهاج / العدد السادس والعشرين لسنة ٢٠٠٦م

(٥) تم ذكرها في شرح رقم (١٦٢).

الحديث رقم (١٣٨١)

١٣٨١- وعن سهل بن سعد رضي الله عنه: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ، قَالَ لِعَلِيٍّ رضي الله عنه: ((فَوَاللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ انْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ)). متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

سهل بن سعد الساعدي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧٥).

غريب الألفاظ:

حُمْرُ النَّعم: الإبل الحمراء[2]، وهي أكرمها عند العرب.

الشرح الأدبي

بدأ الحديث بأسلوب القسم، وهو من البدايات التي تحقق سيطرة الأسلوب لأنها تشوق المخاطب إلى معرفة سر القسم وما يسفر عنه والقسم: (معناه: الحلف واليمين، وهو ضرب من ضروب الإنشاء غير الطلبي وهو أما أن يكون بجملة فعلية نحو اقسم بالله أو بجملة اسمية نحو يمين الله لأفعلن كذا، أو بأدوات القسم وهي الياء، والواو، والتاء، واللام، والميم المكسورة)[3] (وألفاظ القسم وأدواته التي شاعت في الحديث الشريف عموماً هي (القسم باللام والقسم بالواو، وقد ورد فيها (وأيم الله - ورب الكعبة - والذي نفسي بيده - والذي نفس محمد بيده - والله - مقلب القلوب)' وأكثر هذه الألفاظ تردداً، والذي نفسي بيده، والذي نفس محمد بيده، ورب الكعبة، وهذه الألفاظ تعتبر من قاموس الرسول ﷺ الخاص فلم ترد في الحلف قبله مثل هذه الألفاظ بهذه الصيغة، ووردت قليلاً بعده في حلف بعض الصحابة الذين اتصلوا به كأبي هريرة، وعمر بن الخطاب، وذلك للتأثر المباشر بالرسول ﷺ أما بعد هذا العهد،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٩)، ومسلم (٢٤٠٦/٣٤) واللفظ له، وتقدم برقم (١٧٥) مطولا.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ن ع م).

(٣) الأساليب الإنشائية في النحو العربي د . عبد السلام هارون صـ ١٦٢.

فلعل هذا الأسلوب لم يرد ليظل أسلوباً منفرداً في الحديث الشريف، ولنستطيع التأكيد على أن أسلوب القسم وبخاصة هذه الألفاظ خصيصة يعرف بها الحديث الشريف الصحيح من غيره[1]، وفي هذا الحديث أقسم الرسول ﷺ بلفظ (الله) ثم صعَّد التوكيد باللام، و(أن) لتوكيد الخبر تعظيما له، وتنبيها للمخاطبين على أهميته، والتعبير بالهداية، ونسبتها لله توحي بأن مرد التوفيق في هداية النفس، أو هداية الناس لا يتحقق إلا من بإذن الله الأمر الذي يعود بالداعي إلى ربه ليوفقه متبرئاً من حوله، وقوته إلى حول الله، وقوته وتنكير (رجلا) للتقليل، وذكر لفظ العدد (واحدا) للتوكيد، وقوله (خير) أفعل تفضيل، والمفضل عليه هو حمر النعم، وهي من كرائم أموال العرب، وتقديم الجار، والمجرور (لك) يفيد التخصيص أي لك وحدك، وهو ما يشير إلى عظمة أجر الدعوة إلى الله تعالى.

المضامين الدعوية[2]

(١) ينظر بناء الجملة في الحديث الشريف في الصحيحين د. عودة خليل أبو عودة صـ ٦٦١.

(٢) تم تقدم ذكرها في شرح جزء من الحديث رقم (١٧٥).

الحديث رقم (١٣٨٢)

١٣٨٢ - وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: ((**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**)). رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

غريب الألفاظ:

ولا حرج: الحرج في الأصل: الضيق، ويقع على الإثم والحرام، وقيل: الحرج أضيق الضيق، والمعنى: لا بأس ولا إثم عليكم أن تحدثوا عنهم ما سمعتم[2].

فليتبوأ: لينزل منزله من النار، يقال: بوَّأه الله منزلاً، : أسكنه إياه[3].

الشرح الأدبي

العلم هو النور الأعظم الذي جاء به الرسول ﷺ ينير الطريق إلى الله بعد أن تخبطت الأمم في دياجير الجهل، ولذلك أراد أن يصل قبس النور إلى كل شبر من الأرض فندب أمته لحمل أمانة نشر الدين، وقوله (بلغوا عني) أمر توجيه، وإرشاد يبعث النور إلى أقطار الأرض، وافتراضه (ولو آية) يؤكد أمره، ولا يقيده بحد معين قد يعجز عنه بعض الناس، وهو ذكاء فطري يجعل الأمة كلها تشارك؛ لأنه من المستبعد أن يوجد مسلم لا يحفظ آية، وبذلك تكون الأمة كلها منوطة بالتبليغ كل على قدر علمه، واستطاعته، وقوله (وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ) للاعتبار بأحوالهم، وأحوال رسلهم حتى لا نقع فيما أغضب الله عليهم، وقوله (وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً

---

(١) برقم (٣٤٦١).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ر ج).

(٣) المرجع السابق في (ب و أ).

فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ) يبين فيه الرسول ﷺ خطر الكذب عليه وعقابه، لأن الكذب على الرسول وهو المشرع من قبل الله يؤدي إلى تضليل الأمة فما هلك اليهود ومن بعدهم النصارى إلا بكذبهم على أنبيائهم، فهو مما تعم به البلوى ويعظم به الخطب، ولذلك جاء أمره (فليتبوأ) تهديدا، ووعيدا، ومعناه فلينزل منزلة منها، أو فليتخذ منزلا بها[١] وصورة الفعل المضارع تصور الكاذب على الرسول ﷺ بصورة من يعد لنفسه منزلا في جهنم، والعياذ بالله ووقوع هذا الأمر في جواب الشرط إشارة إلى ترتبه على الفعل؛ ليسلم لكل إنسان قياد نفسه، ويحمّله مسئولية هذا القياد، وما يؤول إليه بحسب ما يفعل، ويختار.

فقه الحديث

١- قال النووي: (يجب تبليغ العلم فهو فرض كفاية، فيجب تبليغه بحيث ينتشر، وذلك لقوله ﷺ في خطبة الوداع "يبلغ الشاهد الغائب"[٢])[٣].

وقال القرطبي: (وتبليغ القرآن والسنة مأمور بهما، كما أمر النبي ﷺ بتبليغهما فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[٤] وفي صحيح البخاري عن عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ: "بلغوا عنّي ولو آية ..." الحديث[٥].

٢- التحديث عن بني إسرائيل: قال ابن كثير في مقدمة كتابه "البداية والنهاية": (ولسنا نذكر من الإسرائيليات إلا ما أذن الشارع في نقله، مما لا يخالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهو القسم الذي لا يصدق ولا يكذب، مما فيه بسط لمختصر عندنا، أو تسمية لمبهم ورد به شرعنا، مما لا فائدة في تعيينه لنا، فنذكره على سبيل

---

(١) ينظر هدي الساري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني جـ ١ صـ ٢٤٣ كتاب: (العلم) حديث ١٠٧

(٢) أخرجه البخاري ٦٧، ومسلم ١٦٧٩.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، ١٤١/١١/٦، بتصرف.

(٤) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٣٧/٨.

التحلي به، لا على سبيل الاحتياج إليه والاعتماد عليه. وإنما الاعتماد والاستناد على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، ما صحَّ نقله أو حسن، وما كان فيه ضعف نبينه، وبالله المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم، العلي العظيم، فقد قال الله تعالى في كتابه: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾(١). وقد قص الله على نبيه ﷺ خبر ما مضى من خلق المخلوقات، وذكر الأمم الماضين، وكيف فعل بأوليائه، وماذا أحلَّ بأعدائه، وبيَّن ذلك رسول الله ﷺ لأمته بيانًا شافيًا، كما سنورد عند كل فصل ما وصل إلينا عنه صلوات الله وسلامه عليه من ذلك تلو الآيت الواردات في ذلك، فأخبرنا بما نحتاج إليه من ذلك، وترك ما لا فائدة فيه مما قد يتزاحم على علمه ويتراجم في فهمه طوائف من علماء أهل الكتاب، مما لا فائدة فيه لكثيرٍ من الناس، وقد يستوعب نقله طائفةٌ من علمائنا أيضًا، ولسنا نحذو حذوهم، ولا ننحو نحوهم، ولا نذكر منها إلا القليل على سبيل الاختصار، ونبيِّن ما فيه حق منها يوافق ما عندنا، وما خاله يقع فيه الإنكار.

فأما الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه، عن عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: ((بلِّغوا عنِّي ولو آيةً، وحدِّثُوا عن بَنِي إسْرَائِيلَ ولا حَرَجَ، وحدِّثوا عنِّي ولا تكذبوا عليَّ، ومن كذب عليَّ متعمِّدًا فليتبوَّأ مقْعَدَهُ من النَّارِ)). فهو محمول على الإسرائيليات المسكوت عنها عندنا، فليس عندنا ما يصدِّقها ولا ما يكذبها، فيجوز روايتها للاعتبار، وهذا هو الذي نستعمله في كتابنا هذا، فأما ما شهد له شرعنا بالصدق فلا حاجة بنا إليه، استغناءً بما عندنا، وما شهد له شرعنا منها بالبطلان، فذاك مردودٌ لا يجوز حكايته إلا على سبيل الإنكار والإبطال، فإذا كان الله سبحانه وله الحمد قد أغنانا برسوله محمد ﷺ عن سائر الشرائع، وبكتابه عن سائر الكتب، فلسنا نترامى على ما بأيديهم مما قد وقع فيه خبط وخلط، وكذبٌ ووضعٌ، وتحريفٌ وتبديلٌ، وبعد ذلك كله نسخٌ وتغييرٌ. فالمحتاج إليه قد

(١) سورة طه، آية: ٩٩.

بيَّنه لنا رسولنا، وشرحه وأوضحه، عرفه من عرفه، وجهله من جهله)[١].

٣- الكذب على رسول الله ﷺ: قال ابن حجر: (وقد اتفق الفقهاء على تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ وأنه من الكبائر، بالغ الشيخ أبو محمد الجويني بكفر من وقع منه ذلك وكلام القاضي أبي بكر بن العربي يميل إليه)[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على تبليغ الدعوة إلى الله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحديث عن بني إسرائيل.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحذر من الكذب والتقول على رسول الله ﷺ.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الأمر والترهيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الحث على تبليغ الدعوة إلى الله:

إن الدعوة إلى الله تعالى، من أكرم الأعمال وأشرف الغايات وأنبل المقاصد، لذا أمر النبي ﷺ بتبليغها وحث على بيانها، وهذا ما ورد في نص الحديث من قوله ﷺ "بلغوا عني ولو آية".

وقد كان النبي ﷺ هو القدوة والأسوة لأمته في ذلك، فقد بلَّغ رسالة ربه أتم البلاغ، وقام بها أتم القيام، فعن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((مَن حدَّثك أنَّ محمدًا ﷺ كتَمَ شيئًا مما أُنزِلَ عليه فقد كذَب، واللهُ يقول: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ﴾[٣]))[٤].

قال السعدي: (وهذا أمر من الله لرسوله محمد ﷺ، بأعظم الأوامر وأجلها،

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٧/١ - ٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٩٩/٦، وانظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٢٨/٢.

(٣) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٤) أخرجه البخاري ٤٦١٢، ومسلم ١٧٧.

وهو: التبليغ لما أنزل الله إليه. ويدخل في هذا كل أمر تلقته الأمة عنه ﷺ، من العقائد، والأعمال، والأقوال، والأحكام الشرعية، والمطالب الإلهية. فبلغ ﷺ أكمل تبليغ، ودعا، وأنذر، وبشر، ويسر، وعلّم الجهال الأميين حتى صاروا في العلماء الربانيين. وبلّغ، بقوله، وفعله، وكتبه، ورسله. فلم يبق خير إلا دل أمته عليه، ولا شر إلا حذرها عنه، وشهد له بالتبليغ أفاضل الأمة، من الصحابة رضي الله عنهم، فمن بعدهم من أئمة الدين ورجال المسلمين... إلخ)[١]، والنبي ﷺ هو القدوة والأسوة الحسنة لأمته، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ﴾[٢] (فعلى كل مسلم أن يقتدي به ﷺ في تبليغ دعوته شريطة أن يكون قد علمها وأنها من كلام الرسول ﷺ)[٣].

وحتى يتسنى للداعية أن يقتدي بنبيه ﷺ في تبليغ دعوة ربه؛ (فإنه يجب عليه أن يشعر بأن دعوته حية في أعصابه، متوهجة في ضميره، تصيح في دمائه، فتعجله عن الراحة والدعة، إلى الحركة والعمل، وتشغله بها عن نفسه وولده وماله... وهذا هو الداعية الصادق، تحس إيمانه بدعوته في النظرة، والحركة، والإشارة، وفي السمة التي تختلط بماء وجهه وهو الداعية الذي ينفذ كلامه إلى قلوب الجماهير فيحرك عواطفهم إلى ما يريد من أمر دعوته.

ولا نقصد بهذا أن يكون الداعية رجلاً مهرجًا، يصطنع الحماسة ليلعب بحماسة الجماهير لأتفه الغايات، ويثير مشاعرهم إثارة مصطنعة، فذلك شأن الدخيل المدّعي لما ليس فيه، بل نريد الصنف المفطور على يقظة الطبيعة، الذي يتكلم فتتكلم أسرار الدعوة في ألفاظه ونبراته، وهو إذ يفعل ذلك لا يثيرهم إلى باطل، بل يهيئهم لقبول الحق الذي يألفه العقل والفطرة... وإذا كان هذا لازمًا للرسالات الأرضية على ما فيها من

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٢٠١.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٣) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١٤٧٩/٢.

باطل، فهو ألزم للإسلام، لأنه رسالة الحق الخالص، وبين الحق وفطرة الإنسان نسب، فكلاهما من روح الله، فإذا أثرت حماسة قلب المرء إلى حقائق هذه الرسالة: رأيت فطرته تسرع إليها إسراع الأليف إلى أليفه في غير إنكار ولا تردد، وتقبل عليها في معرفة وثقة ويقين، بل في لذة وشوق وحنين ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾[1]، ذلك بأن الحق مسطور بقلم الله في كل فطرة، والفطر السافرة التي لا رين عليها إذا سمعت الحق يتلى في أي وجه، أحست أنه صدى أحاديثها، وصورة ما هو مكتوب في أطوائها ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾[2].

... إن على الداعية إلى الله تعالى، أن يعي أن الدعوة هي: نقل أمة من محيط إلى محيط، تلك هي مهمته، وفيها يندرج مجمل منهاجه ومفصله، ومن ظنها غير ذلك فقد جهل نفسه ورسالته.

ومن المؤسف أن هناك جماعات تظن الإصلاح مدارس تنشأ، وجامعات تقام، وترعًا تحفر، ومصحّات تبنى، ومصارف تدبر المال، ومصانع تسد حاجة البلاد، إلى آخر ما هنالك مما يدور على ألسنتهم، ويشيع من أنديتهم وصحفهم، وليس هذا من الإصلاح في شيء، إنما هو ضرورات حيوية، يجب أن يسار إليها، مع منطق الحاجة الاجتماعية، أما أنها هي الإصلاح والإنقاذ فلا... أرأيت لو أن إنسانًا رأى غريقًا جائعًا أشرف على الغرق، فشرع يبحث له عن طعام يسد به جوعه، ماذا تكون نتيجة حماقة هذا الإنسان؟ وماذا تكون نتيجة حماقته لو أنه ترك مريضًا ومرضه فلم يستدع له الطبيب، واستدعى معلمًا يعلمه الحساب أو شيئًا من هذا القبيل!؟

ماذا أغنى الاهتمام بالترع والجسور والمدارس والمصانع والمسارح والصحف وغيرها في أوروبا؟ ماذا أغنى الاهتمام بهذا - والروح مريض، والاتجاه القلبي فاسد، ماذا أغنى

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٨٣.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٩.

ذلك غير الاضطرابات والقلاقل والمبادئ التي تقوم ثم تزول، والحروب التي تنطفئ ثم تستعر إلى ما شاء الله.

أيها الداعية، أنت بصدد أمة، بل بصدد إنسانية تعيش في محيط آسنٍ خانقٍ، ومهمتك أن تنقلها إلى المحيط العذب الفسيح الهنيء، من محيط المادية إلى محيط الربانية، من محيط قلبي إلى محيط قلبي آخر، ثم أنشئ لها بعد ذلك ما تدعو إليه ضرورة الحياة الجديدة.

فأقبل بقوة على غرضك، وأجمع له عزيمتك، ودبر له خطتك، واستفت رسالتك دائمًا فيما تريد عمله، فإن أفتتك بطبع كتاب فاطبعه وأنشره، وإن أفتتك بفتح مدرسة مدرسة فافتحها، ولا تظن هذا يناقض ما حملنا عليه سابقًا، فإنك تفتحها وتنشئها لنقل التعليم من محيط إلى محيط، ونقل القلب من حال إلى حال)[1].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الحديث عن بني إسرائيل:

هذا ما أشار إليه الحديث في قوله ﷺ "وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج" (وبني إسرائيل من أسماء اليهود نسبة إلى أبيهم إسرائيل، وقد أطلق القرآن عليهم عبارة "أهل الكتاب" وهي لا تعني أنهم أصحاب علم بالكتاب وإنما المراد بذلك أنهم أهل كتاب سماوي منزل من الله وهو التوراة)[2].

وقد بين الخطابي أن قوله ﷺ "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج" (ليس معناه إباحة الكذب في أخبار بني إسرائيل، ورفع الحرج عمن نقل عنهم الكذب، ولكن معناه: الرخصة في الحديث عنهم على معنى البلاغ، وإن لم يتحقق صحة ذلك بنقل الإسناد، وذلك لأنه أمرٌ قد تعذر في أخبارهم، لبعد المسافة، وطول المدة ووقوع الفترة بين زماني النبوة)[3].

وقال ابن كثير: (وقوله ﷺ "وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج" محمولٌ على

---

(١) تذكرة الدعاة، البهي الخولي ٣٤ - ٣٦.

(٢) أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي، ٢٩.

(٣) معالم السنن ٥/٢٥٤.

الإسرائيليات المسكوت عنها عندنا، فليس عندنا ما يُصدقها ولا ما يكذبها، فيجوز روايتها للاعتبار، فأما ما شهد له شرعنا بالصدق فلا حاجة بنا إليه، استغناءً بما عندنا، وما شهد له شرعنا منها بالبطلان، فذاك مردود لا يجوز حكايته إلا على سبيل الإنكار والإبطال، فإذا كان الله سبحانه وله الحمد قد أغنانا برسوله محمد ﷺ عن سائر الشرائع، وبكتابه عن سائر الكتب، فلسنا نترامى على ما بأيدهم مما قد وقع فيه خبط وخلط، وكذب ووضع، وتحريف وتبديل، وبعد ذلك كله نسخٌ وتغييرٌ. فالمحتاج إليه قد بينه لنا رسولنا، وشرحه وأوضحه، عرفه من عرفه، وجهله من جهله، كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ((كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ خَبَرُ مَا قَبْلَكُمْ وَنَبأُ مَا بَعْدَكُمْ وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، هُوَ الفَصْلُ لَيْسَ بِالهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَنِ ابْتَغَى الهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ))[1] وقال أبو ذر رضي الله عنه: ((لقد توفي رسول الله ﷺ وَمَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إلا أذْكَرَنا مِنْهُ عِلْمًا))[2])[3].

وفي بيان ما هو مسكوت عنه عندنا من الإسرائيليات، قال الحافظ ابن كثير: (وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني ولهذا يختلف علماءُ أهل الكتاب في مثل هذا كثيرًا، ويأتي عن المفسرين خلاف بسبب ذلك، كما يذكرون في مثل أسماء أهل الكهف، ولون كلبهم، وعدتهم، وعصا موسى من أي شجر كانت، وأسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم، وتعيين البعض الذي ضرب به القتيل من البقرة، ونوع الشجرة التي كلم الله موسى عندها... إلى غير ذلك مما أبهمه الله تعالى في القرآن، مما لا فائدة في تعيينه، تعود على المكلفين في دنياهم ولا دينهم، لكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز، كما قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾[4].

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٩٠٦، وضعفه الألباني (ضعيف سنن الترمذي ٥٥٤).

(٢) أخرجه أحمد ١٥٣/٥، رقم ٢١٣٦١ بلفظ: ((لقد تركنا محمد ﷺ وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا أذكرنا منه علمًا))، وقال محققو المسند: حديث حسن ٢٩٠/٣٥.

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٨/١.

(٤) سورة الكهف، آية: ٢٢.

وقد علق الشيخ أحمد شاكر على كلمة ابن كثير هذه، فقال: إن إباحة التحدث عنهم فيما ليس عندنا دليل على صدقه، ولا كذبه شيءٌ، وذكر ذلك في تفسير القرآن وجعله قولاً أو رواية في معنى الآيات، أو في تعيين ما لم يعين فيها أو في تفصيل ما أجمل فيها، شيء آخر لأن في إثبات مثل ذلك بجوار كلام الله، ما يُوهم أن هذا الذي لا نعرف صدقه ولا كذبه مُبيِّن لمعنى قول الله سبحانه، ومفصل لما أجمل فيه، وحاشا لله ولكتابه من ذلك، وإن رسول الله ﷺ إذ أذن بالتحدث عنهم ((أمرنا أن لا نصدقهم ولا نكذبهم))[1]، فأي تصديق لرواياتهم وأقاويلهم أقوى من أن نقرنها بكتاب الله، ونضعها منه موضع التفسير أو البيان؟ اللهم غفرًا)[2].

وقال ابن حجر في تفسير قوله ﷺ "لا حرج" (أي لا ضيق عليكم في الحديث عنهم لأنه كان تقدم منه ﷺ الزجر عن الأخذ عنهم والنظر في كتبهم ثم حصل التوسع في ذلك، وكأن النهي وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية والقواعد الدينية خشية الفتنة، ثم لما زال المحذور وقع الإذن في ذلك لما في سماع الأخبار التي كانت في زمانهم من الاعتبار، وقيل معنى قوله "لا حرج": لا تضيق صدوركم بما تسمعونه عنهم من الأعاجيب فإن ذلك وقع لهم كثيرًا، وقيل لا حرج في أن لا تحدثوا عنهم لأن قوله أولا "حدثوا" صيغة أمر تقتضي الوجوب فأشار إلى عدم الوجوب وأن الأمر فيه للإباحة بقوله "ولا حرج" أي في ترك التحديث عنهم. قيل المراد رفع الحرج عن حاكي ذلك لما في أخبارهم من الألفاظ الشنيعة نحو قولهم ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ﴾[3] وقوله ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا﴾[4] وقيل المراد ببني إسرائيل أولاد إسرائيل نفسه وهم أولاد يعقوب، والمراد حدثوا عنهم بقصتهم مع أخيهم يوسف، وهذا أبعد الأوجه.

وقال مالك المراد جواز التحدث عنهم بما كان من أمر حسن، أما ما علم كذبه

---

(١) أخرجه البخاري ٤٤٨٥.

(٢) نقلاً عن محققي مسند الإمام أحمد ٢٨/٤٦١ - ٤٦٢.

(٣) سورة المائدة، آية: ٢٤.

(٤) سورة الأعراف، آية: ١٣٨.

فلا. وقيل المعنى حدثوا عنهم بمثل ما ورد في القرآن والحديث الصحيح، وقيل المراد جواز التحدث عنهم بأي صورة وقعت من انقطاع أو بلاغ لتعذر الاتصال في التحدث عنهم، بخلاف الأحكام الإسلامية فإن الأصل في التحدث بها الاتصال، ولا يتعذر ذلك لقرب العهد. وقال الشافعي: من المعلوم أن النبي ﷺ لا يجيز التحدث بالكذب فالمعنى حدثوا عن بني إسرائيل بما لا تعلمون كذبه، وأما ما تجوزونه فلا حرج عليكم في التحدث به عنهم وهو نظير قوله: ((إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم))[1] ولم يرد الإذن ولا المنع من التحديث بما يقطع بصدقه)[2].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: الحذر من الكذب والتقول على رسول الله ﷺ:

هذا ما أكد عليه الحديث من قوله ﷺ "ومن كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار". (وقد اتفق العلماء على تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ وأنه من الكبائر، حتى بالغ الشيخ أبو محمد الجويني فحكم بكفر من وقع منه ذلك وكلام القاضي أبي بكر العربي يميل إليه)[3].

(وقوله "فليتبوأ" أي فليتخذ لنفسه منزلاً، يقال تبوأ الرجل المكان إذا اتخذه سكنًا، وهو أمر بمعنى الخبر أيضًا، أو بمعنى التهديد، أو بمعنى التهكم، أو دعاء على فاعل ذلك أي بوأه الله ذلك. وقال الكرماني: يحتمل أن يكون الأمر على حقيقته، والمعنى من كذب فليأمر نفسه بالتبوء ويلزم عليه كذا، قال: وأولها أولاها، فقد رواه أحمد بإسناد صحيح عن ابن عمر بلفظ ((بنى له بيت في النار))[4] قال الطيبي: فيه إشارة إلى معنى القصد في الذنب وجزائه، أي كما أنه قصد في الكذب التعمد فليقصد بجزائه التبوء)[5].

وقد تواترت النصوص النبوية في الترهيب من الكذب على رسول الله ﷺ،

---

(١) أخرجه البخاري ٤٤٨٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٥٧٥.

(٣) المرجع السابق ٦/٥٧٦.

(٤) أخرجه أحمد ٣/٣٩، رقم ١١٣٥٠، وقال محققو المسند: حديث صحيح ١٧/٤٤٨.

(٥) فتح الباري، ابن حجر ١/٢٤٣.

وكان منها قوله ﷺ ((لا تَكذِبوا عَلَيَّ، فإنَّهُ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَلِجِ النارَ))[١].

قال ابن حجر: (وقوله "لا تكذبوا علي" هو عام في كل كاذب، مطلق في كل نوع من الكذب، ومعناه لا تنسبوا الكذب إليّ. ولا مفهوم لقوله "علي" لأنه لا يتصور أن يكذب له لنهيه عن مطلق الكذب. وقد اغتر قوم من الجهلة فوضعوا أحاديث في الترغيب والترهيب وقالوا: نحن لم نكذب عليه بل فعلنا ذلك لتأييد شريعته، وما دروا أن تقويله ﷺ ما لم يقل يقتضي الكذب على الله تعالى، لأنه إثبات حكم من الأحكام الشرعية سواء كان في الإيجاب أو الندب، وكذا مقابلهما وهو الحرام والمكروه. ولا يعتد بمن خالف ذلك من الكرامية حيث جوزوا وضع الكذب في الترغيب والترهيب في تثبيت ما ورد في القرآن والسنة واحتج بأنه كذب له لا عليه، وهو جهل باللغة العربية. وتمسك بهضم بما ورد في بعض طرق الحديث من زيادة لم تثبت وهي ما أخرجه البزار من حديث ابن مسعود بلفظ "من كذب علي متعمدًا ليضل به الناس" [٢] الحديث، وقد اختلف في وصله وإرساله. ورجح الدارقطني والحاكم إرساله، وأخرجه الدارمي من حديث يعلى بن مرة بسند ضعيف، وعلى تقدير ثبوته فليست اللام فيه للعلة بل للصيرورة كما فسر قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ﴾[٣] والمعنى أن مآل أمره إلى الإضلال، أو هو من تخصيص بعض أفراد العموم بالذكر فلا مفهوم له كقوله تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾[٤] ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾[٥] فإن قتل الأولاد ومضاعفة الربا والإضلال في هذه الآيات إنما هو لتأكيد الأمر فيها لا لاختصاص الحكم)[٦].

---

(١) أخرجه البخاري ١٠٦.

(٢) أخرجه البزار ٢٦٢/٥، رقم ١٨٧٦.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٤٤.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٣٠.

(٥) سورة الأنعام، آية: ١٥١.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٤١/١.

قوله "فليلج النار" (جعل الأمر بالولوج مسببًا عن الكذب، لأن لازم الأمر الإلزام والإلزام بولوج الناس سببه الكذب عليه أو هو بلفظ الأمر ومعناه الخبر، ويؤيده رواية مسلم من طريق غندر عن شعبة بلفظ ((من يكذب عليّ يلج النار))[1]. ولابن ماجه من طريق شريك عن منصور قال: (الكذب عليّ يولج - أي يدخل - النار))[2])[3].

وفي ذلك بيان لأهمية التثبت في الحديث عن النبي ﷺ، والحذر من الكذب عليه.

رابعًا - من أساليب الدعوة: الأمر والترهيب:

الأمر من الأساليب الدعوية المهمة في حمل وإرشاد المدعو على فعل ما فيه خير له في الدنيا والآخرة، وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من أمره ﷺ بتبليغ دعوة ربه وبيانها، وذلك في قوله ﷺ "بلغو عني ولو آية".

قال ابن حجر: (قوله: "بلغوا عني ولو آية"، قال المعافى النهرواني في كتاب: "الجليس": الآية في اللغة تطلق على ثلاثة معان: العلامة الفاصلة، والأعجوبة الحاصلة، والبلية النازلة. فمن الأول قوله تعالى: ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾[4]، ومن الثاني: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً﴾[5]، ومن الثالث جعل الأمير فلانًا اليوم آية. ويجمع بين هذه المعاني الثلاثة: أنه قيل لها آية لدلالتها وفصلها وإبانتها. وقال في الحديث: "ولو آية" أي: واحدة ليسارع كل سامع إلى تبليغ ما وقع له من الآي ولو قل ليتصل بذلك نقل جميع ما جاء به ﷺ)[6].

(أما الترهيب فهو أسلوب مؤثر يستطيع الداعية من خلاله أن يتوغل في أعماق المدعو فيحمله على ترك المعاصي والآثام، واجتناب الجرائم والذنوب، وذلك ببيان ما

---

(١) أخرجه مسلم ١.

(٢) أخرجه ابن ماجه ٢١، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٢٩).

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٢٤١/١.

(٤) سورة آل عمران، آية: ٤١.

(٥) سورة الشعراء، آية: ٨.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٧٥/٦.

أعده المولى جل وعلا من شديد العقاب وأليم العذاب لمن طغى وبغى وعاند وعصى)[1]، وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي الهام في الحديث من ترهيبه ﷺ من الكذب والتقول عليه، وذلك في قوله ﷺ: "ومن كذب علي متعمدًا، فليتبوأ مقعده من النار".

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان الهجاري، ٤٨٨، ٥١٥.

الحديث رقم (١٣٨٣)

١٣٨٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ ، قَالَ: ((وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ)). رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

سلك: دخل أو مشى[٢].

يلتمس: يطلب[٣].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يرغب في السعي إلى العلم الذي يوصل إلى معرفة الله تعالى، وحدود دينه، ولذلك قال الله تعالى- {وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ } (فاطر٢٨) فجعل الخشية الحقيقة الكاملة مقصورة على العلماء دون غيرهم، وهو ما يؤكد قيمة العلم الذي يحقق الغاية من خلق البشر، وهي تعبيد الناس لربهم، وقد جاء الحديث في أسلوب الشرط، وأسلوب الشرط من الأساليب الخبرية الشائعة في الحديث النبوي لما لها من خصوصيات تجعله أنسب الأساليب للسياق، وأوفاها للمعنى لأنها تعطي الخبر حكم العموم، وبذلك يكون صالحاً لكل زمان، ومكان، مع ربطه الجزاء بالفعل، وجعل المخاطب طرفاً حرًّ الاختيار بعد توضيح العاقبة، وقد ربط سلوك طريق العلم بتسهيل طريق الجنة، ولهذا الشرط بُعد نفسي يجعل الساعي في طريق العلم يتحمل المعاناة، والألم، ويضحي بمتع الدنيا من أجل العلم الذي يرى به نفسه ساعيا إلى الجنة.

المضامين الدعوية[٤]

---

(١) برقم (٢٦٩٩/٣٨) وهو جزء من حديث طويل. تقدم برقم (٢٤٥). أورده المنذري في ترغيبه (١٠٥) ضمن حديث طويل.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (س ل ك).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ل م س).

(٤) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٢٤٥).

الحديث رقم (١٣٨٤)

١٣٨٤ - وعنه أيضًا ﷺ: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((**مَنْ دَعَا إلَى هُدىً كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا**)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

هذا الحديث يفتح باب الخير على مصراعيه لكسب الحسنات بالدعوة إلى الصالحات، وبذلك يندب، ويرغب كل أفراد الأمة إلى أن يكونوا دعاة خير في كل مكان، وزمان بما يصلح وجه الأرض، ويقضي على كل أشكال السلبية، وقد بدأ بأسلوب الشرط عن طريق الاسم الموصول المتضمن لمعنى الشرط (مَنْ) لكي يدخل الجميع عن طريقه تحت الحكم، وفعل الشرط (دعا) والدعاء طلب الإقبال، وتعلقه بالهدى يبين حسن النية، ونبل المقصد، والذي يقرره لفظ الهدي الموحي بالرشاد، وحسن الاختيار في ما يقود الناس إليه، وجواب الشرط (كان له من الأجر مثل) يقرر تحقق الأجر بهذه الدعوة لهذا الداعي، ولفظ (مثل) يقتضي التساوي في الأجر، وجمع كلمة أجور يوحي باتساع دائرة الخيرية، واتساع قدر الجزاء المرتبط بها مما يرغب في الفعل عن طريق بيان عظمة الجزاء المتضاعف كلما زاد المقتدون به في الخير، وقوله (لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً) تتميم بلاغي يفيد استقلال الأجر لكل منهم بتمامه حتى لا يتوهم المقتدي أن الداعي انتقص أجره بدعوته له، والتعبير باسم الإشارة (ذلك) لتعظيم هذا الأجر، وتنكير(شيئا) يفيد العموم أي لا ينقص قليلا، ولا كثيرا مما يقرر عظمة جزاء الداعي دون نقص جزاء المدعو.

---

(١) برقم (٢٦٧٤/١٦)، وتقدم برقم (١٧٤). أورده المنذري في ترغيبه (١٩٧).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الدعوة إلى الهدى والصلاح.

ثانيًا: من أهداف الدعوة: الحث على هداية الناس ونفعهم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: عظم أجر الداعية إلى الله تعالى.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل الدعوة إلى الهدى والصلاح:

إن الدعوة إلى الله تعالى والحرص على هداية الناس، من أهم الواجبات وأقدس المهمات؛ التي بعث الله تعالى من أجلها رسله وأنبيائه وأنزل شرعه وكتابه.

إذًا فالدعوة إلى الله تعالى أرقى وأشرف مهنة؛ لأنها وظيفة الرسل عليهم السلام، وهم أشرف الخلق على الإطلاق، وأكرمهم وأقربهم إلى الله تعالى، وهي وظيفة خلفاء الرسل وورثتهم من العلماء العاملين الذين يهدون الناس إلى الحق، ويحببون الخير إليهم، ويخرجونهم من غياهب الظلمات إلى فجر النور والعلم والإيمان[1].

لذا كانت من أفضل الطاعات وأكثرها ثوابًا وهذا ما بيّنه رسول الله ﷺ في نص الحديث من قوله ﷺ "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا".

قال الطيبي: (قوله: "من دعا إلى هدي" قال القاضي البيضاوي: أفعال العباد وإن كانت غير موجبة ولا مقتضية للثواب والعقاب بذاتها لكنه تعالى أجرى عادته بربط الثواب والعقاب ارتباط المسببات بالأسباب وفعل العبد ما له تأثير في صدوره بوجه، فكما يترتب الثواب والعقاب على ما يباشره ويزاوله يترتب كل منهما على ما هو سبب فعله كالإرشاد إليه والحث عليه، ولما كانت الجهة التي بها استوجب المسبب للأجر والجزاء غير الجهة التي استوجب بها المباشر لم ينقص أجره من أجره شيئًا. أ هـ.

أقول -أي الطيبي-: "هدي" وهو إما للدلالة الموصلة إلى البغية، أو مطلق الإرشاد وهو في الحديث ما يهتدي به من الأعمال الصالحة وهو بحسب التنكير مطلق شائع في

---

(١) الدعوة الإسلامية "مفهومها وحاجة المجتمعات إليها"، محمد خير يوسف ص ٢٧ - ٢٨.

جنس ما يقال له هدى يطلق على القليل والكثير والعظيم والحقير، فأعظمه هدى من دعا إلى الله وعمل صالحًا وقال إنني من المسلمين، وأدناه هدى من دعا إلى إماطة الأذى عن طريق المؤمنين لأن نفعه يعم الأشخاص والأعصار إلى يوم الدين).

وفي بيان أهمية وفضل الدعوة إلى الهدى والصلاح قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[١].

قال ابن كثير: (وفي قوله تعالى: "ولتكن منكم أمة" أي منتصبة للقيام بأمر الله، في الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)[٢]، وقال السعدي: (ويدخل في هذه الطائفة أهل العلم والتعليم، والمتصدون للخطابة ووعظ الناس عمومًا وخصوصًا، والمحتسبون الذين يقومون بإلزام الناس بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة والقيام بشرائع الدين، وينهونهم عن المنكرات فكل من دعا الناس إلى خير على وجه العموم، أو على وجه الخصوص، أو قام بنصيحة عامة أو خاصة، فإنه داخل في هذه الآية، ثم بين الحق تبارك وتعالى عظم فضل الدعوة إلى الهدى والصلاح فقال "وأولئك هم المفلحون" أي المدركون لكل مطلوب، الناجون من كل مرهوب)[٣].

ثانيًا - من أهداف الدعوة: الحث على هداية الناس ونفعهم:

هذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ: "من دعا إلى هدي كان له من الأجر مثل من تبعه.. إلخ" ففيه ترغيب للدعاة إلى الله وحث لهم على مضاعفة جهودهم في دعوة الناس إلى الله، وإرشادهم إلى طريقه والمسارعة إلى مرضاته، ليكون خير متعد، ونفعهم واصل إلى الكافة، فيكون أجرهم موفورًا، وسعيهم مشكورًا [٤].

وقد حث الحق تبارك وتعالى على ذلك فقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٩١/٢.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ١١٢.

(٤) نصوص دعوية من أحاديث خير البرية، د. حيدر الصافح، ص ٤١.

وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[1] أي دعا عباد الله إليه وهو في نفسه مهتد بما يقوله، فنفعه لنفسه ولغيره لازم ومتعد، وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه، وينهون عن المنكر ويأتونه، بل يأتمر بالخير ويترك الشر، ويدعو الخلق إلى الخالق تبارك وتعالى. وهذه عامة في كل من دعا إلى الخير...، وقال الحسن البصري بعد أن تلا هذه الآية (هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب أهل الأرض إلى الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحًا في إجابته، وقال إنني من المسلمين، هذا خليفة الله)[2].

وقال القاسمي في قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾، أي: لا أحد أحسن مقالاً ممن دعا الناس إلى عبادته تعالى، وكان من الصالحين المؤتمرين، والمسلمين وجوههم إليه تعالى في التوحيد.

كما أنه ذكر في الآية عدة لطائف منها:

الأولى: قال القاشاني: وإنما قدم الدعوة إلى الحق والتكميل، لكونه أشرف المراتب، ولاستلزامه الكمال العلمي والعملي، وإلا لما صحت الدعوة.

الثانية: في الآية إشارة إلى ترغيبه ﷺ في الإعراض عن المشركين، وعما كانوا يقولونه من اللغو في التنزيل، وإرشاده إلى المواظبة على التبليغ، والدعوة، ببيان أن ذلك أحسن الطاعات ورأس العبادات. فهذا هو سر انتظام هذه الآية في إثر ما سبق، وثمة وجه آخر، وهو أن مراتب السعادات اثنان: كامل وأكمل. أما الكامل فهو أن يكتسب من الصفات الفاضلة ما لأجلها يصير كاملاً في ذاته، فإذا فرغ من هذه الدرجة، اشتغل بعدها بتكميل الناقصين، فقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾[3]، إشارة إلى المرتبة الأولى، وهي اكتساب الأحوال التي تفيد كمال

---

(١) سورة فصلت، آية: ٣٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٧٩/٧، ١٨٠.

(٣) سورة فصلت، آية: ٣٠.

النفس في جوهرها. فإذا حصل الفراغ من هذه المرتبة، وجب الانتقال إلى المرتبة الثانية، وهي الانتقال بتكميل الناقصين، وذلك إنما يكون بدعوة الخلق إلى الدين الحق، وهو المراد من قوله تعالى: "ومن أحسن قولاً" الآية.

واعلم أن من آتاه الله قريحة قوية، ونصيبًا وافيًا من العلوم الإلهية، عرف أنه لا ترتيب أحسن ولا أكمل من ترتيب آيات القرآن، أفاده الرازي.

الثالثة: يدخل في الآية كل من دعا إلى الله تعالى بطريق من الطرق المشروعة، وسبيل من السبل المأثورة؛ لأن الدعوة الصحيحة هي الدعوية النبوية، ثم ما انتهج منهجها في الصدع بالحق، وإيثاره على الخلق.

الرابعة: في الآية دليل على وجوب الدعوة إلى الله تعالى - على ما قرره الرازي - لأن الدعوة إلى الله أحسن الأعمال، وكل ما كان أحسن الأعمال، فهو واجب)[١].

وقد حث النبي ﷺ على الدعوة إلى هداية الناس ونفعهم فقال: ((فو الله لأَنْ يُهدَى بكَ رجُلٌ واحدٌ خيرٌ لكَ من حُمْرِ النَّعَم))[٢]، قال النووي (وحُمْرُ النعم هي الإبل الحمر وهي: أنفس أموال العرب يضربون بها المثل في نفاسة الشيء وأنه ليس هناك أعظم منه)[٣].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: عظم أجر الداعية إلى الله:

هذا ما ورد في الحديث من قوله ﷺ "كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا"، وقد أكد النبي ﷺ على ذلك فقال: ((مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا. وَلاَ يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ))[٤] وقال ﷺ: ((مَنْ دَلَّ علىٰ خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ))[٥] قال ابن علان (وفي ذلك بيان عظيم على فضل الله وكمال كرمه وإنما لم ينقص ذلك ثواب العامل

---

(١) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٢٧٣/١٤/٨ - ٢٧٤.

(٢) أخرجه البخاري ٤٢١٠، ومسلم ٢٤٠٦.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤٧١.

(٤) أخرجه مسلم ١٠١٧.

(٥) أخرجه مسلم، ١٨٩٣.

لاختلاف وجهتي الإنابة فهي للداعي من حيث الدعوة وللعامل من حيث العمل)[١].

وقال النووي: (وفيه فضيلة الدلالة على الخير والتنبيه عليه والمساعدة لفاعله، وفيه فضيلة تعليم العلم...، والمراد بمثل أجر فاعله أن له ثوابًا بذلك الفعل كما أن لفاعله ثوابًا ولا يلزم أن يكون قدر ثوابهما سواء)[٢].

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٤٥٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢١٥.

الحديث رقم (١٣٨٥)

١٣٨٥- وعنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((إِذَا مَاتَ (ابْنُ آدَمَ)[١] انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ)). رواه مسلم[٢].

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

جارية: دائمةٌ متصلة[٣].

الشرح الأدبي

يعتمد الأسلوب البلاغي لهذا الحديث أسلوب التشويق في عرض المعنى عن طريق أسلوب الشرط، والتفصيل بعد الإجمال مع حسن التقسيم، والإيجاز غير المخل فأسلوب الشرط (إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاثٍ)، ويحقق التشويق من حيث أن النفس تتعلق بالجواب إذا ذكر الشرط، والإجمال في قوله: (ثلاث) وهي تحقق التشويق برغبة النفس في معرفة ما يسفر عنه العدد فإذا فصَّل بعد ذلك كان له في النفس فضل تمكن، وقد بدأ تفصيلها بقوله (صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ) ووصف الصدقة بالجارية يعطيها بعداً إيحائياً بالامتداد، والتجدد في العطاء، الذي يترتب عليه استمرار الأجر، ووصف العلم بالانتفاع به يشير إلى العلم المؤثر الفاعل، فكم من علم يضر، ولا ينفع !، وكم من علم نفع الناس، وضر صاحبه يوم قصد به غير وجه الله !، والفعل المضارع (ينتفع) يصور التجدد، والاستمرار حتى بعد موت صاحبه مما جدد له الأجر، ووصف الولد بالصالح يشير إلى عمل والده على إصلاحه في

---

(١) لفظ مسلم: (الإنسان)، وقد سبق برقم (٩٥٣) وفيه بلفظ: (الإنسان)، والمثبت لفظ المنذري في ترغيبه.

(٢) برقم (١٦٣١/١٤)، وتقدم برقم (٩٥٠). أورده المنذري في ترغيبه (١٢٤).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ج ر ى).

حياته، واستمراره على الصلاح الذي تدل عليه اسمية الوصف (صالح)، وقوله (يدعو له) يصور الفعل المضارع استمرار الفعل، وتجدده، الذي يؤدي إلى تجدد الثواب، واستمراره، وهي دعوة لكل عاقل لكي يتخذ لنفسه عملاً ينتفع به بعد مماته يصله بمدد من الحسنات لا ينقطع.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٩٥٠).

الحديث رقم (١٣٨٦)

١٣٨٦ - وعنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: ((**الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إلاَّ ذِكْرَ الله تَعَالَى، وَمَا وَالاهُ، وَعَالِمًا، أَوْ مُتَعَلِّمًا**)). رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

وما والاه: طاعة الله[2].

الشرح الأدبي

البداية بالدنيا، والإخبار عنها باللعنة، وهي ظرف لنا، وما زلنا على ظهرها أمر يسترعي انتباهنا كمخاطبين بالحديث، والتعبير باللعنة يوحي بالغضب، وينبه على خطأ، ويوحي بمشاعر الرهبة ثم إن ثبات معنى اللعنة المفهوم من التعبير بالجملة الاسمية يشير إلى دوام هذه الصفة للدنيا، وأنها لن تنفك عنها يوماً لتطيب لأحد ثم إنه كرر اللعنة لما فيها، وهو من ذكر الخاص بعد العام عناية به، لأنه هو الذي يشغل الناس عن آخرتهم، إلا ما تصل بالآخرة منه، ولذلك جاء قوله (إِلاَّ ذِكْرَ اللهِ تَعَالَى، وَمَا وَالاهُ، وَعالِماً وَمُتَعَلِّماً) وفيه تعظيم لقيمة الذكر، وما والاه أي أحبه الله من أعمال البر وأفعال القرب، أو معناه ما والى ذكر الله أي قاربه من ذكر خير، أو تابعه من إتباع أمره، واجتناب نهيه؛ لأن ذكره يوجب ذلك، وفيه بيان لفضل الانشغال بالعلم تعليماً،

---

(١) برقم (٢٣٢٢) بنحوه، وهذا لفظ ابن ماجه (٤١١٢)، وتقدم برقم (477). أورده المنذري في ترغيبه (١١٧).

تنبيه: الحديث أورده المنذري في ترغيبه، وعزاه إلى الترمذي، وابن ماجه، والبيهقي، واللفظ لابن ماجه، والبيهقي في شعب الإيمان، فلما أورده المؤلف في ترغيبه، اكتفى بذكر الترمذي، ولفظه: (إن الدنيا..)، (وعالمٌ ومتعلمٌ).

(٢) رياض الصالحين ٤٧٩.

وتعلماً؛ لأن العلم طريق لله، ولذلك كان طريقاً للجنة، وفي الحديث سجع بديع بين قوله (إلاَّ ذِكْرَ اللهِ) وبين (وَمَا وَالاهُ) وجناس رقيق بين َعالِماً ، وَمُتَعَلِّماً) يؤكد أفضلية الطرفين باستثنائهم من اللعنة العامة التي شملت الدنيا، وما فيها.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: ذم الدنيا وكل ما يلهي عن ذكر الله وعبادته.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله تعالى.

ثالثًا: من واجبات الداعية: طلب العلم وتعليمه.

أولاً - من موضوعات الدعوة: ذم الدنيا وكل ما يلهي عن ذكر الله وعبادته:

هذا ما أشار إليه الحديث من قوله ﷺ "الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ذكر الله تعالى، وما والاه، وعالمًا، أو متعلمًا" قال ابن القيم: (ولما كانت الدنيا حقيرة عند الله لا تساوي لديه جناح بعوضة كانت وما فيها في غاية البعد منه وهذا هو حقيقة اللعنة وهو سبحانه إنما خلقها مزرعة للآخرة ومعبرًا إليها يتزود منها عباده إليه فلم يكن يقرب منها إلا ما كان متضمنًا لإقامة ذكره ومفضيًا إلى محابه وهو العلم الذي يعرف الله ويعبد ويذكر ويثنى عليه ويمجد ولهذا خلقها وخلق أهلها، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1] وقال ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾[2] فتضمنت هاتان الآيتان أنه سبحانه إنما خلق السماوات والأرض وما بينهما ليعرف بأسمائه وصفاته وليعبد فهذا المطلوب وما كان طريقًا إليه من العلم و التعلم فهو المستثنى من اللعنة واللعنة واقعة على ما عداه إذ هو بعيد عن الله وعن محابه وعن دينه وهذا هو متعلق العقاب في الآخرة فإنه كما كان متعلق اللعنة التي تتضمن الذم والبغض فهو متعلق العقاب والله سبحانه إنما يحب من عباده ذكره وعبادته ومعرفته

(١) سورة الذاريات، آية: ٥٦.

(٢) سورة الطلاق، آية: ١٢.

ومحبته ولوازم ذلك وما أفضى إليه وما عداه فهو مبغوض له مذموم عنده)[١].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله تعالى:

هذا ما أشار إليه الحديث في قوله "الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله تعالى وما والاه" وفي بيان عظم فضل ذكر الله تعالى قال أبو هريرة ﵁: ((إن رسول الله ﷺ مر على جبل يقال: جُمْدان، فقال: "سيروا هذا جمدان، قد سبق المفردون" قالوا ومن المفردون يا رسول الله؟ قال: "الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات"))[٢] قال النووي: (وأصل المفردين الذين هلك أقرانهم وانفردوا عنهم فبقوا يذكرون الله تعالى وجاء في رواية ((هم الذين أُهْتروا في ذكر الله))[٣] أي: لهجوا به وقال ابن الأعرابي: يقال: فرد الرجل إذا تفقه واعتزل وخلا بمراعاة الأمر والنهي)[٤].

وعن أبي الدرداء ﵁ قال: ((أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أعمَالِكُمْ وأزْكَاها عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أعْنَاقَكُمْ؟ قالُوا بَلَى، قالَ ذِكْرُ الله تَعَالَى))[٥] قال الطيبي: (قال الشيخ ابن عبدالسلام في كتاب القواعد: هذا الحديث مما يدل على أن الثواب لا يترتب على قدر النصب في جميع العبادات، بل قد يأجر الله تعالى على قليل الأعمال أكثر مما يأجر على كثيرها، فإن الثواب يترتب على تفاوت في الرتب في الشرف. قال "الأشراف" لعل الخيرية والأرفعية في الذكر؛ لأجل أن سائر العبادات من إنفاق الذهب والفضة، ومن ملاقاة العدو، والمقاتلة معهم إنما هي وسائل ووسائط يتقرب العباد بها إلى الله، والذكر إنما هو المقصود الأسنى، والمطلوب الأعلى)[٦].

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ٦٩/١ - ٧٠.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٧٦.

(٣) انظر: غريب الحديث، ابن قتيبة الدينوري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، حديث رقم ٤٤.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٨٤.

(٥) أخرجه الترمذي ٣٣٧٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٦٨٨).

(٦) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٣٢٤/٤ - ٣٢٥.

وقال ابن حجر: (بأن المراد بالذكر الذي هو أفضل من الجهاد، الذكر الكامل الجامع بين ذكر اللسان وذكر القلب بالتفكر والاستحضار فالذي يحصل له ذلك يكون أفضل ممن يقاتل الكفار من غير استحضار لذلك وأفضلية الجهاد هي بالنسبة للذكر اللساني المجرد. ونقل عن ابن العربي أن وجه الجمع أنه ما من عمل صالح إلا والذكر مشترط في تصحيحه، فمن لم يذكر الله بقلبه فليس عمله كاملاً، فصار الذكر أفضل الأعمال من هذه الحيثية)[1].

وعن أبي موسى ﵁ قال: قال النبي ﷺ: ((مَثَلَ الذي يَذكرُ ربَّه والذي لايَذْكرُ ربه مَثَلُ الحي والميِّت))[2] وقال ﷺ: ((مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللّهُ فِيهِ، وَالْبَيْتِ الَّذِي لاَ يُذْكَرُ اللّهُ فِيهِ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ))[3]. قال النووي: (قال القاضي عياض: وذكر الله تعالى ضربان ذكر بالقلب وذكر باللسان، وذكر القلب نوعان: أحدهما وهو أرفع الأذكار وأجلها: الفكر في عظمة الله تعالى وجلاله وجبروته وملكوته وآياته في سمواته وأرضه...، والثاني: ذكره بالقلب عند الأمر والنهي فيمتثل ما أمر به ويترك ما نهى عنه ويقف عما أشكل عليه. وأما ذكر اللسان مجردًا فهو: أضعف الأذكار ولكن فيه فضل عظيم)[4]. وفي ذلك بيان على عظم فضل ذكر الله تعالى.

ثالثًا- من واجبات الداعية: طلب العلم وتعليمه:

هذا ما يستفاد من الحديث في قوله ﷺ "وعالمًا، أو متعلمًا" (فإن زاد العلم والثقافة أساس لابد منه حتى يجد الناس عند الداعية إجابات التساؤلات، وحلول المشكلات إضافة إلى ذلك هو العدة التي بها يُعلِّم الداعية الناس أحكام الشرع، ويبصرهم بحقائق الواقع، وبه أيضًا يكون الداعية قادر على الإقناع وتفنيد الشبهات، ومتقنًا في العرض، ومبدعًا في التوعية والتوجيه)[5]، (فلابد للداعية أن يوقن أن "العلم

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢١٣/١١.

(٢) أخرجه البخاري ٦٤٠٧.

(٣) أخرجه مسلم ٧٧٩.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٨٩.

(٥) مقومات الداعية الناجح، د. علي عمر بادحدح، ٥٧.

أشرف ما رغب فيه الراغب وأفضل ما طلب وجد فيه الطالب، وأنفع ما كسبه واقتناه الكاسب)[١].

من أجل ذلك (قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: تعلموا العلم، وعلموه الناس وتعلموا له الوقار والسكينة وتواضعوا لمن تعلمتم منه ولمن علمتموه ولا تكونوا جبابرة العلماء فلا يقوم جهلكم بعلمكم)[٢].

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (لرجل من أصحابه: يا كميل: العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والعلم حاكم والمال محكوم عليه، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو بالإنفاق)[٣].

(وكان عمر بن عبدالعزيز كثيرا ما يتمثل بهذه الأبيات:

يُرى مُستكينًا وهو للهوِ ماقتٌ ... به عن حديث القوم ما هو شاغله

وأزعجهُ علم عنِ الجهل كُله ... وما عالم شيئًا كَمنْ هُوَ جاهلُهُ

عبوس عن الجهال حين يراهم ... فليس له منهم خَدينٌ يُهَازِلُهْ

مُذَكِّر ما يبقى من العيش آجلاً ... فيشغلُهُ عنْ عاجلِ العيش آجلُه)[٤]

---

(١) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ٤٠.

(٢) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبدالبر، ٨٩٣، وقال محققو الجامع: إسناده حسن.

(٣) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ١/١٧ - ١٨.

(٤) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبدالبر ١/٥٥٠، رقم ٩١٦.

الحديث رقم (١٣٨٧)

١٣٨٧ - وعن أنسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِ العِلْمِ فَهُوَ فِي سَبيلِ اللهِ حَتَّى يَرْجِعَ)). رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الحديث يثمِّن غاليا وقت، وجهد، وثواب طالب العلم، لأنه يجعله في سبيل الله، ومن ثَم تترجم الخطوات إلى حسنات، والنفقات إلى مكفرات، ويترجم جهده إلى أجر عظيم يثقل ميزان حسناته، والحديث جاء في جملة خبرية خالية من المؤكدات لأن المخاطب خالي الذهن منه، وهي من الأمور الغيبية التي لا يطّلع بها إلا نبي بوحي من ربه، وقد جاءت في ثوب الشرط الذي يربط نتيجة بمقدمة تتصل بها، و(من) اسم موصول متضمن معنى الشرط ينادي بكل عاقل لاغتنام الفرصة، وسلوك طريق العلم الذي يسعى به في سبيل الله، وليس هناك أفضل من أن يتقلب المؤمن في عادته، وعبادته في مرضاة الله، والجملة الاسمية (فهو في سبيل الله) جواب الشرط، واتصالها بالفاء لكونها جملة اسمية كما أنها تفيد الثبات، والدوام الذي يؤكد لزوم هذه الصفة ما لزم العلم، وقوله (حتى يرجع) يؤكد ذلك، ويشير إلى أن حركة طالب العلم مادام في طلبه صارت محسوبة على الله مشفوعة بالجزاء،وهو ترغيب في العلم الذي هو عمارة الدنيا، والآخرة.

فقه الحديث

تشير الأحاديث إلى عدة أحكام منها:

---

(١) برقم (٢٦٤٧) وقال: هذا حديث حسن غريب، ورواه بعضهم فلم يرفعه، انتهى. فيه أبو جعفر الرازي، قال ابن حبان في المجروحين (٢/١٢٠): كان ممن ينفرد بالمناكير عن المشاهير، لا يعجبني الاحتجاج بخبره إلا فيما وافق الثقات، ولا يجوز الاعتبار بروايته إلا فيما لم يخالف الثقات. أورده المنذري في ترغيبه (١٤٨).

١- فضيلة العلم والتفقه في الدين والحث عليه، وسببه أنه قائد إلى تقوى الله تعالى[١].

٢- اتفق العلماء على تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ وأنه من الكبائر[٢].

٣- استحباب الرحلة في طلب العلم[٣].

٤- الحث على استحباب سن الأمور الحسنة وتحريم الأمور السيئة[٤].

٥- الحسد قسمان حقيقي، ومجازي، فالحقيقي تمني زوال النعمة عن صاحبها وهذا حرام بإجماع الأمة والنصوص الصريحة، وأما المجازي فهو الغبطة وهو أن يتمنى مثل النعمة التي عند غيره من غير زوالها عن صاحبها، فإن كانت من أمور الدنيا كانت مباحة، وإن كانت طاعة فهي مستحبة، والمراد بالحديث لا غبطة إلا في هاتين الخصلتين وما في معناهما[٥].

٦- أن الغني إذا قام بشروط المال، وفعل فيه ما يرضي ربه عز وجل فهو أفضل من الفقير الذي لا يقدر على مثل حاله[٦].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل طلب العلم وتعلمه.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل طلب العلم وتعلمه:

هذا ما أشار إليه الحديث من قوله ﷺ "من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٨/٧، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٠٦/١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٩/١، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٠٥/٦.

(٣) تحفة الأحوذي للمباركفوري ٦٠/٧.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٢٦/١٦.

(٥) طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٧٢/٤، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٠٩/١.

(٦) طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٧٤/٤، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢١٠/١.

حتى يرجع" وفي بيان ذلك قال ابن القيم: (وإنما جعل طلب العلم في سبيل الله لأن به قوام الإسلام كما أن قوامه بالجهاد، فقوام الدين بالعلم والجهاد، ولهذا كان الجهاد نوعين جهاد باليد والسنان وهذا المشارك فيه كثير والثاني الجهاد بالحجة والبيان وهذا جهاد الخاصة من اتباع الرسل وهو جهاد الأئمة وهو أفضل الجهادين لعظم منفعته وشدة مؤنته وكثرة أعدائه قال تعالى في سورة الفرقان ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ۝ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾[1])[2].

فهذا جهاد لهم بالقرآن وهو أكبر الجهادين، وهو جهاد المنافقين أيضًا؛ فإن المنافقين لم يكونوا يقاتلون المسلمين، بل كانوا معهم في الظاهر وربما يقاتلون عدوهم معهم، ومع هذا فقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾[3]، ومعلوم أن جهاد المنافقين بالحجة والقرآن، والمقصود أن سبيل الله هي الجهاد وطلب العلم ودعوة الخلق به إلى الله، ولهذا قال معاذ رضي الله عنه: "عليكم بطلب العلم فإن تعلمه لله خشية ومدارسته عبادة ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد"، ولهذا قرن سبحانه بين الكتاب المنزّل والحديد الناصر كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[4]، فذكر الكتاب والحديد إذ بها قوام الدنيا كما قيل:

فَمـا هُـوَ إلاّ الـوَحيُ أَوحَـدَ مُرهَـف ... يُقـيمُ ظُبـاهُ أَخـدَعًا كُـلُ مائـلِ
فَهَـذا شِـفاءُ الـداءِ مِـن كُـلِ عاقِـلٍ ... وَهَـذا دواءُ الـداءِ مِـن كُـلِ جاهِـلِ

(١) سورة الفرقان، آية: ٥١ - ٥٢.

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ١/ ٧٠.

(٣) سورة التحريم، آية: ٩.

(٤) سورة الحديد، آية: ٢٥.

ولما كان كل من الجهاد بالسيف والحجة يسمى سبيل الله، فسّر الصحابي رضي الله عنه قوله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[١]، بالأمراء والعلماء؛ فإنهم المجاهدون في سبيل الله هؤلاء بأيديهم وهؤلاء بألسنتهم، فطلب العلم وتعليمه من أعظم سبيل الله عز وجل، قال كعب الأحبار: طالب العلم كالغادي الرايح في سبيل الله عز وجل. وجاء عن بعض الصحابة رضي الله عنهم: إذا جاء الموت طالب العلم وهو على هذه الحال مات وهو شهيد. وقال سفيان بن عيينه: من طلب العلم فقد بايع الله عز وجل. وقال أبو الدرداء: من رأى الغد والرواح ليس بجهاد فقد نقص في عقله ورأيه[٢].

وقال ابن الضحاك: (أنا عبدالرزاق قال: سمعت سفيان يقول لرجل من العرب "ويحكم! اطلبوا العلم، فإني أخاف أن يخرج العلم من عندكم فيصير إلى غيركم فتذلون، اطلبوا العلم، فإنه شرف في الدنيا وشرف في الآخرة)[٣].

وفي بيان فضل طلب العلم وتعلمه (قال: زر بن حبيش: جاء رجل من مراد يقال له صفوان بن عسال إلى رسول الله وهو في المسجد متكيء على برد له أحمر قال: قلت: يا رسول الله إني جئت أطلب العلم قال: مرحبًا بطالب العلم، إن طالب العلم لتحفُّ به الملائكة وتظلله بأجنحتها، فيركب بعضها بعضها حتى تعدو إلى السماء الدنيا من حبهم لما يطلب، فما جئت تطلب؟ قال: قلت: يا رسول الله لا أزال أسافر بين مكة والمدينة فأفتني على المسح على الخفين. وذكر الحديث)[٤]، وعن أبي العالية قال: (كنت آتي ابن عباس، وهو على سريره، وحوله قريش فيأخذ بيدي، فيجلسني معه على السرير، فتغامزني قريش، ففطن لهم ابن عباس، فقال: كذاك هذا العلم، يزيد الشريف شرفًا ويجلس المملوك على الأسرة)[٥].

---

(١) سورة النساء، آية: ٥٩.

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ١/٧٠ - ٧١.

(٣) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبدالبر، رقم ٢٧٤، وقال محققو الجامع صحيح.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير ٧٣٤٩، وابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله، ١٦٢، وقال محقق الجامع: حديث صحيح.

(٥) الفقيه والمتفقه، الخطيب البغدادي، ١/١٤٠ - ١٤١، وقال محقق الكتاب إسناده لا بأس به.

وقال أبو إسحاق: (وكان محمد بن عبدالرحمن الأوقص عُنُقُهُ داخلاً في بدنه، وكان منكباه خارجين كأنهما زَجَّان - "والزج: الحديدة التي في أسفل الرمح"[1] - فقالت له أمه: يا بني لا تكون في قوم، إلا كنت المضحوك منه المسخور به، فعليك بطلب العلم فإنه يرفعك. قال: فَطَلَبَ العلم، قال: فَوُلِّي قضاء مكة عشرين سنة، قال: فكان الخصم إذا جلس بين يديه يُرعَدُ حتى يقوم، قال: ومرت به امرأة يومًا، وهو يقول: اللهم أعتق رقبتي من النار، قال: فقلت له: يابن أخٍ وأيُّ رقبة لك)[2]، وفي ذلك بيان على فضل تعلم العلم في أنه يرفع صاحبه ويبلغه عز الزمان والمكان فضلاً عن شرف الآخرة ورضاء الرحمن.

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

(الترغيب من أهم الأساليب الدعوية الناجعة للنفس الإنسانية التي جبلت على حب السعادة والنفور من الضيق والعذاب ويقصد بهذا الأسلوب الهام حمل المدعو وتشويقه إلى فعل ما رغب فيه والثبات عليه)[3]، وهذا ما ورد في الحديث من ترغيبه ﷺ في طلب العلم بأن من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع، فضلاً عن ترغيب الحق تبارك وتعالى في طلب العلم بقوله: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ﴾[4] فعلى الداعية أن يراعي استخدام الترغيب كأسلوب دعوي لما فيه من أثر عظيم في حمل المدعو على سرعة الامتثال لما رغب فيه).

---

(١) القاموس المحيط، الفيروز آبادي في (ز ج ج).

(٢) الفقيه والمتفقه ١/١٤١ - ١٤٢، وقال محقق الكتاب إسناده صحيح.

(٣) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ٤٣٧.

(٤) سورة المجادلة، آية: ١١.

الحديث رقم (١٣٨٨)

١٣٨٨ - وعن أَبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، قَالَ: ((لَنْ يَشْبَعَ مُؤْمِنٌ مِنْ خَيْرٍ حَتَّى يَكُونَ مُنْتَهَاهُ الجَنَّةَ)). رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

منتهاه الجنة: المنتهى: الغاية والنهاية[2].

الشرح الأدبي

الحديث يتناول بالبيان علاقة المؤمن بالعلم، وارتباطه به، وأنه يكون في نهم دائم للعلم لا يكتفي منه حتى يلقى الله، والحديث جاء في أسلوب النفي بـ(لن) الداخلة على الفعل المضارع المفيد للتجدد والاستمرار، وتعريف المؤمن بـ(ال) يشير إلى أنه الكامل في صفة الإيمان والتعبير عن العلم بالخير على سبيل المجاز المرسل باعتبار ما سيكون، وفائدة التعبير بالمجاز يزيد المخاطب ترغيبا في العلم بالتذكير بمآله، ، والتعبير بالشبع في جانب العلم على سبيل الاستعارة قال الطيبي: شبه استلذاذه بالمسموع بالتذاذه بالمطعوم، لأنه أرغب، وأشهى، وأكثر إتباعا لتحصيله، وحتى للتدريج في استماع الخير، والترقي في استلذاذه والعمل به إلى أن يوصله الجنة، ويبلغه إياها؛ لأن سماع الخير سبب العمل والعمل سبب دخول الجنة ظاهرا، ولما كان قوله يشبع فعلا مضارعا يكون فيه دلالة على الاستمرار تعلق به حتى، قال ابن الملقن: فيه أن من شبع فليس

(١) برقم (٢٦٨٦). هذا الحديث أورده ابن عدي في الكامل (٣/٩٨١) وقال: وعامة هذه الأحاديث التي أمليتها مما لا يتابع دراج عليه... وسائر أخبار دراج غير ما ذكرتُ من هذه الأحاديث يتابعه الناس عليها وأرجو إذا أخرجتَ دراجَ وبريتّه من هذه الأحاديث التي أنكرت عليه أن سائر أحاديثه لا بأس بها، ويقرب صورته ما قال عنه يحيى بن معين. أورده المنذري في ترغيبه (٢٤٨٥) من رواية ابن حبان.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٩٦٠.

بمؤمن وناهيك به منفرا من القناعة في العلم وسره ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾[طه: ١١٤][١].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النفي.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الاستباق إلى الخيرات.

ثالثًا: من واجبات المدعو: علو الهمة في طلب الآخرة.

أولاً - من أساليب الدعوة: النفي:

النفي من الأساليب الدعوية الهامة التي تعين الداعية على نفي ما يريد نفيه من أحوال وأشياء، وينبغي ألا تكون في المدعو، وهذا ما ورد في الحديث من نفيه ﷺ بأن يرضى المؤمن ويقتنع بما أتي من طاعات حتى يبلغ الجنة. وذلك في قوله ﷺ "لن يشبع مؤمن من خير حتى يكون منتهاه الجنة".

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الاستباق إلى الخيرات:

هذا ما يستفاد من الحديث في قوله ﷺ "لن يشبع المؤمن من خير" قال ابن علان: (أي من كل مقرب إلى الله تعالى من سائر الطاعات وأشرفها)[٢] وفي ذلك قال تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[٣] قال السعدي: (والأمر بالاستباق إلى الخيرات، قدر زائد على الأمر بفعل الخيرات، فإن الاستباق إليها يتضمن فعلها وتكميلها، وإيقاعها على أكمل الأحوال، والمبادرة إليها ومن سبق في الدنيا إلى الخيرات، فهو السابق في الآخرة إلى الجنات فالسابقون أعلى الخلق درجة. والخيرات تشمل جميع الفرائض والنوافل من صلاة وصيام وزكاة وحج، وعمرة، وجهاد، ونفع متعد وقاصر، ولما كان أقوى ما يحث النفوس على المسارعة إلى الخير وينشطها، ما رتب الله عليها من الثواب...، فقال

---

(١) ينظر فيض القدير شرح الجامع الصغير المؤلف: عبد الرؤوف المناوي، حديث (٧٣٩٠) ص ١٣٥٦.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٤٥٩.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٤٧.

تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾[1] ويستدل بهذه الآية الشريفة على الإتيان بكل فضيلة يتصف بها العمل، كالصلاة في أول وقتها، والمبادرة إلى إبراء الذمة من الصيام، والحج والعمرة، وإخراج الزكاة، والإتيان بسنن العبادات وآدابها)[2].

ثالثًا - من واجبات المدعو: علو الهمة في طلب الآخرة:

هذا ما يستفاد في الحديث من قوله ﷺ "حتى يكون منتهاه الجنة" قال ابن علان: (أي لا ينتهي عن الخير حتى يموت فيدخل الجنة بما اكتسب في حياته من العمل الصالح، ولكونها تعليلية أي: عدم قناعته بيسير من الطاعة ليكون مآله الجنة فإنها تتفاوت منازلها بتفاوته)[3]، وفي ذلك قال ابن القيم: (فالنفوس الشريفة لا ترضى من الأشياء إلا بأعلاها وأفضلها وأحمدها عافية)[4]، وقال ابن الجوزي: (فينبغي للعاقل أن ينتهي إلى غاية ما يمكنه؛ فلو كان يتصور للآدمي صعود السماوات لرأيت من أقبح النقص رضاه بالأرض، ولو كانت النبوة تحصل بالاجتهاد رأيت المقصر في تحصيلها في حضيض - أي القرار من الأرض عند مقطع الجبل - غير أنه إذا لم يمكن ذلك فينبغي أن يطلب الممكن)[5].

وقال الشوكاني: (وينبغي لمن كان صادق الرغبة، قوي الفهم، ثاقب النظر، عزيز النفس شهم الطبع، عالي الهمة، سامي الغريزة - ألا يرضى لنفسه بالدون، ولا يقنع بما دون الغاية، ولا يقعد عن الجد والاجتهاد المبلغين له إلى أعلى ما يراد، وأرفع ما يستفاد؛ فإن النفوس الأبية، والهمم العلية لا ترضى بما دون الغاية في المطالب الدنيوية

---

(١) سورة النجم، آية: ٣١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٥٥.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٤٥٩.

(٤) الفوائد ٢٥٤.

(٥) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا ٢٣٦.

من جاه، أو مال، أو رئاسة، أو صناعة، أو حرفة)[١].

ثم قال: (وإذا كان هذا شأنهم في الأمور الدنيوية التي هي سريعة الزوال، قريبة الاضمحلال، فكيف لا يكون ذلك من مطالب المتوجهين إلى ما هو أشرف مطلبًا، وأعظم مكسبًا، وأرفع مرادًا، وأجل خطرًا، وأعظم قدرًا، وأعود نفعًا، وأتم فائدة؟ وهي المطالب الدينية)[٢]. ولا ريب أنها أعلى المطالب وأشرف المكاسب

ولذلك "لما كان مجد الآخرة أعظم المجد، كان ابتغاؤه أعظم الغايات، وكان هو الهمّ الأكبر للمؤمنين الصادقين ذوي الهمم العلية، والنفوس الكبيرة الزكية.

أما الدنيا فإنها في نظرهم - مهما بلغت أمجادها - قليلة القيمة في جنب الآخرة؛ لذلك فهم يحاولون أن يبتغوا فيما آتاهم الله الدار الآخرة، مع أنهم لا ينسون نصيبهم من الدنيا" [٣].

وقد قيل للعتابي: فلان بعيد الهمة، قال: إذًا ليس له غاية دون الجنة [٤].

(فعلو الهمة خلق رفيع، وغاية نبيلة، تتعشقه النفوس الكريمة، وتهفو إليه الفطر القويمة، وعلو الهمة من الأسس الأخلاقية الفاضلة، وإليه يرجع مجموعه من الظواهر الخلقية، كالجد في الأمور، والترفع عن الصغائر والدنايا وكالطموح إلى المعالي)[٥]، وخاصة الفوز بالجنة في الآخرة، والتي هي غاية كل مؤمن، ورغبة كل مسلم، فهي أعلى المعالي وأكرم الأماني وأشرف الغايات وأحلاها.

---

(١) أدب الطلب ومنتهى الأرب، للشوكاني، ص ١٢٧، نقلاً عن كتاب الهمة العالية "معوقاتها ومقوماتها"، محمد بن إبراهيم الحمد ص ١١١.

(٢) المرجع السابق ص ١٢٨.

(٣) الأخلاق الإسلامية، عبدالرحمن حبنكة الميداني ٢/٤٧٥.

(٤) عيون الأخبار، ابن قتيبة ١/٢٣٣.

(٥) الهمة العالية "معوقاتها ومقوماتها"، محمد بن إبراهيم الحمد ص ١٠٧.

الحديث رقم (١٣٨٩)

١٣٨٩ - وعن أَبِي أُمَامَة رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أدْنَاكُمْ)) ثُمَّ قَالَ رسول الله ﷺ: ((إنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ وَأهْلَ السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ[1] حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِي[2] النَّاسِ الخَيْرَ)). رواه الترمذيُّ[3]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو أُمامة الباهليُّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧٣).

غريب الألفاظ:

أدناكم: أقلكم[4].

الحوت: السمك[5].

يصلون: يدعون[6].

الشرح الأدبي

تشبيه الرسول ﷺ للفارق بين العالم والعابد بالفارق بينه، وبين أدنى فرد في الأمة لبيان مقدار الفضل بين من يعبد الله تعالى على علم، وبين من يعبد الله على جهل بصفات الله، وأسمائه وما يتعلق بهذه المعرفة من أمور كما يشير هذا التعبير إلى أن الهداية، في جانب حامل العلم، لأن الرسول ﷺ هو مصدر الهداية، كما يشير هذا

---

(١) لفظ الترمذي: (والأرضين).

(٢) لفظ الترمذي: (معلِّم).

(٣) برقم (٢٦٨٥). وقال: هذا حديثٌ غريبٌ. وقال العراقي في تخريج الإحياء (٤٩): وفي نسخة: حسنٌ صحيحٌ. أورده المنذري في ترغيبه (١٣٠).

(٤) لسان العرب، ابن منظور في (د ن و).

(٥) القاموس المحيط، الفيروز آبادي في (ح و ت).

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ص ل و).

التشبيه إلى أن العالم آخذ بحظ من النبوة لأن العلماء ورثة الأنبياء، كما يشير إلى أن أكبر العباد أصغر من أقل العلماء، ويقرر أن هداية الناس مسئولية العالم، ثم إن الرسول ﷺ حشد له أهل السماوات، والأرض يصلون عليه في قوله (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِي النَّاسِ الخَيْرَ) وصلاة الله على العبد رحمة، ومغفرة، وعطايا يعلمها الله، وصلاة الملائكة دعاء، واستغفار، وكذلك صلاة الناس، والدواب، والحشرات كل هذا الحشد الدال على بالغ الحفاوة يشير بل يقرر من قريب عظمة عمل العالم الساعي في طريق العلم، والتعليم؛ لأنها مهنة الأنبياء، واختيار الفضلاء، وعليها تقوم عبادة الله على الوجه الصحيح، وهي المهمة السامية التي خلق الإنسان من أجلها، وهذا التشبيه ترغيب بالغ الدقة، والإصابة، والتأثير في السامع في أن يكون من أهل العلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل العالم على العابد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على تعليم العلم وبيان فضله.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل العالم على العابد:

هذا ما أشار إليه الحديث من قوله ﷺ "فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم"، قال ابن علان: (قوله ﷺ: "فضل العالم" أي: المقتصر على فرائض العبادات ويصرف باقي أوقاته في العلم "على العابد" أي: العارف بما يجب عليه تعلمه من الديانات فقط، ويصرف ما زاد عليه في التعبد "كفضلي على أدناكم"، فيه عظيم شرف العلماء قال الزملكاني: ... والذي استقر من ذلك أن العالم المستحق للتفصيل بالعلم هو الذي تعلم العلم النافع في الدنيا والآخرة، وقام بحق علمه من عمل أو نفع أو هداية، أو غير ذلك من حقوق العلم النافع؛ فذلك هو العالم المفضل)[1].

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٤٥٩.

وفي بيان سبب فضل العالم على العابد ذلك قال ابن القيم: (إن الشيطان يضع البدعة فيبصرها العالم وينهى عنها والعابد مقبل على عبادة ربه لا يتوجه لها ولا يعرفها...، فإن العالم يفسد على الشيطان ما يسعى فيه ويهدم ما يبينه فكل ما أراد إحياء بدعة وإماتة سنة حال العالم بينه وبين ذلك فلا شيء أشد عليه من بقاء العالم بين ظهراني الأمة ولا شيء أحب إليه من زواله من بين أظهرهم ليتمكن من إفساد الدين وإغواء الأمة وأما العابد فغايته أن يجاهد ليسلم منه في خاصة نفسه وهيهات له ذلك)[1]، وزاد المباركفوري في بيان فضل العالم على العابد فقال: (إن فضل العالم بالعلوم الشرعية مع القيام بفرائض العبودية على العابد المتجرد للعبادة بعد تحصيل قدر من العلوم "كفضلي على أدناكم" أي نسبة شرف العالم إلى شرف العابد كنسبة شرف الرسول إلى شرف أدنى الصحابة، قال القاري: فيه مبالغة لا تخفى فإنه لو قال: كفضلي على أعلاكم لكفى فضلاً وشرفًا)[2]، وفي ذلك بيان على عظم فضل العالم على العابد.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الحث على تعليم العلم وبيان فضله:

هذا ما يستفاد في الحديث من قوله ﷺ: "... إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلمي الناس الخير، وفي ذلك قال ابن القيم: (لما كان تعليمه للناس الخير سببًا لنجاتهم وسعادتهم وزكاة نفوسهم جازاه الله من جنس عمله بأن جعل عليه من صلاته وصلاة ملائكته وأهل الأرض ما يكون سببًا لنجاته وسعادته وفلاحه، وأيضًا فإن معلم الناس الخير لما كان مظهرًا لدين الرب وأحكامه ومعرفًا له بأسمائه وصفاته جعل الله من صلاته وصلاة أهل سماواته وأرضه عليه ما يكون تنويهًا به وتشريفًا له وإظهارًا للثناء عليه بين أهل السماء والأرض)[3].

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ٦٩/١.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٠٤١/٢.

(٣) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ٦٣/١.

وقد بين الإمام أحمد ابن حنبل فضل تعليم العلم فقال: (الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترةٍ من الرسل بقايًا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، ويحييون بكتاب الله تعالى الموتى، ويبصّرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائهٍ قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس وما أقبح أثر الناس عليهم ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين)[1].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

(الترغيب من الطرق التي ينبغي للداعية أن يسلكها في إرشاد المدعوين وحملهم على التشمير عن ساعد الجد في طاعة الله تعالى لنيل السعادة في الدنيا والآخرة والترغيب من الأساليب الدعوية الناجحة للنفس الإنسانية التي جُبلت على حب السعادة والفلاح)[2]، وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من ترغيبه ﷺ في أخذ العلم وتعليمه لما في ذلك من فضل عظيم وخير عميم في الدنيا والآخرة.

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ص ١٨.

(٢) انظر: هداية المرشدين، علي محفوظ، ١٩٢.

الحديث رقم (١٣٩٠)

١٣٩٠ - وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: ((مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ المَلائِكَةَ لَتَضَعُ أجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ العِلْمِ رِضًا (بِمَا يَصْنَعُ) [١]، وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّماوَاتِ وَمَنْ فِي الأرْضِ حَتَّى الحيتَانُ في المَاءِ، وَفضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ، وَإنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأنْبِيَاءِ، وَإنَّ الأنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلاَ دِرْهَمًا وَإنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ)). رواه أبُو داود والترمذيُّ[٢].

ترجمة الراوي:

أبو الدرداء: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٧٢).

غريب الألفاظ:

يبتغي: يطلب[٣].

الحيتان: جمع الحوت، جمع كوكب، وهي الأجرام والنجوم التي تدور في السماء[٤].

الكواكب: باقي الكواكب[٥].

بحظ: نصيب من الكمال[٦].

وافر: كثير[٧].

الشرح الأدبي

سبق الحديث عن كون سلوك طريق العلم يكون سلوكا لطريق الجنة لأن العلم يهدي إلى معرفة الله، وعبادته التي توجب دخول الجنة وقد ورد هذا المعنى في أسلوب

---

(١) هذه الزيادة عند البيهقي في الآداب (١١٨٧)، وهي عند المنذري في ترغيبه، تبعه عليه المؤلف.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٨٨). أورده المنذري في ترغيبه (١٠٦).

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب غ ي).

(٤) القاموس المحيط، الفيروز آبادي في (ح و ت).

(٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ك ك ب).

(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٤٦١.

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ف ر).

الشرط (مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَبْتَغِي فِيهِ عِلْماً سَهَّلَ اللّهُ لَهُ طَرِيقاً إِلَى الجَنَّةِ) وتنكير.

(علما) ليتناول أنواع العلوم الدينية، وليندرج فيه القليل، والكثير قوله (سهل الله) له أي في الآخرة، أو المراد منه وفقه الله للأعمال الصالحة فيوصله بها إلى الجنة، أو سهل عليه ما يزيد به علمه؛ لأنه أيضا من طرق الجنة بل أقربها، وقول الرسول ﷺ: (وَإِنَّ المَلاَئِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ العِلْمِ) كناية عن الرحمة، والمحبة، والرضا لعظم منزلته، وفضيلة عمله، والتعبير بالأجنحة فيه حنو، ومودة، ورحمة كما يفعل الطائر ببسط جناحه فوق صغاره يحميهم الحر، والقرّ، وقوله (وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّماوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ) كثافة المؤكدات في الجملة لعظمة الخبر، ولبيان أهميته وصرف المخاطبين الغافلين عن فضله إلى العناية به، وقوله (حَتَّى الحيتَانُ في المَاءِ) ينفي وهم المبالغة، ويؤكد التفاف كل هذا الحشد في الكون للاستغفار لهذا العالم، والتشبيه في قوله (وَفضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ) يبين مدى التفاوت بين المنزلتين مع ما في التشبيه بالقمر من الإشارة إلى الضياء الذي يهدي السائرين، ويضيء للمقيمين، ويشير في جانب المشبه، وهو العالم إلى النور الذي يستفيده الناس من علمه، ويهتدون به، فنفعه عام، ونفع العابد مختص بنفسه، هذا إن سلم من كيد الشيطان، ومبطلات العمل الخفية، وقوله (وَإِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأنْبِيَاءِ) هو منتهى الشرف للعلماء لأنهم خلفوا الرسل في علمهم، وفي تعليمهم الخير للناس، وهذا الحديث من أعظم الأحاديث التي تبين فضل العلم، والعلماء، وأهمية وجود العالم، وترغب في طلب العلم، ولو أن الأمة عملت بمثل هذا الحديث لكانت لها الريادة في جميع المجالات الدنيوية، والدينية كما كان حال من فعلوا من الجيل الراشد رضي الله عنهم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على طلب العلم.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل طالب العلم.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحث على طلب العلم:

إن طلب العلم (هو دأب عباد الله المتقين، ومأدبه حزبه المفلحين، وغاية أوليائه الصالحين، وما ذلك إلا لما عرفوا له من اللذة والفضل في هذه الحياة، ومن الأجر والذخر يوم يحشر العلماء في زمرة الأنبياء، ويفوزون بأعلى الجنان لأنهم أئمة الأولياء وكفى بطلب العلم فضلاً وبأهله شرفًا ونبلاً أنهم ورثة الرسل الكرام والأنبياء العظام والأئمة الأعلام عبر مرور السنين والشهور والأيام)[١]. لذا حث النبي ﷺ على طلب العلم كما ورد في نص الحديث من قوله "من سلك طريقًا يبتغي فيه علمًا، سهل الله له طريقًا إلى الجنة" قال القرطبي: (أي: من مشى إلى تحصيل علم شرعيٍّ قاصدًا به وجه الله تعالى جازاه الله عليه بأن يُوصله إلى الجنة مسلمًا مكرَّمًا. ويلتمس [٢]: معناه يطلب، كما قال: ((الْتَمِسْ ولَوْ خَاتَمًا مِنْ حديدٍ))[٣] وهو حضٌّ وترغيب في الرحلة في طلب العلم، والاجتهاد في تحصيله)[٤].

وليس أدل على أهمية ذلك من أن الله سبحانه وتعالى أخبرنا عن صفيه وكليمه الذي كتب له التوراة بيده وكلمه منه إليه أنه رحل إلى رجل عالم يتعلم منه ويزداد علمًا إلى علمه فقال ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾[٥] حرصًا منه على لقاء هذا العالم وعلى التعلم منه فلما لقيه سلك معه مسلك المتعلم مع معلمه وقال له ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾[٦] فبدأه بعد السلام بالاستئذان على متابعته وأنه لا يتبعه إلا بإذنه وقال ﴿عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ

---

(١) المنهج القويم في التأسي بالرسول الكريم، زيد مدخلي، ٢٢٧.

(٢) لفظ رواية مسلم ٢٦٩٩.

(٣) أخرجه البخاري ٥١٤٩، ومسلم ١٤٢٥.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦/٦٨٤ - ٦٨٥.

(٥) سورة الكهف، آية: ٦٠.

(٦) سورة الكهف، آية: ٦٦.

رُشْدًا﴾[1] فلم يجيء ممتحنًا ولا متعنتًا وإنما جاء متعلمًا مستزيدًا علمًا إلى علمه. وكفى بهذا فضلاً وشرفًا للعلم فإن نبي الله وكليمه سافر ورحل حتى لقي النصب من سفره)[2]، وفي ذلك خير دليل في للحث على طلب العلم والاجتهاد في تحصيله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل طلب العلم

هذا ما أشار إليه نص الحديث وفي بيان ذلك قال ابن القيم في قوله ﷺ "من سلك طريقًا يبتغي فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة... إلخ الحديث" أي: (أن الطريق التي يسلكها إلى الجنة جزاء على سلوكه في الدنيا طريق العلم الموصلة إلى رضا ربه)[3] وقال ابن حجر: (وقوله ﷺ "أي في الآخرة، أو في الدنيا بأن يوفقه للأعمال الصالحة الموصلة إلى الجنة وفيه بشارة بتسهيل العلم على طالبه لأن طلبه من الطرق الموصلة إلى الجنة)[4].

قال القرطبي: (وهذا حديث عظيم يدلُّ على أن طلبَ العلم أفضل الأعمال، وأنه لا يبلغ أحد رتبة العلماء، وان رتبتهم ثانية عن رتبة الأنبياء.

وقوله: "إن الملائكة لتضع أجنحتها رضًا لطالب العلم" قيل: معناه تخضع له وتعظمه، وقيل: تبسطُها بالدُّعاء؛ لأن جناح الطائر يده)[5].

وقال ابن القيم: (ووضع الملائكة أجنحتها له تواضعًا له وتوقيرًا وإكرامًا لما يحمله من ميراث النبوة ويطلبه وهو يدل على المحبة والتعظيم فمن محبة الملائكة له وتعظيمه تضع أجنحتها له لأنه طالب لما به حياة العالم ونجاته ففيه شبه من الملائكة وبينه وبينهم تناسب فإن الملائكة أنصح خلق الله وأنفعهم لبني آدم...، فهم يستغفرون لمسيئهم

---

(١) سورة الكهف، آية: ٦٦.

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن قيم الجوزيه ١/٥٥ - ٥٦.

(٣) المرجع السابق ١/٦٣.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/١٩٣.

(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦/٦٨٥.

ويثنون على مؤمنهم... قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[1].

فأي نصح للعباد مثل هذا إلا نصح الأنبياء فإذا طلب العبد العلم فقد سعى في أعظم ما ينصح به عباد الله فلذلك تحبه الملائكة وتعظمه حتى تضع أجنحتها له رضًا ومحبة وتعظيمًا. وقال أبو حاتم الرازي سمعت ابن أبي أويس يقول سمعت مالك بن أنس يقول معنى قول رسول الله ﷺ تضع أجنحتها يعني تبسطها بالدعاء لطالب العلم بدلاً من الأيدي وقال أحمد بن مروان المالكي في كتاب المجالسة له حدثنا زكريا بن عبدالرحمن البصري. قال سمعت أحمد بن شعيب يقول كنا عند بعض المحدثين بالبصرة فحدثنا بحديث النبي ﷺ أن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم وفي المجلس معنا رجل من المعتزلة فجعل يستهزئ بالحديث فقال والله لأطرقن غدًا نعلي بمسامير فأطأ بها أجنحة الملائكة ففعل ومشى في النعلين فجفت رجلاه جميعًا ووقعت فيهما الأكلة. وقال الطبراني سمعت أبا يحيى زكريا بن يحيى الساجي. قال كنا نمشي في بعض أزقة البصرة إلى باب بعض المحدثين فأسرعنا المشي وكان معنا رجل ماجن منهم في دينه فقال ارفعوا أرجلكم عن أجنحة الملائكة لا تكسروها كالمستهزئ فما زال من موضعه حتى جفت رجلاه وسقط (وفي السنن والمسانيد)[2] من حديث صفوان بن عسال. قال قلت يا رسول الله إني جئت أطلب العلم قال مرحبًا بطالب العلم إن طالب العلم لتحف به الملائكة وتظله بأجنحتها فيركب بعضهم بعضًا حتى تبلغ

---

(١) سورة غافر، آية: ٧.

(٢) مسند الإمام أحمد ٢٣٩/٤، رقم ١٨٠٨٩، وقال محققو المسند إسناده حسن ٩/٣٠، ابن حبان ١١٠٠، وقال محققه: الصحيح إسناده حسن، وأخرجه الطبراني في الكبير ٧٣٤٩، وابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله ١٦٢، وقال محققه في الجامع: حديث صحيح.

السماء الدنيا من حبهم لما يطلب. وذكر حديث المسح على الخفين.

قال ابن عبدالبر: هو حديث صحيح حسن ثابت محفوظ مرفوع ومثله لا يقال بالرأي ففي هذا الحديث حف الملائكة له بأجنحتها إلى السماء وفي الأول وضعها أجنحتها له فالوضع تواضع وتوقير وتبجيل والحف بالأجنحة حفظ وحماية وصيانة فتضمن الحديثان تعظيم الملائكة له وحبها إياه وحياطته وحفظه فلو لم يكن لطالب العلم إلا هذا الحظ الجزيل لكفى به شرفًا وفضلاً)[1].

قال القرطبي: (وقوله ﷺ "وإن العالم ليستغفر له من السموات ومن في الأرض"، يعني بـ"من" هنا: من يعقل، وما لا يعقل غير أنه غلّب عليه من يعقل، بدليل أن هذا الكلام قد جاء في غير كتاب أبي داود، فقال: (حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت في جوف الماء)[2]، وعلى هذا المعنى يدلُّ - من حديث أبي داود هذا - عطف الحيتان بالواو على من في السموات، ومن في الأرض، فإنه يُفيد أن من يعقل، وما لا يعقل يستغفر العالم؛ فأما استغفارُ من يعقل فواضح؛ فإنه دعاءٌ له بالمغفرة، وأما استغفارُ ما لا يعقل، فهو - والله أعلم - أن الله يغفر له، ويأجره بعدد كل شيء لحقه أثر من علم العالم. وبيان ذلك: أن العالم يبين حكم الله تعالى في السماوات وفي الأرض، وفي كل ما فيهما، وما بينهما، فيغفر له ذنبه، ويعظم له أجره بحسب ذلك، ويحتمل أن يكون ذلك على جهة الإغياء، والأول أولى، والله تعالى أعلم)[3].

وقد بين الخطابي: (أن الله سبحانه قد قيض للحيتان وغيرها من أنواع الحيوان العلم على ألسنة العلماء أنواعًا من المنافع والمصالح والإرفاق، فهم الذين بينوا الحكم فيها فيما يحل ويحرم فيها، وأرشدوا إلى المصلحة في بابها، وأوصوا بالإحسان إليها ونفي الضرر عنها. فألهمها الله الاستغفار للعلماء، مجازاة على حسن صنيعهم، بها

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ١/ ٦٣ - ٦٤.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٦٨٥، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٨٣٨).

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦/ ٦٨٥ - ٦٨٦.

وشفقتهم عليها)[١].

وكان من الأمور أشار إليها الحديث في بيان فضل طلب العلم قوله ﷺ "وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب" قال ابن القيم: (وفي ذلك تشبه مطابق لحال القمر والكواكب فإن القمر يضيء الآفاق ويمتد نوره في أقطار العالم وهذا حال العالم وأما الكواكب فنوره لا يجاوز نفسه أو ما قرب منه وهذا حال العابد الذي يضيء نور عبادته عليه دون غيره وإن جاوز نور عبادته غيره فإنما يجاوزه غير بعيد كما يجاوز ضوء الكوكب له مجاوزة يسيرة)[٢]

وبين القرطبي أن (هذه المفاضلة لا تصحُّ حتى يكون كل واحد منهما قائمًا بما وجب عليه من العلم والعمل؛ فإن العابد لو ترك شيئًا من الواجبات، أو عملها على جهل لم يستحق اسم العابد، ولا تصحُّ له عبادةٌ، والعالم لو ترك شيئًا من الواجبات لكان مذمومًا، ولم يستحق اسم العالم، فإذًا محلُّ التفضيل: إنما هو في النوافل، فالعابد يستعمل أزمانه في النوافل من الصلاة، والصوم، والذكر وغير ذلك، والعالمُ يستعمل أزمانه في طلب العلم وحفظه، وتقييده، وتعليمه، فهذا هو الذي شبَّهه بالبدر؛ لأنه قد كَمُلَ في نفسه، واستضاء به كل شيء في العالم من حيث أنَّ علمه تعدَّى لغيره، وليس كذلك العابد؛ فإن غايته أن ينتفع في نفسه، ولذلك شبهه بالكوكب الذي غايته أن يظهر نفسه)[٣].

وقد أكد نص الحديث في نهايته على أعظم منقبة لأهل العلم، وهي قوله ﷺ "إن العلماء ورثة الأنبياء" قال ابن القيم: (هذا من أعظم المناقب لأهل العلم فإن الأنبياء خير خلق الله فورثتهم خير الخلق بعدهم، ولما كان كل موروث ينتقل ميراثه إلى ورثته إذ هم الذين يقومون مقامه من بعده ولم يكن بعد الرسل من يقوم مقامهم في تبليغ ما

---

(١) معالم السنن ٥/٢٤٤.

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ١/٦٥.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦/٦٨٦.

أرسلوا به إلا العلماء كانوا أحق الناس بميراثهم)[١].

قال القرطبي: (وإنما خصَّ العلماء بالوراثة، وإن كان العُبَّاد -أيضًا- قد ورثوا عنه العلم بما صاروا به عبادًا، لأن العلماء هم الذين نابوا عن النبي ﷺ في حملهم العلم عنه، وتبليغهم إيَّاه لأمته، وإرشادهم لهم، وهدايتهم. وبالجملة فالعلماء: هم العالمون بمصالح الأمَّة بعده، الذابُّون عن سنته، الحافظون لشريعته، فهؤلاء الأحقُّ بالوراثة، والأولى بالنيابة والخلافة، وأما العباد فلم يطلق عليهم اسم الوراثة لقصور نفعهم، ويسير حظهم.

وقوله: "إن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا" يعني: أنهم صلوات الله عليهم كان الغالبُ عليهم الزهد، فلا يتركون ما يُورث عنهم، ومن ترك منهم شيئًا، يصح أن يورث عنه تصدَّق قبل موته، كما فعل نبينا ﷺ حين قال: ((لا نورث، ما تركنا صدقة))[٢])[٣].

وقد بين ابن القيم: (أن هذا من كمال الأنبياء وعظم نصحهم للأمم وتمام نعمة الله عليهم وعلى أممهم أن أزاح جميع العلل وحسم جميع المواد التي توهم بعض النفوس أن الأنبياء من وجنس الملوك الذين يريدون الدنيا وملكها فحماهم الله سبحانه وتعالى من ذلك أتم الحماية. ثم لما كان الغالب على الناس أن أحدهم يريد الدنيا لولده من بعده ويسعى ويتعب ويحرم نفسه لولده سد هذه الذريعة عن أنبيائه ورسله وقطع هذا الوهم الذي عساه أن يخالط كثيرًا من النفوس التي تقول فلعله إن لم يطلب الدنيا لنفسه فهو يحصلها لولده فقال ﷺ: ((نَحْنُ مُعَاشِرِ الأَنْبِيَاءِ لا نُورث، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ))[٤].

فلم تورث الأنبياء دينارًا ولا درهمًا وإنما ورثوا العلم. وأما قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ٦٦/١.

(٢) أخرجه البخاري ٥٣٧٥، ومسلم ١٧٥٧.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦٨٦/٦ - ٦٨٧.

(٤) مسند الإمام أحمد ٤٦٣/٢، رقم ٩٩٧٢ بلفظ: ((إنا معشر الأنبياء لا نورث، ما تركت بعد مؤونة عاملي، ونفقة نسائي صدقة))، قال محققو المسند: إسناده صحيح ٤٧/١٦.

سُلَيۡمَـٰنُ دَاوُۥدَ﴾[١] فهو ميراث العلم والنبوة لا غير. وهذا باتفاق أهل العلم من المفسرين وغيرهم وهذا لأن داود عليه السلام كان له أولاد كثيرة سوى سليمان فلو كان الموروث هو المال لم يكن سليمان مختصًا به. وأيضًا فإن كلام الله يصان عن الأخبار بمثل هذا فإنه بمنزلة أن يقال مات فلان وورثه ابنه. ومن المعلوم أن كل أحد يرثه ابنه وليس في الأخبار بمثل هذا فائدة. وأيضًا فإن ما قبل الآية وما بعدها يبين أن المراد بهذه الوراثة وراثة العلم والنبوة لا وراثة المال. قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَـٰنَ عِلۡمٗاۖ وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝ وَوَرِثَ سُلَيۡمَـٰنُ دَاوُۥدَۖ﴾[٢] وإنما سيق هذا لبيان فضل سليمان وما خصه الله به من كرامته وميراثه ما كان لأبيه أعلى المواهب وهو العلم والنبوة: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ﴾[٣].

وكذلك قول زكريا عليه السلام: ﴿وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ۝﴾[٤] فهذا ميراث العلم والنبوة والدعوة إلى الله وإلا فلا يظن بنبي كريم أنه يخاف عصبته أن يرثوه ماله فيسأل الله العظيم ولدًا يمنعهم ميراثه ويكون أحق به منهم وقد نزه الله أنبياءه ورسله هذا وأمثاله فبعدًا لمن حرف كتاب الله ورد على رسوله كلامه ونسب الأنبياء إلى ما هم برآء منزهون عنه والحمد لله على توفيقه وهدايته)[٥].

(ويذكر عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه مر بالسوق فوجدهم في تجاراتهم وبيوعاتهم فقال أنتم ههنا فيما أنتم فيه وميراث رسول الله ﷺ يقسم في مسجده فقاموا سراعًا إلى

(١) سورة النمل، آية: ١٦.

(٢) سورة النمل، آية: ١٥.

(٣) سورة النمل،آية: ١٦.

(٤) سورة مريم،آية: ٥.

(٥) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ٦٧/١.

المسجد فلم يجدوا فيه إلا القرآن والذكر ومجالس العلم فقالوا أين ما قلت يا أبا هريرة. فقال هذا ميراث محمد ﷺ يقسم بين ورثته وليس بمواريثكم ودنياكم أو كما قال. وقوله فمن أخذه أخذ بحظ وافر أعظم الحظوظ وأجداها ما نفع العبد ودام نفعه له وليس هذا إلا حظه من العلم والدين فهو الحظ الدائم النافع الذي إذا انقطعت الحظوظ لأربابها فهو موصول له أبد الآبدين وذلك لأنه موصول بالحي الذي لا يموت فلذلك لا ينقطع ولا يفوت وسائر الحظوظ تعدم وتتلاشى بتلاشي متعلقاتها كما قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾[1].

فإن الغاية لما كانت منقطعة زائلة تبعتها أعمالهم فانقطعت عنهم أحوج ما يكون العامل إلى عمله وهذه هي المصيبة التي لا تجبر عياذًا بالله واستعانة به وافتقارًا وتوكلاً عليه ولا حول ولا قوة إلا بالله. وقوله موت العالم مصيبة لا تجبر وثلمة لا تسد ونجم طمس وموت قبيلة أيسر من موت عالم لما كان صلاح الوجود بالعلماء ولولاهم كان الناس كالبهائم بل أسوأ حالاً كان موت العالم مصيبة لا يجبرها إلا خلف غيره له. وأيضًا فإن العلماء هم الذين يسوسون العباد والبلاد والممالك فموتهم فساد لنظام العالم ولهذا لا يزال الله يغرس في هذا الدين منهم خالفًا عن سالف يحفظ بهم دينه وكتابه وعباده وتأمل إذا كان في الوجود رجل قد فاق العالم في الغنى والكرم وحاجتهم إلى ما عنده شديدة وهو محسن إليهم بكل ممكن ثم مات وانقطعت عنهم تلك المادة فموت العالم أعظم مصيبة من موت مثل هذا بكثير ومثل هذا يموت بموته أمم وخلائق كما قيل:

تعلم ما الرزية فقد مال ... ولا شاة تموت ولا بعير
ولكن الرزية فقد حر ... يموت بموته بشر كثير

وقال آخر:

فما كان قيس هلكه هلك واحد ... ولكنه بنيان قوم تهدما)[2]

---

(١) سورة الفرقان، آية: ٢٣.

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ١/ ٦٧ - ٦٨.

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

(المرء يحتاج على ما يدفعه للقيام بما طلب منه على الوجه المطلوب والصفة المرغوبة وهنا تأتي كلمة الداعية وفعاليتها ودوره في الترغيب بما يفيد في حمل المدعو على التشمير عن ساعد الجد في طاعة الله تعالى لنيل السعادة في الدنيا والآخرة)[١]، (وهذا ما ورد في الحديث من ترغيبه ﷺ في طلب العلم وتحصيله، حيث قال: "ومن سلك طريقًا يبتغي فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة.... إلخ الحديث"، قال ابن عثيمين: (وفي هذا الحديث من الترغيب في طلب العلم ما لا يخفى على أحد؛ فينبغي للإنسان أن ينتهز الفرصة، ويبادر بطلب العلم قبل أن يأتيه ما يشغله عن ذلك)[٢].

وكفى بطلب العلم شرفًا وترغيبًا في تحصيله أن الله عز وجل أمر نبيه أن يسأله المزيد منه) [٣] فقال تعالى: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾[٤] (أي: زدني منك علمًا قال ابن عُيينة: ولم يزل ﷺ في زيادة من العلم، حتى توفاه الله عز وجل)[٥]، وكان ﷺ يقول: ((اللَّهُمَّ انْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي وعَلِّمْنِي ما يَنْفَعُنِي وزِدْنِي عِلْمًا))[٦].

---

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان الهجاري، ٥١٣، وهداية المرشدين، علي محفوظ، ١٩٢.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٤٨٠/٢.

(٣) انظر: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ٥٠/١.

(٤) سورة طه، آية: ١١٤.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣١٩/٥.

(٦) أخرجه ابن ماجه ٢٥١، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٢٠٣).

الحديث رقم (١٣٩١)

١٣٩١ - وعن ابن مسعود ﷺ قال: سَمِعْتُ رسولَ اللّهِ ﷺ ، يقول: ((نَضَّرَ اللهُ امْرًا سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا، فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَهُ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أوْعَى مِنْ سَامِعٍ)). رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

نضر الله امرًا: أي نعمه، من النضارة وهي في الأصل: حسن الوجه والبريق، والمراد حَسَّن خلقه وقدره[2].

أوعى: أكثر حفظًا وفهمًا[3].

الشرح الأدبي

يدعو الرسول ﷺ أمته إلى نشر العلم، وقد رغبهم في ذلك عن طريق الدعاء بصيغة الماضي في قوله ﷺ (نضر الله امرأ) والذي يشعر بتأكيد، وقوع الطلب، وتحققه كما لو كان قد حصل المطلوب عند الدعاء، وذلك ادعى لدقة التبليغ، والحرص عليه والحكم هنا ممتد إلى ما يحدث مستقبلا، ولو كان الفعل (نضر) هنا إخبارا لما كان له من الأثر كما له في الإنشاء في مقام الترغيب، والحث، والتحضيض عن طريق الدعاء، ونسبة الفعل (نضر) لله يعطي الفعل بُعدا إيحائيا؛ لأن فعل لا يشبه فعل خلقه، وتنكير كلمة (امرأ) يفيد عموما يدخل الجميع تحت الحكم، وتنكير شيئا للتقليل فيشمل الدعاء من قام بتبليغ ما قل، أو كثر، وقوله (فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَهُ)

---

(١) برقم (٢٦٥٧). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٦٦). أورده المنذري في ترغيبه (١٥٠).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ض ر).

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (و ع ى).

فيه إشارة إلى أمانة النقل دون تزيد، أو انتقاص، لأنه ينقل للناس دينهم (فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أوْعَى مِنْ سَامِعٍ) يشير إلى تفاوت العقول في الفهم عن النبي ﷺ فيستنبط هذا ما لا يستنبط ذلك، ويفهم هذا ما لا يفهمه هذا، وهو فضل الله قسمه بين الناس بفضله.

فقه الحديث

قال النووي: (اعلم أن التعليم هو الأصل الذي به قوام الدين، وبه يؤمن إمحاق العلم، فهو من أهمّ أمور الدين وأعظم العبادات، وآكد فروض الكفايات، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[1] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا﴾[2] وفي الصحيح من طرق أن النبي ﷺ قال: ((ليبلغ الشاهد منهكم الغائب))[3] والأحاديث بمعناه كثيرة، والإجماع منعقد عليه)[4].

وقال ابن العربي: (الصحيح عندي أنه إن كان هناك من يبلغ اكتفى به، وإن تعيّن عليه لزمه)[5].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على طلب العلم وبيان فضله.

ثانيًا: من واجبات الداعية: تبليغ العلم والأمانة في نقله.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فائدة تبليغ العلم.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الحث على طلب العلم وبيان فضله:

هذا ما أشار إليه نص الحديث من قوله ﷺ "نضر الله امرًا سمع منا شيئًا فبلغه -

(١) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٥٩.

(٣) أخرجه البخاري ٦٧، ومسلم ١٦٧٩.

(٤) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي، المقدمة ٧٢/١، وانظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٢٨/٢ .

(٥) أحكام القرآن ٤٩/١.

وفي رواية الترمذي سمع منا حديثًا-"، قال الطيبي: (والمعنى خصه تعالى بالبهجة والسرور لما رزق بعلمه ومعرفته من القدر والمنزلة بين الناس في الدنيا وفي الآخرة، حتى يرى عليه رونق الرخاء ورفيق النعمة. وإنما خص حافظ سنته ومبلغها بهذا الدعاء؛ لأنه سعى في نضارة العلم وتجديد السنة، فجازاه في دعائه له بما يناسب حاله في المعاملة...)[1].

وقال ابن القيم: (إن النبي ﷺ دعا لمن سمع كلامه ووعاه وبلغه بالنضرة وهي البهجة ونضارة الوجه وتحسينه ... وقال: ولو لم يكن في فضل العلم إلا هذا وحده لكفى به شرفًا فإن النبي ﷺ دعا لمن سمع كلامه ووعاه وحفظه وبلغه وهذه هي مراتب العلم أولها وثانيها سماعه وعقله فإذا سمعه وعاه بقلبه أي عقله واستقر في قلبه كما يستقر الشيء الذي يوعى في وعائه ولا يخرج منه وكذلك عقله هو بمنزلة عقل البعير والدابة ونحوها حتى لا تشرد وتذهب ولهذا كان الوعي والعقل قدرًا زائدًا على مجرد إدراك المعلوم. المرتبة الثالثة تعامده وحفظه حتى لا ينساه فيذهب. المرتبة الرابعة تبليغه وبثه في الأمة ليحصل به ثمرته ومقصوده وهو بثه في الأمة فهو بمنزلة الكنز المدفون في الأرض الذي لا ينفق منه وهو معرض لذهابه فإن العلم ما لم ينفق منه ويعلم فإنه يوشك أن يذهب فإذا أنفق منه نما وزكا على الإنفاق فمن قام بهذه المراتب الأربع دخل تحت هذه الدعوة النبوية المتضمنة لجمال الظاهر والباطن فإن النضرة هي البهجة والحسن الذي يكساه الوجه من آثار الإيمان وابتهاج الباطن به وفرح القلب وسروره والتذاذه به فتظهر هذه البهجة والسرور والفرحة نضارة على الوجه ولهذا يجمع له سبحانه بين البهجة والنضرة كما في قوله تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾[2] فالنضرة في وجوههم والسرور في قلوبهم فالنعيم وطيب القلب يظهر نضارة في الوجه. كما قال تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾[3] والمقصود أن هذه

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١/ ٣٨٣.

(٢) سورة الإنسان، آية: ١١.

(٣) سورة المطففين، آية: ٢٤.

النضرة في وجه من سمع سنة رسول الله ﷺ ووعاها وحفظها وبلغها فهي أثر تلك الحلاوة والبهجة والسرور الذي في قلبه)[١].

ثانيًا - من واجبات الداعية: تبليغ العلم والأمانة في نقله:

هذا ما ورد في نص الحديث من قوله ﷺ "فبلغه كما سمعه". قال د. الحسيني هاشم: (فيه الحث على تبلغ الدين بلا تحريف والدعاء لمن نشره على وجهه الصحيح)[٢].

(وقد أمر النبي ﷺ بتبليغ العلم عنه فقال: ((بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً))[٣] قال ابن القيم: فأمر ﷺ بالتبليغ عنه لما في ذلك من حصول الهدى بالتبليغ وله ﷺ أجر من بلغ عنه وأجر من قبل ذلك البلاغ وكلما كثر التبليغ عنه تضاعف له الثواب فله من الأجر بعدد كل مبلغ وكل مهتد بذلك البلاغ سوى ما له من أجر عمله المختص به فكل من هدى واهتدى بتبليغه فله أجره لأنه هو الداعي إليه ولو لم يكن في تبليغ العلم عنه إلا حصول ما يحبه ﷺ لكفى به فضلاً. وعلامة المحب الصادق أن يسعى في حصول محبوب محبوبه ويبذل جهده وطاقته فيها، ومعلوم أنه لا شيء أحب إلى رسول الله ﷺ من إيصاله الهدى إلى جميع الأمة فالمبلغ عنه ساع في حصول محابه فهو أقرب الناس منه وأحبهم إليه وهو نائبه وخليفته في أمته وكفى بهذا فضلاً وشرفًا للعلم وأهله)[٤].

وقد أكد النبي ﷺ في نص حديث الباب على عظم وأهمية الأمانة في نقل العلم عنه، فقال ﷺ "فبلغه كما سمعه" قال المباركفوري، أي: (من غير زيادة ولا نقصان)[٥]، وقد توعد النبي ﷺ من يخالف ذلك بأشد العذاب وسوء العقاب، فقال: ((مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فلْيَتَبوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النار))[٦].

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ١/ ٧١.

(٢) شرح رياض الصالحين ص ٦٦٦.

(٣) أخرجه البخاري ٣٤٦١.

(٤) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ١/ ٧٣.

(٥) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/ ٢٠٢٦.

(٦) أخرجه البخاري ١٠٧.

قال ابن حجر: (قوله "فليتبوأ" أي فليتخذ لنفسه منزلاً، يقال تبوأ الرجل المكان إذا اتخذه سكنًا، وهو أمر بمعنى الخبر أيضًا، أو بمعنى التهديد، أو بمعنى التهكم، أو دعاء على فاعل ذلك أي بوأه الله ذلك. وقال الكرماني: يحتمل أن يكون الأمر على حقيقته، والمعنى من كذب فليأمر نفسه بالتبوء ويلزم عليه كذا، قال: وأولها أولاها، فقد رواه أحمد بإسناد صحيح عن ابن عمر بلفظ ((بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي النَّار))[1] قال الطيبي: فيه إشارة إلى معنى القصد في الذنب وجزائه، أي كما أنه قصد في الكذب التعمد فليقصد بجزائه التبوء)[2].

فعلى الداعية أن يتثبت في حديثه عن النبي ﷺ، فلا يبلّغ عنه إلا صدقًا.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فائدة تبليغ العلم:

هذا ما يستفاد من قوله ﷺ "فرب مُبلغ أوعى من سامع"، قال المباركفوري: ("فرب" للتقليل وقد ترد للتكثير "مبلغ" بفتح اللام و"أوعى" نعت له والذي يتعلق به "رب" محذوف وتقديره يوجد أن يكون، ويجوز على مذهب الكوفيين في أن "رب" اسم أن تكون هي مبتدأ وأوعى الخبر فلا حذف ولا تقدير والمراد رب مُبلّغ عني أوعى، أي أفهم لما أقول من سامع مني)[3] وهذا ما أكده النبي ﷺ في قوله: ((فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ))[4].

قال ابن القيم: (وقوله ﷺ رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه تنبيه على فائدة التبليغ وإن المبلَّغ قد يكون أفهم من المبلِّغ فيحصل له في تلك المقالة ما لم يحصل للمبلِّغ أو يكون المعنى أن المبلَّغ قد يكون أفقه من المبلِّغ فإذا سمع تلك المقالة حملها على أحسن وجوهها واستنبط فقهها وعلم المراد منها)[5]، وفي ذلك قال ابن عثيمين: (قد تجد

---

(١) أخرجه أحمد ٢/٢٢، رقم ١١٣٥٠ بلفظ: ((إن الذي يكذب عليَّ يبنى له بيت في النار))، وقال محققو المسند: حديث صحيح ٨/٣٦٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/٢٤٣.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/٢٠٢٦.

(٤) أخرجه أبو داود ٣٦٦٠، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣١٠٨).

(٥) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ١/٧٢.

مثلاً من العلماء من هو راوية يروي الحديث يحفظه ويؤديه لكنه لا يعرف معناه فيبلغه إلى شخص آخر من العلماء يعرف المعنى ويفهمه ويستنتج من أحاديث الرسول ﷺ أحكامًا كثيرة فينفع الناس، وقد مثل ﷺ الأول كمثل الأرض التي أمسكت الماء فروي الناس وارتووا لكنها لا تنبت، وأما الأرض الرياض التي أنبتت، فهم الفقهاء الذين عرفوا الأحاديث وفقهوها واستنتجوا منها الأحكام الشرعية)[1]، فعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((مَثَلُ ما بَعَثَني اللَّهُ بهِ مِنَ الهُدَى والعِلمِ، كَمَثَلِ الغَيثِ الكثيرِ أصابَ أرضًا، فكانَ منها نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الماءَ فأنْبَتَتِ الكَلأَ والعُشْبَ الكثيرَ، وكانتْ منها أجادِبُ أَمْسَكَتِ الماءَ فنَفَعَ اللَّهُ بها النَّاسَ فشَرِبوا وسَقَوا وزَرَعوا، وأَصابَتْ منها طائفةً أُخرى إنَّما هي قِيعانٌ لا تُمسِكُ ماءً ولا تُنْبِتُ كَلأً. فذلكَ مَثَلُ مَنْ فَقِهَ في دينِ اللَّهِ ونَفَعَهُ ما بَعَثَني اللَّهُ به فعَلِمَ وعَلَّم، ومَثَلُ مَن لم يَرْفَعْ بذلكَ رأسًا ولم يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الذي أُرْسِلْت به))[2].

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١٤٨٧.

(٢) أخرجه البخاري ٧٩، ومسلم ٢٢٨٢.

الحديث رقم (١٣٩٢)

١٣٩٢ - وعن أَبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَنْ سُئِلَ عن عِلْمٍ فَكَتَمَهُ، أُلْجِمَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ)). رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

ألجم يوم القيامة بلجام من نار: اللجام: الحديدة في فم الفرس ثم سموها مع ما يتصل بها من سيور وآلة لجامًا. ويراد بهذا: الممسك عن الكلام بأنه ممثل بمن ألجم نفسه بلجام[2].

الشرح الأدبي

الأحاديث السابقة وردت لبيان فضل العلم، والعلماء، والترغيب في العلم، أما هذا الحديث فإنه جاء ترهيبا من كتمان العلم؛ لأنه ينطوي على إضلال الناس، بتركهم في براثن الجهل، وقد جاءت جملة الترهيب، وفيها تناسب بين الألفاظ، والمعاني مع تناسب الجزاء مع العمل فاللجام للفم مقابل الكتمان، وهو أيضا بالفم، وبناء الفعل (ألجم) للمفعول يذهب بالعقل في تصوره كل مذهب، وبين ألجم، واللجام جناس يؤكد نوع العذاب الذي يتناسب مع نوع العمل، وهذا الترهيب بهذا التكوين، له بُعد نفسي يذكِّر العالم إذا فكر في إغلاق فمه لكتمان العلم بأنه يغلقه على لجام من النار الأمر الذي

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٥٨)، والترمذي (٢٦٤٩) واللفظ له. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٩٥)، وقال الحاكم (١٠٢/١): هذا إسناد صحيح من حديث المصريين على شرط الشيخين، وليس له علة. أورده المنذري في ترغيبه (١٩٩).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ل ج م).

يجعله يبذل العلم، والنصيحة لكل من احتاجها، وتقييد اللجام بالظرف (يوم) المضاف للقيامة يزيد الموقف هولا، ويعطي الفعل (ألجم) أبعادا إيحائية تتناسب مع طبيعة اليوم، وهوله، ثم إن الجار، والمجرور (من نار)المتعلق بالفعل (ألجم) يشير إلى صعوبة هذا اللجام الذي يشتعل نارا لا تنطفيء داخل فم الكاتم.

فقه الحديث

قال ابن العربي: (إن العالم إذا قصد الكتمان عصى، وإذا لم يقصده لم يلزمه التبليغ إذا عرف أن معه غيره وأما من سئل فقد وجب عليه التبليغ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾[1] ولحديث الباب)[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: تحذير النبي ﷺ من كتمان العلم.

ثانيًا: من أهداف الدعوة: نشر العلم.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: تحذير النبي ﷺ من كتمان العلم:

هذا ما أشار إليه الحديث في قوله ﷺ "من سئل عن علم فكتمه، أُلجم يوم القيامة بلجام من نار" قال صاحب عون المعبود في بيانه قوله ﷺ ("ألجمه الله" أي: أدخل الله في فمه لجامًا (بلجام من نار): مكافأة له حيث ألجم نفسه بالسكوت)[3]، وقال الخطابي: (الممسك عن الكلام مُمَثَّلٌ بمن ألجم نفسه، كما يقال التقيُّ ملجَم.

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٥٩.

(٢) أحكام القرآن ٤٩/١، وانظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٤٨١/٢ .

(٣) عون المعبود على سنن أبي داود، شرف الحق العظيم آبادي، ١٥٦٤.

وكقول الناس: كلّم فلان فلانًا فاحتجَّ عليه بحجة ألجمته، أي أسكتته. والمعنى: أن الملجم لسانه عن قول الحق والإخبار عن العلم والإظهار له: يعاقب في الآخرة بلجام من نار.

وخرج هذا على معنى مشاكلة العقوبة الذنب، كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾[1].

قال: وهذا في العلم الذي يلزمه تعليمه إياه. ويتعين عليه فرضه كمن رأى كافرًا يريد الإسلام يقول: علموني ما الإسلام، وما الدين؟ وكمن يرى رجلاً حديث العهد بالإسلام لا يُحسن الصلاة، وقد حضر وقتها، يقول: علموني كيف أصلي؟ وكمن جاء مستفتيًا في حلال أو حرام يقول: أفتوني، وأرشدوني. فإنه يلزم في مثل هذه الأمور أن لا يُمنعوا الجواب عما سألوا عنه من العلم، فمن فعل ذلك كان آثمًا مستحقًا للوعيد والعقوبة وليس الأمر كذلك في نوافل العلم الذي لا ضرورة للناس إلى معرفتها)[2]، وقد توعد الحق تبارك وتعالى لمن يكتم العلم فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾[3] قال ابن كثير (هذا وعيد شديد لمن كتم ما جاءت به الرسل من الدلالات البينة على المقاصد الصحيحة والهدي النافع للقلوب، من بعد ما بينه الله - تعالى - لعباده في كتبه، التي أنزلها على رسله)[4]، وكان أبو هريرة ﷺ يقول (لولا آيتان في كتاب الله ما حدثت)[5] يريد الآيتين سالفتا الذكر في سورة البقرة، وفي ذلك بيان على الترهيب والتحذير من كتم العلم.

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٧٥.

(٢) معالم السنن ٢٥١/٥ - ٢٥٢.

(٣) سورة البقرة، الآيتان: ١٥٩ - ١٦٠.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٧٢/١.

(٥) أخرجه البخاري، ١١٨.

ثانيًا- من أهداف الدعوة: نشر العلم:

هذا ما يستفاد من عموم الحديث في قوله ﷺ "من سئل عن علم فكتمه... إلخ"، حيث رهّب من كتمان العلم، وفي ذلك دعوة إلى نشر العلم وتعليمه للناس، قال د. الحسيني هاشم: (فيه عظم وعيد كاتم العلم، وتقييد العلم الفاضل النافع في الآخرة بما نشره صاحبه ولم يبخل به على الناس) [١].

قال ابن عثيمين: (نشر العلم من زكاته فكما يتصدق الإنسان بشيء من ماله، فهذا العالم يتصدق بشيء من علمه، وصدقة العلم أبقى دومًا وأقل كلفة ومؤنة، أبقى دومًا؛ لأنه ربما كلمة من عالم تُسمع ينتفع بها أجيال من الناس، وما زلنا الآن ننتفع بأحاديث أبي هريرة رضي الله عنه ولم ننتفع بدرهم واحد من الخلفاء الذين كانوا في عهده، وكذلك العلماء ننتفع بكتبهم ومعهم زكاة وأي زكاة، وهذه الزكاة لا تنقص العلم بل تزيده كما قيل يزيد بكثرة الإنفاق منه وينقص إن به كفًّا شددت)[٢].

وفي ذلك قال أبو هريرة رضي الله عنه إن رسول الله ﷺ قال ((مَثَلُ الذي يتعلَّمُ العِلمَ ولا يتحَدثُ بهِ كمثَلِ الذي يَكنُزُ الذهب ولا يُنْفِقُ منهُ))[٣]، (ومن المعلوم الذي لا ينكره عاقل أن الناس في زمننا هذا قد فشا فيهم الجهل بنوعيه البسيط والمركب سواء كانوا من أهل المدن أم من أهل البوادي والقرى...، ونظرًا لحال الناس في هذا الزمان الذي تكاثرت فيه وسائل الزيغ والانحراف عن طريق الحق المبين وهدي رب العالمين، فإنه يجب على كل طالب علم أن يجند نفسه ويبذل جهده في سبيل إيصال الخير والهدى والنور إلى البشرية كلها لتحيى بعد موتها وتستيقظ من غفلتها، وترشد بعد جهلها وضلالها)[٤]، وهذا لا يكون إلا بنشر العلم.

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترهيب:

(وأسلوب الترهيب أسلوب مؤثر يستطيع الداعية من خلاله أن يتوغل في أعماق

---

(١) شرح رياض الصالحين ٦٦٦.

(٢) كتاب العلم ٢٤٦.

(٣) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبدالبر، رقم ٧٧٤، وقال محققه: إسناده حسن.

(٤) المنهج القويم في التاسي بالرسول الكريم، زيد مدخلي، ٢٣٠ - ٢٣١.

المدعو...، وذلك ببيان ما ورد من وعيد تقشعر منه الأبدان، حيث جهنم ولهيبها وأنواع العذاب فيها جزاء وفاقا)[1]، وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من ترهيبه ﷺ لمن يكتم العلم وذلك ببيان أن عاقبته هي إلجامه يوم القيامة بلجام من نار.

---

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان الهجاري، ٤٤٨.

الحديث رقم (١٣٩٣)

١٣٩٣- وعنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ ﷻ لا يَتَعَلَّمُهُ إلاَّ لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ)) يَعْنِي: رِيحَهَا. رواه أَبُو داود[1] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

يبتغي: يطلب[2].

عرضًا: العرض: متاع الدنيا وحطامها[3].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يدور حول الإخلاص في العلم، والذي يحقق الغاية منه في الدنيا ببذله لكل من يحتاج إليه، وفي الآخرة بتحقيق أعلى الدرجات، وقوله (تعلم علما) جناس يؤكد تحقق الفعل، وحصول العلم الذي يستلزم العمل بموجبه، وإخلاص النية فيه لله، وقوله (مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ - عز وجل) يشير إلى العلم الأخروي، وأسلوب القصر في قوله (لا يَتَعَلَّمُهُ إلاَّ لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضاً مِنَ الدُّنْيَا) يقصر تعلمه على العرض الدنيوي، وينفيه عن الغرض الأخروي أي ليس لمرضاة الله فيه نصيب، وقَوْله (عَرَضًا) أَيْ: مَتَاعًا، وَفِيهِ دَلَالَة عَلَى أَنَّ الْوَعِيد الْمَذْكُور لِمَنْ لَا يَقْصِد بِالْعِلْمِ إِلَّا الدُّنْيَا، وَأَمَّا مَنْ طَلَبَ بِعِلْمِهِ رِضَا الْمَوْلَى، وَمَعَ ذَلِكَ لَهُ مَيْل مَا إِلَى الدُّنْيَا فَخَارِج عَنْ هَذَا الْوَعِيد، قَوْله (عَرْف الْجَنَّة)

---

(١) برقم (٣٦٦٤). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٧٨)، وقال الحاكم (٨٥/١): هذا حديثٌ صحيحٌ سنده، ثقات رواته على شرط الشيخين ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (١٧٧).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب غ ى).

(٣) المرجع السابق في (ع ر ض).

أي الرَّائِحَة كناية عن حرمانه من الجنة، وفائدة التعبير بالكناية أن فيها مُبَالَغَة فِي تَحْرِيم الْجَنَّة عليه لِأَنَّ مَنْ لَا يَجِد رِيح الشَّيْء لَا يَتَنَاوَلهُ قَطْعًا، والحديث ينادي بضرورة أن يجعل كل متعلم في تعلمه سبيلا يرضي الله به، ويطلبه من أجله.

فقه الحديث

قال النووي: (يجب على المعلم أن يقصر بتعليمه رحمة الله تعالى، وألا يجعله وسيلة إلى غرض دنيوي)[1].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (من آداب المعلم ... أن ينزه علمه عن جعله سلمًا يتوصل به إلى الأغراض الدنيوية من جاه أو مال أو سمعة أو شهرة أو خدمة أو تقدم على أقرانه)[2].

وقال القرطبي: (وهذه الآية ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِـَٔايَـٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّـٰيَ فَٱتَّقُونِ﴾[3] وإن كانت خاصة ببني إسرائيل، فهي تتناول من فعل فعلهم، فمن أخذ رسوة على تغيير حقأو إبطاله أو امتنع من تعليم ما وجب عليه أو أداء ما علمه -وقد تعين عليه- حتى يأخذ عليه أجرًا فقد دخل في مقتضى الآية، والله أعلم، وقد روى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: ((من تعلم علمًا مما يبتغي به وجه الله عز وجل ...)) الحديث[4].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: إخلاص النية في طلب العلم.

ثانيًا: من واجبات الداعية: الحذر من الرياء.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي، المقدمة ٧٢/١.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٨٤/٢٩ - ٨٥.

(٣) سورة البقرة، آية: ٤١.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١١/٢ - ١٢، وانظر الكتاب نفسه ٣٢/١ - ٣٥.

أولاً - من موضوعات الدعوة: إخلاص النية في طلب العلم:

هذا ما يستفاد من نص الحديث، ومما لا شك فيه أن العلم من أجلّ العبادات وأفضل الطاعات والقربات إلى رب العباد، وأن الله لا يقبل من العبادة إلا ما كان خالصًا لوجهه الكريم، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[1] وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾[2] وقال لنبيه ﷺ: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ۝ فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[4].

قال ابن القيم: (قال الفضيل بن عياض: هو أخلصه وأصوبه. قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا، لم يقبل؛ وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل حتى يكون خالصًا صوابًا. والخالص: أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة. ثم قرأ قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[5]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾[6].

فإسلام الوجه: إخلاص القصد والعمل لله. والإحسان فيه: متابعة رسوله ﷺ وسنته. وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾[7] وهي الأعمال

---

(١) سورة البينة، آية: ٥.

(٢) سورة الزمر، الآيتان: ٢ - ٣.

(٣) سورة الزمر، الآيتان: ١٤ - ١٥.

(٤) سورة الملك، آية: ٢.

(٥) سورة الكهف، آية: ١١٠.

(٦) سورة النساء، آية: ١٢٥.

(٧) سورة الفرقان، آية: ٢٣.

التي كانت على غير السنة، أو أريد بها غير وجه الله)[١].

قال النبي ﷺ قال الله عز وجل: ((أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، فَمَنْ عَمِلَ لِي عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ))[٢].

قال النووي: (ومعناه: أنا غني عن المشاركة وغيرها فمن عمل شيئًا لي ولغيري لم أقبله بل أتركه لذلك الغير، والمراد أن عمل المرائي باطل لا ثواب فيه ويأثم به)[٣]، (فعلى طالب العلم أن يخلص نيته لله؛ بأن يكون قصده بطلب العلم وجه الله والدار الآخرة؛ لأن الله تعالى حث عليه ورغب فيه، فقال: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾[٤]. والثناء على العلماء في القرآن معروف، وإذا أثنى الله على شيء أو أمر به صار عبادة.

إذن فيجب الإخلاص فيه لله بأن ينوي الإنسان في طلب العلم وجه الله عز وجل)[٥].

والعلم الذي ورد فيه الوعيد على ترك الإخلاص فيه لله تعالى هو العلم الشرعي، وذلك لقوله ﷺ في نص الحديث "من طلب علمًا مما يبتغي به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنياء لم يجد عرف الجنة يوم القيامة" يعني ريحها. وفي بيان ذلك قال ابن عثيمين: (والعلوم تنقسم إلى قسمين، قسم: يراد به وجه الله وهو العلوم الشرعية وما يساندها من علوم عربية، وقسم آخر: علم الدنيا، كعلم الهندسة والبناء والميكانيكا وما أشبه ذلك، فأما الثاني - علم الدنيا - فلا بأس أن يطلب الإنسان به عرض الدنيا، يتعلم الهندسة ليكون مهندسًا يأخذ راتبًا وأجرة، يتعلم الميكانيكا من أجل أن يكون ميكانيكيًا يعمل ويكدح وينوي الدنيا، هذا لا حرج عليه أن ينوي في تعلمه الدنيا، لكن لو نوى نفع المسلمين بما تعلم؛ لكان ذلك خيرًا له وينال بذلك

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/٣١٠ - ٣١١.

(٢) أخرجه مسلم ٢٩٨٥.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٧١٧.

(٤) سورة محمد، آية: ١٩.

(٥) كتاب العلم، ابن عثيمين، ٢٧.

الدين والدنيا، يعني لو قال: أنا أريد تعلم الهندسة من أجل أن أكفي المسلمين أن يجلبوا مهندسين كفارًا مثلاً، لكان هذا طيبًا، أو يتعلم الميكانيكا من أجل أن يسد حاجة المسلمين فيما إذا احتاجوا ميكانيكيين، فهذا خير وله أجر على ذلك، لكن لو لم يرد إلا الدنيا؛ فله ذلك ولا إثم عليه، كالذي يبيع ويشتري من أجل زيادة المال، أما القسم الأول: الذي يتعلم شريعة الله عز وجل وما يساندها؛ فهذا علم لا يبتغى به إلا وجه الله، إذا أراد به الدنيا؛ فإنه لا يجد ريح الجنة يوم القيامة، وهذا وعيد شديد والعياذ بالله، يدل على أن من قصد بتعلم الشرع شيئًا من أمور الدنيا؛ فإنه قد أتى كبيرة من كبائر الذنوب، ولا يبارك في علمه، يعني مثلاً، قال: أريد أن أتعلم من أجل أن أصرف وجوه الناس إليَّ، حتى يحترموني ويعظموني...، وما أشبه ذلك، هذا - والعياذ بالله - لا يجد ريح الجنة يوم القيامة)[1].

ثانيًا - من واجبات الداعية: الحذر من الرياء:

هذا ما أشار إليه نص الحديث من قوله ﷺ "... لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة" (أي لا يريد بطلبه للعلم إلا أن ينال عرضًا من الدنيا مالاً أو جاهًا، وقوله ﷺ "لم يجد عرف الجنة" يعني ريحها وفي ذلك مبالغة في تحريم الجنة لأن من لم يجد ريح الشيء لا يتناوله قطعًا)[2].

قال النووي: (إن الفضل في طلب العلم إنما هو فيمن طلبه مريدًا به وجه الله تعالى، لا لغرض من الدنيا، ومن أراده لغرض دنيوي كمال أو رياسة أو منصب أو وجاهة أو شهرة أو استمالة الناس إليه أو قهر المناظرين، أو نحو ذلك فهو مذموم، قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا

(١) شرح رياض الصالحين ١٤٨٨/٢.

(٢) انظر: عون المعبود على سنن أبي داود، شرف الحق العظيم آبادي، ٥٦٦، وشرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ١٤٨٨/٢.

(٣) سورة الشورى، آية: ٢٠.

لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾[١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾[٣]، والآيات فيه كثيرة.

وفي صحيح مسلم: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ، رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ. فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا. قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّىٰ اسْتُشْهِدْتُ. قَالَ: كَذَبْتَ. وَلَٰكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ. فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ. فَأُتِيَ بِهِ. فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا. قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ. وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ. فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ. فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا. قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلاَّ أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ. قَالَ: كَذَبْتَ. وَلَٰكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ. فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ. ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ))[٤]، ثم ذكر حديث الباب).

ثم قول النبي ﷺ على ذلك فقال: ((مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لَيُجَارِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ أَوْ لَيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ وَيَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ أَدْخَلَهُ اللّه النَّارَ))[٥][٦] قال المباركفوري في بيان قوله ﷺ ("من طلب العلم" أي لا لله به "ليجاري به العلماء" أي يجري معهم في المناظرة والجدال ليظهر علمه في الناس رياء وسمعه "أو ليماري به السفهاء" جمع سفيه وهو قليل

(١) سورة الإسراء، آية: ١٨.

(٢) سورة الفجر، آية: ١٤.

(٣) سورة البينة، آية: ٥.

(٤) أخرجه مسلم ١٩٠٥.

(٥) أخرجه الترمذي ٢٦٥٤، حسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢١٢٨).

(٦) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي، المقدمة ١/٥٨ - ٥٩.

العقل، المراد به الجاهل أي ليجادل به الجاهل والمماراة من المرية وهي الشك فإن كل واحد من المتحاجين يشك فيما يقول صاحبه ويشككه مما يورد على حجته "أو يصرف به وجوه الناس إليه" أي يطلبه بنية تحصيل المال والجاه وإقبال العامة عليه)[١]، ثم بين ﷺ عاقبة ذلك فقال "أدخله الله النار" فعلى الداعية أن يحذر كل الحذر من الرياء في طلب العلم بل عليه أن يخلص نيته وعمله في ذلك لله وحده.

وإخلاص النية كما قال ابن القيم: (هي تصفية العمل من كل شوب أي لا يمازج عمله ما يشوبه من شوائب إرادات النفس: إما طلب التزين في قلوب الخلق، وإما طلب مدحهم، والهرب من ذمهم، أو طلب تعظيمهم، أو طلب أموالهم، أو خدمتهم ومحبتهم، وقضائهم حوائجه، أو غير ذلك من العلل والشوائب التي عَقدُ متفرقاتها: هو إرادة ما سوى الله بعمله، كائنًا ما كان)[٢].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترهيب:

(الترهيب وعيد وتهديد بعقوبة تترتب على اقتراف إثم أو ذنب مما نهى الله عنه أو التهاون في أداء فريضة مما أمر الله به، أو هو تهديد من الله يقصد به تخويف عباده وإظهار صفة من صفات الجبروت والعظمة الإلهية ليكونوا دائمًا على حذر من ارتكاب الهفوات والآثام)[٣]، (والأصل أن يكون الترهيب بالله تعالى أو بصفاته مع عدم الغفلة عن الترهيب بعذاب الله، وهذا هو نهج القرآن والسنة المطهرة...، فقد أمر تعالى عباده بالرهبة والخوف منه وعدم الأمن من مكره، فقال تعالى: ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾[٤] وقوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ﴾[٥] وقوله: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ﴾[٦] وقوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف، ٢٠٢٥/٢.

(٢) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٣١٥/٢.

(٣) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، د. عبدالرحمن النحلاوي، ٢٥٧.

(٤) سورة البقرة، جزء من آية: ٤٠.

(٥) سورة آل عمران، جزء من آية: ٢٨.

(٦) سورة آل عمران، جزء من آية: ١٧٥.

مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[1] وما جاء في السنة المطهرة أنه ﷺ كان يقول: ((إِنِّي لأَخْشَاكُمْ للَّهِ))[2] ومع أن الأصل في الترهيب أن يكون بالله وبصفاته، فإنه يجوز أن يكون بما يصيب الناس من عذابه تعالى في الدنيا والآخرة)[3].

وهذا ما ورد في الحديث من ترهيبه ﷺ من تعلم العلم لغير الله وذلك ببيان أن من نهج ذلك لم يجد عرف الجنة يوم القيامة.

---

(١) سور الأعراف، آية: ٩٩.

(٢) أخرجه البخاري ٥٠٦٣.

(٣) الترهيب في الدعوة، د. رقية نياز، ٤١، ٤٢.

الحديث رقم (١٣٩٤)

١٣٩٤- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: ((إنَّ اللهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعهُ مِنَ النَّاسِ[1]، وَلكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاء، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ[2] عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالاً، فَسُئِلُوا فَأفْتَوا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا)). متفقٌ عَلَيْهِ[3].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

غريب الألفاظ:

انتزاعًا: محوًا من الصدور[4].

قبض العلماء: بموتهم[5].

رؤوسًا: جمع رأس: السيد المُقدَّم في الناس[6].

الشرح الأدبي

يبين الرسول ﷺ في هذا الحديث خطر غياب العلماء وتصدُّر الجهلاء للفتوى وضلالهم وإضلالهم وذهابهم بسفينة المجتمع إلى غير شاطئ، أيضاً يبين الحديث أن الله لا يقبض العلم إلا بقبض العلماء مما يلزم المجتمع أن يعد العلماء جيلاً بعد جيل حتى لا تنقطع سلسلة النور وأشعة الضياء بموت العلماء، لذلك استخدم الرسول عدة أشكال بلاغية لتقرير هذه المعاني منها: البداية بأسلوب التوكيد عن طريق أداة التوكيد (إن)

---

(١) لفظ البخاري: (العباد) وهذا لفظ مسلم.

(٢) لفظ مسلم: (لم يترك)، والمثبت لفظ البخاري.

(٣) أخرجه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣/١٣).

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٣٥/١.

(٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ق ب ض).

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ر أ س).

مع اسمية الجملة في قوله: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً) تنزيلاً للمخاطبين منزلة المترددين، وتصدير الجملة بلفظ الجلالة (الله) يربي المهابة ويوفر على الأسلوب هالة من القدسية تكون أدعى للإنصات والوعي فالخضوع، وقوله: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً) (أي: إن الله لا يقبض العلم من بين الناس على سبيل أن يرفعه من بينهم إلى السماء أو يمحوه من صدورهم، بل يقبضه إليه بقبض أرواح العلماء وموت حملته.

وقال ابن بطال: معناه أن الله لا ينزع العلم من العباد بعد أن يتفضل به عليهم، ولا يسترجع ما وهب لهم من العلم المؤدي إلى معرفته وبث شريعته، وإنما يكون انتزاعه بتضييعهم العلم فلا يوجد من يخلف من مضى فأنذر ﷺ بقبض الخير كله وكان تحديث النبي ﷺ بذلك في حجة الوداع)[1]

وقوله: (انتزاعاً) مصدر مؤكد لعامله وهو نائب عن المفعول المطلق كما ذكر الزمخشري نحو: رجع القهقرى وقعد جلوساً[2] ويجوز أن يكون مفعولاً مطلقاً مقدماً على فعله وهو ينتزعه، ويكون (ينتزعه) حالاً من الضمير في يقبض، تقديره إن الله لا يقبض العلم حال كونه ينتزعه انتزاعاً من العباد[3] وعلى القول الأول يكون قوله: (انتزاعاً) توكيداً للفعل يقبض ويفيد معنى شدة القبض والإزالة لأثر العلم وذلك بنزعه في وعائه وهو العلماء، وعلى الثاني: يكون (انتزاعاً) مقدماً على فعله وهو (ينتزعه) وهذا التقديم يفيد أن الله لا يقبض العلم حال كونه منتزعاً من بين الناس على سبيل أن يرفعه من بينهم إلى السماء أو يمحوه من صدورهم بل يقبضه بقبض العلماء مما يؤكد أهمية العلم وخطر غياب العلماء وضرورة التواصل العلمي بين مختلف الأجيال، وقوله: (ولكن يقبض العلم بقبض العلماء) ولكن للاستدراك وقوله: (يقبض العلم) ذكر المسند إليه (العلم) مع إمكان الاستغناء بذكره سابقاً من قبيل وضع المظهر موضع

---

(١) عمدة القارى ١٨٥/٢.

(٢) ينظر: شرح المفصل للزمخشرى، ص ٥٥، تحقيق د. على بو ملحم .

(٣) عمدة القارى ١٨٤/٢.

المضمر لزيادة تعظيم المضمر كما في قوله تعالى ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾[١] بعد قوله ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[٢] وكان مقتضى الظاهر أن يقال: هو الصمد كما أن المقتضى هنا: ولكن يقبضه[٣].

وقوله: (حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً) و(حتى) في العبارة تحكي حدوث القبض درجة درجة وكأن هذا القبض صار شبحاً يطارد أطياف النور حتى يترك الأرض ظلاماً يتخبط أهلها في الجهل يلتمسون قائداً فلا يجدون إلا أعمى يقود بصيراً إلى هاوية وسوء مصير، (وإذا) أداة شرط تدل على تحقق الوقوع و(لم) أداة نفي على التأبيد لا تدع مجالاً لرجوع وتقلب الفعل المضارع ماضياً لكن دخول إذا التي للاستقبال أحدث توازناً أبقى الفعل المضارع على أصله،وقوله: (لم يبق عالماً) نكر كلمة (عالماً) لإفادة التعميم لوقوعها في سياق النفي، وكلمة (الناس) تدل على أن الفعل - وهو اتخاذ الرؤوس الجهال - شمل الجميع وانتشر الجهل، وجمع كلمة (رؤوساً) يؤكد هذا الشمول وانتشار الجهل. وقوله (جهالاً) جمع (جاهل) على وزن فاعل تفيد الثبوت والدوام، وقوله: (فسئلوا فأفتوا بغير علم. ..) الفاء الأولى في الجملة عطفت جملة السؤال على جملة الاتخاذ ورتبت المعطوف على المعطوف عليه دون مهلة، مما يؤكد الاندفاع وعدم التروي في اختيار الشخص المستفتى مما يجعل الخطأ في الفعل مشتركاً بين المفتي والمستفتى وبين الناس ورؤوسهم، وقوله: (فأفتوا بغير علم) تتابع الفاءات يدل على تسارع الأحداث، وتلاحقها، وينادي بجرأة هؤلاء، ويؤكد جهلهم الذي جعلهم يفتون دون تروي ويقودون الناس إلى غير طريق لأنهم يسيرون على غير هدى.

وقوله: (بغير علم) إيغال أفاد تأكيد جهلهم لأن قوله قبلها (اتخذ الناس رؤوساً جهالاً) يؤكد أن فتواهم بغير علم فجاء قوله ليؤكد أنهم غير أهل للتصدر للفتوى مما ينادي بضلالهم وضلال من يفتونهم ويرصد لجملة الختام،في قوله: (فضلوا وأضلوا)

---

(١) سورة الإخلاص: ٢.

(٢) سورة الإخلاص: ١.

(٣) عمدة القاري / جـ ٢ / صـ١٨٤.

يعني فضلوا في أنفسهم وأضلوا السائلين، وتتابع الفاءات في قوله ﷺ (فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا) يفيد عدة دلالات منها:

أ- التسرع وعدم التروي في اختيار من يستفتى.

ب- الخفة والنزق والجهل المستحكم لهؤلاء الرؤوس المفهوم من سرعة إفتائهم وجملة الإيغال (بغير علم).

ج- وحدة العاقبة والمصير للمفتي والمستفتي حيث أن كلاهما في الضلال.

د- شمول العقاب إذ لا يتوقف ضرر غياب العلماء وترؤس الجهال - على فرد دون فرد بل يشمل المجموع يفهم ذلك من اتصال واو الجماعة بالأفعال الأربعة.

هـ- سرعة العقاب لأن حاجة الناس للمعرفة لا تقتصر على أمور الدين بل يحتاجون لمن يرشدهم ويفتيهم في أمور دنياهم مما يعجِّل بالهلاك ويشل حركة الحياة.

والحديث بأساليبه البلاغية المختلفة أكد حقيقة غابت عن الناس وهي أن ذهاب العلم وعموم الجهل مفضٍ إلى الهلاك المترتب على غياب العلماء، واتخاذ رؤوس جهال يتصدرون للفتوى فيقودون المجتمعات إلى هلاك محقق[1].

فقه الحديث

قال ابن حجر:

(١ - استدل بهذا الحديث على جواز خلو الزمان عن مجتهد وهو قول الجمهور خلافًا لأكثر الحنابلة[2].

٢ - وفي الحديث الزجر عن ترئيس الجاهل لما يترتب عليه من المفسدة.

٣ - وقد يتمسك به من لا يجيز تولية الجاهل بالحكم، ولو كان عاقلاً عفيفًا، لكن إذا دار الأمر بين العالم الفاسق والجاهل العفيف، فالجاهل العفيف أولى، لأن ورعه يمنعه من الحكم بغير علم فيحمله على البحث والسؤال.

---

(١) ينظر الشرح الكامل في كتاب بلاغة الرسول ﷺ في تقويم الأخطاء د. ناصر راضي الزهري.

(٢) وفي المسألة نقاش طويل انظره في فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/٢٨٦ - ٢٨٧.

٤ - وفي الحديث أيضًا حض أهل العلم وطلبته على أخذ بعضهم عن بعض. وفيه شهادة بعضهم لبعض بالحفظ والفضل. وفيه حضّ العالم طالبه على الأخذ عن غيره ليستفيده ما ليس عنده)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيًا: من واجبات الداعية: طلب العلم وبيان فضله.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحذر من الإفتاء بغير علم.

أولاً - من أساليب الدعوة: التوكيد:

إن التوكيد من الأساليب الدعوية المهمة التي يفيد منها الداعية في التأكيد على الأمور المهمة في نفوس المدعوين. وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من تأكيده ﷺ على قبض العلم وذلك بقوله ﷺ "إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء".

ثانيًا - من واجبات الداعية: طلب العلم وبيان فضله:

هذا ما يستفاد من نص الحديث، قال ابن عثيمين: (وفي هذا الحديث حث على طلب العلم؛ لأن الرسول ﷺ أخبر بأن العلماء سيموتون وذلك لأجل أن نتحاشى ونتدارك هذا الأمر ونطلب العلم)[2]، وقد بين ابن القيم على أهمية طلب العلم وتحصيله فقال: (إنه سبحانه أمر نبيه أن يسأله مزيد العلم فقال تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾[3] وكفي بهذا شرفًا للعلم أن أمر نبيه أن يسأله المزيد منه)[4]، (ومما لا شك فيه أن الآخذ بالعلم آخذ

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٨٦/١٢ - ٢٨٧.

(٢)انظر: شرح رياض الصالحين ١٤٩٠/٢ - ١٤٩١.

(٣) سورة طه، آية: ١١٤.

(٤) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ٥٠/١.

بالبداية الصحيحة إذ العلم مقدم على القول والعمل كما قال تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾[١] وبالعلم يحوز الداعية الرفعة في الميزان الرباني وفق قوله تعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾[٢] والسعي في طلب العلم تحقيق للغاية التي أرادها الله ووجه إليها في قوله ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[٣] وإذا سلك الداعية طريق العلم حظي بالخيرية الربانية الثابتة في حديث الرسول ﷺ ((مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ الله لَهُ طَرِيقًا إلى الجَنَّةِ))[٤][٥] فعلى الداعية أن يوقن أن العلم أشرف ما رغب فيه الراغب، وأفضل ما طلب وجد فيه الطالب، وأنفع ما كسبه واقتناه الكاسب)[٦]. فيجتهد في تحصيله.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: الحذر من الإفتاء بغير علم:

هذا ما أشار إليه الحديث من قوله ﷺ "حتى إذا لم يبق عالمًا، اتخذ الناس رؤوسًا جُهالاً فسئلوا فافتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا" قال النووي: (أي أنه يموت حملته - أي العلم - ويتخذ الناس جهالاً يحكون بجهالتهم فيضلون ويضلون)[٧]، قال ابن القيم: (وقد حرم الله سبحانه القول عليه بغير علم في الفتيا والقضاء، وجعله من أعظم المحرمات، بل جعله في المرتبة العليا منها، فقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى

---

(١) سورة محمد، آية: ١٩.

(٢) سورة المجادلة، آية: ١١.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٢٢.

(٤) أخرجه مسلم، ٢٦٩٩.

(٥) مقدمات الداعية الناجح، د. علي بادحدح، ٦٣.

(٦) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ٤٠.

(٧) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٨٢.

ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[١] فرتب المحرمات أربع مراتب، وبدأ بأسهلها وهو الفواحش، ثم ثنى بما هو أشد تحريمًا منه وهو الإثم والظلم، ثم ثلّث بما هو أعظم تحريمًا منهما وهو الشرك به سبحانه، ثم ربّع بما هو أشد تحريمًا من ذلك كله وهو القول عليه بلا علم، وهذا يعم القول عليه سبحانه بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله وفي دينه وشرعه وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَـٰذَا حَلَـٰلٌ وَهَـٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٢] فتقدّم إليهم سبحانه بالوعيد على الكذب عليه في أحكامه، وقوله لما لم يحرمه: هذا حرام، ولما لم يحله: هذا حلال، وهذا بيان منه سبحانه أنه لا يجوز للعبد أن يقول: هذا حلال وهذا حرام إلا بما علم أن الله سبحانه أحله وحرمه)[٣].

وقد أكد النبي ﷺ على شدة الوعيد في ذلك قائلاً: ((مَنْ قالَ عَلَيَّ ما لَمْ أَقُلْ فَلْيَتَبَوَّأْ بيتًا في جهَنَّمَ، ومَنْ أَفْتَى بغيرِ علمٍ كانَ إِثْمُهُ عَلَى مَنْ أَفْتَاهُ، ومَنْ أَشَارَ على أخيهِ بأمرٍ يَعْلَمُ أَنَّ الرُّشْدَ في غيرِهِ فقد خانَهُ))[٤].

قال صاحب عون المعبود: (وقوله ﷺ "من أفتى بغير علم" على بناء المفعول أي من وقع في خطأ بفتوى عالم فالإثم على ذلك العالم وهذا إذا لم يكن الخطأ في محل الاجتهاد أو كان إلا أنه وقع لعدم بلوغه في الاجتهاد حقه. قاله في "فتح الودود".

وقال القاري: على صيغة المجهول، وقيل من المعلوم يعني كل جاهل سأل عالمًا عن مسألة فأفتاه العالم بجواب باطل فعمل السائل بها ولم يعلم بطلانها فإثمه على المفتي إن

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٢٣.

(٢) سورة النحل، آية: ١١٦ - ١١٧.

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ٣٦ - ٣٧، مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٦٤٤/١ - ٦٤٥.

(٤) أخرجه أبو داود ٣٦٥٧، وحسنه الألباني لبدون ذكر "من قال علي ما لم أقل فليتبوأ بيتًا في جهنم) (صحيح سنن أبي داود ٣١٠٥)، وأخرجه أحمد ٣١٢/٢، رقم ٨٢٦٦، وقال محققو المسند: إسناده ضعيف ١٧/١٤.

قصر في اجتهاده وقوله ﷺ "ومن أشار على أخيه" في "القاموس"[1] أشار عليه بكذا أمره، واستشار طلبه المشورة انتهى، والمعنى أن من أشار على أخيه وهو مستشير وأمر المستشار المستشير بأمر قاله القاري. وقوله ﷺ "يعلم" والمراد بالعلم ما يشمل الظن "أن الرشد" أي المصلحة "في غيره" أي غير ما أشار إليه "فقد خانه" أي خان المستشار المستشير إذ ورد أن المستشار مؤتمن، ومن غشنا فليس منا)[2].

(١) القاموس المحيط، الفيروز آبادي ٤٢١.

(٢) عون المعبود على سنن أبي داود، شرف الحق العظيم آبادي، ١٥٦٤.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية العملية للنشء المسلم:

على الأسرة التي هي المحضن الأول لتربية النشء المسلم، أن تَعْلَم أن العلمَ هو أول مطالبها ومبلغ همتها في تربية النشء المسلم، فإن أحسنت إيداعه وأقامت إبداعه، تحقق فضله وعَظُمَ خيره.

"وقد حَمَّل الإسلام الوالدين والمربين مسؤولية كبرى في تعليم الأولاد وتنشئتهم على الاغتراف من معين الثقافة والعلم، فأول شيء يجب أن يتعلمه الناشئ القراءة، وأفضل ما يقرأ كتاب الله لأن أول آية من كتاب الله نزلت تحض على القراءة، قال الله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[1]، ولقد تعددت الشواهد والأدلة التي تدعو إلى العلم وتمجد العلماء.

وانطلاقًا من هذا المفهوم ينبغي على المربين والمعلمين أن يرغبوا الناشئين في العلم والتعليم، ويتعين على الوالدين مواصلة تعليم النشء وتربيته، بحسب ما تقتضيه مراحل نموه، فيعلم كيفية النطق ثم الكلام، ثم يؤخذ بتعليم القراءة والكتابة، ومعرفة أمور دينه ودنياه" [2].

ومفهوم العلم الذي يشيد به القرآن ويدعو إليه في تربية النشء هو العلم بمفهومه الشامل الذي ينتظم به كل ما يتصل بالحياة. ولا يقتصر على علم الشريعة أو العلم الديني، كما يتبادر إلى بعض الأذهان، أو ما ذاع في عهود التخلف عن القرآن؛ فقد دعا القرآن إلى النظر في ظواهر الوجود، ومظاهر الحياة، وجعل من الكون كتابًا للمعرفة، ووجه القلوب والعقول والأبصار إلى بدائع صنع الله فيه، ودعا إلى التفكر في آياته، واستكناه أسراره، وفهم نظمه ونواميسه، ففتح بهذا العرض والتوجيه باب

---

(١) سورة العلق، الآيات: ١-٥.

(٢) تربية الطفل في الإسلام، د. أحمد محمود الحمد، ١٣٥-١٣٦.

العلم، وحرر العقول، والتفكير من أسرار الجمود والجهل، وأغرى بالبحث والدراسة والعلم [1] لما في مخالفة ذلك من خطر عظيم؛ حيث يتخبط النشء في ظلمات الجهل بعيدًا عن نور المعرفة، وربما ضربته أمواج الشبهات وأحاطت به أعاصير الشهوات، فكانت الحسرة والندامة[2].

وحتى يتسنى للمربي والمعلم تربية النشء المسلم تربية علمية، عليه أن يراعي بعض الوسائل في ذلك والتي منها:

١- تعريف النشء المسلم بمعنى العلم وفضائله العديدة حتى يقفوا على أهميته، ومن ثم تتوق أنفسهم إليه، ويحرصون عليه، ويبذلون في طلبه كل نفيس.

٢- تعريف النشء المسلم بضرورة التعليم، وأهمية طلب العلم التي لا يغفل عنها إلا غافل، ولا يجحدها إلا منكر جاهل.

٣- تعريف النشء المسلم بالأسباب المعينة على طلب العلم حتى يأخذوا بها مستعينين بعد توكلهم على ربهم ومولاهم واستعانتهم به ابتداءً؛ فيُسهل عليهم الطرق الصعاب، ويهوِّن عليهم الأمر؛ فيتعلمون دونما عناء، ولا يجدون في طريقهم أي شقاء [3].

ثانيًا- تربية الهمة العالية لطلب العلم:

إن تربية الهمة العالية في طلب العلم، وغرسها في نفوس المتعلمين، من أبرز المهمات التي تقع على كاهل المربين والمعلمين، فما من شيء أنفع لطالب العلم من همة عالية تعينه على الصبر والمثابرة في طلب العلم وتعلمه.

وقد تضمنت أحاديث الباب، الحث على تربية الهمة العالية لطلب العلم، ويظهر ذلك من قوله ﷺ: (مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فيه عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ)، وقوله ﷺ: (فَضْلُ الْعَالِمَ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ).

وتكون تربية الهمة العالية في طلب العلم بإبراز همة السلف الصالح في ذلك والتي منها:

---

(١) منهج القرآن في التربية، محمد شديد، ١٣٧-١٣٨.

(٢) الموسوعة الأم في تربية الأولاد في الإسلام، د. احمد مصطفى متولي، ١٧٥/٢.

(٣) المرجع السابق، ١٧٥.

قول النووي: "كنت أقرأ كل يوم اثني عشر درسًا على المشايخ شرحًا، درسين في الوسيط، ودرسًا في المهذب، ودرسًا في الجمع بين الصحيحين، ودرسًا في صحيح مسلم، ودرسًا في اللمع لابن جني، ودرسًا في إصلاح المنطق لابن السكيت في اللغة، ودرسًا في التصرف، ودرسًا في أصول الفقه، ودرسًا في أسماء الرجال، ودرسًا في أصول الدين.

وقال: بعد أن نُوزِع مرة في النقل عن الوسيط: أتنازعوني وقد طالعته أربعمائة مرة.

وقال: فلما كان عمري تسع عشرة سنة، قدم بي والدي إلى دمشق سنة تسع وأربعين، فسكنت المدرسة الرواحية، وبقيت نحو سنتين لم أضع جنبي إلى الأرض...، وحفظت التنبيه في أربعة أشهر ونصف، وحفظت ربع المهذب في باقي السنة"[١].

وكان من الهمة العالية في طلب العلم قول ابن عابدين في مقدمة حاشيته للرد على الدر المختار: "وقد كنت صرفت في معاناته برهة من الدهر، وبذلت له مع المشقة شقة من جديد العمر، واقتنصت بشبكة الأفهام أجل شوارده، وقيدت بأوتاد الأقلام جلىّ أوابده، وصرت في الليل والنهار سميره، حتى أسرَّ إلي سرّه وضميره، وأطلعني على حوره المقصورة في الخيام، وكشف لي عن وجوه مخدّراته اللثام، فطفقت أوشي حواشي صحائفه اللطيفة، بما هو في الحقيقة بياض للصحيفة، ثم أردت جمع تلك الفوائد، وبسط سمط هاتيك الموائد، من متفرقات الحواشي والرقاع، خوفًا عليه من الضياع"[٢].

فهذه هي همة العلماء التي أضاءت بسبل الطالبين وكشفت عن طريق المسترشدين لتعلم العلم وتحصيله.

ثالثًا: غرس الإخلاص في نفوس المتعلمين:

مما لا شك فيه أن العلم من أجلّ العبادات، وأعظم الطاعات، ولا تستقيم طاعة ولا تقبل عبادة إلا بالإخلاص بين يدي العزيز الوهاب؛ لذا كان غرس الإخلاص في نفوس طلاب العلم من أجل الأعمال التي يجدر بالمربين والمعلمين القيام بها على أتم وجه، وذلك بإفراد الحق سبحانه بالقصد في طلب العلم.

---

(١) المنهج السوي في ترجمة الإمام النووي، جلال الدين السيوطي، مطبوع ضمن كتاب روضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ١/٥٤، ٥٥، ٥٨.

(٢) رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ١/٦٩، ٧٠.

وقد بيّن النبي ﷺ أن من ترك الإخلاص لله في طلب العلم لم يجد عرف الجنة يوم القيامة، وحتى يتسنى غرس الإخلاص في نفوس طلاب العلم، وجب "الحث على مجاهدة النفس ومصابرتها لتنقاد مع المخلصين، وذلك فضلاً عن ملازمة تقوى الله، واستحضار عظمة الباري جل وعلا.

وقد كان من أعظم وسائل غرس الإخلاص في نفوس طلاب العلم، القراءة في أخبار العلماء المخلصين ومعرفة أحوالهم ليكسب طالب العلم معرفة بهم، وقدوة في شمائلهم.

قال أبو حنيفة: "الحكايات عن العلماء ومحاسنهم أحبُ إلى من كثير من الفقه لأنها آداب القوم؛ قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾[1]"[2]، وقد كان من أخبار السلف في ذلك قول الشافعي: "لوددت أن الخلق يتعلمون مني، ولا ينسب إليّ منه شيء"[3].

وقال الحسن البصري: "إن كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به جاره، وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس، وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزوار وما يشعرون به، ولقد أدركنا أقوامًا ما كان على ظهر الأرض من عمل يقدرون على أن يعملوه في سرّ فيكون علانية أبدًا"[4].

وأخيرًا... فإن من أعظم الوسائل في غرس الإخلاص في قلوب المتعلمين هو تعلم الدعاء والإلحاح على الله تعالى في ذلك؛ حيث إن قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن، كما جاء في الحديث الشريف[5].

۞ ۞ ۞

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩٠.

(٢) آداب المتعلمين، د. أحمد بن عبدالله الباتلي، ط١، دار القاسم، المملكة العربية السعودية، ط١٥-١٧ باختصار.

(٣) صفة الصفوة، ابن الجوزي، ٢/٢٥١.

(٤) الزهد، ابن المبارك، ص٤٥.

(٥) أخرجه مسلم ٢٦٥٤ من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

١٣- كتاب حمد الله تعالى وشكره

٢٤٢- باب وجوب الشكر

قَالَ اللَّه تَعَالَى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ﴾[البقرة: ١٥٢] وقال تَعَالَى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾[إبراهيم: ٧] وقال تَعَالَى: ﴿وَقُلِ الحَمْدُ للهِ﴾[الإسراء: ١١١] وقال تَعَالَى: ﴿وآخِرُ دَعْوَاهُمْ أنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾[يونس: ١٠].

الحديث رقم (١٣٩٥)

١٣٩٥ - وعن أَبي هريرة ﷺ: أنَّ النبيَّ ﷺ، أُتيَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ[1] بِقَدَحَيْنِ مِنْ خَمْرٍ وَلَبَنٍ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمَا فَأَخَذَ اللَّبَنَ. فَقَالَ[2] جبريل: الحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَاكَ لِلفِطْرَةِ لَوْ أخَذْتَ الخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ. رواه مسلم[3].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

بقدحين: مثنى قدح وهو إناء يشرب فيه الماء ونحوه[4].

الفطرة: الإسلام والاستقامة[5].

غوت أمتك: ضلت وانهمكت في الشر[6].

الشرح الأدبي

قضى الله تعالى بفضله، ومنته على عباده الصالحين بالرشاد، والهدى، وفطرهم

---

(١) عندهما زيادة: (بإيلياء).

(٢) عند مسلم زيادة: (له).

(٣) (١٦٨/٢٧٢، كتاب الأشربة، باب ١٠). وأخرجه أيضًا البخاري (٤٧٠٩).

(٤) اللسان والوسيط في (ق د ح).

(٥) شرح صحيح مسلم ١٢٧٦.

(٦) المرجع السابق ١٢٧٦.

على ما يحقق تلك الهداية، وأطهر فطرة، وأنقاها فطرة رسول الله التي صفت، وراقت فانساقت وفق مقتضى مرضاة الله تعالى في الأزل، وهذا الحديث يحكي صدى هذه الفطرة، وانعكاسها على اختيار الرسول ﷺ ليلة الإسراء، وبناء الفعل (أسري) للمفعول فيه إشارة إلى أن ما حدث في هذه الليلة ليس بقدرة جسدية أو عقلية للرسول ﷺ، وإنما هي قدرة الله الذي حمله، ولذلك من الجهل اللغوي، والعجز الفكري أن يتعجب متعجب من كيفية قطع الرسول ﷺ لهذه المسافة في ليلة في زمن أسرع وسيلة نقل فيه هي الإبل، والخيل، وقوله (بقدحين) يشير إلى التخيير؛ لأن من يريد أي يسقي ضيفه شرابا معيناً لا يقدّم له كوبين، وهو مثنى فسره بما بعده، وهو من أسلوب التوشيع الذي يشوق للمعنى، ويؤكده، وقوله (فنظر إليهما) نظرة فكر، وتأمل قبل الفعل، وهو ما يجب أن يكون عليه كل مسلم بعده في النظر، والتفكير فيما ينوي أن يقدم عليه من الأفعال فإن كان خيرا أتاه، وإن كان شرا تركه، وابتعد عنه، وقوله (فأخذ اللبن) الربط بالفاء تشير إلى سرعة اتخاذ القرار وهي المناسبة للموقف، ولأن معرفة الصواب في الاختيار بين القدحين لا يستغرق وقتا طويلا، وهو ما يشير إلى أن المؤمن لا يتردد في الخير، والصواب ما دام قد تأكد منه، والرسول ﷺ لم يشرب الخمر قبل البعثة، وبعدها مما يشير إلى سلامة الفطرة التي مهّدت لهذا الاختيار، وفي هذا الاختيار إشارة، ورمز إلى موافقة شرائع الأمة المحمدية لما يصلح عليه حال النفوس البشرية في كل زمان، ومكان، وقول جبريل عليه السلام: (الحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَاكَ لِلفِطْرَةِ لَوْ أَخَذْتَ الخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ) يشير إلى محبة جبريل عليه السلام للنبي ﷺ، وأمته وقوله (هداك للفطرة) يقرر أن مرد الفضل، والنعمة لله تعالى، وهو الموفق، وهي عقيدة يرسِّخها في معتقد الأمة إلى يوم القيامة، حتى يتحرك المؤمن بالأسباب، وهو على يقين من أن الفضل ابتداً وانتهاءً من عند الله - عز، وجل -، وقوله (لو أخذت الخمر غوت أمتك) أسلوب شرط يعلق الغواية على اختيار الخمر؛ لأن الخمر متعة تكتنفها مهلكة؛ لأنها تذهب العقل، والإنسان بدون العقل بهيم فاقد الأهلية، واختيار الرسول ﷺ للبن اختيار لما فيه المتعة الحسية في الطعم اللذيذ، والمنظر الحسن، والتقوية المعنوية، مع خلوه من التبعة المهلكة التي في الخمر، وهو الموافق للفطرة،

وما وقع في الحديث رمز لموافقة الشرائع المحمدية لطبيعة البشر في كل زمان، ومكان -والله أعلم-.

فقه الحديث

١- بوّب النووي على هذا الحديث في شرحه لصحيح مسلم "باب جواز شرب اللبن"[(١)].

٢- قال النووي: (قوله: "الحمد لله" فيه استحباب حمد الله عند تجدد النعم وحصول ما كان الإنسان يتوقع حصوله وأنه ناع ما كان يخاف وقوعه)[(٢)].

المضامين الدعوية

أولاً: من تاريخ الدعوة: الإسراء بالنبي ﷺ.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الإسلام دين الفطرة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: أهمية التفاؤل بالبشائر الحسنة والأمور السارة.

أولاً- من تاريخ الدعوة: الإسراء بالنبي ﷺ:

كان الإسراء بالنبي ﷺ معلمًا بارزًا في تاريخ الدعوة الإسلامية، حيث كان تكريمًا للنبي ﷺ ومواساة له وتثبيتًا وتأييدًا في مواجهة قوى الشرك وقد وردت الإشارة إلى الإسراء في الحديث "أن النبي ﷺ أتى ليلة أسرى به بقدحين..."، وقد أكرمه الله تعالى به قبل الهجرة، والإسراء مذكور في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[(٣)]،[(٤)]، وذلك أن الله يتيح لرسله فرص الاطلاع على المظاهر الكبرى لقدرته حتى يملأ قلوبهم ثقة فيه واستنادًا إليه،

---

(١) وساق تحته الأحاديث ٢٠٠٩، ٩٠، ٩١، ٩٢.

(٢) شرح صحيح مسلم، مج٧/ج١٣/١٥٤، ط دار الكتب العلمية.

(٣) سورة الإسراء، آية: ١.

(٤) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، الشيخ محمد الخضري، ص ٤٤، ٤٥.

إذ يواجهون قوى الكفر المتألبة ويهاجمون سلطانهم القائم، وإن جهاد الدعوة الذي حمله النبي ﷺ على كواهله، عرضه لعواصف عاتية، فمن تطمين الله له ومن نعمائه عليه أن يهيئ له هذه الرحلة لتمس فؤاده المعنى ببرد الراحة، وليشعر أنه بعين الله، مذ قام يوحده ويعبده، ويعلم البشر توحيده وعبادته[١]. وكان في مسراه ﷺ أمر من الله في قدرته وسلطانه فيه عبرة لأولي الألباب وهدى ورحمة وثبات لمن آمن وصدق وكان من أمر الله على يقين فأسرى به كيف شاء وكما شاء ليريه من آياته ما أراد حتى عاين ما عاين من أمره وسلطانه العظيم وقدرته التي يصنع بها ما يريد[٢].

لقد أكرم الله رسوله ﷺ برحلة الإسراء والمعراج في وقت ضاقت عليه الأرض وتكاثرت عليه الهموم، بعد أن فقد ناصريه زوجه خديجة وعمه أبو طالب، ووجد إعراضًا ومجاهرة بالعداوة خاصة بعدما خرج إلى الطائف داعيًا إلى الله، إلا أنهم قابلوه بأشد أنواع الأذى حتى أدموا عقبية.

(عاد النبي ﷺ من الطائف مهموم النفس، جريح الفؤاد، لا لما ناله من الأذى فذلك أمر يهون، ولكن خوفًا على الدعوة أن لا تجد مكانًا صالحًا لانتشارها، فقد كان ﷺ يرجو من وراء رحلته المضنية إلى الطائف خيرًا للدعوة، ومؤازرة لها، ولكنه وجد أهلها أسوأ من أهل مكة، وأجهل وأسفه، وكيف حَالَ مشركو مكة بينه وبين دخول بلده لولا أن أجاره المطعم بن عدي سيد من سادات قريش، فتمكن من دخولها، والطواف حول الكعبة.

وفي هذه الغمرة من المآسي والأحزان، وصدود القوم عن الإيمان، ومحاربة الدعوة الإسلامية بكل الوسائل والطرق، وبعد هذه الشدائد المتلاحقة؛ كان من رحمة الله بعبده وحبيبه محمد صلوات الله وسلامه عليه أن يُسرِّي عن نفسه الجريحة، وفؤاده المحزون، فكان الإسراء والمعراج.

فقد شاهد من آيات ربه الكبرى ما شاهد، وعاين من أمارات العناية الإلهية به

---

(١) فقه السيرة، الشيخ محمد الغزالي، ص ١٣٢، ١٣٣.

(٢) البداية والنهاية، الحافظ ابن كثير، ج٤/ ٢٧١.

وبدعوته ما زاده يقينًا إلى يقين بإنجاح دعوته، وتبليغ رسالة ربه، ونصره على أعدائه، وأطلعه الله سبحانه من ملكوته العظيم على ما أطلعه عليه مما ملأ نفس الرسول ﷺ رِضىً عن الله، وقلبه نورًا وطمأنينة، وصدره ثلجًا وانشراحا)[1].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الإسلام دين الفطرة:

ورد بيان ذلك في الحديث"أن النبي ﷺ أتى ليلة أسرى به بقدحين من خمر ولبن فنظر إليهما فأخذ اللبن، فقال جبريل عليه السلام: الحمد لله الذي هداك للفطرة، لو أخذت الخمر لغوت أمتك" وفسروا الفطرة هنا بالإسلام والاستقامة، ومعناه والله أعلم اخترت علامة الإسلام والاستقامة، وجعل اللبن علامة ذلك لكونه سهلاً طيبًا طاهرًا سائغًا للشاربين سليم العاقبة[2]. وقد تضافرت النصوص على أن الإسلام هو دين الفطرة، قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[3]، فإن الله تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده وأنه لا إله غيره[4]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: ما من مولود يولد إلا على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟ قال تعالى: "فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم"[5].

وقد جاءت تعاليم الإسلام متوافقة مع الفطرة التي فطر الله الخلق عليها، لأنه سبحانه هو الخالق وهو العليم بما يصلح خلقه، وقد جاءت الإشارة إلى الهداية للفطرة في الحديث في قول جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ "الحمد لله الذي هداك للفطرة، لو أخذت الخمر لغوت أمتك".

---

(١) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، د. محمد أبو شهبة، ١/٤٠٧.

(٢) دليل الفالحين، الإمام ابن علان، ١٤٦٥.

(٣) سورة الروم، آية: ٣٠.

(٤) تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، ٦/٣١٤.

(٥) أخرجه البخاري ٤٧٧٥، و مسلم ٢٦٥٨.

قال القاضي: (المراد بها الفطرة الأصلية التي فطر الناس عليها فإن منها الإعراض عما فيه غائلة وفساد، كالخمر المخل بالعقل: الداعي إلى الخير، الوازع عن الشر المؤدي إلى صلاح الدارين وخير المنزلين، والميل إلى ما فيه نفع خال عن مضرة دنيوية ومضرة دينية كشرب اللبن فإنه من أصلح الأغذية وأول ما حصل به التربية[1].

وقال ابن الملك في المرقاة: (وفي هذا القول له عند أخذ اللبن لطف ومناسبة، فإن اللبن لما كان في العالم الحسي ذا خلوص وبياض، وأول ما يحصل به تربية المولود: صيغ منه في العالم القدسي مثال الهداية والفطرة التي يتم بها القوة الروحانية، بخلاف الخمر، فإنها لكونه ذات مفسدة: صيغ منها مثال الغواية وما يفسد القوة الروحانية)[2].

(إن في اختيار النبي ﷺ اللبن على الخمر حينما قدمها له جبريل عليه السلام دلالة رمزية على أن الإسلام هو دين الفطرة، أى الدين الذي ينسجم في عقيدته وأحكامه كلها مع ما تقتضيه نوازع الفطرة الإنسانية الأصيلة، فليس في الإسلام شيء مما يتعارض والطبيعة الأصيلة في الإنسان، ولو أن الفطرة كانت جسمًا ذا طول وأبعاد لكان الدين الإسلامي الثوب المفصل على قدره، وهذا من أسرار سعة انتشاره وسرعة تقبل الناس له. إذ الإنسان مهما ترقى في مدارج الحضارة وغمرته السعادة المادية، فإنه يظل نزاعًا إلى استجابة نوازع الفطرة لديه، ميالاً إلى الانعتاق عن ربقة التكلفات والتعقيدات البعيدة عن طبيعته، والإسلام هو النظام الوحيد الذي يستجيب لأعمق نوازع الفطرة البشرية)[3].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: أهمية التفاؤل بالبشائر الحسنة والأمور السارة:

أشير إلى ذلك في الحديث في اختيار النبي ﷺ اللبن دون الخمر، وقول جبريل عليه السلام له "الحمد لله الذي هداك للفطرة، لو أخذت الخمر لغوت أمتك"، قال

---

(١) إكمال المعلم ١/٢٠٦.

(٢) موسوعة فتح الملهم، الشيخ شبير أحمد العثماني، ٢/٢٤٦.

(٣) فقه السيرة النبوية، د. محمد سعيد رمضان البوطي، ص ١٦٧.

الإمام ابن علان: "فيه إيماء إلى التفاؤل بالفأل الحسن"[١]، وجاء في فضل التفاؤل والتبشير ما روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال: "لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل، الكلمة الحسنة والكلمة الطيبة"[٢]، قال الماوردي: فينبغي لمن تفاءل أن يتأول تأويلاته، ولا يجعل لسوء الظن على نفسه سبيلا[٣]، وإنما كان النبي ﷺ يعجبه الفأل، لأن التشاؤم سوء ظن بالله تعالى بغير سبب محقق، والتفاؤل حسن ظن به، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال[٤]، إضافة إلى ما في الفأل الحسن من جلب للسعادة إلى النفس والقلب وتقوية للعزائم ومعونة على الظفر وباعث على الجد[٥].

---

(١) دليل الفالحين ١٤٠٢.

(٢) أخرجه البخاري ٥٧٥٦، ومسلم ٢٢٢٤.

(٣) أدب الدنيا والدين، الإمام الماوردي، ٢٠.

(٤) فتح الباري، الحافظ ابن حجر العسقلاني، ٢٢٦/١٠.

(٥) موسوعة نضرة النعيم ١٠٤٩/٣.

الحديث رقم (١٣٩٦)

١٣٩٦ - وعنه، عن رسول الله ﷺ قَالَ: ((**كُلُّ امْرٍ ذِي بَالٍ لاَ يُبْدأُ فِيهِ بِالحَمْدُ للهِ فَهُوَ اقْطَعُ**)). حديث حسن، رواه أَبُو داود[١] وغيره.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

ذي بال: ذي شأن يهتم به[٢].

أقطعُ: ناقص البركة[٣].

الشرح الأدبي

الحديث يقرر في قاعدة شرعية فضيلة من فضائل الأعمال من شأنها أن تربط المؤمن بربه في تقلُّبه لمعاشه، ومعاده، ثم إنه أرادها قاعدة كلية ترتبط بها حركة التمام في العمل، وتضم الجميع تحت مظلتها وقد حقق هذا لمعنى عن طريق لفظ الشمول (كل) الذي صدَّر الحديث به ثم أضافه إلى لفظ (أمر) النكرة الذي تعرف به، ومعناه يعطي عموم الشأن الذي يعتري كل إنسان، وقوله (ذي بال) البال الخطر أي كل أمر له أهمية، وقيمة، والعبارة تكميل بلاغي يخص الأعمال ذات القيمة عند صاحبها، وأكثر أمور المؤمن ذات بال؛ لأنها مرتبطة بحركته في رضا ربه، فترتبط

---

(١) برقم (٢٨٤٠). قال أبو داود: رواه يُونس، وعقيل، وشعيب، وسعيد بن عبد العزيز، عن الزهريِّ مُرسلًا. ورجّحه الدارقطني في العلل (٢٢٩/١) حيث قال: تفرد به قرّة، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هُريرة، وأرسله غيره، عن الزهريّ، عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقرّة: ليس بالقوي في الحديث. وقال: ورواه صدقة، عن محمد بن سعيد، عن الزهريّ، وصدقة، ومحمد: ضعيفان، والمرسل: هو الصواب. قلتُ: وصحّحه ابن حبان (الإحسان١)، وقال الحافظ ابن حجر كما نقله في الفتوحات الربانية (٢٨٧/٣): حديث حسنٌ. أورده المنذري في ترغيبه (٢٢٢٨).

(٢) اللسان والوسيط في (ب و ل)

(٣) دليل الفالحين ١٤٦٥.

حركته بذلك بذكر الله في صورة الحمد لله تعالى، وهو شكر لنعمة سابقة، ونعمة لاحقة تتضمن الاستعانة بالله؛ لأنه المالك لتحقيق غاية الأمر الذي يسعى فيه الإنسان، وقوله (فهو أقطع) ذكر (هو) الضمير العائد على الأمر توكيد له وتقرير، والتعبير بالقطع يوحي بالتشويه، والنقص، ويبشر بعدم تمامه إما من ناحية عدم تحقيقه لغرضه القريب المقصود للدنيا أو عدم تحقيقه لغرضه الأخروي بالأجر، والثواب الكامل، بل ينتقص من أجره، والمؤمن الذي ينخرط بالعمل بهذه الفضيلة ينتقل من ذكر إلى ذكر الله على الدوام مما يجعله في معية الله، وليس أفضل منها عونا على تمام الأعمال.

فقه الحديث

ذهب جمهور الفقهاء إلى أن الابتداء بحمد الله تعالى في الأمور المهمة مندوب، اقتداء بكتاب الله تعالى، وعملاً بحديث الباب [1].

قال النووي: (قال العلماء: يستحب البداءة بالحمد لله لكل مصنف ودارس ومدرس وخطيب وخاطب ومزوج ومتزوج وبين يدي سائر الأمور المهمة)[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: أهمية بدء الأعمال المشروعة بالحمد.

ثانيًا: من أهداف الدعوة: حث المسلم على الاستعانة بالله، وحمده على نعمه في كل عمل يقوم به.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: أهمية بدء الأعمال المشروعة بالحمد:

إن من كمال بركة الأعمال أن يكون بدؤها بحمد الله تعالى، كما جاء في مفهوم قوله ﷺ في الحديث "كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع" أي

---

(١) رد المحتار ٧/١، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير ٦/١، وحاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح ص ٤، والمجموع ٥/١ ط دار عالم الكتب، وكشاف القناع ١٢/١ (عن الموسوعة الفقهية ١٨/١٢٨-١٢٩).

(٢) المجموع ٥/١ ط دار عالم الكتب.

مقطوع البركة، على وجه المبالغة، أى أقطع من كل مقطوع"[١]، وفي الحديث حث على بدء الأعمال كلها بحمد الله تعالى، ولذا استن العلماء الأقدمون والمحدثون حمد الله في بداية أعمالهم العلمية من تأليف وتدريس وخطابة وغير ذلك، قال الشافعي أحب أن يُقدِّم المرء بين يدي خطبته وكل أمر طلبه حمد الله تعالى والثناء عليه سبحانه وتعالى والصلاة على رسول الله ﷺ[٢].

قال الشيخ ابن عثيمين: "ومن فوائد الحمد أن الإنسان إذا ابتدأ الشيء بحمد الله، فإن الله تعالى يجعل فيه البركة، إذا ابتدأه بحمد الله جعل الله فيه البركة، يعني إذا أراد أن يؤلف كتابًا أو يتكلم في كلام خطبة أو غير ذلك، إذا حمد الله جعل الله فيه البركة، وكل أمر لا يبدأ فيه بحمد الله فهو منزوع البركة"[٣]. وقد جاءت النصوص الكثيرة الآمرة بحمد الله تعالى في ابتداء الأعمال منها قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾[٤]، وابتدأ الله به بعض السور وكثيرًا من القضايا التي عرضها القرآن، فافتتح بسورة الفاتحة بقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٥]، وسورة الأنعام بقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾[٦]، والكهف بقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾[٧]، وغير ذلك.

ثانيًا- من أهداف الدعوة: حث المسلم على الاستعانة بالله، وحمده على نعمه في كل عمل يقوم به:

إن من أهداف الدعوة ومقاصدها: حث المسلم على الاستعانة بالله، فإن صلاح

---

(١) عون المعبود، العظيم آبادي، ٢٠٩٢.

(٢) مقدمة فتاوى النووي، المسماه بالمسائل المنثورة، النووي، ص٨.

(٣) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١٤٩٤/٢.

(٤) سورة النمل، آية: ٥٩.

(٥) سورة الفاتحة، آية: ٢.

(٦) سورة الأنعام، آية: ١.

(٧) سورة الكهف، آية: ١.

العبد في عبادة الله واستعانته به[١]، والعبد محتاج إلى الاستعانة بالله في فعل المأمورات وترك المحظورات، والصبر على المقدورات كلها في الدنيا وعند الموت وبعده من أهوال البرزخ ويوم القيامة، ولا يقدر على الإعانة على ذلك إلا الله - عز وجل - فمن حقق الاستعانة عليه في ذلك كله أعانه الله، ومن ضروب الاستعانة بالله ابتداء كل أمر بحمد الله تعالى[٢]. وقد جاء في الحديث بيان فائدة بدء الأعمال وافتتاحها بحمد الله، فقال ﷺ: "كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع" وإذا تقرر ذلك فإنه ينبغي على المسلم ألا يبدأ عملاً إلا بحمد الله تعالى، ففي ذلك حصول البركة، وتحقيق للمطالب العالية، والمقاصد الجليلة والخير الكامل في الدنيا والآخرة[٣].

إن افتتاح الأعمال بالحمد افتتاح لها بأعظم الكلمات، إنها كلمة تملأ الميزان، كما جاء في صريح الحديث الذي روى عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ. وَالْحَمْدُ لله تَمْلأُ الْمِيزَانَ وَسُبْحَانَ الله وَالْحَمْدُ لله تَمْلآنِ (أَوْ تَمْلأُ) مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ. وَالصَّلاَةُ نُورٌ. والصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ. وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ. وَالْقُرآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ. كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو. فَبَايِعٌ نَفْسَهُ. فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا»[٤].

قال القاضي عياض: قوله: ("والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماوات والأرض": بيان أجر الحمد إذا أضيف إلى التسبيح وقرن به على إفراده، لأنه ملأ الميزان - أي من الأجر - وإذا قرن بالتسبيح كان أجره بقدر ملء ما بين السماوات والأرض، وذهب بعضهم إلى أن ثناء العبودية على شيئين: المعرفة بالله، والافتقار إلى الله، فصفاء معرفة الله بتنزيهه، وكمال الافتقار إليه: أن ترى نفسك في تصريفه كيف شاء، فغاية التنزيه سبحان الله، وفي الحمد لله الافتقار إلى الله، وأنه رأى أقواله وأفعاله بالله، ولم يرها من نفسه)[٥].

---

(١) جامع البيان، الطبري، ٢٩٨/١.

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، ١٨٢/١

(٣) فقه الأدعية والأذكار، عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر، القسمان الثالث والرابع، ص ٣٢٤.

(٤) أخرجه مسلم ٢٢٣.

(٥) إكمال المعلم ٧/٢.

وقال ابن رجب الحنبلي: (فأما الحمد لله، فاتفقت الأحاديث كلها على أنه يملأ الميزان، وقد قيل إنه ضرب مثل، وأن المعنى: لو كان الحمد جسمًا لملأ الميزان، وقيل: بل الله عزو حل يمثل أعمال بني آدم وأقوالهم صورًا ترى يوم القيامة وتوزن)[١].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترهيب:

ورد أسلوب الترهيب في الحديث، حيث رهب النبي ﷺ من ترك ابتداء الأعمال بحمد الله بنزع البركة، فقال ﷺ "كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع"، وأسلوب الترهيب من الأساليب الدعوية التي أُمر بها الداعية في دعوته، فهو أحد ركني الموعظة الحسنة، قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[٢]، قال ابن كثير: "والموعظة الحسنة"، أي بما فيه من الزواجر والوقائع بالناس، ذكرهم بها ليحذروا بأس الله تعالى"[٣]، والترهيب أحد مراتب الدعوة الرئيسة، قال ابن القيم في تفسير الآية: (جعل الله سبحانه مراتب الدعوة بحسب مراتب الخلق فالمستجيب القابل الذكي الذي لا يعاند الحق ولا يأباه: يُدعى بطريق الحكمة، والقابل الذي عنده غفلة وتأخر: يُدعى بالموعظة الحسنة، وهي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب، والمعاند الجاحد يُجادَل بالتي هي أحسن)[٤]، وإن أسلوب الترهيب في الدعوة لمن الأهمية بمكان، فإن ما جاء به الشرع الحنيف كله، بعد الإقرار بالوحدانية وصدق الرسول ﷺ، لا يعدوا أن يكون ترغيبًا في الخيرات وترهيبًا من المعاصي والموبقات، وثمرة ذلك حث المؤمن على الرغبة فيما عند الله تعالى والرهبة من عقابه[٥].

---

(١) جامع العلوم والحكم، ج٢/١٦.

(٢) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦١٢/٤

(٤) التفسير القيم، ص٣٤٤.

(٥) موسوعة نضرة النعيم ٢١٢٧/٦.

الحديث رقم (١٣٩٧)

١٣٩٧- وعن أَبي موسى الأشعري رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ ، قَالَ: ((إِذَا مَاتَ وَلَدُ العَبْدِ قَالَ اللهُ تَعَالَى لِمَلائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدي؟ فيقولون: نَعَمْ، فيقول: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤادِهِ؟ فيقولون: نَعَمْ، فيقول: ماذا قَالَ عَبْدِي؟ فَيقولون: حَمدَكَ وَاسْتَرْجَعَ، فيقُولُ اللهُ تَعَالَى: ابْنُوا لِعَبْدي بَيتًا في الجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الحَمْدِ)). رواه الترمذي[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٩).

غريب الألفاظ:

استرجع: قال: (إنا لله وإنا إليه راجعون)[2].

الشرح الأدبي

الاستفهام الإلهي (قبضتم ولد عبدي؟ قبضتم ثمرة فؤاده ؟. ... تقرير للملائكة بغرض الإخبار لهم والإشادة ببني آدم في موقف أبلى فيه الإنسان الثكول بلاءً حسناً وقد قالت الملائكة من قبل (أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ }(البقرة٣٠)' وحذف الأداة في هذا الاستفهام أوحت بفيض غامر من الرحمة على الأب الثكول، ورحمة لا تصدر إلا من رحمن تبعث الأسى، وتصور حجم الفجيعة التي مُنى بها الأب يدلك على ذلك بقية عبارة الاستفهام، وتدرجه من الخصوص (ولد عبدي) إلى الأخص (ثمرة فؤاده) تصعيداً لشعور الأسى، والشفقة لدى المخاطبين، وتعبيره بـ (عبدي) وإضافته لنفسه تشريف للأب الثكول

---

(١) برقم (١٠٢١)، وتقدم برقم (٩٢٣). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٢٩٤٨). وقال الحافظ كما في الفتوحات الربانية (٢٩٦/٣): الحديثُ حسنٌ. أورده المنذري في ترغيبه (٢٩٨٦).

(٢) الوسيط في (ر ج ع).

يوحي بحنو الله جل، وعلا، وهو يريد بذلك أن يصور حجم المصيبة التي لحقت به، ثم يأتي استفهامه الآخر مذكور الأداة (ماذا قال عبدي) بعد شدة ما أصيب به، واستعمل حرف الاستفهام (ماذا) (ما) التي يطلب بها تعيين غير العقلاء فيطلب بها تعيين الاسم، أو صفته مضافة إليها (ذا) الإشارية لفتاً للنظر إليه، وإظهاراً لمقالته بإثارة السؤال واضحاً على أسماء الملائكة، وكل من بلغه الحديث إشارة إلى فضل بني آدم عامة، وصبر هذا الأب الثكول خاصة[1].

المضامين الدعوية[2]

(١) ينظر الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في صحيح الترغيب ،والترهيب للحافظ المنذري، د. ناصر راضي الزهري، ٥٠٠، مخطوطة بكلية اللغة العربية بأسيوط - جامعة الأزهر.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٩٢٣).

الحديث رقم (١٣٩٨)

١٣٩٨- وعن أنس رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ : ((إنَّ الله لَيرْضَى عَنِ العَبْدِ يَأكُلُ الأَكْلَةَ، فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا، وَيَشْرَبُ الشَّرْبَة، فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الحديث يبين مدى فضل الله -عز وجل- على عباده بتقبله لقليل أعمالهم، ومغفرته لكثير ذنوبهم، وهذا الحديث يشير إلى جانب من هذا المعنى، ومن الملاحظ في بداية الخبر كثافة المؤكدات التي تدل على أهمية الخبر، وتعظيمه، وربما أشارت هذه المؤكدات إلى تنزيل المخاطبين منزلة المنكرين بسبب غفلتهم عن فضل هذه الأعمال، واستهانتهم بها، لأنها تبدو سهلة بسيطة، ويترتب عليها أمر جلل، وهو رضى الله -عز وجل-، وفي قوله (يأكل الأكلة)،و(ويشرب الشربة) جناس أكد المعنى المراد، وأحدث توازنا صوتياً في العبارة يلفت السمع، وتكرار الحمد للتنبيه على فضله، وصرف العناية إليه، واستخدام حرف العطف (أو) للتنويع، أي: أي نوع يفعله فيحمد الله، يرضي الله تعالى، وربط فعل الحمد بالفاء يؤذن بالتعقيب دون مهلة يستغلها الشيطان لينسيه إياها.

المضامين الدعوية[2]

(١) برقم (٢٧٣٤/٨٩)، وتقدم برقم (١٤٠). أورده المنذري في ترغيبه (٣١٩٥).

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٤٠).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- إيقاظ الفطرة وتربيتها:

إن الفطرة الدينية من الأهداف التربوية التي يجدر بأهل التعليم والتربية إيقاظها والحفاظ عليها، وتعاهدها بالتربية، وهذا ما يستفاد في حديث الباب من قول جبريل عليه السلام لمحمد ﷺ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَاكَ لِلْفِطْرَةِ».

"والفطرة هي الطبيعة والخلقة التي يخلق عليها المولود في بطن أمه، فقد أودع الله سبحانه وتعالى كل واحد من البشر عند خلقه وولادته فطرة سليمة، يمكن أن توجهه إلى طريق الهداية، وتصل به إلى سبيل الرشاد، وذلك إن لم تشبها الشوائب، ودليل ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ. كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ. هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟»[1]"[2].

قال سهل بن عبدالله التستري: "كنت وأنا ابن ثلاث سنين، أقوم بالليل فأنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار فقال لي يومًا: ألا تذكر الله الذي خلقك فقلت: كيف أذكره؟ قال: قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرّك به لسانك، الله معي، الله ناظر إليَّ، الله شاهدي، فقلت ذلك ليالي، ثم أعلمته، فقال: قل في كل ليلة سبع مرات، فقلت ذلك، ثم أعلمته، فقال: قل ذلك كل ليلة إحدى عشر مرة، فقلته فوقع في قلبي حلاوته، فلما كان بعد سنة قال لي خالي: احفظ ما علمتك ودُم عليه إلى أن تدخل القبر فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة، فلم أزل على ذلك سنين فوجدت لذلك حلاوة في سري، ثم قال لي خالي يومًا: يا سهل من كان الله معه وناظرًا إليه وشاهده أيعصيه؟ إياك والمعصية، فكنت أخلو بنفسي فبعثوا بي إلى المكتب فقلت: إني لأخشى أن يتفرّق عليَّ همي ولكن شارطوا المعلم أني أذهب إليه ساعة فأتعلم ثم

---

(١) أخرجه البخاري ١٣٥٨، ومسلم ٢٦٥٨.

(٢) الموسوعة الفقهية، ٣/١٨٢-١٨٤.

أرجع، فمضيت إلى الكتَّاب فتعلمت القرآن وحفظته وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين، وكنت أصوم الدهر، وقُوتي من خبز الشعير اثنتي عشرة سنة، فوقعت لي مسألة وأنا ابن ثلاث عشرة سنة فسألت أهلي أن يبعثوني إلى أهل البصرة لأسأل عنها، فأتيت البصرة فسألت علماءها فلم يشفِ أحد عني شيئًا. فخرجت إلى عبادان إلى رجل يعرف بأبي حبيب حمزة بن أبي عبد الله العباداني فسألته عنها فأجابني، فأقمت عنده مدّة أنتفع بكلامه، وأتأدب بآدابه"(١).

"فانظر كيف تأدب هذا الصبي بآداب الإسلام، وطَلَبَ العلم وانتقلَ إليه، وحَرَصَ على طاعة الله منذ طفولته، إنها إيقاظ الفطرة الدينية وتربيتها.

حيث إن الأخلاق الدينية لن تترسخ في النفس ما لم تتعود النفس جميع العادات الحسنة، وما لم تترك جميع الأفعال السيئة، وذلك بإيقاظ الفطرة الدينية الصحيحة، والتربية والاعتياد في تهذيب الأخلاق" (٢).

إن إيقاظ الفطرة الدينية وتربيتها، يزيد الارتباط بخالق السماوات والأرض، فضلاً عن تهيئة الأنفس في هذه الحياة المضطربة، وتأمين وجودها ومصيرها في هذه الحياة، وبها تستمد الأنفس التفاؤل والصبر والصدق والإخلاص والصلة المستمرة بخالق الكون والبذل والعطاء، ... لتستكمل رحلة الحياة في سعادة وابتسام وأمل(٣).

ثانيًا: التربية على شكر الله وحمده:

إن من أهم الأصول التربوية التي أشارت إليها أحاديث الباب، والتي يجب غرسها في نفوس المتعلمين، شكر الله على نعمه وآلائه، والذي يعكس بدوره إرهاف الشعور والحس لدى المتعلم، مما يؤدي بدوره إلى إكمال سجيته مع خالقه.

وحتى يتسنى غرس خلق الشكر لله وحمده في نفوس المتعلمين، يجب استظهار نعم الله وآلائه وعظم فضله على عباده، مما يستدعي في نفوس المتعلمين الرغبة والشوق إلى

(١) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، ٥٣/١.
(٢) انظر: تربية الطفل في الإسلام، د. أحمد محمود الحمد، ٢٣١.
(٣) انظر: التربية بالعبرة، عبدالرحمن النحلاوي، ط١، دار الفكر، دمشق، سورية، ص١٧٧-١٧٩.

شكر المنعم، وكيف لا!!!، وقد جبلت الأنفس على شكر وحمد مُنعمُها.

وهذا ما استظهره السلف الصالح لغرس الشكر لله في قلوب المتعلمين.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْرَبُ الْمَاءَ الْقُرَاحَ، فَيَدْخُلُ بِغَيْرِ أَذًى، وَيَخْرُجُ بِغَيْرِ أَذًى إلاَّ وَجَبَ عَلَيْهِ الشُّكْرُ».

وقال يونس بن عبيد لرجل يشكو ضيق حاله: "أيسرك ببصرك هذا مائة ألف درهم؟ قال الرجل: لا قال: فبيديك مائة ألف؟ قال: لا قال: فبرجليك مائة ألف؟ قال: لا قال: فذكَّره نعم الله عليه فقال يونس: أرى عندك مِئين الألوف وأنت تشكو الحاجة"[1].

وقد أراد المنهج التربوي الإسلامي، بناء الشخصية الإسلامية وتربيتها تربية فريدة في خلقها وسلوكها وشكرها لبارئها، فلم يكتف هذا المنهج الرباني الفريد بغرس خلق حمد الله وشكره على آلائه ونعمه، بل جعل حمد الله وشكره على ابتلائه واختباره، جزءً من عقيدة المؤمن في رضائه بالقضاء والقدر حلوه ومره، بل عظَّم جانب الأجر في ذلك.

وهذا ما ترائى من أحاديث الباب في قوله ﷺ عن رب العزة لملائكته - إذا مات ولد العبد - قبضتم ولد عبدي فيقولون: نعم، فيقول جلا وعلا قبضتهم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله تعالى ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة وسموه بيت الحمد.

۞ ۞ ۞

---

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ابن القيم، ١٢٥، نقلًا عن الموسوعة الأم في تربية الأولاد، د. أحمد مصطفى متولي، ٦٦١/١، ٦٦٢.

١٤- كتاب الصَّلاة عَلَى رَسُول الله ﷺ

٢٤٣- باب الأمر بالصَّلاة عَلَيْهِ وفضلها وبعض صيغها

قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]

الحديث رقم (١٣٩٩)

١٣٩٩- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص، رضي الله عنهما: أنه سمع رسول الله ﷺ، يقول: ((**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا**)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

غريب الألفاظ:

من صلَّى عليَّ: قال: "اللهم صل على محمد"[2].

الشرح الأدبي

الصلاة على النبي ﷺ من أعظم القرب لله تعالى، ومن أعظم أنواع الذكر لتضمُّنها ذكر الله تعالى، وذكر أحب خلقه إليه الذي ربط ذكره بذكره في أعظم كلمة تقال في كلمة التوحيد، وصيرها على مسمع من الأمة تتردد في مسامعهم على مدار اليوم، والليلة وكأنه حاضر بينهم في كل وقت، وصياغة الرسول ﷺ لهذه المعاني في أسلوب الشرط يشير إلى أهميتها لعظمة الأجر المترتب عليها مع قلة المؤنة التي تحتاج إليها، ومع قدرة جميع المسلمين عليها، حيث ربط الصلاة عليه بصلاة الله على

---

(١) برقم (٣٨٤/١١). أورده المنذري في ترغيبه (٢٤٦٩).

(٢) النهاية في (ص ل و).

العبد، وصلاة الله على العبد تكريم له بذكره له في الملأ الأعلى، ورحمة له في الأرض، ومغفرة له في أم الكتاب، لأنه هذه الصلاة مع كونها ذكرا لله فيه تتضمن اعترافا بفضل هذا النبي ﷺ الذي تحمَّل من أجل تبليغ دين الله ما لم يتحمله غيره، وفيها، وارتباط بالنبي وصلة في الوجدان تستلزم متابعة في المنهج، وهذا حال كل من يكثر الصلاة عليه فهي دليل محبة، والمحب مطيع، فقوله (مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً) ترغيب في كثرة الصلاة على النبي ﷺ، وبين صلى، وصلاة جناس يؤكد المعنى، ويجعله ملأ الأسماع، والأفهام، ونسبة الصلاة المقابلة لصلاة العبد لله يعظم الأجر، ويرتقي به في درج الثواب مرتقى عظيماً لارتباط الأثر بالمؤثر، فحري بكل مسلم أن يكون له وردا من الصلاة على النبي ﷺ يضمن به ذهاب همه، وغمه، وسعة رزقه، ورضا ربه، وشفاعة النبي ﷺ، ومحبَّته يوم القيامة.

فقه الحديث

١- قال ابن العربي: (الصلاة على النبي ﷺ فرض في العمر مرة بلا خلاف، فأما في الصلاة فقال محمد بن المواز والشافعي: إنها فرض، فمن تركها بطلت صلاته. وقال سائر العلماء: هي سنة في الصلاة)[1] وانظر الحديث التالي (١٤٠٢).

٢- قال النووي: (فيه أنه يستحب لمن رغب غيره في خيرٍ أن يذكر سننًا من دلائله، لينشطه، لقوله ﷺ: "من صلى علي مرة صلى الله عليه بها عشرًا")[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الصلاة على النبي ﷺ.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على الصلاة على النبي ﷺ.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

---

(١) أحكام القرآن ١٥٨٤/٣، وانظر: تفسير القرطبي ٢١٥/١٧ ط الرسالة، والأذكار ٩١، ١٤٢ - ١٤٣ ط مكتبة الصفا، والموسوعة الفقهية ٢٣٤/٢٧ - ٢٣٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، مج٢/ج٤/٧٦ ط دار الكتب العلمية.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل الصلاة على النبي ﷺ:

لقد تضافرت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على فضل الصلاة على رسول الله ﷺ، ومنها ما جاء في الحديث: "من صلى عليّ صلاة، صلى الله عليه بها عشرًا"، قال النووي: قال القاضي: معناه: رحمته وتضعيف أجره، كقوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَا﴾[1]، قال وقد يكون الصلاة على وجهها وظاهرها تشريفًا له بين الملائكة[2]، وقد أمرنا الله تعالى: بالصلاة على رسول الله ﷺ فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾[3].

قال ابن كثير: والمقصود من هذه الآية: أن الله سبحانه أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه ﷺ عنده في الملأ الأعلى، بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر الله تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعا"[4].

وفي ذلك أمر من الله وطلب منه لعباده المؤمنين بالصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وصلاة المؤمنين على النبي ﷺ في الحقيقة إنما هي طلب من الله بأن يصلى عليه، وذلك واضح في صيغ الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، والتي منها ما روى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال: قلنا يا رسولَ اللّه، هذا السلامُ عليكَ فكيفَ الصلاة عليك؟ قال: ((قولوا اللهمَّ صلِّ على محمدٍ عبدِكَ ورسولك كما صلَّيتَ على إبراهيمَ، وباركْ على محمد وآل محمد كما باركتَ على إبراهيمَ وآل إبراهيم))[5]. وهنا سؤال مهم هو: لماذا لا نصلي عليه مباشرة وإنما نطلب ذلك من الله عز وجل؟ وعن هذا

---

(١) سورة الأنعام، آية: ١٦٠.

(٢) شرح مسلم، ص ٤٠٨.

(٣) سورة الأحزاب، آية : ٥٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، ٤٥٧/٦.

(٥) أخرجه البخاري ٦٣٥٨.

السؤال يجيب ابن القيم فيقول: (أولاً: إن الصلاة من الله تعالى من أجل المراتب وأعلاها، ومحمد ﷺ أفضل الخلق فلا بد أن تكون الصلاة الحاصلة له أفضل من كل صلاة تحصل لمخلوق فلا يكون غير مساويًا له فيها.

ثانيًا: إن الله تعالى أخبر أنه وملائكته يصلون عليه، ثم أمر بالصلاة عليه، ولا ريب أن المطلوب من الله هو نظير الصلاة المخبر بها لا ما دونها، وهو أكمل الصلاة وأرجحها لا الصلاة المرجوحة المفضولة)[1].

كما كان أجر فضل صلاة الله عز وجل أعلى رتبة من فضل صلاة الإنسان بنفسه، فقد كان هذا الفضل -الحاصل بصلاة الله عز وجل- عائدًا على الإنسان له فائدة وأجر عظيم[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الحث على الصلاة على النبي ﷺ:

ورد في الحديث الحث على الصلاة على النبي ﷺ وبيان فضلها، فقال ﷺ: "من صلى عليّ صلاةً صلى الله عليه بها عشرًا"، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾[3]، قال الإمام ابن علان: " أي قولوا الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، أو انقادوا لأوامره، والآية أمر من الله تعالى لكل مؤمن بالصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، ووطأ قبله بالإخبار عنه تعالى، وعن ملائكته الكرام بأنهم دائمون على ذلك وتجديده وقتًا فوقتًا، وذلك بعثًا للمؤمنين على الاعتناء وامتثال ذلك الأمر، وحثًا لهم على الدوام والاستمرار عليه ليفوزوا بقربه، ويتحفوا بلحظه وإمداده[4]، وقد علم الرسول ﷺ أمته كيف يصلون عليه في الصلاة وغيرها[5]، والتي منها ما جاء فيما روى عن عبدالرحمن بن أبي ليلى، «لَقِيني كعبُ بن عُجرةَ فقال: ألا

---

(١) جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام ١٥٤، ١٥٥.

(٢) موسوعة نضرة النعيم ١/٥٥٧.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٥٦.

(٤) دليل الفالحين ١٤٦٧.

(٥) محبة الرسول ﷺ بين الإتباع والابتداع، عبدالرؤوف محمد عثمان، ٧٩.

أُهدي لكَ هَدية سمعتُها منَ النبيِّ ﷺ؟ فقلت: بلى فأهدها لي، فقال: سألنا رسولَ الله ﷺ فقلنا: يا رسولَ الله كيفَ الصلاةُ عليكم أهلَ البيت، فإن اللهَ قد علمنا كيفَ نسلِّم عليكم. قال: ((قولوا اللّهمَّ صل على محمدٍ وعَلَى آلِ محمدٍ كما صليتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنكَ حَميدٌ مَجيد، اللّهمَّ بارك على محمدٍ وعلى آلِ محمدٍ كما باركتَ على إبراهيم وعلى آلِ إبراهيمَ إنَّكَ حَميدٌ مَجيد))[1].

فإن في الصلاة على رسول الله ﷺ رفع للدرجات وحط للسيئات، فعن أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه قال: (أصبح رسول الله ﷺ يومًا طيِّب النفس، يرى في وجهه البِشْر، قالوا: يا رسول الله، أصبحت اليوم طيِّب النفس، يُرَى في وجهك البِشْر، قال: أجل، أتاني آتٍ من ربي عزَّ وجلَّ فقال: من صلى عليك من أمتك صلاة كتب الله له عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، ورد عليه مثلها)[2].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث ترغيبًا في الصلاة على رسول الله ﷺ "من صلى عليّ صلاة، صلى الله عليه بها عشرًا"، فذكر في الحديث فائدة من الفوائد والثمرات الحاصلة بالصلاة عليه ﷺ، وهي أنها سبب لصلاة الله على المصلي[3]، وهذا سبب من أسباب الخروج من الظلمات إلى النور، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[4]، وقد حفلت آيات القرآن والسنة النبوية بالترغيب، والحث على الطاعات وتحمل مشاق العبادة، وذلك أن الإنسان إذا علم بما أعده الله له من ثواب تولدت عنده الرغبة الصادقة فيما عند الله تعالى وسعى له سعيه[5]، قال تعالى:

---

(١) أخرجه البخاري ٣٣٧٠، ومسلم ٤٠٦.

(٢) أخرجه أحمد ٢٩/٤، رقم ١٦٣٥٢، وقال محققو المسند: إسناده ضعيف ٢٧٢/٢٦، ٢٧٣، وصححه الألباني (صحيح الجامع الصغير، ٥٧).

(٣) جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام، ابن القيم، ص ٦١٣.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٤٣.

(٥) انظر موسوعة نضرة النعيم ٢١٢٧/٦.

﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[١].

وتلك هي حياة المؤمن الحق، فقد لخص أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ عند موته حياة المؤمن الحق، عندما قالوا له: جزاك الله خيرًا فعلت وفعلت، فقال راغب وراهب، أي راغب فيما عند الله وراهب من عذابه[٢].

---

(١) سورة السجدة، آية: ١٦.

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ٣٣٧.

الحديث رقم (١٤٠٠)

١٤٠٠ - وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: ((أَوْلَى النَّاسِ بِي يَوْمَ القِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلاَةً)). رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

الشرح الأدبي

تصدُّرُ أفعل التفضيل للكلام نوع من التشويق بمداعبة النفس بما هو في فطرتها من ميل لمعرفة ما غاب عنها مما يلوح لها بالخير، وأفعل التفضيل تشير إلى اشتراك شيئين في صفة معينة، وزيادة أحدهما في هذه الصفة، ودلالة أفعل التفضيل على (الولاية) وإضافتها للناس، وتعلق الجار، والمجرور (بي) العائد على الرسول بها يشير إلى قيمتها العظيمة التي لوَّحت للمؤمنين بما يحبون من رفقة الرسول ﷺ وحصول شفاعته لهم، والتعبير بها يشير إلى الاستحقاق لهذه الولاية بتكثير هذه الصلاة، وتعلق الظرف (يوم) المضاف للقيامة بحصول هذه الولاية يصعِّد الشعور بأهمية الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ لأنه يوم يعظم فيه الهول، وتعم فيه البلوى، ويبحث كل فرد فيه عن ما ينجيه، ولا يجد إلا عمله، وشفاعة النبي ﷺ، وكلاهما يتحقق بكثرة الصلاة على النبي ﷺ، وتقديم الأجر على العمل يفتح آفاق النفس المتطلعة للخير إلى الاشتغال بتحقيق العمل الذي يحققها، وهو قوله (أكثرهم عليَّ صلاة) فقد قابل الأفضلية في الولاية به بالأفضلية في تكثير الصلاة عليه، والجزاء من جنس العمل.

فقه الحديث

قال النووي: (يستحب أن يكثر في يوم الجمعة وليلتها من الصلاة على رسول الله ﷺ)[2].

---

(١) برقم (٤٨٤). وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٩١١). أورده المنذري في ترغيبه (٢٤٧٩).

(٢) الأذكار ١٩٨ ط مكتبة الصفا.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ.

ثانيًا: من أهداف الدعوة: الحث على الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ.

ثالثًا: من آداب المدعو: الحرص على الصلاة على النبي ﷺ والمداومة عليها.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ:

لقد تضافرت النصوص على بيان فضل الإكثار من الصلاة على رسول الله ﷺ، ومنها ما جاء في الحديث: "أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليَّ صلاة" أى أن أقربهم بي أو أحقهم بشفاعتي يوم القيامة أكثرهم عليَّ صلاة لأن كثرة الصلاة منبئة عن التعظيم المقتضى للمتابعة الناشئة عن المحبة الكاملة المرتبة عليها محبة الله تعالى[1]، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2]، ولما كانت كلمة أولى بمعنى القرب والقرب ضمن معنى الاختصاص فعدى بالباء، فقال ﷺ: أولى الناس بي"، أى أخص أمتي بي وأقربهم مني وأحقهم بشفاعتي"[3]. فالحديث ضمن فائدة من الفوائد والثمرات الحاصلة بالصلاة على النبي ﷺ وهى أنها سبب لقرب العبد منه ﷺ يوم القيامة[4].

إن للصلاة على رسول الله ﷺ فضائل وفوائد جمة منها ما جاء في الحديث ببيان أن أولى الناس برسول الله ﷺ أكثرهم عليه صلاة، كذلك من فضائل الصلاة على رسول الله ﷺ أن فيها:

أ - رفع للدرجات وحط للسيئات:

روى عن أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه قال: «أصبح رسول الله ﷺ يومًا طيِّب النفس،

---

(١) تحفة الأحوذي، المباركفوري، ج١/٧٦٣.

(٢) سورة آل عمران، آية : ٣١.

(٣) دليل الفالحين، ابن علان، ص ١٤٦٨.

(٤) جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام، الإمام ابن القيم، ص ٦١٣.

يرى في وجهه البِشْر، قالوا: يا رسول الله، أصبحت اليوم طيِّب النفس، يُرَى في وجهك البِشْر، قال: أجل، أتاني آتٍ من ربي عزَّ وجلَّ فقال: من صلى عليك من أمتك صلاة كتب الله له عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، ورد عليه مثلها»[1].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ وَحُطَّتْ عَنْهُ عَشْرُ خَطِيئَاتٍ وَرُفِعَتْ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ»[2].

ب- أن في الصلاة على رسول الله ﷺ كفاية الهموم ومغفرة الذنوب.

فعن أُبيّ بن كعب ﷺ قال: (كَانَ رَسُولُ الله إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ: ((يَا أَيُهَا النَّاسُ اذْكُرُوا الله اذْكُرُوا الله جَاءَتْ الرَاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ)). قَالَ أُبَيٌّ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ الله إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلاَةَ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلاَتِي؟ فقَالَ: مَا شِئْتَ. قال: قُلْت الرُّبُعَ؟ قَالَ: مَا شِئْتَ. فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَك. قُلْتُ فَالنِّصْفَ؟ قَالَ: مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدتَ فَهُوَ خَيْرٌ لكَ. قال: قُلْتُ فَالثُّلُثَيْنِ؟ قَالَ: ((مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ))، قُلْتُ أَجْعَلُ لَكَ صَلاَتِي كُلَّهَا؟ قَالَ: ((إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ))[3].

ج- أن الصلاة على رسول الله ﷺ سبب لنيل شفاعته ﷺ.

فعن عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: ((إِذَا سَمِعْتُمْ الْمُؤَذِّنَ فَقولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً صَلَّى الله عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لاَ تَنْبَغِي إِلاَّ لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ الله، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ له الشَّفَاعَةُ))[4].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢٩/٤، رقم ١٦٣٥٢، وضعف محققوا المسند إسناده (مسند الإمام أحمد، ٢٧٢/٢٦، ٢٧٣، وصححه الألباني (صحيح الجامع الصغير، ٥٧).

(٢) أخرجه النسائي، ١٢٩٧، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي، ١٢٣٠).

(٣) أخرجه الترمذي، ٢٤٥٧، وقال: هذا حديث صحيح (صحيح سنن الترمذي، ١٩٩٩).

(٤) أخرجه مسلم، ٣٨٤.

د- أن الصلاة على رسول الله ﷺ سبب لعرض اسم المصلى على رسول الله ﷺ.

فعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((أَكْثِرُوا الصَّلاَةَ عَلَيَّ فَإِنَّ اللَّهَ وَكَّلَ بِي مَلَكًا عِنْدَ قَبْرِي فَإِذَا صَلَّى عَلَيَّ رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي قَالَ لِي ذَلِكَ الْمَلِكُ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ فُلاَنَ بْنَ فُلاَنٍ صَلَّى عَلَيْكَ السَّاعَةَ))[1].

هـ- أن الصلاة على رسول الله ﷺ من الطرق الممهدة إلى الجنة ودليل إليه وأن نسيانها والتهاون فيها تضييع لهذا الأجر وفوات لهذا الفضل.

روى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ نَسِيَ الصَّلاَةَ عَلَيَّ خَطِىءَ طَرِيقَ الْجَنَّةِ))[2]. إلى غير ذلك من الفوائد والفضائل للصلاة على رسول الله ﷺ.

ثانيًا - من أهداف الدعوة: الحث على الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ:

إن من أهداف الدعوة: الحث على الإكثار من الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ لما في ذلك من قوة الارتباط والصلة الوثيقة برسول الله ﷺ، وأيضًا فإن الصلاة عليه ﷺ مما ينتج عن اعتقاد تفضيله واستشعار هيبته وجلالة قدره وعظيم شأنه واستحضار محاسنه ومكانته ومنزلته ﷺ[3]، فمتى كان توقير النبي ﷺ مستقرًا في القلب مسطورًا فيه على تعاقب الأحوال فإن آثار ذلك ستظهر على الجوارح حتما لا محالة، وحينئذ سترى اللسان يجري بمدحه والثناء عليه وذكر محاسنه، وترى باقي الجوارح ممتثلة لما جاء به ومتبعة لشرعه وأوامره، ومؤدية لما له من الحق والتكريم، ولذا كانت أهمية الصلاة على رسول الله ﷺ والحث عليها، وبيان آثارها كما جاء في الحديث "أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة"[4].

---

(١) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس، ٩٢/١، وحسنه الألباني، (سلسلة الأحاديث الصحيحة، ١٥٣٠، وصحيح الجامع الصغير، ١٢١٨).

(٢) أخرجه ابن ماجه، ٩٠٨، وقال الألباني: حسن صحيح، انظر (صحيح سنن ابن ماجه، ٧٤٠، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٢٣٣٧).

(٣) محبة النبي ﷺ وتعظيمه، عبداللطيف بن محمد الحسن، كتاب المنتدى، ٣٥، حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، ص٧٣

(٤) حقوق النبي ﷺ على أمته، الإمام التميمي، ج٢/٤٧٠

فكما سبق فإن الصلاة على رسول الله ﷺ من مظاهر توقيره والقيام بحقه ﷺ، وقد أمر الله بذلك في كثير من آي القرآن، من ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1].

فجعل الله عز وجل في الآية توقير النبي ﷺ وتعزيزه من أسس الإيمان ومن مسببات الفلاح ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ﴾ أي عظموه ووقروه، ﴿وَنَصَرُوهُ﴾ أي على أعدائه في الدين ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بالرحمة والناجون من النقمة.

قال الجشمي: (تدل الآية على أن شريعته ﷺ أسهل الشرائع وأنه وضع عن أمته كل ثقل كان في الأمم الماضية، وذلك نعمة عظيمة على هذه الأمة، وتدل على وجوب تعظيم الرسول ﷺ ونصره ونصرته بنصر دينه وكل أمر يؤدي إلى نصرة دينه)[2].

ثالثًا - من آداب المدعو: الحرص على الصلاة على النبي ﷺ والمداومة عليها:

إن من دلائل محبة النبي ﷺ وتعظيمه سلوك الأدب معه والذي يتحقق بأمور منها الثناء عليه ﷺ بما هو أهله، وأبلغ الثناء ثناء ربه عليه، وما أثنى هو على نفسه به، وهو الصلاة والسلام عليه لأمر الله عز وجل وتوكيده: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[3]، وهذا إخبار من الله تعالى بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى بأنه يثني عليه عند الملائكة وأن الملائكة تصلي

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٠٧.

(٢) انظر: محاسن التأويل، الإمام محمد جمال القاسمي، مج٥/ج٧/٢٦٥ - ٢٧٨.

(٣) سورة الأحزاب، آية : ٥٦.

عليه، ثم أمر الله تعالى أهل العالم السفلى بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلى جميعًا[١]، وهذا فيه تنبيه على كمال رسول الله ﷺ ورفعة درجته، وعلو منزلته عند الله وعند خلقه، ورفع ذكره. و ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ تعالى ﴿وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ أي: يثني الله عليه بين الملائكة، وفي الملأ الأعلى، لمحبته تعالى إياه. ويثنى عليه الملائكة المقربون، ويدعون له يتضرعون.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ اقتداء بالله وملائكته، وجزاء له على بعض حقوقه عليكم، وتكميلاً لإيمانكم، وتعظيمًا له ﷺ ومحبة وإكرامًا وزيادة في حسناتكم، وتكفيرًا عن سيئاتكم.

وأفضل هيئات الصلاة عليه "عليه الصلاة والسلام" ما علمه أصحابه "اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد"، وهذا الأمر بالصلاة والسلام عليه مشروع في جميع الأوقات وأوجبه كثير من العلماء في الصلاة[٢].

ولا يخفى على مسلم ما في الصلاة على النبي ﷺ من فوائد وثمار وقد ذكر الإمام ابن القيم للصلاة على رسول الله ﷺ أربعين فائدة منها: رفع الدرجات، كتابة الحسنات، ومحو السيئات، وسبب للغفران، وسبب لقرب العبد منه ﷺ يوم القيامة واستحقاق شفاعته وغير ذلك[٣].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، ج٦/٤٥٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، الشيخ السعدي، ص٦١٨.

(٣) انظر كتاب جلاء الأفهام، الإمام ابن القيم، ص ٦١٢ - ٦٢٦

الحديث رقم (١٤٠١)

١٤٠١- وعن أوس بن أوس ﵁، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((إنَّ مِنْ أفْضَلِ أيَّامِكُمْ يَومَ الجُمُعَةِ، فَأكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلاةِ فِيهِ، فَإنَّ صَلاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ)). قَالَ: قالوا: يَا رسول الله، وَكَيفَ تُعْرَضُ صَلاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أرَمْتَ؟! قَالَ: يقولُ: بَلِيتَ. قَالَ: ((إنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى الأرْضِ أجْسَادَ الأنْبِيَاءِ)). رواه أبُو داود[1] بإسنادٍ صحيحٍ.

ترجمة الراوي:

أَوْس بن أَوْس الثقفي: سبقت ترجمته في الحديث رقم (١١٦٠).

غريب الألفاظ:

الصَّلاةُ: قولنا: اللهم صلِّ على محمد[2].

الشرح الأدبي

من المعلوم أَنَّ لَفْظَةَ "أَفْعَلُ" تَقْتَضِي وُجُودَ الاشْتِرَاكِ فِي الأصْلِ مَعَ التَّفَاضُلِ فِي أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ الأمر الذي يدل أولا على أن أيام المؤمنين كلها فاضلة لأنها أيام عامرة بطاعة الله تعالى، ثانيا تدل على أفضلية يوم الجمعة على هذه الأيام، وقد رتب الرسول ﷺ على هذه الأفضلية الأمر بالإكثار من الصلاة عليه لما هو معلوم من فضل الصلاة على رسول الله ﷺ فالعمل الفاضل في اليوم الفاضل نوع من تقدير الزمان بقدره ثم علل لهذا الأمر، ورغب فيه بقوله (فَإنَّ صَلاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيّ) أي على جهة القبول، والجناس بين (الصلاة)، وبين (صلاتكم) يقرر المعنى المراد من العبد، والذي يحقق له تضاعف الأجر، والتعبير بالاسم (معروضة) دون الفعل (تعرض) الدال على التجدد للإشارة إلى الدوام، والثبات المفهوم من الاسمية أي: أنها دائمة العرض عليه، وتختص

---

(١) برقم (١٥٣١)، وتقدم برقم (١١٦٠). وصحّحه ابن خزيمة (١٧٣٣)، وابن حبان (الإحسان ٩١٠)، وقال الحاكم (٢٧٨/١): هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط البخاري ولم يخرجاه.. أورده المنذري في ترغيبه (٢٤٨٨).

(٢) النهاية في (ص ل و).

في الجمعة بمزيد القبول، وصلاة المؤمن على الرسول ﷺ تتضمن ذكر الله، وذكر رسوله ﷺ، والعرفان بفضل الله بالإنعام عليهم بالنبي ﷺ، وعرفان بفضل هذا الرسول ﷺ، وكثرة الصلاة عليه تعود على المؤمن مع أجر الآخرة العظيم بذكر الله للعبد، وصلاته عليه مع ذكره عند الرسول ﷺ بعرض صلاته عليه، ثم إنها للعبد معافاة في بدنه، وسمعه، وبصره، وبصيرته، وذهاب لهمه، وغمه، وحزنه، وسعة في رزقه فعلى كل مؤمن أن يحرص على أن يكون له ورد من الصلاة عليه كل يوم يكون وسيلة تعارف بينه، وبين الرسول ﷺ. وسؤالهم (وَكَيفَ تُعْرَضُ صَلاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ ؟!) استفهام تعجب يبحث عن لون من المعرفة لا يفصح به إلا النبي ﷺ يُذهب سبب التعجب ببيان سره بقوله المشمول بكثرة المؤكدات (إنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ) كناية عن بقاء أجسادهم كما هي دون أن تتحلل كغيرها - صلوات الله، وسلامه عليهم أجمعين - فهلا ترسل إليه الآن تحية بصلاتك عليها فيرد عليك ؟!.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: تحريم أجساد الأنبياء على الأرض.

أولاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

يظهر ذلك في قول أوس بن أوس رضي الله عنه "قالوا: يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ قال: يقول بليت. هذا هو السؤال.

والجواب في قوله ﷺ: "إن الله حرم على الأرض أجساد الأنبياء".

وأسلوب السؤال والجواب من أساليب الدعوة المهمة وذلك لما له من قيمة تأثيرية عظيمة، لدى طارحي الأسئلة، الذي يتلقون الإجابات على أسئلتهم ممن وجهوها لهم، ولدى المستمعين الآخرين.

وذلك لأن من طبيعة السائلين أن يطرحوا أسئلتهم عادة على من يحترمونه، ويقدرونه، ويثقون بعلمه وأمانته العلمية، وبقدرته على فهم أسئلتهم فهمًا دقيقًا؛ فإذا

---

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١١٦٠) بالإضافة إلى ما ذكر بعاليه.

أجاب عليهم حرصوا على تلقي الجواب منه وتلقفوه تلقفًا، لأن كل أبواب أفكارهم ونفوسهم متفتحة لتلقي الإجابة منه[١].

فأسلوب السؤال والجواب من أساليب الدعوة التي يفيد منها الداعية في دعوته وفي إفادة المدعوين.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: تحريم أجساد الأنبياء على الأرض:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "إن الله حرم على الأرض أجساد الأنبياء".

قال الطيبي: (ولا شك أن حفظ أجسادهم من أن ترم خرق العادة المستمرة، فكلما أن تعالى يحفظها منه، كذلك تمكن من العرض عليهم، ومن الاستماع منهم صلوات الأمة)[٢].

وقال ابن عثيمين: (فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام مهما بقوا في الأرض فإن الأرض لا تأكلهم، أما غير الأنبياء فإنها تأكلهم ولكن قد يكرم الله تعالى بعض الموتى فلا تأكلهم الأرض وإن بقوا، لكننا لا نتيقن أن أحدًا لا تأكله الأرض إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام)[٣].

فإن من إكرام الله لأنبيائه ورسله أن الأرض لا تأكل أجسادهم، فمهما طال الزمان وتقادم العهد تبقى أجسادهم محفوظة من البلى، كما ورد في الحديث "إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء".

ويذكر أهل التاريخ قصة فيها عجب وغرابة، روى ابن كثير في البداية والنهاية[٤] عن يونس بن بكير قال: لما فتحنا تستر وجدنا في مال بيت الهرمزان سريرًا عليه رجل ميت عند رأسه مصحف، فأخذنا المصحف فحملنا إلى عمر، فدعا له كعبًا فنسخه بالعربية، فأنا أوّل رجل من العرب قرأه، قرأته مثل ما أقرأ القرآن هذا.

فقلت لأبي العالية: ما كان فيه؟ قال: سيركم وأموركم ولحون كلامكم، وما هو كائن بعد.

---

(١) انظر: فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حسن حبنكة الميدان، ص ٥٨.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٢٠٥/٣.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٥٠١/٢.

(٤) البداية و النهاية، ابن كثير، ط٢، مكتبة دار المعارف، بيروت، ٤٠/٢.

قلت: فما صنعتم بالرجل؟ قال حفرنا له بالنهار ثلاثة عشر قبرًا متفرقة، فلما كان بالليل دفناه وسوينا القبور كلها، فنعميه على الناس فلا ينبشونه [١].

قلت: فما يرجون منه؟ قال: كانت السماء إذا حبست عنهم برزوا بسريره فيمطرون.

قلت: من كنتم تظنون الرجل؟ قال: رجل يقال له دانيال.

قلت: مذكم وجدتموه؟ قال: قد مات منذ ثلاثمائة سنة.

قلت: ما تغير منه شيء؟ قال: لا إلا شعرات من قفاه، إن لحوم الأنبياء لا يبليها الأرض، ولا تأكلها السباع.

قال ابن كثير: وهذا إسناد صحيح إلى أبي العالية.

ويبدو أن هذا من أنبياء بني إسرائيل، وقد ظنَّ الصحابة أنّه دانيال، لأن دانيال أخذه ملك الفرس، فأقام عنده مسجونًا، ويبدو أنَّ تقدير الذين وجدوه لم يكن صوابًا، فإنَّ دانيال كان قبل الإسلام بثمانمائة سنة، فإن كان تقديرهم صوابًا فليس بنبيّ لأنه لا نبي بين عيسى ورسولنا محمد عليهما الصلاة والسلام، فيكون عبدًا صالحًا ليس بنبي، وكونه نبيًا أرجح، لأن الذين تحفظ أجسادهم هم الأنبياء دون غيرهم، ورجح هذا أيضًا ذلك الكتاب الذي وجد عند رأسه، لا شك أنه كتاب نبي، فالأمور الغيبية التي تضمنها لا تكون إلا وحيًا سماويًا، وترجيحنا لكونه من بني إسرائيل لأمرين:

الأول: ظن الصحابة أنه دانيال، ويكونون قد علموا ذلك من قرائن لم تذكر.

والثاني: الكتاب الذي وجد عند رأسه، ويبدو أنه كان مكتوبًا بالعبرانية، لأن الذي ترجمه هو أبي بن كعب، وقد كان قبل إسلامه يهوديًا [٢].

---

(١) قال د. عمر الأشقر: وهذا يدل على فقه المسلمين في ذلك الوقت، فإن إكرام الميت دفنه سواء أكان نبي أم غير نبي، وحفرهم القبور الكثيرة لتعمية أمره على الناس حتى لا ينبشوا قبره وفي ذلك إيذاء لهذا النبي الكريم وقد يتخذون قبره عيدًا ويقيمون عليه مسجدًا ويقصدونه بالدعاء والتبرك كما يفعل كثير من الذين ضلوا عن سواء الصراط في كثير من ديار الإسلام. انظر: الرسل والرسالات، ص ٩٢ هامش ٣.

(٢) الرسل والرسالات، د. عمر الأشقر، ص ٩٢ - ٩٣.

الحديث رقم (١٤٠٢)

١٤٠٢ - وعن أَبي هريرة ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((رَغِمَ انْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ)). رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

رغِم: الأصل التصق بالرغّام وهو التراب، واستعير هنا للذل والخضوع والانقياد[2].

الشرح الأدبي

يعمد البليغ لإبراز عاطفته نحو معانيه إلى التصرف في بناء الجملة فتراه يورد العبارة بأسلوب خبري يمتاز بالهدوء والتجدد والحركة والتصوير، وأحياناً أخرى يلقي إلى السامع بأساليب إنشائية تنقل ما في نفسه من خبر وشك وتعجب ورجاء وأمنيات، وفي الوقت نفسه يكون هذا التغيير ضرورة لدفع السامة وإثارة الانتباه ويعطي النص حيوية وحياة، وقصد المتكلم إلى هذه الأغراض هو الذي يحدد طبيعة الكلام فقد يكون اللفظ والقالب في صورة الخبر والمعنى إنشائي والعكس أيضاً ويكون هذا لغرض يرمي إليه المتكلم[3]، وقول الرسول ﷺ: (رغم أنف) أي أذله وأهانه، قال الزمخشري: (رغم) ألقاه في الرغام في التراب، ومن المجاز ألصقه بالرغام إذا أذله وأهانه، وهو دعاء في صورة إخبار، والدعاء بصيغة الماضي في قوله ﷺ (رغم) يشعر بتأكيد وقوع الطلب، وتحققه كما لو كان قد حصل المطلوب عند الدعاء وذلك أدعى لدقة التبليغ

---

(١) برقم (٣٥٤٥). وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٩٠٨). أورده المنذري في ترغيبه (٢٥٠٠).

(٢) النهاية في (ر غ م).

(٣) ينظر من بلاغة النظم العربي د. عرفة عبد المعطي جـ ٢ صـ ٣٥ بتصرف بسيط

والحرص عليه والحكم هنا ممتد إلى ما يحدث مستقبلا ولو كان الفعل (رغم) هنا إخبار لما كان له من الأثر كما له في الإنشاء في مقام الترهيب من ترك الصلاة على النبي ﷺ عن طريق الدعاء، وصياغة الحديث تنبئ بعظم خسارة هذا الراغم وخيبته، والظرف عند المضاف للضمير العائد عليه يشير إلى مزيد توبيخ لكونه في حضرته ويشعر بخصوصيته به فالتقصير في حقه أقبح.

فقه الحديث

هذه الأحاديث مما يستدل بها على أن الصلاة على النبي ﷺ واجبة[1]، قال ابن القيم: (وقد اختلف في وجوبها كلما ذكر اسمه ﷺ فقال أبو جعفر الطحاوي وأبو عبدالله الحليمي: تجب الصلاة عليه ﷺ كلما ذكر اسمه، وقال غيرها: إن ذلك مستحب وليس بفرض يأثم تاركه. ثم اختلفوا: فقالت فرقة: يجب الصلاة عليه في العمر مرة واحدة لأن الأمر المطلق لا يقتضي تكرارًا، والماهية تحصل بمرة، وهذا محكي عن أبي حنيفة ومالك والثوري والأوزاعي، قال عياض وابن عبدالبر: وهو قول جمهور الأمة.

وقالت فرقة: بل تجب في كل صلاة في تشهدها الأخير وهو قول الشافعي وأحمد في آخر الروايتين عنه وغيرها.

وقالت فرقة: الأمر بالصلاة عليه أمر استحباب لا أمر إيجاب، وهذا قول ابن جرير وطائفة: وادعى ابن جرير فيه الإجماع، وهذا على أصله. فإنه إذا رأى الأكثرين على قول جعله إجماعًا يجب اتباعه[2]).

أما الصلاة على النبي في الصلاة في التشهد الأخير، فقال النووي مذاهب العلماء في ذلك: (مذهبنا أنها فرض فيه، ونقله أصحابنا عن عمر بن الخطاب وابنه رضي الله عنهما، ونقله الشيخ أبو حامد عن ابن مسعود وأبي مسعود البدري رضي الله عنهما، ورواه البيهقي وغيره عن الشعبي وهو إحدى الروايتين عن أحمد. وقال مالك وأبو حنيفة وأكثر العلماء: هي مُستحبة لا واجبة وحكاه ابن المنذر عن مالكٍ وأهل المدينة وعن الثوري وأهل الكوفة

(١) انظر: جلاء الأفهام، ص ٥٤٢ الحديث ٤٠٧، ونيل الأوطار ٤٢٤ ط بيت الأفكار.

(٢) جلاء الأفهام ٥٤٠ - ٥٤١.

وأهل الرأي وجملة من أهل العلم. قال ابن المنذر: وبه أقول وقال إسحاق: إن تركها عمدًا لم تصحّ صلاته، وإن تركها سهوًا رجوت أن تجزئه)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الترهيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على الصلاة على رسول الله ﷺ.

أولاً - من أساليب الدعوة: الترهيب:

إن الترهيب من أساليب الدعوة التي تخوف المدعوين من الوقوع في المخالفات الشرعية، وترك الطاعات، وفعل المنكرات وفي الحديث جاء الترهيب في قول النبي ﷺ "رغم أنف رجل" وهذا كناية عن الذل والحقارة لمن يترك الصلاة على رسول الله ﷺ. قال ابن الأثير: (يقال: رغم يرْغم، ورغَم يرغم رغْمًا ورُغْمًا ورِغْمًا، وأرغم الله أنفه؛ أي ألصقه بالرغام وهو التراب. هذا هو الأصل، ثم استعمل في الذل والعجز عن الانتصاف، والانقياد على كره)[2].

وقال ابن علان: (ورغِم بكسر الغين المعجمة أي: لصق بالرغام أي التراب، وهو كناية عن الذل والحقارة؛ أي ذل وقوله "أنف رجل" والمرأة كذلك)[3].

ولاشك أن في هذا الدعاء بالذلة والحقارة ترهيب للمدعو أن يتكاسل عن الصلاة على رسول الله ﷺ، والترهيب له أثر فاعل في تخويف المدعو. قال د. توفيق الواعي: (والترهيب هو التخويف والتوعد، والمقصود بالترهيب في الشرع كل ما يخفف وكل ما يحذر المدعو من عدم الاستجابة للحق أو عدم الثبات عليه فمن الناس من يلهث وراء الشهوات، ويجري وراء المادة، ويشغف بالمنكر، فهذا يقرعه الترهيب، ويوقفه الإنذار، ويوقظه التخويف من عواقب ما هو فيه. وبالجملة فالترغيب والترهيب في الشريعة يأتي

---

(١) المجموع ٣/٣١٢ ط دار عالم الكتب، وانظر: المغني ٢/٢٢٨-٢٣٠ ط دار هجر، وانظر كذلك: الموسوعة الفقهية ٢٧/٢٣٥ - ٢٣٧، ونيل الأوطار ٤٢٤ - ٤٢٥.

(٢) النهاية في غريب الحديث ٣٦٥.

(٣) دليل الفالحين ١٤٧٠.

حسب الأحوال والنفوس، والمواقف يأتي علاجًا وردعًا، يأتي بشيرًا ونذيرًا)[١].

ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الترهيب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾[٢] وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[٣].

ويجب على الدعاة الهداة الموازنة بين الترغيب والترهيب واستخدام كل في موضعه ومقامه اللائق به.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الحث على الصلاة على رسول الله ﷺ:

إن مما يدل على أهمية الصلاة على رسول الله ﷺ ما جاء في الحديث "رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليَّ".

قال الطيبي: (وقوله: "رغم أنف رجل" كناية عن غاية الذل والهوان، وأن الصلاة على النبي ﷺ عبارة عن تعظيمه وتبجيله، فمن عظم رسول الله ﷺ وحبيبه عظمه الله، ورفع قدره في الدارين، ومن لم يعظمه ذله الله وأهانه. فالمعنى: بعيد من العاقل بل من المؤمن المعتقد أن يتمكن من إجراء كلمات معدودة على لسانه فيفوز بعشر صلوات من الله عز وجل، ويرفع عشر درجات له، ويحط عشر خطيئات عنه ثم لم يغتنمه حتى يفوت عنه، فحقيق بأن يحقره الله تعالى، ويضرب عليه الذلة والمسكنة، وباء بغضب من الله تعالى) [٤].

قال القاضي عياض: (أعلم أن الصلاة على النبي ﷺ فرض على الجملة غير محدد بوقت لأمر الله تعالى بالصلاة عليه، وحمل الأئمة والعلماء له على الوجوب وأجمعوا عليه وقال القاضي أبوبكر بن بكير: افترض الله على خلقه أن يصلوا على

---

(١) الدعوة إلى الله: الرسالة والوسيلة والهدف، ص ٢٠٠.

(٢) سورة الزخرف، الآيتان: ٧٤، ٧٥.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٥٧.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٣٦٥/٢.

نبيه ويسلموا تسليمًا، ولم يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب أن يكثر المرء منها، ولا يغفل عنها)[1].

وفي أهمية الصلاة على رسول الله ﷺ (جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إذا أرد أحدكم أن يسأل الله شيئًا فليبدأ بمدحه والثناء عليه بما هو أهله ثم يصلي على النبي ﷺ ثم ليسأل فإنه أجدر أن ينجح. وقال ابن عطاء: للدعاء أركان وأجنحة وأسباب وأوقات فإن وافق أركان قوى وإن وافق أجنحته طار في السماء، وإن وافق مواقيته فاز وإن وافق أسبابه أنجح فأركانه حضور القلب والرقة والاستكانة والخشوع وتعلق القلب بالله وقطعه من الأسباب، وأجنحته الصدق، ومواقيته الأسحار وأسباب الصلاة على محمد ﷺ) [2].

هذا وقد عدَّ الإمام ابن القيم أكثر من ثلاثين فائدة وثمرة تحصل بالصلاة على النبي ﷺ وذكر منها: (امتثار أمر الله سبحانه وتعالى، وموافقته سبحانه في الصلاة عليه ﷺ، وموافقة الملائكة فيها، وحصول عشر صلوات من الله على المصلي مرة، وأن يرفع له عشر درجات، وأن يكتب له عشر حسنات، وأن يمحي عنه عشر سيئات، وأن يرجى إجابة دعائه إذا قدمها أمامه، وأنها سبب لشفاعته ﷺ، وأنها سبب لغفران الذنوب، وأنها سبب لكفاية الله العبد ما أهمه وأنها سبب لقرب العبد منه ﷺ يوم القيامة وأنها سبب لقضاء الحوائج، وأنها سبب لطيب المجلس، وأنها سبب لرد النبي ﷺ الصلاة والسلام على المسلم وأنها سبب لنفي الفقر...)[3].

إن هذا الحديث يخبر فيه النبي ﷺ أن من يتكاسل عن الصلاة عليه يذله الله ويحقره، قال المباركفوري: (قوله "رغم أنف رجل" أي لصق أنفه بالتراب كناية عن حصول الذل والفاء في قوله "فلم يصل عليّ" قيل استبعادية أي يستبعد على العاقل أن يترك الصلاة عليه ﷺ وقيل إنها للتعقيب فتقيد به ذم التراخي عن الصلاة عليه عند

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢/٤٢٢.

(٢) المرجع السابق نفسه ٢/٤٢٦.

(٣) جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام، ص ٦١٠ - ٦١٤.

ذكره ﷺ)[1].

وقال د. الحسيني هاشم: (ومعنى الحديث أن الصلاة عليه ﷺ سبيل العزة والرفعة، وأن تركها مؤدٍ إلى الذلة والانحطاط)[2].

هذا والواجب على المسلم أن يكثر من الصلاة على رسول الله ﷺ، وأن يحرص على ذلك في كل موطن يذكر فيه ﷺ حتى لا يناله الدعاء بالذلة والحقارة على من ترك ذلك.

---

(١) تحفة الأحوذي ٢/٢٥٠١.

(٢) شرح رياض الصالحين ٦٧١.

الحديث رقم (١٤٠٣)

١٤٠٣ - وعنه ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((**لا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّ صَلاَتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ**)). رواه أَبُو داود[1] بإسنادٍ صحيح.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

عيدًا: فعيل بمعنى مفعول، أي: تعتادون زيارته[2].

تبلغني: تصلني[3].

الشرح الأدبي

الحديث يتصدره أسلوب نهي ينبيء بخطأ قد يقع مستقبلا يغلق الباب دونه، وهو أشبه بالمصل الواقي من الوقوع في الخطأ؛ لأنه يتحدث عن قبره، وهو حي لم ينتقل إليه بعد، لأنه اتخاذ قبور الأنبياء عيدا، ومساجد خطأ ضلت به الأمم السابقة فحذر الرسول ﷺ أمته من اتخاذ قبره عيدا، والعيد اسم ما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد عائدا ما تعود السنة أو يعود الأسبوع أو الشهر ونحو ذلك، وقال ابن القيم (الْعِيدُ مَا يُعْتَادُ مَجِيئُهُ وَقَصْدُهُ مِنْ زَمَنٍ وَمَكَانٍ مَأْخُوذٍ مِنْ الْمُعَاوَدَةِ وَالاعْتِيَادِ، فَإِذَا كَانَ اسْمًا لِلْمَكَانِ فَهُوَ الْمَكَانُ الَّذِي يُقْصَدُ فِيهِ الاجْتِمَاعُ وَالانْتِيَابُ بِالْعِبَادَةِ وَبِغَيْرِهَا كَمَا أَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَمِنًى وَمُزْدَلِفَةَ وَعَرَفَةَ وَالْمَشَاعِرَ جَعَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى عِيدًا لِلْحُنَفَاءِ وَمَثَابَةً لِلنَّاسِ، كَمَا جَعَلَ أَيَّامَ الْعِيدِ مِنْهَا عِيدًا. وَكَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَعْيَادٌ زَمَانِيَّةٌ وَمَكَانِيَّةٌ فَلَمَّا جَاءَ اللَّهُ بِالإِسْلامِ أَبْطَلَهَا وَعَوَّضَ الْحُنَفَاءَ مِنْهَا عِيدَ الْفِطْرِ وَعِيدَ النَّحْرِ، كَمَا عَوَّضَهُمْ عَنْ أَعْيَادِ الْمُشْرِكِينَ الْمَكَانِيَّةِ بِكَعْبَةٍ وَمِنًى وَمُزْدَلِفَةَ وَسَائِرِ الْمَشَاعِرِ،

---

(١) برقم (٢٠٤٢). وقال الحافظ ابن حجر كما في الفتوحات الربانية (٣/٣١٣): حديثٌ حسنٌ.

(٢) الوسيط في (ع و د).

(٣) الوسيط في (ع و د).

قال المناوي في فتح القدير معناه النهي عن الاجتماع لزيارته اجتماعهم للعيد إما لدفع المشقة أو كراهة أن يتجاوزوا حد التعظيم، وقيل العيد ما يعاد إليه أي لا تجعلوا قبري عيدا تعودون إليه متى أردتم أن تصلوا علي فظاهره منهي عن المعاودة والمراد المنع عما يوجبه وهو ظنهم بأن دعاء الغائب لا يصل إليه ويؤيده قوله (وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم) أي لا تتكلفوا المعاودة إلي فقد استغنيتم بالصلاة علي، والأمر بالصلاة للترغيب فيها، والظرف (حيث) يلغي الفارق المكاني، والزماني بينه، وبينهم مقررا ضمنا قربه منهم في كل مكان أو زمان صلوا عليه فيه.

فقه الحديث

السَّفر لزيارة قبر النبي ﷺ:

قال العظيم آبادي: (قال المناوي في فيض القدير: معناه النهي عن الاجتماع لزيارته اجتماعهم للعيد، إما لدفع مشقة أو كراهة أن يتجاوزوا حدّ التعظيم. وقيل العيد ما يعاد إليه، أي لا تجعلوا قبري عيدًا تعودون إليه متى أردتم أن تصلُّوا عليّ. فظاهره منهي عن المعاودة والمراد المنع عما يوجبه، وهو ظنهم بأن دعاء الغائب لا يصل إليه، ويؤيده قوله: "وصلُّوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم" أي لا تتكلفوا المعاودة إليّ فقد استغنيتم بالصلاة عليّ.

قال المناوي: ويؤخذ منه أن اجتماع العامة في بعض أضرحة الأولياء في يوم أو شهر مخصوص من السنة ويقولون: هذا يوم مولد الشيخ ويأكلون ويشربون وربما يرقصون فيه، منهي عنه شرعًا، وعلى وليّ الشرع ردعهم على ذلك، وإنكاره عليهم وإبطاله.

وقال ابن تيمية: الحديث يشير إلى أن ما ينالني منكم من الصلاة والسلام يحصل مع قربكم من قبري وبعدكم عنه، فلا حاجة بكم إلى اتخاذه عيدًا)[1].

والحديث دليل على منع السفر لزيارته ﷺ لأن المقصود منها هو الصلاة والسلام عليه والدعاء له ﷺ، وهذا يمكن استحصاله من بعد كما يمكن من قرب، وأن من سافر إليه وحضر مع ناس آخرين فقد اتخذه عيدًا، وهو منهي عنه بنصّ الحديث.

---

(١) عون المعبود ٩٠٦ ط بيت الأفكار، وانظر: الموسوعة الفقهية ٢٤/٨٥ - ٨٦.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: أهمية الالتزام بالآداب الشرعية عند زيارة النبي ﷺ.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على الصلاة على النبي ﷺ والإكثار منها لأنه تبلغه ﷺ.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الأمر والترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: أهمية الالتزام بالآداب الشرعية عند زيارة النبي ﷺ:

إن مما جاءت به شريعة الإسلام النهي عن التشبه بأهل الكتاب في اتخاذ قبور الأنبياء أعيادًا ومجال لهو واستمتاع والنهي عن الخروج في زيارة قبور الأنبياء عن الحدود التي حدها الشرع في زيارة المقابر من التذكر والاتعاظ، ومن ذلك ما جاء في الحديث من نهيه ﷺ عن اتخاذ قبره عيدًا فقال ﷺ: "لا تجعلوا قبري عيدًا"، قال العظيم آبادي في عون المعبود، قال المناوي في فتح القدير: معناه النهى عن الاجتماع لزيارته اجتماعهم للعيد إما لدفع المشقة أو كراهة أن يتجاوزوا حد التعظيم، وقيل العيد ما يعاد إليه أى لا تجعلوا قبري عيدًا تعودون إليه متى أردتم أن تصلوا عليّ، فظاهره منهي عن المعاودة، والمراد المنع عما يوجبه وهو ظنهم بأن دعاء الغائب لا يصل إليه، ويؤيده قوله" وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم، وقال ابن تيمية: الحديث يشير إلى أن ما ينالني منكم من الصلاة والسلام يحصل مع قربكم من قبري وبعدكم عنه فلا حاجة بكم إلى اتخاذه عيدًا[2]، قال ابن علان بعدما ساق أقوال العلماء: وحاصله أن المنهي عنه الاجتماع عند قبره للزينة واللهو وغير ذلك من المحرمات التي تعمل في الأعياد، والنهى عن معاودة تؤدي إلى الإخلال لعظيم الحرمة، أو الملل أو سوء الأدب أو نحو ذلك[3].

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٤٠٣- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٤٠٤).

(٢) عون المعبود ٩٠٦.

(٣) دليل الفالحين، ص ١٤٧٠.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الحث على الصلاة على النبي ﷺ والإكثار منها لأنه تبلغه ﷺ:

ورد ذلك في الحديث، في قوله ﷺ: وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم"، قال ابن عثيمين: إذا صليت على الرسول ﷺ فإن صلاتك تبلغه حيثما كنت في بر أو بحر أو جو، قريبًا كنت أو بعيدًا[1]، وذلك من خصائصه ﷺ قبول الصلاة عليه في أي مكان ووصولها إليه[2]، لذا كان الحث واغتنام الحياة في كثرة الصلاة على رسول الله ﷺ، فهي سبب لرفع الدرجات وحط السيئات، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من صلى عليّ صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات ورفعت له عشر درجات"[3]. والحديث بين بلاغ الصلاة إلى رسول الله ﷺ، "فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم"، وما أجمل أن تَصِلَ صلاة وسلام المسلم إلى رسول الله ﷺ ويعلم بها النبي ﷺ وبصاحبها، فعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "أكثروا الصلاة عليّ، فإن الله وكل بي ملكًا عند قبري، فإذا صلى عليّ رجل من أمتي، قال لي ذلك الملك، يامحمد إن فلان ابن فلان صلى عليك الساعة"[4].

فدل هذا الحديث أن الصلاة على رسول الله ﷺ سبب لعرض اسم المصلي على رسول الله ﷺ[5]، ويا له من عظيم الأجر والجزاء وتحصيل السؤدد والشرف أن يرد الرسول ﷺ على من يسلم عليه، كما جاء في الحديث ما من مسلم يسلم عليّ إلا رد الله عليّ روحي حتى أرد عليه السلام".

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٥٠٢/٢.

(٢) انظر: موسوعة نضرة النعيم ٥٦٦/١.

(٣) أخرجه النسائي ١٢٩٧، وصححه الألباني (صحيح الجامع ٦٢٣٥).

(٤) رواه الديلمي في مسند الفردوس ٩٣/١، وحسنه الألباني (سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٥٣٠، وصحيح الجامع الصغير ١٢١٨).

(٥) انظر: موسوعة نضرة النعيم ٥٦٨/١.

وهذه فائدة من فوائد وفضائل الصلاة على رسول الله ﷺ، وقد عدد الإمام ابن القيم ثلاثًا وثلاثين فائدة للصلاة على رسول الله ﷺ ننقلها إتمامًا للفائدة:

الأولى: امتثال أمر الله سبحانه وتعالى.

الثانية: موافقته سبحانه في الصلاة عليه ﷺ، وإن اختلفت الصلاتان، فصلاتنا عليه دعاء وسؤال، وصلاة الله تعالى عليه ثناء وتشريف.

الثالثة: موافقة ملائكته فيها.

الرابعة: حصول عشر صلوات من الله على المصلي مرة.

الخامسة: أنه يرفع له عشر درجات.

السادسة: أنه يكتب له عشر حسنات.

السابعة: أنه يمحى عنه عشر سيئات.

الثامنة: أنه يرجى إجابة دعائه إذا قدمها أمامه، فهي تصعِّد الدعاء إلى رب العالمين عز وجل.

التاسعة: أنها سبب لشفاعته ﷺ إذا قرنها (بسؤال) الوسيلة له أو أفردها.

العاشرة: أنها سبب لغفران الذنوب.

الحادية عشر: أنها سبب لكفاية الله العبد ما أهمه.

الثانية عشر: أنها سبب لقرب العبد منه ﷺ يوم القيامة.

الثالثة عشر: أنها تقوم مقام الصدقة لذي العسرة.

الرابعة عشر: أنها سبب لقضاء الحوائج.

الخامسة عشر: أنها سبب لصلاة الله على المصلي، وصلاة ملائكته عليه.

السادسة عشر: أنها زكاة للمصلي وطهارة له.

السابعة عشر: أنها سبب لتبشير العبد بالجنة قبل موته.

الثامنة عشر: أنها سبب للنجاة من أهوال يوم القيامة.

التاسعة عشر: أنها سبب لرد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الصلاة والسلام على المصلي والمسلم عليه.

العشرون: أنها سبب لتذكر العبد ما نسيه.

الحادية والعشرون: أنها سبب لطيب المجلس، وأن لا يعود حسرة على أهله يوم القيامة.

الثانية والعشرون: أنها سبب لنفي الفقر.

الثالثة والعشرون: أنها تنفي عن العبد اسم البخل إذا صلى عليه عند ذكره، صلى الله تعالى عليه وسلم.

الرابعة والعشرون: نجاته من الدعاء عليه برغم الأنف إذا تركها عند ذكره ﷺ.

الخامسة والعشرون: أنها ترمي صاحبها على طريق الجنة، وتخطئ بتاركها عن طريقها.

السادسة والعشرون: أنها تنجي من نتن المجلس الذي لا يذكر فيه الله تعالى ورسوله ﷺ، ويحمد الله ويثنى عليه فيه، ويصلي على رسوله ﷺ.

السابعة والعشرون: أنها سبب لتمام الكلام الذي ابتدئ بحمد الله تعالى والصلاة على رسوله ﷺ.

الثامنة والعشرون: أنها سبب لوفور نور العبد على الصراط.

التاسعة والعشرون: أنه يخرج بها العبد عن الجفاء.

الثلاثون: أنها سبب لإبقاء الله سبحانه الثناء الحسن للمصلي عليه بين أهل السماء والأرض؛ لأن المصلي طالب من الله أن يثنى على رسوله ويكرمه ويشرفه، والجزاء من جنس العمل، فلابد أن يحصل للمصلي نوع من ذلك.

الحادية والثلاثون: أنها سبب للبركة في ذات المصلي وعمله وعمره وأسباب مصالحه؛ لأن المصلي داع ربه أن يبارك عليه، وعلى آله، وهذا الدعاء مستجاب، والجزاء من جنسه.

الثانية والثلاثون: أنها سبب لنيل رحمة الله له؛ لأن الرحمة إما معنى الصلاة - كما قاله طائفة-، وإما من لوازمها وموجباتها على القول الصحيح، فلابد للمصلي عليه من رحمة تناله.

الثالثة والثلاثون: أنها سبب لدوام محبته للرسول ﷺ وزيادتها وتضاعفها. وذلك عقد من عقود الإيمان الذي لا يتم إلا به؛ لأن العبد كلما أكثر من ذكر المحبوب واستحضاره في قلبه واستحضار محاسنه ومعانيه الجالبة لحبه، تضاعف حبه له، وتزايد شوقه إليه واستولى على جميع قلبه، وإذا أعرض عن ذكره وإحضاره وإحضار محاسنه بقلبه؛ نقص حبه من قلبه، ولا شيء أقر لعين العبد من رؤية محبوبه، ولا أقر لقلبه من ذكره وإحضار محاسنه، فإذا قوي هذا في قلبه؛ جرى لسانه بمدحه والثناء عليه وذكر محاسنه، وتكون زيادة ذلك ونقصانه بحسب زيادة الحب ونقصانه في قلبه، والحس شاهد بذلك، حتى قال بعض الشعراء في ذلك:

عجبت لمن يقول ذكرت حبي ... وهل أنسى فأذكر من نسيت

فتعجب هذا المحب ممن يقول: ذكرت محبوبي؛ لأن الذكر يكون بعد النسيان، ولو كمل حب هذا؛ لما نسي محبوبه[1].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الأمر والترغيب:

ورد أسلوب الأمر في الحديث في قوله ﷺ: "وصلوا عليّ" وأسلوب الأمر من الأساليب الدعوية النافعة لحمله المدعو على الالتزام بما جاء في مضمون الأمر خاصة إذا ما قرن هذا الأمر وشفع بالترغيب، كما جاء في الحديث الترغيب في الإكثار من الصلاة على رسول الله ﷺ ببيان جوازها في أى مكان وبلوغها رسول الله ﷺ "وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم" وأسلوب الترغيب يوافق طبيعة النفس البشرية وما جبلت عليه من حبها وإقبالها على ما فيه سعادتها وصلاح أمرها[2].

إن الترغيب أحد العوامل الرئيسة التي تدفع الإنسان إلى فعل الطاعات، قال تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[3]، وذكر الله أن حال المؤمنين وعلى رأسهم الأنبياء

---

(١) انظر: جلاء الأفهام عن فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام ٦١٢ - ٦١٦.

(٢) انظر: موسوعة نضرة النعيم ٦/٢١٢٧.

(٣) سورة السجدة، آية: ١٦.

الرغبة والرهبة، الرجاء والخوف، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[١]. وقد لخص أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند موته حياة المؤمن الحق، فقال: راغب راهب، أي راغب فيما عند الله وراهب من عذابه[٢].

(١) سورة الأنبياء، آية: ٩٠.

(٢) النهاية ٣٣٧.

الحديث رقم (١٤٠٤)

١٤٠٤ - وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إلاَّ رَدَّ اللهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلاَمَ)). رواه أَبُو داود[1] بإسنادٍ صحيح.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث يقرر معنى التواصل بين النبي ﷺ، وأمته بعد موته عن طريق السلام عليه، وتمكين الله تعالى له من الرد عن طريق رد روحه عليه، ومعنى هذا أن سلامنا على النبي ﷺ حياة للنبي ﷺ وتواصل معه، وما أجمل أن تستشعر معية الحبيب كلما سلمت عليه، وقد قرر هذا المعنى عن طريق أسلوب القصر بالنفي، والاستثناء، وهذا الطريق يستخدم في إبراز المعاني التي يجهلها المخاطب أو ينكرها؛ لأن فيها فضل توكيد بالإثبات بعد النفي، ولغرابة المعنى مع عظمته أكد بهذا الأسلوب، حيث قصر سلام المسلم على الرسول ﷺ على رد روحه إليه ورده عليه، والحديث يبدأ بالتعميم، والاستغراق المسبوق بالنفي في قوله: (مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ) يليه الاستثناء المقرر للمعنى المراد في قوله (إلاَّ رَدَّ اللهُ عَلَيَّ رُوحِي) ثم بيَّن الغرض من هذا الحدث العظيم، وهو رد الروح، وهو قوله: (حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلاَمَ) فالغاية من هذا الرد للروح الطاهرة هو رد السلام على رسول ﷺ.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم (٢٠٤١). وقال الحافظ في الفتح (٦/٤٨٨): رواته ثقات.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٤٠٥)

١٤٠٥ - وعن عليّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((**البَخِيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ**)). رواه الترمذيُّ[١]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عليّ بن أبي طالب: تقدمت ترجمته في الحديث (٧٦٨).

الشرح الأدبي

الرسول ﷺ يضع مفهوما جديدا للبخيل يخالف المفهوم المعروف عند الناس بصفات الشح، ولذلك عرَّفه باللام (البخيل) وهي للذم أي الكامل في صفة البخل، أو البخيل الحقيقي، والتعريف بالموصول بعده للذم أي حقيق بالصفات المذكورة وقوله: (ذكرت) بالبناء للمفعول لعدم تعلق غرض بذكره لأن العبرة بالمذكور، وليس بالذاكر، والظرف عند، وإضافته إلى ضميره يصعِّد الذم، والتوبيخ لأنه بخل على ضيفه، وهو أكرم ضيف بأيسر شيء وهو الصلاة عليه باللسان، وأشد الناس بخلا من يبخل بالكلمة الطيبة لاسيما كلمة فيها ذكر لله، وصلاة على رسوله ﷺ مع أن مردودها عليه لأن الله يصلي عليه بها عشرا، ويرفعه بها درجات، ويغفر له بها من خطاياه والفعل المضارع المنفي (ولم يصل علي) يصور استمرار صمته حال ذكر الاسم الطاهر بين مسامعه، وهو غافل عنه، والحديث يشير إلى أن اسم الرسول ﷺ له خصيصة عن جميع أسماء البشر تستلزم التوقف قليلا لأداء التحية، وتستحق التوقف كثيرا لتأمل السيرة العطرة، والأسوة الحسنة في كل عمل، والتي تشير إلى أن المذكور ليس بشرا عاديا، ولكنه رسول الله ﷺ، وهو صاحب الفضل عليك في أعظم نعمة أنت فيها، وهي نعمة الإسلام عرفك الطريق إلى السعادة الأبدية بلزومك عتبة العبودية تليها دار نعيم أبدية.

---

(١) برقم (٣٥٤٦). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٩٠٩)، وقال الحاكم (٥٤٩/١): هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٢٥٠٤).

فقه الحديث

هذا الحديث مما استدلّ به على وجوب الصلاة على النبي ﷺ في الصلاة وقد تقدمت المسألة في الحديث رقم (١٤٠٢).

قال الشوكاني: (ومن جملة ما استدلّ به القائلون بوجوب الصلاة بعد التشهد الأخير هذا الحديث. قالوا: وقد ذكر النبي ﷺ في التشهد وهذا أحسن ما استدل به على المطلوب، وتعقبهم الشوكاني فقال: لكن بعد تسليم تخصيص البخل بترك الواجبات، وهو ممنوع، فإن أهل اللغة والشرع والعرف يطلقون اسم البخيل على من شح بما ليس بواجب فلا يستفاد من الحديث الوجوب)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: التنفير من ترك الصلاة على النبي ﷺ.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحذر من ترك الصلاة على النبي ﷺ

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: التنفير من ترك الصلاة على النبي ﷺ:

إن البخل من الأخلاق المذمومة وهو ذريعة إلى كل مذمة، والبخل إذا تمكن من صاحبه لم يبق معه خير موجود ولا صلاح مأمول[2].

وقد اجتمع الناس على ذم البخل ومدح الكرم والجود، قال ابن تيمية: إن الجميع يتمادحون بالشجاعة والكرم، حتى إن ذلك عامة ما تمدح به الشعراء ممدوحيهم في شعرهم، وكذلك يتذامون بالبخل والجبن. ثم قال: ولما كان صلاح بني آدم لا يتم في دينهم ودنياهم إلا بالشجاعة والكرم، بين الله سبحانه أنه من تولى عنه بترك الجهاد بنفسه أبدل الله من يقوم بذلك ومن تولى عنه بإنفاق ماله أبدل الله به من يقوم بذلك.

---

(١) نيل الأوطار ٤٢٣ - ٤٢٤ ط بيت الأفكار.

(٢) انظر: أدب الدنيا والدين، الإمام الماوردي، ص ٢٢٨.

فقال: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾[1][2].

ومن أشد أنواع البخل الامتناع عن الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وقد جاء ذلك في صريح قوله ﷺ "البخيل من ذكرت عنده فلم يصل عليّ أى الكامل البخل الذي ذكر اسمي بمسمع منه "فلم يصل علي" لأنه بخل على نفسه حيث حرمها صلاة الله عليه عشرًا إذا هو صلى واحدة"[3]. إضافة إلى ما في ترك الصلاة على رسول الله ﷺ عند ذكر وسماع اسمه من الجفاء وإذهاب هيبته ﷺ في النفوس، فإن الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ والثناء عليه بما هو أهله من غير غلو ولا تقصير خاصة عند ورود ذكره الشريف على المسامع واللسان وعند الخط بالبنان[4]، من ألوان توقيره وتعزيزه، وقد أمرنا الله بذلك، فقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[5].

قال السعدي: في قوله: "وتعزروه وتوقروه" أى تعزروا الرسول ﷺ وتوقروه أى تعظموه وتجلوه، وتقوموا بحقوقه، كما كانت له المنة العظيمة في رقابكم[6].

فالصلاة على رسول الله ﷺ سبب لدوام محبة المسلم للرسول ﷺ وزيادتها وتضاعفها، وذلك عقد من عقود الإيمان الذي لا يتم إلا به، لأن العبد كلما أكثر من

(١) سورة محمد، آية: ٣٨.

(٢) الاستقامة، لابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، القاهرة، الطبعة الثانية، بدون تاريخ، ج٢/٢٦٣.

(٣) تحفة الأحوذي، المباركفوري، ج٢/٢٥٠١.

(٤) انظر: محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع، عبدالرءوف محمد عثمان، ٧٧.

(٥) سورة الفتح، الآيتان: ٨، ٩.

(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن السعدي، ص٧٣٦.

ذكر المحبوب واستحضاره في قلبه واستحضار محاسنه ومعانيه الجالبة لحبه تضاعف حبه له وتزايد شوقه إليه واستولى على جميع قلبه، وإذا أعرض عن ذكره وإحضار محاسنه بقلبه نقص حبه من قلبه، كما أن الصلاة على رسول الله ﷺ سبب لهداية العبد وحياة قلبه، فإنه كلما أكثر الصلاة عليه ﷺ وذكره استولت محبته على قلبه، حتى لا يبقى في قلبه معارضة لشيء من أوامره، ولاشك في شيء مما جاء به، بل يصير ما جاء به مكتوبًا مسطورًا في قلبه، لازال يقرؤه على تعاقب أحواله، ويقتبس الهدى والفلاح وأنواع العلوم منه، وكلما ازداد في ذلك بصيرة وقوة معرفة ازدادت صلاته عليه ﷺ[1].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الحذر من ترك الصلاة على النبي ﷺ:

إن الرسول ﷺ منبع الهداية وطريق النجاة، وعلى كل إنسان أن يدرك ذلك وأن يمتلئ قلبه حبًا له فلا يهمل الصلاة عليه، لأنها من دلائل ذلك الحب المعبرة عن تعلق القلب به ﷺ ومتابعته له، إلا من شح طبعه وغلظت نفسه وضاع منه الفضل والإحسان أو الشعور بالواجب والمسئولية والقيام برد الجميل[2].

من أجل ذلك تضافرت النصوص على التحذير والتنفير من ترك الصلاة على النبي ﷺ، ومنها ما جاء في الحديث "البخيل من ذكرت عنده فلم يصل عليّ"، وذلك لأنه بامتناعه من الصلاة عليه قد شح وامتنع من أداء حق يتعين عليه أداؤه امتثالاً للأمر، ولما فيه من مكافئة جزئية لمن كان سببًا في سعادته الأبدية، بل في الحقيقة إنما شح وبخل عن نفسه، ومنعها أن يصل إليها عطاء عظيم ممن يعطي بلا حساب ولا تنقص خزائنه بالعطاء، فبهذا الشح تفوته تلك الكنوز التي لولاه لكان يكتالها بالمكيال الأوفى من غير أدنى مشقة[3]، وقد جاءت الأحاديث الكثيرة التي تنفر من ترك الصلاة على رسول الله ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا

---

(١) جلاء الأفهام عن فضل الصلاة على محمد خير الأنام، الإمام ابن القيم، ص ٣٦٥.

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٦٧٢.

(٣) دليل الفالحين، ابن علان، ص ١٤٧١.

لَمْ يَذْكُرُوا اللهَ فِيهِ وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ إِلاَّ كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ)[1]، أي إلا كان عليهم هذا المجلس تبعة ومعاتبة ونقصانًا وحسرة[2].

إن من الجفاء في حق نبينا ﷺ ترك الصلاة والسلام عليه.

إن هذا والله من الغبن والحرمان، إن كان ربنا تبارك وتعالى يصلي عليه هو وملائكته أفلا نصلي عليه؟!.

بلى والله!! فهذا حقه علينا، بأبي هو وأمي. ولقد رغّبنا ﷺ في الصلاة عليه، وأخبر أن من فعل ذلك صلت عليه الملائكة.

وهذا الحديث أيضًا، قاعدة نورانية جامعة، يرغب المسلم أن يعمل الطاعات التي بموجبها تصلي الملائكة على صاحبها، فهل بعد هذا البيان بيان.

عن عامر بن ربيعة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: ((مَا مِنْ مسلم يُصَلي عَلَيَّ إِلاَّ صلَّتْ عَلَيهِ الْمَلاَئِكة مَا دَامَ يُصَلي عليَّ، فلْيُقِلَّ الْعَبْدُ مِنْ ذلِكَ أَوْ لِيُكْثِرْ))[3].

فمهما صليت على النبي ﷺ، صلت عليك الملائكة، فاختر لنفسك، إما تُقِلّ أو تستكثر. ولقد أمرنا الله عز وجل بالصلاة على رسول الله ﷺ فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[4][5].

قال السعدي: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ تعالى ﴿وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ أي: يثني الله عليه بين الملائكة المقربون، ويدعون له ويتضرعون، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ اقتداء بالله وملائكته، وجزاء له على بعض حقوقه عليكم ... وهذا الأمر بالصلاة والسلام عليه مشروع في جميع الأوقات، وأوجبه كثير من العلماء في الصلاة[6].

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٣٨٠، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٦٩١).

(٢) تحفة الأحوذي، المباركفوري، ٢٤٢٦/٢.

(٣) أخرجه ابن ماجه ٩٠٧، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٧٣٩).

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٥٦.

(٥) انظر: التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد، ص ٣٣٥.

(٦) انظر: تيسير الكريم الرحمن ٦٠٢.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترهيب:

ورد أسلوب الترهيب في الحديث، في ترهيب النبي ﷺ من عدم الصلاة عليه عند ذكره ﷺ ووصم مَنْ هذه صفته بأبغض الصفات، فقال ﷺ: "البخيل من ذكرت عنده فلم يصل عليّ"، والترهيب من الأساليب الدعوية النافعة المفيدة، لما يتحقق به عند المدعو من رهبة تخالج شعوره وتدفعه إلى البعد المرغوب عنه وعما يؤدى إليه من أعمال[1].

وقد استخدم القرآن أسلوب الترهيب في عرض الدعوة في كثير من الآيات، منها قوله تعالى: ﴿۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾[2]، وقوله: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[3]، والرهبة من دلائل يقين المؤمن وعلمه، فعن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[4]، قال كان يقال كفى بالرهبة علمًا[5]، وقال النيسابوري: (الرهبة هي الخوف، والخوف إما من العقاب وهو نصيب أهل الظاهر وإما من الجلال وهو وظيفة أرباب القلوب، والأول يزول والثاني لا يزول، ومن كان خوفه في الدنيا أشد كان أمنه يوم القيامة أكثر، وبالعكس)[6].

---

(١) انظر: موسوعة نضرة النعيم ٦/٢١٧٠.

(٢) سورة النحل، آية: ٥١.

(٣) سورة النساء، آية: ١٤.

(٤) سورة فاطر، آية: ٢٨.

(٥) جامع البيان، الطبري، ط١، ١٩٩.

(٦) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين النيسابوري، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، مكتبة ومطبعة الحلبي، القاهرة، ١٩٦٢م، ص٢٧٠.

الحديث رقم (١٤٠٦)

١٤٠٦- وعن فَضَالَةَ بنِ عُبَيْدٍ ﵁، قَالَ: سَمِعَ رسُولُ الله ﷺ، رَجُلاً يَدْعُو في صَلاَتِهِ لَمْ يُمَجِّدِ الله تَعَالَى، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبيِّ ﷺ، فَقَالَ رسُولُ الله ﷺ: ((عَجِلَ هَذَا)) ثُمَّ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ - أَوْ لِغَيْرِهِ - : ((إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبيِّ ﷺ، ثُمَّ يَدْعُو بَعْدُ بِمَا شَاءَ)). رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

فَضَالة بن عُبيد الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥١٤).

غريب الألفاظ:

لم يمجد الله تعالى: أي لم يعظّم الله ولم يثنِ عليه[2].

الشرح الأدبي

لا يترك الرسول ﷺ خطأ يراه إلا قوّمه وبيّن وجه الصواب، ونصح، وأرشد وهو ما انتدب إليه جميع المسلمين ألا يتركوا مخطئا مقيما على خطئه دون أن يبينوا له الصواب إن كان جاهلا، وينهوه عن المنكر إن كان عاصيا، وبذلك يظل المجتمع المسلم مجتمع الأخيار تتوفر فيه شروط الخيرية على جميع الأمم، وقول الراوي: (سمع رسول ﷺ) يفيد إدراكه للمخطيء حال تلبسه بالخطأ، وتنكير كلمة رجل لعدم تعلق فائدة بذكره، ولأن الستر على المخطيء خير من ذكره ما لم يتعلق غرض شرعي بذكره، وقوله (يَدْعُو في صَلاَتِهِ لَمْ يُمَجِّدِ الله تَعَالَى، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبيِّ - ﷺ) يبين موضع الخطأ وطبيعته، وقوله (عجل هذا) يوحي بسبب الخطأ وهو العجلة، والإشارة لتمييز المخطيء أكمل تمييز لأنه يريد أن يعلم من حوله حتى لا يقعوا فيما وقع

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٨١)، والترمذي (٣٤٧٧) ولفظهما سواء. وصحّحه ابن حبان (١٩٦٠)، وقال الحاكم (١/ ٢٣٠): هذا حديث صحيحٌ على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٢) المعجم الوسيط في (م ج د).

فيه، وقوله (إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ) يمثل التوجيه إلى الصواب الذي يجب أن يلتزمه في الصلاة، وصياغته في ثوب الشرط تجعله عادة مرتبطة بالصلاة كلما صلى فعل ذلك حتى تصعد صلاته إلى ربه في أتم صورة تحقق الغاية منها دون إفراط، ولا تفريط

فقه الحديث

قال النووي: (أجمع العلماء على استحباب ابتداء الدعاء بالحمد لله تعالى والثناء عليه، ثم الصلاة على رسول الله ﷺ، وكذلك يختم الدعاء بهما، والآثار في هذا الباب معروفة)[1].

وقد احتجّ بهذا الحديث على وجوب الصلاة على النبي في التشهد الأخير[2]، وقد مضى الخلاف في هذا الحديث (١٤٠٢).

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: توجيه المدعو إلى الكيفية الصحيحة للدعاء.

ثانيًا: من آداب المدعو: البدء بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسول الله ﷺ ثم الدعاء بما شاء.

ثالثًا: من وسائل الدعوة: التعليم.

رابعًا: من صفات الداعية: الرفق بالمدعوين.

أولاً- من مهام الداعية: توجيه المدعو إلى الكيفية الصحيحة للدعاء:

إن من المهام التي ينبغي للداعية أن يقوم بها توجيه المدعوين إلى الكيفية الصحيحة للدعاء، لأن ذلك من جملة المهام المناطة بالداعية مما يتعلق بالبيان والإيضاح والتوجيه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[3]،

(١) الأذكار ٤٣ ط مكتبة الصفا.

(٢) شرح صحيح مسلم، مج٢/ج٤/١٠٦ ط دار الكتب العلمية.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

وذلك يتناول تعليم الناس وتفقيههم لأمور دينهم ودنياهم، وذلك يتناول تعليم العقيدة، وتوضيح ما أحل الله لهم، وما حرم عليهم وغرس الالتزام بالإسلام في سلوك الناس، وفي الحديث أنموذج تطبيقي لذلك، فعن فضالة بن عبيد ﷺ، قال: سمع رسول الله ﷺ، رجلاً يدعو في صلاته لم يمجد الله تعالى ولم يصلِّ على النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ، عجل هذا، ثم دعاه، فقال له أو لغيره: "إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه سبحانه والثناء عليه، ثم يصلي على النبي ﷺ، ثم يدعو بعد ما شاء"[1].

ثانيًا - من آداب المدعو: البدء بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسول الله ﷺ ثم الدعاء بما شاء:

جاء التصريح بذلك في الحديث، في قوله ﷺ، "إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه سبحانه والثناء عليه، ثم يصلي على النبي ﷺ، ثم يدعو بعد ما شاء" قال العلامة شرف الحق العظيم آبادي: وفيه دلالة على أن من حق السائل أن يتقرب إلى المسئول منه بالوسائل قبل طلب الحاجة بما يوجب الزلفى عنده، ويتوسل بشفيع له بين يديه ليكون أطمع في الإسعاف وأرجى بالإجابة، فمن عرض السؤال قبل الوسيلة فقد استعجل[2]، لذا ذكر أن النبي ﷺ، في الحديث أن من آداب الدعاء أن يفتتح بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله ﷺ[3]. فإن افتتاح الدعاء بالثناء على الله وحمده وتمجيده، ثم الصلاة على رسوله ﷺ. من الأسباب العظيمة التي تستوجب قبول دعاء الداعي[4]، قال الإمام النووي أجمع العلماء على استحباب ابتداء الدعاء بالحمد لله تعالى والثناء عليه، ثم الصلاة على رسول الله ﷺ. وكذلك تختم الدعاء بهما[5].

قال ابن القيم عن افتتاح الدعاء بالصلاة على رسول الله ﷺ: فمفتاح الدعاء:

(١) أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي، ص ١٨، ٢٦.

(٢) عون المعبود ٦٧٩.

(٣) انظر: موسوعة نضرة النعيم، ١٩٠٤/٥.

(٤) كتاب الآداب، فؤاد بن عبدالعزيز الشلهوب، ص٢٦٦.

(٥) كتاب الأذكار ١٧٦.

الصلاة على النبي ﷺ كما أن مفتاح الصلاة الطهور، والصلاة على النبي ﷺ بمنزلة الفاتحة من الصلاة، فصلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا كثيرًا، قال أحمد بن الحواري: سمعت أبا سليمان الداراني يقول: "من أراد أن يسأل الله حاجته، فليبدأ بالصلاة على النبي ﷺ وليسأل حاجته، وليختم بالصلاة على النبي ﷺ، فإن الصلاة على النبي ﷺ مقبولة، والله أكرم أن يرد ما بينهما"[1].

وقد درج العلماء في كتبهم وكلامهم أن يبدأوا بعد حمد الله والثناء عليه بالصلاة والسلام على رسول الله ﷺ لكونه ﷺ الواسطة في الكمالات العلمية والعملية إلينا من الله سبحانه وتعالى.

وههنا أمر يشكل في الظاهر: هو أن الله أمرنا بأن نصلي على نبيه ﷺ ونحن أَحَلْنا الصلاة عليه في قولنا: اللهم صل على محمد وكان حق الامتثال أن نقول صلينا على النبي وسلمنا فما النكتة في ذلك؟

قال في شرح المنهاج: فيه نكتة شريفة كأننا نقول يا ربنا أمرتنا بالصلاة عليه وليس في وسعنا أن نصلي صلاة تليق بجنابه لأنا لا نقدر قدر ما أنت عالم بقدره ﷺ فأنت تقدر أن تصلي عليه صلاة تليق بجنابه[2].

ثالثًا - من وسائل الدعوة: التعليم:

وردت هذه الوسيلة في الحديث في تعليم النبي ﷺ. لذلك الرجل الذي عجل في دعائه كيفية الدعاء وآدابه، سمع رسول الله ﷺ. رجلاً يدعو في صلاته لم يمجد الله تعالى ولم يصل على النبي ﷺ. فقال رسول الله ﷺ. عجل هذا، ثم دعاه فقال له أو لغيره إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه سبحانه والثناء عليه، ثم يصلي على النبي ﷺ. ثم يدعو بعد بما شاء" والتعليم أهم وسائل الدعوة ضرورة ونفعًا، فأول ما يجب على أصحاب الحق أن يفتحوا عيون الآخرين على ضوئه، وأن يعرفوا الجاهلين به، وأن يجعلوه في الحياة واضحًا كشعاع الشمس، شائعًا كأمواج الهواء، وإن حاجة البشر

---

(١) انظر: جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام ٢٠٣.

(٢) انظر: نيل الأوطار، الشوكاني ٨/١.

إلى العلم الكثير، خاصة العلم الشرعي، كحاجة الأرض المجدبة إلى الغيث الهاطل، ولابد أن يسخر الدعاة جميع وسائل التعليم والإيقاظ، كي ينصفوا الحق، ويوصلوه إلى الخلق[(١)].

رابعًا - من صفات الداعية: الرفق بالمدعوين:

وهذا مما يلاحظ في الحديث، فالرسول ﷺ. لم يعنف الرجل على دعائه بدون افتتاح بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله ﷺ. وإنما دعاه وعلمه آداب الدعاء، ثم دعاه فقال له أو لغيره: إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه والثناء عليه، ثم يصلي على النبي ﷺ. ثم يدعو بعد بما شاء" فإن الداعية لكي ينجح في التعامل مع شتى الطبقات وتحت كافة الظروف فلابد من التحلي بالرفق في الدعوة إلى الله، وأن يتصف في تعامله بلين الجانب، وسهولة المعاشرة حتى يفتح لدعوته مغاليق القلوب وينفذ بنصيحة إلى أعماق النفوس[(٢)]، وقد وصف الله نبيه بالرفق ولين الجانب مبينًا أن ذلك سر اجتماع المسلمين حوله، قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[(٣)]، وقال ﷺ: "إن الرفق لا يكون في شئ إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه"[(٤)]، فبالرفق تساس الطباع، ويعرف مكمن الداء، ويعطي الدواء، لتستقيم الأنفس على الخير، وتقبل دعوة الله عز وجل، ويزول ما في الصدور ما حل فيها من عوارض البغض، وأسباب الشحناء، ولا شك أن الدواء لهذا كله بلسم الرفق"[(٥)].

لقد حث النبي ﷺ المسلمين عامة ويدخل في ذلك الدعاة من باب أولى إلى التحلي بالرفق، ومن ذلك ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: ((إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ

---

(١) انظر: مع الله، محمد الغزالي، ص ٣٠٢ - ٣٠٣.

(٢) أخلاق الدعاة إلى الله تعالى، د. طلعت محمد عفيفي سالم، ص ١٨٥.

(٣) سورة آل عمران، آية : ١٥٩.

(٤) أخرجه مسلم ٢٥٩٤.

(٥) كيف يدعو الداعية، عبدالله ناصح علوان، ص ٤٧.

يُحِبُّ الرِّفْقَ. وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لاَ يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ. وَمَا لاَ يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ))[1].

ولقد تحلى قدوة الدعاة النبي الخاتم محمد ﷺ بالرفق في أقواله وأفعاله مع من دعاهم إلى الله تعالى، وكان ذلك سببًا رئيسًا من أسباب نجاحه في دعوته إلى الله تعالى[2].

ومن دلائل ذلك ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بَالَ أَعْرَابِيٌّ فِي الْمَسْجِدِ فَقَامَ النَّاسُ إِلَيْهِ لِيَقَعُوا فِيهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((دَعُوهُ وَأَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلاً مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ))[3].

وعن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: (بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ. فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ! مَا شَأْنُكُمْ؟ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ. فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي، لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللهِ مَا كَهَرَنِي وَلاَ ضَرَبَنِي وَلاَ شَتَمَنِي. قَالَ: ((إِنَّ هَذِهِ الصَّلاَةَ لاَ يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلاَمِ النَّاسِ. إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ))[4].

وعن أبي أمامة، قال: ((إن فتى شابًا أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه، فقال: ادنه فدنا منه قريبًا، قال: فجلس، قال: أتحبه لأمك؟ قال: لا، والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا، والله يا رسول الله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال: أفتحبه لأختك؟ قال: لا، والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: أفتحبه لعمتك؟ قال: لا، والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال: أفتحبه لخالتك؟ قال: ولا، والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم، قال: فوضع يده عليه وقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهّر قلبه، وحصّن فرجه، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء))[5].

---

(١) أخرجه مسلم ٢٥٩٣.

(٢) صفات الداعية، د. حمد العمار ص ٤٩.

(٣) أخرجه البخاري ٢٢٠.

(٤) أخرجه مسلم، ٥٣٧.

(٥) أخرجه الإمام أحمد ٢٥٧/٥، رقم ٢٢٢١١، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٥٤٥/٣٦.

الحديث رقم (١٤٠٧)

١٤٠٧ - وعن أَبي محمدٍ كعبِ بن عُجْرَة ﷺ، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا النبيُّ ﷺ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ عَلِمْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: ((قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إبْرَاهِيمَ، إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ. اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إبْرَاهِيمَ، إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ)). متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

كعب بن عجرة: هو كعب بن عجرة بن أمية بن عدي البلوي حليف الأنصار كنيته أبو محمد. وقيل غير ذلك في كنيته ونسبه.

تأخر إسلامه وكان له صنم يعبده فكسّره عبادة بن الصامت - وكان صاحبه وخليله - فهداه تفكيره إلى أن إلهه باطل، إذ لو كان حقًا لدافع عن نفسه ولم يقدر عليه عبادة. فأسلم وشهد المشاهد والمغازي كلها وأبلى بلاءً حسنًا فيها، فقد قطعت يده في إحداها، وقد شهد عمرة الحديبية وبيعة الرضوان، والمسلمون محرمون، وكان القمل يتناثر على وجهه فأمره النبي ﷺ بحلق شعر رأسه وفيه نزل قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾[٢] فكان يفاخر بهذا فيقول: نزلت هذه الآية فيّ خاصةً وهي لكم عامة[٣].

وكان يحب النبي ﷺ حبًا جمًّا لا يقر له حال ولا يرتاح له خاطر إذا رأى النبي ﷺ وقد تغيّر أو أصابه شيء أو ألّم به أذى.

قال: أتيت النبي ﷺ فرأيته متغيرًا فقلت: بأبي أنت. مالي أراك متغيرًا؟ قال: ((ما دخل جوفي ما يدخل جوف ذات كبدٍ منذ ثلاث)).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٥٧) واللفظ له، ومسلم (٦٦/٤٠٦).

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٦.

(٣) أخرجه البخاري (٤٥١٧) ومسلم (٨٥ - ١٢٠١).

قال: فذهبت فإذا يهودي يسقي إبلاً له فسقيت له على كل دلو بتمرة. فجمعت تمرًا فأتيت به النبي ﷺ فقال: ((من أين لك يا كعب؟)) فأخبرته. فقال النبي ﷺ: ((أتحبني يا كعب قلت: بأبي أنت نعم))... الحديث[1].

ومسنده يبلغ ٤٧ حديثًا. ونزل الكوفة وتوفي بالمدينة ٥١هـ وقيل ٥٢. وعمره ٧٧ وقيل: ٧٥[2].

الشرح الأدبي

قول أَبي محمدٍ كعبِ بن عُجْرَة رضي الله عنه، (خَرَجَ عَلَيْنَا النبيّ ﷺ، فَقُلْنَا) يشير إلى سرعتهم في مبادرته بالسؤال الأمر الذي يشير إلى حرصهم على العلم يؤكد على ذلك ربط الراوي جملة القول بما قبلها بالفاء الدالة على السرعة كما يدل عليه نداؤهم للرسول ﷺ لينصرف إليهم قبل غيرهم وتقديمهم بين يدي سؤالهم ما يقرر تحصيلهم، وعنايتهم بما سبق وتعلموه، ترغيبا له في تعليمهم ما ينقصهم، وهو قولهم (قَدْ عَلِمْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ) ثم سألوه عن الذي يريدونه (فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ ؟) وهو استفهام حقيقي لطلب العلم، فجاء قوله (قولوا) إرشادا، وتوجيها لصيغة الصلاة على النبي ﷺ، ومن الملاحظ في الصيغة المذكورة كثرة ترديد الاسم الظاهر (محمد) لأن مدار الصلاة عليه هو، ثم إن في ذكره لذة في أسماع، وعلى ألسنة المصلين، وتقرير لموجبات هذا الاسم من التقدير، والإجلال، وما يستلزمه من المتابعة في القليل، والكثير كما تكرر ذكر الآل لأن حبهم واجب على الأمة لازم لاستكمال الإيمان، كما كثر في هذه الصيغة تكرار النداء بقوله (اللهم) وهي صيغة لها خصوصية لأنها مجمع الدعاء وهي إيذان بالتوجه لله بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى بالإضافة إلى طبيعة تكوين اللفظ التي تساعد على مد الصوت وتحقيق الخشوع، كما تضمن الصلاة على

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط كما في المجمع (٣١٢/١٠) وصححه الألباني في الصحيحة برقم (٣١٠٢) وصحيح الترغيب ٣٢٧١.

(٢) الاستيعاب ٦٢٦، وأسد الغابة (٤٥٤/٤) والإصابة ١١٢٤، والسير (٥٢/٣) وتهذيب الكمال (١٦٧/٦) والتهذيب (٤٦٩/٣) والأعلام (٢٢٧١/٥) وموسوعة عظماء حول الرسول (١٦٥٤/٣).

إبراهيم عليه السلام أبي الأنبياء وأحد أولي العزم من الرسل - عليهم السلام - ثم ختمه بتقرير حمد الله، وتمجيده تدعيما بما يحقق القبول.

فقه الحديث

١ - قال النووي: (الواجب عند أصحابنا في الصلاة على النبي ﷺ: اللهم صلّ على محمد، وما زاد عليه سنة)[١].

٢ - قال النووي: (قوله: "اللهم صل على محمد وعلى آل محمد" احتج به من أجاز الصلاة على غير الأنبياء، وهذا مما اختلف العلماء فيه، فقال مالك والشافعي والأكثرون: لا يصلّى على غير الأنبياء استقلالاً فلا يقال: اللهم صل على أبي بكر أو عمر أو علي أو غيرهم. ولكن يصلي عليهم تبعًا، فيقال: اللهم صل على محمد وآل محمد وأصحابه وأزواجه وذريته، كما جاء به الأحاديث.

وقال أحمد وجماعة: يصلّي على كل واحد من المؤمنين مستقلاً، واحتجوا بأحاديث الباب وبقوله ﷺ: "اللهم صلّ على آل أبي أوفى" وكان إذا أتاه قوم بصدقتهم صلى عليهم[٢].

قالوا وهو موافق لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾[٣] واحتجّ الأكثرون بأن هذا النوع مأخوذ من التوقيف واستعمال السلف. ولم ينقل استعمالهم ذلك، بل خصُّوا به الأنبياء كما خصُّوا الله تعالى بالتقديس والتسبيح فيقال: قال الله سبحانه وتعالى، وقال الله تعالى وقال عزّ وجل. وقال جلت عظمته وتقدست أسماؤه وتبارك وتعالى، ونحو ذلك. ولا يقال: قال النبي عز وجل وإن عزيزًا جليلاً ولا نحو ذلك.

---

(١) شرح صحيح مسلم، مج٢/٤/١٠٦ ط دار الكتب العلمية، وانظر: المهذب وشرحه المجموع ٣/٣٠٩ - ٣١٢ ط دار عالم الكتب، والأذكار ٨٨ ط مكتبة الصفا.

(٢) أخرجه البخاري ١٤٩٧، ومسلم ١٠٧٨، من حديث عبدالله بن أبي أوفى قال: كان النبي ﷺ إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: "اللهم صلّ على فلان" فأتاه ابي بصدقته فقال: "اللهم صلّ على آل ابي اوفى".

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٤٣.

وأجابوا عن قول الله عز وجل ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ وعن الأحاديث بأن ذلك ما كان من الله عز وجل ورسوله فهو دعاء وترحم وليس فيه معنى التعظيم والتوقير الذي يكون من غيرهما.

وأما الصلاة على الآل والأزواج والذري، فإنما جاء على النبع الأعلى الاستقلال، وقد بينا أنه يقال تبعًا، لأن التابع يحتمل منه ما لا يحتمل استقلالاً).

٣ - واختلف أصحابنا في الصلاة على غير الأنبياء هل يقال هو مكروه أو هو مجرد ترك أدب، والصحيح المشهور أنه مكروه كراهة تنزيه.

قال الشيخ أبو محمد الجويني: والسلام في معنى الصلاة، فإن الله تعالى قرن بينهما فلا يفرد به غائب غير الأنبياء، فلا يقال أبو بكر وعمر وعليٌّ عليهم السلام، وإنما يقال ذلك خطابًا للأحياء والأموات، فيقال السلام عليكم ورحمة الله، والله أعلم)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على تعلم كيفية الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثالثًا: من وسائل الدعوة: الدعاء.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على تعلم كيفية الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم:

يتضح ذلك مما ورد في الحديث من طلب الصحابة رضي الله عنهم ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم. فعن أبي محمد كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: "خرج علينا النبي صلى الله عليه وسلم. فقلنا يا رسول الله: قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك؟ قال قولوا: "اللهم صل على محمد..."، وذلك يعكس لنا ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من حب للتعلم من رسول

(١) شرح صحيح مسلم، مج٢/ج٤/١٠٨ - ١٠٩ ط دار الكتب العلمية، وانظر: الأذار ١٤٤ ط مكتبة الصفا.

الله ﷺ. فكانوا يسألونه عن كل ما يعنُّ لهم في شئون الدين بل في الكثير من شئون الدنيا[١]، فبالعلم "يبصر الإنسان منازل الطريق ومواضع السلوك، فيقصدها سائرًا فيها، ويجتنب أسباب الهلاك ومواطن العطب وطرق المهالك المنحرفة عن الطريق الموصلة، فقوة الإنسان العلمية كنور عظيم بيده يمشى به في ليلة عظيمة مظلمة شديدة الظلمة"[٢].

لقد كان سؤال الصحابة لرسول الله ﷺ عن كيفية الصلاة عليه حبًا له وتحصيلاً للمثوبة وحرصًا على تعلم الخير بغية العمل به، فقالوا: (فكيف نصلي عليك...) والسؤال هنا إنما وقع عن الصفة لا عن جنسها، لأن لفظ "كيف" ظاهرة في الصفة وذلك أنهم عرفوا المراد بالصلاة فسألوا عن الصفة التي تليق بها ليستعملوها.

قال الحافظ: (والحامل لهم على ذلك أن السلام لما تقدم بلفظ مخصوص "السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته" فهموا منه أن الصلاة أيضًا تقع بلفظ مخصوص وعدلوا عن القياس لإمكان الوقوف على النص ولاسيما في ألفاظ الأذكار فإنها تجيء خارجة عن القياس غالبًا فوقع الأمر كما فهموا فإنه لم يقل لهم قولوا الصلاة عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، ولا قولوا الصلاة والسلام عليك إلخ، بل علمهم صيغة أخرى، فقال: "قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وفي رواية قال: ﷺ "والسلام كما قد علمتم" أي في التشهد وهو قولهم "السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته")[٣].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الأمر:

ورد أسلوب الأمر في الحديث في قوله ﷺ. "قولوا" وأسلوب الأمر من الأساليب الدعوية المفيدة لما فيه من حمل المدعو على نهج الجادة والابتعاد عن موارد الهلكة

---

(١) انظر: أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي، ص ١٨.

(٢) مفتاح دار السعادة، الإمام ابن القيم، ج٢/١٢.

(٣) انظر: فتح الملهم، شبير العثماني، ج٣/٣٢١.

ومواطن الردي، وقد حفلت آيات القرآن والسنة النبوية بهذا الأسلوب، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[١]، وقوله: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَا﴾[٢].

وقد وصف الله المؤمنين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[٣]، والأمر في اللغة: كلام دال على طلب الفعل، أو قول القائل لمن دونه: افعل، وأمرت بالمعروف أي بالخير والإحسان[٤].

ثالثًا- من وسائل الدعوة: الدعاء:

ورد أسلوب الدعوة في الحديث في قوله:"اللهم صل على محمد وعلى آل محمد..."، وما من شك أن الدعاء من الأساليب الدعوية المهمة، لما له من أثر عظيم في حصول المطلوب من نجاح للدعوة وانتصارها وظهورها، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ﴾[٥]، وقال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[٦]، لذا ينبغي على الدعاة الإكثار من الدعاء والإلحاح فيه، وتحري الأوقات المناسبة التي يستجاب فيها الدعاء، فإن ذلك من أهم أسباب نجاح الدعوة وانتشارها ودعاء الداعية دليل على مدى توثيق صلته بالله تعالى، وذلك من أسباب

---

(١) سورة النحل، آية: ٩٠.

(٢) سورة طه، آية: ١٣٢.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١١٠.

(٤) الموسوعة الفقهية ٦/٢٤٧.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٨٦.

(٦) سورة غافر، آية: ٦٠.

النصر، فلا يتأتى للمرء أن يصحبه توفيق الله ونصرته وبالتالي نجاحه ما لم يكن على صلة وثيقة بربه، وعلاقة وطيدة بمولاه ولله در القائل:

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجني عليه اجتهاده[1]

والدعاء أكرم شيء على الله سبحانه وهو طريق إلى الصبر في سبيل الله وصدق في اللجوء وتفويض الأمور إليه والتوكل عليه، والدعاء عبادة سهلة ميسورة مطلقة غير مقيدة أصلاً بمكان ولا زمان ولا حال، فهي في الليل والنهار، وفي البر والبحر والجو والسفر والحضر وحال الغني والفقر والمرض والصحة والسر والعلانية، فالدعاء - وأيم الله - وظيفة العمر، وهي مع المسلم في أول منازل العبودية وأوسطها وآخرها، ليعيش العبد دائمًا في حال الالتجاء والافتقار إلى خالقه ومولاه، وملازمة الدعاء، أخذ بأسباب رفع البلاء ودفع الشقاء، كما قال تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾[2]، وقال عن نبيه زكريا عليه السلام: ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾[3]،[4].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل الصلاة على النبي ﷺ:

تضافرت النصوص في كتاب الله وسنته رسول الله ﷺ. على بيان فضل الصلاة على رسول الله ﷺ. والأمر بها، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾[5]، وكما جاء في الحديث: "اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد..." والصلاة على النبي ﷺ. دليل إلى الجنة[6]. فروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ.

---

(١) أخلاق الدعاة إلى الله تعالى، د. طلعت محمد عفيفي سالم، ٢٩.

(٢) سورة مريم، آية: ٤٨.

(٣) سورة مريم، آية: ٤.

(٤) بدائع الفوائد، ابن القيم، ٢/٣.

(٥) سورة الأحزاب، آية : ٥٦.

(٦) انظر: موسوعة نضرة النعيم ١/٥٧٠.

قال: ((مَنْ نَسِيَ الصَّلاَةَ عَلَيَّ خَطِئَ طَرِيقَ الْجَنَّةِ))[١]، وقد ذكر الإمام ابن القيم أربعين فائدة للصلاة على النبي ﷺ. منها امتثال أمر الله تعالى، وحصول عشر صلوات من الله على المصلي مرة، ورفع عشر درجات وكتابه عشر حسنات ومحو عشر سيئات، وهى سبب لغفران الذنوب وقضاء الحوائج وقرب العبد من رسول الله ﷺ. يوم القيامة إلى غير ذلك من الفوائد والثمار[٢].

إن الصلاة على رسول الله ﷺ ظفر بها من وُفِّقَ لها وحرم وشقى من تغافل عنها، وللصلاة فضائل كثيرة منها:

أ- أن الله يصلي على من صلى على النبي ﷺ عشر مرات، روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً، صَلَّى الله عَلَيْهِ عَشْرًا))[٣].

ب - أنها سبب لنيل شفاعته ﷺ، فعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول: ((إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً صَلَّى الله عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا الله لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لاَ تَنْبَغِي إِلاَّ لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ الله، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ له الشَّفَاعَةُ))[٤].

كما أن في الصلاة على رسول الله ﷺ سببًا لعرض اسم المصلي على رسول الله ﷺ وطهرة من لغو المجالس وسببًا لإجابة الدعاء وانتفاء لوصف الإنسان بالبخل والجفاء، زيادة على ذلك أنها دليل إلى جنان الرحمن سبحانه وتعالى[٥].

---

(١) أخرجه ابن ماجه ٩٠٧، وقال الألباني: حديث حسن صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ٢٣٣٧).

(٢) جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام، ابن القيم، ص ٦١٢ - ٦٢٦.

(٣) أخرجه مسلم ٤٠٨.

(٤) أخرجه مسلم، ٣٨٤.

(٥) انظر: موسوعة نضرة النعيم، ج٥٦٧/١ - ٥٧٠.

الحديث رقم (١٤٠٨)

١٤٠٨ - وعن أَبي مسعودٍ البدري ﵁، قَالَ: أَتَانَا رسُولُ اللهِ ﷺ، وَنَحنُ في مَجْلِسِ سَعدِ بن عُبَادَةَ ﵁، فَقَالَ لَهُ بَشيرُ بْنُ سَعدٍ: أمَرَنَا الله تَعَالَى أنْ نُصَلِّي عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ فَسَكَتَ رسُولُ الله ﷺ، حَتَّى تَمَنَّيْنَا أنَّهُ لَمْ يَسْأَلْهُ، ثُمَّ قَالَ رسُولُ الله ﷺ: ((**قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إبْرَاهِيمَ**[1]**، إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَالسَّلامُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ**)). رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

ابو مسعود البدري الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١٠).

الشرح الأدبي

قول بَشيرُ بْنُ سَعدٍ ﵁: (أمَرَنَا الله تَعَالَى أنْ نُصَلِّي عَلَيْكَ) خبر أريد به لازم فائدته وهو ما يريد أن يرتب عليه من السؤال عن كيفية هذه الصلاة، وصيغتها، والنداء (يَا رَسُولَ اللهِ) طلب لإقباله حال إتيانه يعكس حرصهم على تنفيذ أمر الله، والصلاة على رسوله ﷺ وقوله: (فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟) استفهام رتبه على ما سبق وهو لطلب العلم، وقولهم (فَسَكَتَ رسُولُ الله ﷺ، حَتَّى تَمَنَّيْنَا أنَّهُ لَمْ يَسْأَلْهُ) سكوت الرسول ﷺ له تأثير عميق على الصحابة لأنه إثر سؤال منهم ظنوا أنهم تجاوزا به حدا لا ينبغي تجاوزه، أو أنهم سألوه في وقت أو مكان غير مناسبين، ثم إنهم في أثناء سكوته في ظلوا في لهفة لما يسفر عنه هذا السكوت، وهذا الشعور ينعكس على حالهم ظاهريا بالسكون، والصمت، والترقب مما يمهد لحسن استقبال الخبر، ويربطه بحدث فريد يجعله أبقى مع الزمن، ويدل على شدة أثر حالة سكوت الرسول ﷺ

---

(١) عند مسلم زيادة: (في العالمين).

(٢) برقم (٦٥/٤٠٥).

قولهم الذي يشير إلى المدى الذي بلغه في إحساسهم (حَتَّى تَمَنَّيْنَا أنَّهُ لَمْ يَسْأَلْهُ) وقوله ﷺ: (قولوا اللهم صلي.. ..) أمر إرشاد وتوجيه إلى الصيغة المشروعة للصلاة على النبي ﷺ بعد أن تهيأت نفوسهم لاستقبال الخبر، واستشرفت لمعرفة صيغة الدعاء، وهذا الدعاء كسابقه في بيان كيفية الصلاة على النبي، وآله وعلى سيدنا إبراهيم عليهم الصلاة، والسلام جميعا.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من صفات الداعية: التواصل مع المدعوين والالتقاء بهم والإجابة على تساؤلاتهم.

ثانيًا: من وسائل الدعوة: التعليم.

ثالثًا: من آداب المدعو: سؤال أهل العلم عما أشكل عليه من أمور الدين.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الصلاة على النبي ﷺ. وعلى أزواجه وذريته.

أولاً - من صفات الداعية: التواصل مع المدعوين والالتقاء بهم والإجابة على تساؤلاتهم:

إن من أسباب نجاح الداعي في دعوته تواصله مع المدعوين والالتقاء بهم والإجابة على تساؤلاتهم، كما ورد ذلك في الحديث في قوله: "أتانا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس سعد بن عبادة رضي الله عنه". وإجابته لسؤاله الصحابة عن كيفية الصلاة عليه: "قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد..."، فكما أوجب الله على طلاب العلم والمعرفة أن يسألوا ويستوضحوا حتى يكونوا على بينة من أمر دينهم، فقد أوجب على العلماء والدعاة أن يجيبوهم على ما سألوا وأن يبادروا بالتوضيح والتبيين لهم إذا لم يسألوا[2]، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾[3]. إن

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٤٠٨- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٤٠٩).

(٢) أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د/حمود بن أحمد الرحيلي، ص ١٨.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

الآية تشير إلى أن الواجب على العلماء وعلى كل من يفهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أن يبينوا ويوضحوا ويظهروا ما فيهما من عظات وأسرار في الأحكام العامة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأحكام الدينية وعلاقتها بصالح الأمة، وها نحن نأمل أن يوقظ الله العلماء فيثابروا ويتعاونوا ويستهينوا بالصعاب حتى يخرجوا للناس كنوز الدين بما يلائم المجتمع الحاضر. فإن الواجب ينحصر في شيئين:

أ- تبيين الدين وحقيقته لغير المؤمنين حتى يهتدوا به ويدخلوا فيه.

ب- تبيينه للمسلمين حتى يهتدوا به ويفهموه على حقيقته ويعرفوا مخلصين أنه الطريق الوحيد للخلاص من كل ما يضرنا ويؤذينا من خلق فاسد وداء كامن ومستعمر جائر فوالله! أيها الناس. لا خلاص لنا إلا بالدين ولا خير إلا في القرآن فتعلموه وافهموه وادرسوه تكونوا من الناجين في الدنيا والآخرة.

وقد روى عن علي كرم الله وجهه أنه قال: "ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا"[1].

إن من شأن الداعية أن يكون في حركة دائبة لا يكف عن الدعوة ولا يخمد عن العمل، يزور هذا ويدعو ذاك... ويعرض دعوته على الناس، لا يخلد إلى راحة ولا يركن إلى دعة، فراحته تعبه وسعادته في دعوته، فإن كل راغب في الخير يمكنه أن ينهض وأن يتحرك حتى ينقدح زنده ويمور باطنه، أما دعاة المجالس الراكدة والكراسي الجامدة والكلمات التي لا تكلفهم إلا حركة اللسان، فنسأل الله لهم حسن التوجيه وأن يخرجهم من إثم ما هم فيه[2].

ثانيًا- من وسائل الدعوة: التعليم:

وردت هذه الوسيلة في الحديث في تعليم النبي ﷺ للصحابة كيفية الصلاة عليه "قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم...." ووسيلة التعليم في الدعوة أهم الوسائل الدعوية وأعظمها شأنًا، فحاجة البشر إلى العلم الكثير

---

(١) انظر: التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي، مج١/٤/٥٨، ٥٩.

(٢) تذكرة الدعاة، البهي الخولي، ٢٥٤.

كحاجة الأرض المجدبة إلى الغيث الهاطل، ولابد أن يسخر الدعاة جميع وسائل التعليم والإيقاظ، كي ينصفوا الحق ويوصلوه إلى الخلق[1]، وقد وصف الله نبيه بتعليم أمته قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[2]، ولقد اهتم النبي ﷺ بتعليم أصحابه اهتمامًا كبيرًا لأنه كان يعلم أن الجهل أساس كل داء، وأن من جهل شيئًا عاداه، فما عليه إلا أن يفتح عقولهم ليسمعوا كلمة الحق ويتبعوا الدين المبين، وليدعوا الناس على بصيرة وفهم[3].

والعالَمُ بحاجة ملحة إلى أن ينشط أهل الإيمان الصحيح لشرح أصوله وإبداء صفحته، ودحض الشبه المثارة حوله، واستخراج الجهال من الكهوف المطروحين بها لتمتلئ صدورهم بأنفاس الحقيقة الرحبة.

إن حاجة البشر إلى العلم الكثير كحاجة الأرض المجدبة إلى الغيث الهاطل، ولابد أن يسخر الدعاة جميع وسائل التعليم والإيقاظ كي ينصفوا الحق ويوصلوه إلى الخلق[4].

ثالثًا- من آداب المدعو: سؤال أهل العلم عما أشكل عليه من أمور الدين:

لقد وجه الله الناس إلى طلب العلم والاستزادة منه، قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾[5]، ومن روافد العلم سؤال أهله وذويه، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[6]، وبين النبي ﷺ أن السؤال شفاء للجهل، وتجنب لكثير من المضار، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: «خَرَجْنَا فِي سَفَرٍ فأصَابَ رَجُلاً مِنَّا حَجَرٌ

---

(١) كتاب "مع الله"، الشيخ محمد الغزالي، ٣٠٢.

(٢) سورة الجمعة، آية : ٢.

(٣) الدعوة الإسلامية، الوسائل والأساليب، محمد خير رمضان يوسف، ٧٥.

(٤) مع الله، الشيخ محمد الغزالي، ٣٠٢، ٣٠٣.

(٥) سورة طه، آية : ١١٤.

(٦) سورة الأنبياء، آية : ٧.

فَشَجَّهُ فِي رَأْسِهِ ثُمَّ احْتَلَمَ فَسَأَلَ أَصْحَابَهُ، فقال: هَلْ تَجِدُونَ لِي رُخْصَةً فِي التَّيَمُّمِ؟ فقالوا: مَا نَجِدُ لَكَ رُخْصَةً وَأَنْتَ تَقْدِرُ عَلَى المَاءِ، فَاغْتَسَلَ فَمَاتَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أُخْبِرَ بِذَلِكَ فقال: قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللهُ أَلاَّ سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ، إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَتَيَمَّمَ وَيَعْصِرَ أَوْ يَعْصِبَ - شَكَّ مُوسَى - عَلَى جُرْحِهِ خِرْقَةً ثُمَّ يَمْسَحُ عَلَيْهَا وَيَغْسِلُ سَائِرَ جَسَدِهِ»[1]. وإن من توفيق الله للإنسان إلى الحق والخير، سؤاله واستيضاحه عن كل مالا يعرفه أو يشكل عليه من أمور العقيدة والعبادات، وأمور المعاملات وطرق الخير وأبواب البر وغير ذلك[2].

لقد كان صحابة رسول الله ﷺ أحرص ما يكونوا على الرجوع إلى رسول الله ﷺ وسؤاله عما يعنّ لهم ويعرض لهم من قضايا، أما بعد وفاته ﷺ فإن الرجوع يكون إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فإن عجز الإنسان عن استخراج الحكم ورجع إلى أهل الذكر والقدرة على استخراج الأحكام والاستنباط، لكن ينبغي على السائل أن يضع نصب عينيه أن يرجع بسؤاله إلى أهل العلم والخبرة والاختصاص والقدرة على الاجتهاد واستنباط الأحكام والتفقه في الدين، فقد يخطئ البعض فيسأل من تظهر عليه آثار التعبد لكن لم يؤت مفاتيح العلم أو يسأل غير المتخصصين فيفسد بإجابته أكثر مما يصلح، ولذا ركز الحق تبارك وتعالى على طلب العلم من أهله والمختصين به فجاء بلفظ أهل في الآية: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[3].

وذكر لنا النبي ﷺ قصة رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا فرجع إلى عالم وعابد فكان صلاحه على يد العالم، روى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن بين الله ﷺ قال: ((كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا. فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ. فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا. فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لاَ. فَقَتَلَهُ. فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً. ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ. فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ

---

(١) أخرجه أبي داود ٣٣٦، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٣٢٥)

(٢) انظر: أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي، ١٧، ١٨.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٧.

مِائَةَ نَفْسٍ. فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ. وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا. فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ. وَلاَ تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ. فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ. فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلاَئِكَةُ الْعَذَابِ. فَقَالَتْ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلاً بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ. وَقَالَتْ مَلاَئِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ. فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ. فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ. فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الأَرْضَيْنِ. فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى، فَهُوَ لَهُ. فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ. فَقَبَضَتْهُ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ)).

قَالَ قَتَادَةُ: فَقَالَ الْحَسَنُ: «ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ لَمَّا أَتَاهُ الْمَوْتُ نَأَى بِصَدْرِهِ» أي: نهض[1].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل الصلاة على النبي ﷺ، وعلى أزواجه وذريته:

لقد وردت النصوص الجمة على بيان فضل الصلاة على النبي ﷺ. وعلى آله وأزواجه وذريته ومنها ما جاء في الحديث في حثه على الصلاة عليه وبيانه ﷺ. لكيفيتها، "قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد"، وقوله" قولوا: اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد"، قال النووي: وأما الصلاة على الآل والأزواج والذرية فإنما جاء على التبع لا على الاستقلال" [2].

والصلاة على النبي ﷺ. وأزواجه وذريته من مظاهر توقيره ودلائل محبته ﷺ[3]، وهي لون من ألوان تعزير رسول الله ﷺ. وتوقيره، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً

---

(١) أخرجه البخاري ٥٤، ومسلم ٢٧٦٦ واللفظ له.

(٢) شرح صحيح مسلم ٣٥٥.

(٣) دمعة على حب النبي ﷺ، عبدالله بن صالح الخضيري، مجلة البيان، كتاب المنتدى، ص ٧٩.

وَأَصِيلاً ﴾[١]، قال ابن جرير: معنى التعزير في هذا الموضع: التقوية بالنصرة والمعونة ولا يكون ذلك إلا بالطاعة والتعظيم والإجلال[٢]، ويقول ابن تيمية عن التعزير هو اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه وقال اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام، وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار[٣].

إنه لا أدل على فضل الصلاة على النبي ﷺ من أن الله أمر بها والله عز وجل لا يأمر إلا بكل فاضل محمود، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[٤].

وهنا سؤال مهم هو أن الملاحظ في صنيع الصلاة على رسول الله ﷺ إنما هي طلب من الله عز وجل أن يصلي على النبي ﷺ، وعن هذا السؤال يجيب ابن القيم فيقول:

أولاً: إن الصلاة من الله تعالى من أجلّ المراتب وأعلاها، ومحمد ﷺ أفضل الخلق فلابد أن تكون الصلاة الحاصلة له أفضل من كل صلاة تحصل لمخلوق فلا يكون غيره مساويًا له فيها.

ثانيًا: إن الله تعالى أخبر أنه وملائكته يصلون عليه، ثم أمر بالصلاة عليه ولا ريب أن المطلوب من الله هو نظير الصلاة المخبر بها لا مادونها، وهو أكمل الصلاة وأرجحها لا الصلاة المرجوحة المفضولة.

كما كان أجر فضل صلاة الله عز وجل أعلى رتبة من فضل صلاة الإنسان

---

(١) سورة الفتح، الآيتان: ٨، ٩.

(٢) جامع البيان عن تأويل أى القرآن، الإمام ابن جعفر ابن جرير الطبري، ٧٥/٢٦.

(٣) الصارم المسلول على شاتم الرسول، لشيخ الإسلام ابن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٢٩٨هـ، ص ٤٢٢.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٥٦.

بنفسه، فقد كان هذا الفضل الحاصل بصلاة الله عز وجل عائدًا على الإنسان له فائدة وأجر أعظم[١].

كذلك من أدل الدلائل على فضل الصلاة على رسول الله ﷺ أنها سبب لصلاة الله وملائكته على العبد وذلك بإخراجه من الظلمات إلى النور، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾[٢].

والصلاة: الرحمة والعطف. والمعنى: هو الذي يترحم عليكم ويترأف، حيث يدعوكم إلى الخير، ويأمركم بإكثار الذكر، والتوفر على الصلاة والطاعة ﴿لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ أي ظلمة الكفر والمعاصي والشبهات ومساوئ العادات ﴿إِلَى ٱلنُّورِۚ﴾ أي نور الإيمان والسنة والطاعة ومحاسن الأخلاق ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾ أي حيث لم يتركهم يتخبطون في عمياء الضلالة والجهالة، بل أنار لهم السبل وأوضح لهم المعالم. وذكر الملائكة تنويها بشأنهم وشأن المؤمنين. وأن للملأ الأعلى عناية وعطفًا وترحمًا، بالاستغفار والدعاء والثناء على الجميل. كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ۝٧ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾[٣][٤].

---

(١) انظر: جلاء الأفهام ١٥٣، ١٥٤.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٤٣.

(٣) سورة غافر، الآيات: ٧ - ٩.

(٤) انظر: محاسن التأويل، الإمام القاسمي، مج ١٨/١٣/٢٧٩، ٢٨٠.



فهرس المحتويات



فهرس المحتويات

الموضـــــــــــوع	الصفحة